

الجزء الثاني

صالح محمد عبد الله الزمام

العبيكان
Obeikan

ح صالح محمد عبدالله الزمام، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزمام، صالح محمد عبدالله

نوادر من التاريخ./ صالح محمد عبدالله الزمام - ط٢.- الرياض، ١٤٣٨هـ

٤ مج

٤٣٨ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ٩ - ٤٨٠٤ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

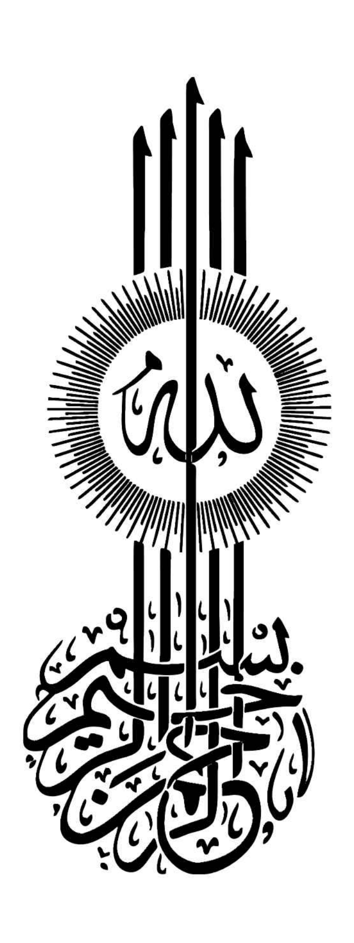
٩٧٨ - ٦٠٣ - ٠٢ - ٤٨٠٦ - ٣ (ج٢)

١. الأدب العربي - مجموعات أ. العنوان

ديوي ٨١٠,٨ ١٤٣٨ / ٨٩٦٣

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

صالح بن محمد الزمام
مؤلف سلسلة كتاب
نوادر من التاريخ



الرياض - الربوة
ص . ب : ٢٦٠٢٥٧
الرمز : ١١٣٤٢
تليفون : ٤٩٣٣٤٣٧
جوال : ٠٥٤٥١٨٧٧٧٧

برقيه من ابن القيم

نقول لقارئ النوادر كما قال الإمام الحبر الجليل
ابن القيم رحمه الله في مقدمة أحد كتبه
لك أيها القارئ صفوه ولمؤلفه كدره وهو
الذي تجشم غراسه وتعبه ولك ثمره وها
هو قد استهدف لسهام الراشقين. وأستعذر
إلى الله من الخطأ والزلل .

صالح الزمام .

٥/٥/١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم





الرقم: ١٥٠١/١/١
التاريخ: ١٤٢٥/٧/١
المشفوعات: ـــــــــ

سعادة الأخ الأديب الأريب الأستاذ صالح بن محمد الزمام وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

فأسأل الله تعالى لكم مزيدا من التوفيق والصحة والعافية.

ووصلني ـ وصلكم الله ببره وهداه ـ كتابكم المؤرخ في ١٤٢٥/٦/٢٢هـ المرافق له نسخة من الجزء التاسع من كتابكم (نوادر من التاريخ)

وإذ أشكر لكم كريم مشاعركم، وجميل إهدائكم، فقد سعدت بتواصلكم، وسررت بما أنتم عليه من وافر الصحة والعافية.

وقد اطلعت على الكتاب فألفيته كتاباً رشيقاً في عبارته، سهلاً في أسلوبه، قريباً في لغته، متنوعاً في مادته، بما اشتمل عليه من القصص الهادفة، والحكم اللطيفة، والأخبار الطريفة، مع ما يتميز به من إسناد جميع الأخبار والنوادر إلى أهلها.

حفظكم الله وسدد خطاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان الصالح

الأخ صالح بن محمد الزمام المحترم

بعد التحية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

أشكركم إن هنأتم بحلول عيد الفطر السعيد داعيا لكم بالخير والبركة

والسعادة. انتقل إلى ما صبوتم به من هدية لطيفة طيبة

الحلقة الخامسة. والكلمة الهادفة.. والقصة الطريفة..

والنصيحة اللطيفة.. شيء ذلك وأقدم كتابك

بل صدقه الفاضلة... والمنزل الكريمة مؤتسيا ومقتديا

بما وصف الله نبينا الكريم محمدا صلى الله عليه وسلم من أنه

قال في كتابه الكريم — لقد جاءكم رسول — وإنك لعلى خلق عظيم

وما قاله رسولنا العظيم — بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

من هنا أجد كتابك الجزء الخامس من — النوادر — تجسيدا

لذلك ودعوة ونصيحة. فيه الخير والهدى

ومن التقوى والدعوة يحار المتأمل كل سيكتب لك الأجر

واشكرك لما سبق وتهيأت لوقته.. والدعوة إلى

الخير والهدى هي سبيل المرسلين ودعوة الصالحين ومقصد

المصلحين. إن كتابك — الجزء الخامس — ينبوع هدى وقطوف صحيفة

ومعرفة علمية وتقوى — وقد سعدت بالكتاب أيما سعادة

[illegible]

أخوكم

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الفاضل / صالح بن محمد الإمام   سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من حسن الحظ حينما زرتكم في منزلكم العامر لغرض أداء بعض الأعمال التجارية معكم أنني كنت أحمل إحدى حقائب العمل معي، وقد أهديتموني نهاية تلك الزيارة نسخة من الجزء السابع من كتابكم نوادر من التاريخ. كان ذلك في منتصف شهر سبتمبر ٢٠٠٢م.

وقد حفظت الكتاب في تلك الحقيبة ونسيته، إلا أنني في رحلة عمل إلى مدينة جدة فتحت حقيبتي فوجدت ذلك الكتاب وكان أن بدأت قراءة أوله ليلة الثلاثاء ١٤٢٤/١١/٧ الموافق ٣٠/١٢/٢٠٠٣م فوجدت الكتاب حصناً نافعاً مضيئاً أعادني إلى نجد ومنها إلى العالم، حيث احتوى على كثير من القصص الواقعية، ووجدت تعليقاتكم خفيفة الظل لتقرير معلومة أو لتعليق على النادرة...

بدون مبالغة كنت ببعض أقرأ الصفحة تلو الصفحة، والنادرة تلو النادرة، حتى نسيت نفسي وحملني كتابكم مدة ساعتين ونصف بعيداً أطالع في أجواء ما احتواه حتى قرأته من آخره.

فأهنئ نفسي بحصولي على الكتاب، وصحبتي إياه في هذا السفر لأجده صديقاً مدوراً قريباً من النفس، وأهنئكم على هذا العطاء الثر الذي لا يصدر إلا عن ذواقة لبيب، وأديب أريب يجيد الرامي من المكتوب، فينتقيه حسب المطلوب، ويعلق عليه تعليقاً لطيفاً، يبحر بنا داخل النفس فيجد بها كما تحدث الرحى سبباً للاستبشار حقيقياً، خصوصياً لمنا بلبه كاتباً وناقلاً وراوياً فأكثر الله من أمثالكم، وزادكم من العلم النافع ونفعنا بعلمكم إنه جواد كريم.

وإن ما أندم عليه هو عدم حصولي على الأجزاء الستة من الكتاب «نوادر من التاريخ» ولعلكم تتمون فضلكم وترسلونه بما يتوفر منها لديكم أو تدلوني على مصدرها أو مكان بيعها لأحصل عليها مع جزيل الشكر والتقدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم الصغير

محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل

حرر في جدة – ١٤٢٤/١١/٧هـ

جوال ٠٥٤٢٨٨١٥٥.

ملاحظة: لقد وجدت الكتاب سهل الحمل، جيد الطباعة
جميل الغلاف، قليل الأخطاء المطبعية، كثير الفائدة
تشجع قراءة نوادره في مجالس الرجال، أسلوبه
يمتاز بالسلاسة، وتفرضه ينبع من نباهة
سليمة الحكم، تحكي واقعنا، وتلامس تاريخنا
مدعم بالدلائل، مشار في نقله إلى المراجع
بحروفه واضحة، مرتب بطريقة مناسبة
سهل القراءة والفهرسة، يحتوي على أخبار
الصفات الأفضل، ملخص لحكمتهم، وتواضعهم
جاعلاً منهم قدوة، ويحتوي على جرأة وشجاعة
أدبية تستهدف تعريفاتكم الحسنة، ولا تخلو
هذه التعريفات من التعليقات اللطيفة، والتقريرات
المنصفة، والنظرات البعيدة، والإلمام بالأمة
والأمر بأخذ القدوة الصالحة والاعتبار بما جاء
في الأيام الخالية......
ولذا سهبت في وصف هذا الكتاب الطال المقام
ولكنه كما قال الشاعر: ومن الجراح جهزة بالوشل
من لامني أني أعدد ... اعترف ذكر الأغاني والغزل...

ومودتي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك
الرياض ١١٤٤٣
ص. ب ١٠٨١٢
هاتف { منزل ٤٦٨٣٢٩٨
جوال ٠٥٠١٢٠١٠٠
المملكة العربية السعودية

التاريخ ١٢/ ١ /١٤١٩هـ
الموافق ٨ / ٥ /١٩٩٨م

الأخ الأستاذ العزيز صالح بن محمد الزمام حفظه الله

تحية طيبة:

اطلعت على كتابكم «نوادر من التاريخ» الجزء السادس،
وقد كنت أتابع ما تكتبونه من نوادركم الشائقة، ويعجبني اهتمامكم
بتراث قومكم وتتبعكم لأخبارهم، وهو جهد يدل على قراءتكم للتراث
واهتمامكم بنوادره، ووضعها بلغة سهلة لتكون قريبة منهم، بارك
الله بجهودكم. وقد ذكرتني في صفحات ذلك الجزء، ذكرك الله
فيمن عنده، وقد سرني أن تنقل عني شيئاً ولو قل. إلا أن
لي ملاحظة بسيطة وهو أنني من قبيلة «حرب». أما عتيبة القبيلة
~~القبيلة~~ العزيزة ففيها أسرة كريمة تحمل هذا الاسم، وهم ابن تنيبيك
تصغير تنباك وهم من المراشدة من الروقة ولعل اللبس جاء من هذا
التقارب بالأسماء. وحرب وعتيبة يجمعهم اتحاد قبلي كبير مع تحالفهم الدائم بشبابه.
وعلى كل حال فأنا أعتز بكل أبناء هذا الوطن حاضرة وبادية وأنا منهم
جميعاً، ويعلم الله أنني لا أستعرب بي ولا عصبية وإنما دلالتي للعمل الطيب الذي
ينفع الجميع ولأهله أين كانوا ومن أي قبيلة جاءوا. إلا أنني أحببت
تصحيح الاسم، وأنا معتز بي لا عدمتك.
أرجو أن يوفقك الله للمزيد من العطاء المثمر. تقبل شكري أولاً
على ما نقلت عني، وتقديري لجهدك سددك الله.

أخوك
مرزوق

عدد ١١٩٧/ط/١٤١٩هـ ٨/٥/١٩٩٨م

الوالد الكريم الشيخ صالح بن محمد الزمـام حفظه الله

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

نوادر من التاريخ سلسلة عرفتها ولعت بها وكان لها أثراً في مسيرة حياتي أقرأها من حين لآخر وأشتاق للجديد..

لقد جمعت بين سهولة الطرح وجمال العرض وندرة المعلومة والتعليق الفذ والدعابة المفرحة، كل هذا يجعل هذه السلسلة جديرة بأن تكون في كل بيت وجبة علمية فكرية تراثية تربوية توثيقية رائعة.

إنها السلسلة التي كلما قرأتها وأعدت قراءتها كأنك تقرأها لأول مرة شكراً لكم على هذا العطاء وستذكر لكم الأجيال هذا الصنيع الخير المبارك وأدعو الله لكم بطول العمر على طاعته ولنسعد برؤية الجديد من هذه السلسلة المباركة.

محبكم خلوفة بن محمد الأحمري

المرشد بجهاز الحرس الوطني

١٤٣١/١٢/٢١هـ

تقريظ من المجلة الرصينة
جزاهم الله خيراء

قدم المؤلف (صالح محمد الزمام) كتابه (نوادر من التاريخ) بأربعة أجزاء أعيدت طباعة الأجزاء الثلاثة أكثر من مرة . وقد اشتمل الكتاب ــ بأجزائه الأربعة ــ على (١٣٦٧) نادرة ، أو خبراً ، أو قصة ، أو حدثاً ، أو مثلاً ، أو حكمة ، أو غيرها من المعلومات المنتزعة من كتب التاريخ القديمة أو المعاصرة ، أو الصحف العربية المختلفة التي تعير أهمية لميادين الحياة وأحداثها الشائقة والمثيرة في شؤون المجتمع والعلم والدين والأخلاق والسياسة وغيرها من المثيرات .. وكثيراً ما تكون الكتابة عنها بأقل من صفحة .. والقليل القليل الذي تعداها وبخاصة في الجزء الرابع من الكتاب .

وإذا كان الجزء الأول غنياً بالطرف والنوادر والمرح والهزل التي امتلأ بها الكتاب التراثي الرصين وأحسن المؤلف استحضارها بذوقه التاريخي وحسه الأدبي .. فإن الأجزاء الأخرى أخذت تميل إلى الجد والاتزان والمعلومات والأخبار الهادفة والملتزمة بقضايا العروبة والإسلام ، ومواقف دعاة المسلمين المعاصرين .. وعلى رأسهم : محمد الغزالي ، وعمر التلمساني ، وعلي الطنطاوي ، وغيرهم . فضلًا عما كتبه أعلام الفكر الإسلامي والأدبي في داخل المملكة وخارجها .

وكذلك ازدحم الكتاب ، وبخاصة الجزء الأول ، بالأخبار والنصوص المنتقاة بعناية من الكتب التراثية ، والتي يجد فيها القارىء الكثير مما يروح عن النفس ــ عملًا بالأثر : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلّت عميت ــ كما أنه قد يتخلل الكتاب من آن لآخر شؤون معاصرة محلية وعربية وإسلامية وعالمية .. وكلها مهمة ومثيرة وتدل على أن المؤلف لصيق ومخلص لقضايا أمته ودينه والدعوة الإسلامية .

• من المجلة العربية عدد رجب ١٤١٠ هـ رقم ١٥٠ .



عبدالله محمد الفرعاوي

Abdullah M. AlFarawi

الرياض في ٢٠ /٤ /١٤١٠ هـ
١٩ /١١ /١٩٨٩ م

الأخ الكريم الأستاذ / صالح بن محمد الزمام المحترم
الرياض : ١٤٣١ هـ ـ ص . ب ١٤٠٥ ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

كتابكم ـ مؤلفكم ـ [نوادر من التاريخ] الجزء الرابع .. وجدته أمامي في مكتبة الوزارة يوم الأربعاء ١٧ /٤ /١٤١٠ هـ وعليه إهداؤكم الكريم لي .. وحين اطلعت عليه سألت الأخ المسئول في المكتبة ، متى وصلكم هذا الكتاب ؟ .. فقال : لا أدري ! وخجلت من نفسي كثيراً أنني لم أبادلكم بتحية شكر على الأقل في وقتها .. وقصة هذا الإهمال يا أخي العزيز هي أن الكتاب فيما يبدو لي وصل إلى مكتبي وأنا غائب فأرسله أحد الزملاء إلى المكتبة ـ مباشرة ـ دون أن أطلع عليه .. وحاولت أن استكشف متى وصل ؟ فلم أجد تاريخاً على الكتاب مع كلمة الإهداء .. ولم أجد على الكتاب نفسه تاريخ الشهر .. ولكنني رأيت تاريخ السنة ١٤١٠ (الطبعة الأولى) على الصفحة الداخلية .

أكرر اعتذاري وخجلي منك ـ بسبب هذا الإهمال الذي لم يكن لي فيه يد ـ يعلم الله ـ وأرجو لك التوفيق الدائم في هذه الأعمال الطيبة .. لقد بدأت أقرأ من بدايته على صفحة (٥) بعنوان ـ تنويه وشكر ـ بعد البسملة لأكتشف ما هو هذا الكتاب ، وفي أي صنف أصنفه .. وصدقني ـ أيها الأخ الكريم ـ أنني لم أنو أن أتجاوز الصفحات الثلاث ، ولكن يعلم الله .. أنني قرأت معظم الكتاب في جلسة واحدة ..

ص . ب : ٢٢٠٨ ـ الرياض ١١٤٥١ ـ المملكة العربية السعودية   P.O.Box 2208 - Riyadh 11451 - SAUDI ARABIA

بسم الله الرحمن الرحيم

الكاتب
عبدالمحسن بن علي المطلق

التاريـــخ : ٥ / ٥ / ١٤٣٧هـ

المحتـــوى : (خطاب/ شكر)

(١)

صنيعٌ(*) نادر.. يا صاحب (النوادر)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد.

كم سررت بهدية جليلة إزدانت بها مكتبتي من الأستاذ الباحث لجامع ماتع "**صالح بن محمد الزمام**" أحد أبناء الأسر العزيزة على أبي يرحم الله، ووآلدينا جميعاً (وأصدقائهم).

ولطالما.. رأيت جزء أو آخر (على تفرّق) لعطائه (نوادر من التاريخ) - ١٢ جزاء - ، حتى أتت لي مجتمعة مرتبة بإخراج بهيٍّ سهل الفتح، ونديّ الطباعة.. أَنيقة متأّنقة، قامت مؤسسة (تاج) على تتويجها بإخراج بديع، يُشكر الطرفين المؤلّف والمؤسسة، على جليل وإحسانٍ من الأول، جمع – تأليف- ، والطرف الآخر .. لجمال مظهر وحُسن إخراج.

المهم.. كم أشكر المصنّف للاهتمام بي، ومن ثمَّ الانتظار من شخصي الصغير أمام عمله الكبير، إذ عهد إلي ، أو هو أستشرف أن أُبدي نحو عطائه ما يمكن أن يبلْغ مقام التقييم.

أبا محمد، ما كان لهذا البديع الذي أخذ منك سنين وتجشّم عناء بحثٍ، أن ينظر أو ينتظر لإزجاء من ذي بضاعة مُزجاة يحملها مثلي، لولا توآضع الكبار، الذين

(*) لا غرو، فالصناعة إبداع، وفي الآية رافداً:﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[النمل : ٨٨] لاحظ أين أتى طلب الإتقان مع (صنع).

المملكة العربية السعودية ـ الرياض
ص.ب : ٢٥٩٨٥ الريـــاض : ١١٤٦٧
جـــوال : ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨
البريد الالكتروني : Mohsn222@gmail.com

عُهد منهم التلطّف، من حيث لا يشعرنّ بحُسن التفاتهم أن هناك من دونهم (وهم كثيرون جداً).

ثانياً : أحسنت اختياراً بالصفحة الثالثة – من كلّ جزء- ما أوردته لإبن القيم: (لك أيها القارىء صفوه، وللمؤلف كدره)، لكن أينك من دفع رزق بن عبد الوهاب: (لا يَحسن بكم أن تستفيدوا منّا، ثم تذكرونا ولا تترحموا علينا)، كأنه يومىء لتلاميذه من بعده/

أجزيــه، أو أثـني عليــه، وإن مَــن (أثنــى عليــك) بمــا فعلــت فقــد جــزى

ثم لا عليك أُخرى، أن قال الجاحظ (من ألّف فقد استهدف) أي: أمسى مرمى للسهام، ثم قال (فإن أحسن فقط استعطف، وإن أسأ فقد استقذف) فإني – ومن تقيمي المتواضع- أبشّرك بالأولى، فقليلٌ (اليوم بخاصة):

من ترك دويّاً في الدنيا، وجماليات ما أفائت به قريحة عطائه، وما جدّل.. على كل متلقي، وفوّتت به لأي متربص امتاعاً.. أن يدع ذاك ليغيص في أُتون الكنوز التي تركها السلف، وقد جدّوا فيها.. عسى أن يضع مِن الخلف (ممن يقدّر) كمثلكم، فيقطف من بهيّ ثمارها، وينتقي بين جليل غمارها،

ما يُحسب أن يوضع في اطروحات سهلة التحصيل بين يدي أي مُستْشفٍّ منها (الأفكار) والآداب والتربية وحُسن التوجيه..

ويكفيك لنفس مثالهُ (شعر) الشافعي:

المملكة العربية السعودية ـ الرياض
ص.ب : ٢٥٩٨٥ الريـــاض : ١١٤٦٧
جـــوال : ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨
البريد الالكتروني : Mohsn222@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الكاتب
عبد المحسن بن علي المطلق

التاريـــخ : ٥ / ٥ /١٤٣٧هـ

المحتـــوى : (خطاب/ شكر)

(٣)

مـــن وعـــى التـــاريخ في صـــدره أضـــاف أعمـــاراً إلى عمـــره

.. فكيف وأنت مع (الوعي) تدوّن، فتبُرز ما يستحق أن يُملاء على الملاء، ليكون في ميزانكم، مُثقلاً يوم تخفّ أوزان من أسرفوا على أنفسهم، وضيّعوا جملة (أعظم ما يملكون: (الوقت).. من أعمارهم.

.. كما وهو (بإذن الله) دفاع تعذيرٍ لكم وشافع يوم لا تزول به القدم حتى نُسأل به { .. عن علمه ماذا عمل به} ، أنّك حفظته، ومن ثمّ نخلته، فقدّمت – به- ما يستحق أن يُنشر.

.. ويكفيكم ذا العطا الذي تطاول واشمخرّ حتى بلغ اثنا عشر قناً، كل منها حلو عذب النهل فهو كالنخل علوّ القدر، فيما ثمره قريب- سهل- ، كقطوف دانية المُبلّغ من المدارك.

.. أخيراً (إذا.. لو سرحت وراء نيل بغيتي، لم أبلغ ساحل ما يستحق جهدك من ..)، ولو أننا نُهينا عن الإطالة بالمدح، ولكن ببعضه، كي يُعلم أنّنا أُمّة الشكر..

وإلا ما حُمد هذا، ولا ندبنا لذاكا، لولا نصوص، أجلاها { لا يشكر الله من لا يشكر الناس} ، والله أعلم/أن هذا لحكمٍ، أهمها: كي يستمر العطاء، ويزيد النماء.

فـ.. لك من أخيك المحبّ المقدّر لك الجهد ، وكذلك الهدية (الثمينة):

المملكة العربية السعودية ـ الرياض
جـــوال : ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الكاتب

عبدالمحسن بن علي المطلق

التاريـــخ : ٥ / ٥ / ١٤٣٧هـ

المحتـــوى : (خطاب/ شكر)

(٤)

الثناء البالغ مما أنتم له أهلٌ، بل أُزجي لك مما هو جميل يسند، في قول د. سعاد الصباح:

" هناك من هم كالورود.. لا يحتاجون عطراً، وكالعيون السود.. لا يحتاجون كحلاً!

.. ولا يضيف لهم الثناء.. مهما كان (مُستطاباً) قيمة أو مقاماً.

إنهم حقاً أكبر من الثناء..

وأسمى من كل كلمات الإطراء..!".

بالذات أن أتى من مثل قلمي، لكنّي .. استلحق/

أن أهم شيء النية- في العمل- ، قال أبو داود الطيالسي: (ينبغي للعالم إذا حرر كتابه أن يكون قصدهُ بذلك نصرة الدين، لا مدحه بين الأقران لحسن التأليف).

ولا أظنكم – حبيبنا، تخفاكم هذه..

ملحظ.. لابد من بسط بعضه/

عالمنا (اليعربي) فيه من الجفاف والغلظة ما يجعل الشكر لا يأتي منه إلا ربما بشقّ الأنفس!، حتى لقد قيل :

مــا قــلّ فينــا النــابغون، وإنمــا عــدد الأولى قــدروا النبــوغ قليــل

المملكة العربيــة السـعودية ـ الريـاض
ص.ب : ٢٥٩٨٥ الريــــــاض : ١١٤٦٧
جـــــوال : ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨
البريد الالكتروني : Mohsn222@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الكاتب
عبد المحسن بن علي المطلق

التاريـــخ: ٥ / ٥ / ١٤٣٧هـ

المحتـــوى: (خطاب/ شكر)

(٥)

فـ (لفظة: قليل) لها شاهد، ومن كتاب ربنا رافداً، بل غزير الدلالة حين أنبأ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ : ١٣] صدق الحق.. سبحانه.

.. وأما التوقير- التقدير- لمن يبذل فهذا بعيد شقته إلا على نزر، نحو ما جاء في قوله تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤] هذا فضلاً أن ينجو الباذل من ألسنتهم الحداد، أقصد من يعمل، وفيما الخامل بنأي عن.. مجمل خطابهم.

ولهذا فصاحب (المعروف) العطاء لا ينجو .. من نقدٍ عام، وإن خلا من نقص (ظاهر شاهر) عند من ينتقد عليه من الله برهان (حجة) في تصويب أو تصحيح، حتى نُسب للغزالي مقالة (نصف الشعب أعداء للحاكم إذا عدل)، يقصد فكيف لو طالهم منه بعض تضعضع عن إيصال الحق؟!

.. أخوكم/

عبد المحسن بن علي المطلق

المملكة العربية السعودية ـ الرياض
ص.ب: ٢٥٩٨٥ الريـــاض: ١١٤٦٧
جـــوال: ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨
البريد الالكتروني: Mohsn222@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكريم الاستاذ الأديب/صالح بن محمد الزمام   أدام الله توفيقه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

أرجو المولى أن تكون بخير وكافة أفراد الأسرة الفاضله .

تكرمت حفظك الله وأتحفتني بهديتك الثمينه ومؤلفك القيم (نوادر من التاريخ) ويالها من نوادر نادرة بما إشتملت عليه من قصص وحكم وأمثال وطرائف تشجع القارئ وتدفعه لقرائتها ناهيك عن ما تميزت به من طباعة فاخره وأحرف بارزه - ولقد قرأت الأجزاء جميعها فألفيتها أشبه ما تكون بحديقة غناء وواحة فيحاء يجد فيها مرتادها مايسر ناظره ويريح خاطره ويبهج فؤاده -

ختاماً لك خالص محبتي وصادق مودتي لاعدمتك أباعبد الله ولاعدمك محبوك - دمت هانئاً سعيداً في أمان الله وحفظه ورعايته - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوك محبك

[توقيع]

عبد الرحمن بن ناصر الوهيبي

هاتف/ ٠٥٥٦١١٣٣٥٥

الرياض / الجمعه ٢١ ربيع الأول ١٤٣٧هـ

١٠/ يناير/ ٢٠١٦م

وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. أبعث للواء الأديب رسالتك هذه حولتها للأديب الأخ محمد الزامل لينشرها في الطبعة القادمة وهو المسؤول في مكتبة السادة العبيكان [illegible] وهذا اللواء المتقاعد قارب الثمانين وتنضح حيوية ونشاط ولسر نظافة يده وقلبه ولسانه ودليل نظافة يده خرج من [illegible] وهو حتى اليوم ساكن فلة عارية [illegible] [illegible]

٧٣٩ هل أنت ملك؟!

سأل رجل عبدالله بن عمرو بن العاص قال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبدالله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: أنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادمًا، قال: فأنت من الملوك.

ولقد امتن الله على بني إسرائيل بالحرية بعدما لاقوا في مصر من استعباد، وبالأمن بعدما عانوا من مخاوف. فاعتبرهم بالحال التي انتقلوا إليها ملوكًا: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠].

٧٤٠ كأنهما صقران

بمثل هؤلاء الشباب انتصر الإسلام قديمًا وبمثلهم سينتصر حديثًا، أخرج البخاري ومسلم عن عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إني لواقف يوم بدر في الصف، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت أن أكون بين أضلع أحد منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم، أتعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، وما حاجتك؟ قال: أُخبرت أنه يسبُّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذي نفسي بيده إن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال مثلها.

فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما. قال :فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي، فأخبراه. فقال: «**أيكما قتله؟**» فقال كلٌّ منهما: أنا قتلته. فقال: «**هل مسحتما**

سيفيكما؟» قالا: لا. فنظر في السيفين، فقال: «**كلاكما قتله**». وقضى بسلبه لمعاذ ابن عمرو بن الجموح، والآخر هو معاذ بن عفراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [1].

أقول:

بعض الآباء اليوم يبلغ ابنه الثامنة عشرة وهو لا يحسن شيئًا، ولا يعتمد عليه في شيء وهو أسنّ من أسامة يوم أمّره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جيش فيه أبوبكر وعمر، وأسنّ من عتاب بن أسيد يوم ولّاه إمارة مكة، وأسنّ من القاسم بن محمد، حين قاد الجيش إلى المشرق، ومن شباب اليوم بطل كرار وأسد مغوار، وكل الأمور مرجعها إلى التربية والتوفيق الإلهي.

٧٤١ كتّاب الوحي

كتّاب وحي رب العالمين منهم من كان في مكة من أول البعثة إلى الهجرة، ومنهم من كان في المدينة بعد الهجرة. أما من كانوا في مكة فمنهم: عبدالله ابن أبي السرح، وأبوبكر، وعثمان، وعمر، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص، وحنظلة بن ربيع الأسدي، ومعيصب ابن أبي فاطمة، وعبدالله الأرقم الزهري، وشرحبيل بن حسنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ولما هاجر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة كان من كتاب الوحي أيضًا: زيد بن ثابت، وأبي ابن كعب (وهما أنصاريان) وأبان بن سعيد بن العاص مهاجر، ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن الوليد وعبدالله بن رواحة وثابت بن قيس.

٧٤٢ من شجاعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ذكر ابن إسحاق قال: خرج عمرو بن عبد ودّ يوم الخندق وهو مقنع بالحديد، ونادى: من يبارز؟ فقام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أنا لها يا نبي

---

(١) أخرجه البخاري (٤/٩١-٩٢ رقم٣١٤١)، ومسلم (٣/١٣٧٢ رقم١٧٥٢).

اللّه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: «**إنه عمرو اجلس**»، ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها، أفلا تبرزون إليّ رجلًا، فقال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنا يا رسول اللّه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: «**اجلس**»، ثم نادى الثالثة، فقال: فذكر شعره قال: علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال: يا رسول اللّه، أنا، فقال: «**إنه عمرو**» قال: وإن كان عمرًا، فأذن له رسول اللّه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فمشى إليه حتى أتي، وهو يقول:

لا تعجلنَّ فقدْ أتاكَ ... مجيبُ صوتِك غيرُ عاجزِ
في نيةٍ وبصيرةٍ ... والصدقُ منجى كلِّ فائزِ
إني لأرجُو أن أقيمَ ... عليكَ نائحةَ الجنائزِ
من ضربةٍ نجلاءَ يبقى ... ذكرُها عندَ الهزاهزِ

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبدمناف؟ قال: أنا علي ابن أبي طالب، فقال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك، فقال له علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لكني واللّه لا أكره أن أهريق دمك. فغضب ونزل فسلّ سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مغضبًا، فاستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في درقته فقدّها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه، فشجه، وضربه علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على حبل عاتقه، فسقط وثار العجاج، وسمع رسول اللّه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ التكبير، فعرفنا أن عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قد قتله[1]، ثم يقول علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

عبدَ الحجارةَ منْ سفاهةِ رأيِه ... وعبدتُ ربَّ محمدٍ بصوابِ
فصددتُ حينَ تركتُه مُتجدلًا ... كالجذعِ بينَ دكادكٍ وروابي
لا تحسبنَّ اللهَ خاذلَ دينِه ... ونبيِّه يا معشرَ الأحزابِ

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٣٢/٩ رقم١٨٨١٢)، وانظر: الروض الأنف (٤٢٧/٣)، والبداية والنهاية (١٢١/٤-١٢٢).

جـاء مجاهد، وقال لأحد الصالحين: من يجهـزني، فإني ذو مرة - أي قوة على الجهـاد - فقال الرجل الصالح: أنا، هذه الدراهم لـك، قال: أآخذها، وأنا أعرف أن ليس عندك غيرها، وهي ستون درهمًا فقط؟ قال: إن ثقتي بما وعدني ربـي أعظم مـن ثقتي بما تحت يـدي الآن، قال: مـا تقول، أو ما قـرأت قول الله تعالـى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾؟ [التغابن: ١٧]. هـذا وعـد قاطع ممـن بيـده ملكوت كل شيء، خذ مـا بيدي يا رجل، لا تنسَ قـول رسولنا الكريم: «**مـا نقص مال من صـدقة**»[1] بل تزيده، وفعلًا أخـذ الستين، وانصرف، ودخل المتصدق على أهله، فقالوا له: أين المال؟ قال: تاجرنا به، قالوا: مع من؟ قال: مع الله، قالـوا: الله لا يضيعنا، وما هي إلا ساعات، وإذا أحد من أصحابه يدقّ عليه البـاب قائلًا: يا فلان، هنـاك أعرابي معه عشرة من الإبل ما رأيك في شرائهن؟ قـال: ليس معي مال، قـال: أسلفك المبلغ حتى تردّه عليّ بعـد البيع، قال: إن كان كذلـك فعلى بركة الله، واشترى الإبـل بست مئة درهم، ولقيهم خير، وأخذ الإبل منهم بسعر مضاعف، ورجع الأول بضعف ما أنفق في اليوم نفسه.

أقول:

نعم، إنه وعد صادق من الله ورسوله، ففي قريتنا كما قص علينا ذلك بعض مـن نثق به مـن كبار السن أن امرأة طرقت الباب علـى بيت، وخرجت عليها ربة البيـت، فقالت لهـا السائلة: أنا فلانة، وابنتي ولدت الليلـة، ولا نجد لها ما يقيم أودهـا، وهي نفساء، وكان الوضع الاقتصـادي في القرية دون الوسط وأقرب إلى الفقـر المدقع، ويقولون: إن المسؤولة حين طرقت عليها السائلة الباب كانت تعجن العجـين لتعدّ الطعام لأولادها، ولا يوجد غيره، فجمعته في الإناء، وأعطته المرأة، وقالـت: إن النفساء أحق به منا، وانصرفت السائلة شاكرة، وعادت الثانية تفكر

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٠١ رقم٢٥٨٨).

مــاذا تصنع؟ وإذا بالباب يُطـرَق في اللحظة نفسها، وإذا بها امرأة أحد الأثرياء في القريــة تحمل زنبيلًا يتسع أضعاف ما تصدقت به من العجين، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء!

٧٤٤ علامات الساعة العشر

قــال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تقوم الســاعة حتى تروا عشـر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسـف بالمشـرق، وخسـف بالمغرب، وخسـف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا**»[١].

٧٤٥ نزاهة العرض

إذا بدهــك أمــران لا تدري أيهمــا أصوب، فانظــر أيهما أقــرب إلى هواك فخالفــه، فــإن أكثر الصــواب في خلاف الهــوى، وليجتمع في قلبــك الافتقار إلى النـاس والاستغنـاء عنهم، وليكن افتقارك إليهم في لين كلمتك لهم وحسن بشرك بهم، وليكن استغناؤك عنهم في عرضك وبقاء عزك.

٧٤٦ شجاعة وحيلة

ذكــر الأستاذ إبراهيم بــن محمد السيف في كلمة تأبينيــة للمرحوم فضيلة الشيــخ محمــد بــن إبراهيم البــواردي في (مجلة الدعــوة) عــدد ٩٢٤ يقول: إن الشيــخ رَحِمَهُٱللَّهُ حدثه أن سبــب تسمية جده إبراهيم البــواردي أنه كان في جماعة معه قد خرجوا لجلب العشب لإبلهم من إحدى ضواحي مدينة شقراء، فاعترض

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٥ رقم٢٨٦١)، و(٤/٢٢٢٥ رقم٢٩٠١)

عليهم قطّاع الطرق للفتك بهم وأخذ ما معهم، وكان الوقت آنذاك ظلمة من الليل، وكان إبراهيم يحمل عصا تشبه البندقية، فبرز للعدو، وبصراحة وشجاعة قال: إن تعدّى أحدكم على قومي قتلته، فقالوا: أعطِنا الأمان على أنفسنا أيها البواردي، ونترك السبيل لك ولجماعتك ففعل، وكان أصحابه يعرفون حقيقة الأمر، وأن ليس معه بندقية، والبادية إذ ذاك لا تسمي بواردياً إلا من كان يحمل بندقية، فلقبه جماعته بهذا اللقب على وجه المزاح، فغلب عليه، وصار هو الاسم.

٧٤٧ الإنسان وقلبه

ورد ذكر القلب في كثير من الحكم والأمثال والمواعظ، منها قولهم: العقول أئمة الأفكار، والأفكار رائحة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء. وقالوا: المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، وفي الأثر عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم**»[1] وقيل: ألا وإن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من مرض البدن مرض القلب، وأعجب ما في الإنسان قلبه، فإن سنح له الرخاء أزاله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ، وإن أتاه الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمن سلبته الغرة، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن استفاد مالاً أطغاه، وإن عضته فاقة حلّ به البلاء، وإن جهد به الجوع كظّته البطنة، فكل تقصير به مضر وكل إفراط له قاتل، وقالوا: السخي شجاع القلب، والبخيل شجاع الوجه، وقال الشاعر:

صنعْنا عُويناتٍ لعُمشِ النواظرِ ... فهلْ مِنْ عُويناتٍ لعُمشِ البصائرِ؟

---

(١) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث من قول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٩/ ٢٧٠ رقم٣٢١٢١)، وعزاه إلى ابن عبد البر في العلم، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن السمعاني في الدلائل.

٧٤٨ الزم الأدب مع كتاب الله

جـاء عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لا تماروا في القرآن، فإن المراء فيه كفر**»[١] وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إن القرآن يصدق بعضه ببعض، ما علمتم منه فاقبلوه، وما لم تعلموا منه فكلوه إلى عالمه**»[٢]، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا عنه**»[٣].

وخرَّج ابن وهب عن معاوية بن قرة قال: إياكم والخصومات في الدين. وقال معن بن عيسى: انصرف مالك يومًا إلى المسجد، وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يقال له أبوالجزيرة، فقال: يا أبا عبد الله، اسمع مني شيئًا أكلمك به، وأحاجّك، وأخبرك برأيي، فقال له: احذر أن أشهد عليك، قال: والله ما أريد إلا الحق، اسمع مني، فإن كان صوابًا فقل به أو فتكلم، قال: فإن غلبتني؟ قال: اتبعني، قال: فإن غلبتك؟ قال: أتبعك، قال: فإن جاء رجل، فكلمناه، فغلبنا؟ قال: اتبعناه، قال له مالك: يا عبدالله، بعث الله محمدًا بدين واحد، وأراك تنتقل. وقال عمر بن عبدالعزيز: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل.

٧٤٩ جماعة أهل الحق

سأل ابن الكواء عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن السنة، والبدعة، والجماعة، والفرقة؟ فقال له علي: يا ابن الكواء، حفظت المسألة، فافهم الجواب: السنة والله سنة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والبدعة ما فارقها، والجماعة والله جماعة أهل الحق وإن قلّوا، والفرقة جماعة أهل الباطل ولو كثروا، وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما يرويه عنه

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩/٣٥٣-٣٥٤ رقم١٧٨١٩)، والبيهقي في الشعب (٣/٥٣١ رقم٢٠٦٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم١١٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (١١/٣٥٣ رقم٦٧٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٥٢٧ رقم٢٠٦٢)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/٥١ رقم٢٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦/١٩٨ رقم٥٠٦٠)، ومسلم (٤/٢٠٥٣ رقم٢٦٦٧).

عمرو ابن ميمون: يا عمرو بن ميمون، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا، قال: الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك، وفي رواية: فضرب على فخذي، وقال: ويحك! إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وقد استدل صاحب (فتح الباري) على صحة ذلك بقوله: شذ الناس في زمان الإمام أحمد بن حنبل إلا نفرًا يسيرًا، فكان ذلك النفر هم الجماعة، وكان القضاة والمفتون والخليفة وأتباعهم الشاذين، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة.

٧٥٠ تخلف باسم الإسلام

قال أحد علماء الإسلام في هذا العصر: في أثناء تطوافي بالعالم الإسلامي رأيت أناسًا يتحدثون عن الإسلام حديثًا تأباه الفطرة، ويمجّه العقل، إذا كان العقلاء يعشقون الحرية فهم يتعشقون القيود، وإذا كان العقلاء يؤثرون السهولة والمياسرة فهم يؤثرون التعقيد والمعاسرة، ومهمتهم بعد هذا الطبع المريض أن يتأولوا النصوص، أو يصطادوا من الشواهد النادرة ما يؤيد نظرتهم، ويرجح كفتهم، قال أحدهم وهو يشتغل بعلم الحديث: إن إلغاء الرق ليس من الإسلام، قلت له: آفتك أنك اشتغلت بالأحاديث قبل أن توثق صلتك بالقرآن الكريم، فلم تتكوّن لديك الحصيلة العلمية التي تعين على ضبط الأحكام، وتحرير العبيد لا تقوم به دولة واحدة ما دام القتال يسود الأرض، وما دام الأسرى يسترقّون، فإذا اتفقت الدول على ميثاق لتكريم الأسرى ومنع استرقاقهم، فهل نحن المسلمين نرفض ذلك، وليس في كتابنا أمر استرقاق، وإنما فيه أوامر الإعتاق؟ هل إشاعة الاسترقاق هدف إسلامي؟ ما قال ذلك أحد، وقلما يعرف هؤلاء شيئًا عن ضوابط الحكومة العادلة، ولو سألتهم لعادوا يبحثون في التاريخ عن أساليب الحكم في الكوفة أو بلخ ليعطوا صورة شرعية للحكم المطلوب، إنني أصادف هذه المناظر المؤذية في طريق الدعوة، فأشعر بالنكد، وتساءلت: هل وراء هؤلاء أحد يكيد للإسلام؟ فقد ظهروا بغتة في أقطار عدة متباعدة، وقد حاضرت في أوروبا

وفي آسيا وفي إفريقيا، وسئلت عن الخل وحكمه أحلال هو أم حرام في كل هذه الأقطار، وأعرف متعصبين ذوي قلوب طيبة لبعض وجهات النظر الخفيفة الوزن، وهؤلاء صيد سهل لأعداء الإسلام، وينبغي تفتيح أعينهم على مغبة سلوكهم؛ حتى لا ينكبوا دينهم وأمتهم.

٧٥١ احذر الربا

مر رجل برجل قد شرب الخمر، وإذا هو ثمل، ويقفز إلى الأعلى يريد تناول القمر من السماء، فأقسم الأول بعد رؤيته لحال السكران قائلًا في قسمه: امرأتي طالق إن كان يدخل جوف ابن آدم شر من الخمر، فقيل له: لا تقرب امرأتك حتى تسأل الإمام مالك: هل هناك شر من الخمر، فذهب إلى الإمام، وأعلمه بما رأى، وبما أقسم به، قال: انصرف اليوم، وأتني غدًا، فأتاه في الغد، وقال له: انصرف، وأتني غدًا، وأتاه في اليوم الثالث، وقال له الإمام: يا بني، رددتك في الأيام الثلاثة، وكنت في كلها أبحث وأتصفح كتاب الله وسنة رسوله، ووجدت أن امرأتك طالق، حيث إن الربا شر من الخمر، وهو يدخل جوف ابن آدم، وقد توعد صاحبه بالحرب، ولم يتوعد صاحب الخمر بالحرب، فامرأتك طالق.

أقول:

الله المستعان، بيوت الربا في كثير من بلاد المسلمين وعواصمهم أكثر من بيوت الله، ويسمونه في هذا العصر بغير اسمه، مثل: الفوائد- أرباح- عمولة.. ولكن حسبهم قول الله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢] فحسبنا الله ونعم الوكيل، وإننا ندعو من بيدهم الحل والعقد إلى وقفة إسلامية شجاعة ومنع هذا الداء الخبيث بالوسائل التي يرى الخبراء الاقتصاديون المتتلمذون على تعاليم محمد ﷺ وقرآن رب محمد، وليس كفار الشرق والغرب وأبالسته، والنجاح مضمون، وفي تجربة الأمير محمد الفيصل وبيت التمويل الكويتي وبنك دبي الإسلامي ما يشجع على سلوك هذا الطريق الذي هو الأصلح،

ولنضرب مثلًا بسيطًا في متناول الجميع: رجل لديه مئة ألف دينار وضعها في بنك ربوي، وأخذ نسبة معينة قد تزيد أو تنقص، هل استفاد غيره من هذا المال ما عداه وصاحب البنك؟ كلا، كلا، ورجل آخر أقام بهذا المبلغ مزرعة أو مصنعًا أو عمارة أو أي مشروع آخر، كم من عامل سيستفيد وكم من أسرة سيسعدها عائلها بوجود فرص العمل أمامه؟ خالق الإنسان هو الله، وهو أدرى بما يصلحه، كما أن الصانع من البشر أدرى بصناعته.

٧٥٢ الله

قال الشاعر أحمد قاسم:

أبيتُ وأصحُو وأنا الشاكرُ ... لربٍّ هوَ الغافرُ القادرُ
لربٍّ عليم بذاتِ الصُّدورِ ... يذلُّ لعزتِه الكابرُ
يدينُ له النجمُ في سبحه ... يدينُ له الفلكُ الدائرُ
يدينُ له الفرخُ في عشِّه ... ونسرُ السما الجارحُ الكاسرُ
تدينُ البحارُ وحيتانُها ... وماءُ سحاباتِها القاطرُ
تدينُ له الأسدُ في غابِها ... وظبيُ الفَلا الشاردُ النافرُ
يدينُ له الذرُّ في سعيِه ... يدينُ له الزاحفُ الناشرُ
تدينُ النجاد تدينُ الوهادُ ... يدينُ له البَرُّ والفاجرُ
يدينُ الجليُّ يدينُ الخفيُّ ... يدينُ له الجهرُ والخاطرُ
تدينُ الحياةُ يدينُ الوجودُ ... يدينُ المقدَّرُ والحاضرُ
وكلُّ العبادِ إليه رجوعٌ ... وفوقَ العبادِ هوَ القاهرُ
وقبلَ الوجودِ هوَ الأولُ ... وبعدَ الوجودِ هوَ الآخرُ
هوَ الحقُّ والعدلُ والوارثُ ... هوَ الباعثُ الناشرُ الحاشرُ

هوَ الخافضُ الرافعُ الباسطُ	هوَ القابضُ الباطنُ الظاهرُ
سلامٌ رحيمٌ صبورٌ ودودٌ	عليَّ مجيبُ الدعاءِ جابرُ
ويرزقُ مَنْ فضلِه كلَّ حيٍّ	فما يُشتكى فيضُه الزاخرُ
سنادُ اليتيمِ عمادُ الهضيمِ	قصومُ الظلومِ هوَ الناصرُ
له الخلقُ والأمرُ في كلِّ حينٍ	فنعمَ لنا الخالقُ الآمرُ
حبانا الكتابَ حكيمًا سنيًّا	فثابَ بآياتِه السادرُ
هوَ الضوءُ في ظلمةِ المدلجينَ	به يهتدي التائهُ الحائرُ
أساليبُه الذروةُ المشتهاه	بلاغتُه المثلُ السائرُ
هو اللهُ لا أبتغي غيرَه	إلهًا هوَ الواحدُ الفاطرُ
معزُّ التقيِّ مذلُّ العصيِّ	سميعُ النجيِّ هوَ الباصرُ
لساني لنعمائِه ذاكرٌ	جَناني بدقاتِه شاكرُ
ووجهي لعزتِه ساجدٌ	وقلبي بخيرِ الهدى عامرُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ	تدلُّ علَى أنَّه القادرُ

٧٥٣ نتيجة الرفق

أرسل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطفيل بن عمرو الدوسي إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام، لكنه يعود إليه، ويقول: إن دوسًا قد هلكت، عصت وأبت فادعُ الله عليهم، فيقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم، اهدِ دوسًا وأْتِ بهم**»[1] فماذا كانت النتيجة؟

يقول الطفيل الداعية، بعد أن وجهه الرسول الكريم صلى الله عليه وسل إلى قومه مرة أخرى، وقال له: ادعُ قومك، وارفق بهم: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم

---

(١) أخرجه البخاري (٥/١٧٤ رقم٤٣٩٢)، ومسلم (٤/١٩٥٧ رقم٢٥٢٤).

إلــى الإسلام حتى هاجر رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلــى المدينة المنورة، ومضى بدر وأحـد والخندق، ثم قدمت على رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوس، ثم لحقنا برسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين.

نعم، كان هذا نتيجة الصبر، والرفق، والرحمة.



٧٥٤ مثل وحقيقة

حدثنــي الخــال عبدالرحمن المحمد البازعي ذات يوم قــال: إن هناك مثلًا ينطبـق على الفلاح، وهـو قولهـم: «الزراعة والفلاحـة تريك النجـوم بالنهار، وتتركك خلطًا للتراب». يقول: وقد وقع معي مثل هذا حقيقة، قلنا له يرحمه الله: مــاذا يا أبا محمد؟ قــال: توليت أمر مزرعة عمي عبدالله بعد وفاته، وكانت سنة مجدبة، وذات يوم خفت على المزرعة من الجراد، حيث يذكر لنا قدومه، وأخذت أطالـع السماء في رابعة النهار لعلي لا أرى الجـراد، فرأيت نجمًا يلمع، فتذكرت المثل، وهو قولهم: «الفلاحة تريك النجوم في النهار»، وفي أحد الأيام غاب العامل الذي يوجه الماء من مكان إلى مكان، وأخذت أوجهه أنا بيدي، فأدماها الحصى، وسقـط أظفري، فتذكرت قولهـم: «وتتركك خلطًا للـتراب» وقلت: هذا جزء من جسمي سقط في التراب.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لديه مـن التحليلات المنطقية ما يعجب جليسه، قال ذات مرة: إن سعـر كيس السكر قبل خمسين سنة هـو سعره اليوم، قلنا: كيف يا أبا محمد؟ قــال: كان سعره في ذلك اليوم جنيهًــا (أربعون ريالًا) وسعره اليوم مئة وخمسون ريالًا، وهو نفس سعر الجنيه اليوم!

٧٥٥ صحبة الرجال

أوصى عالم ابنه، فقال: يا بني، إذا عرض لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإذا صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إن حاولت أمرًا آزرك، وإن تنازعتما آثرك، وروي عن الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:

إنَّ أخاك الحقَّ مَنْ كانَ معَك ... ومَنْ يضرُّ نفسَه لينفعَك

ومَنْ إذا ريبُ الزمانِ صدعَك ... شتَّتَ فيه شملَه ليجمعَك

٧٥٦ من أخلاق سيِّد ولد آدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحلم الناس وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، لم تمس يده قط امرأة لا يملك رقّها أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات محرم منه، وكان أسخى الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل شيء، ولم يجد من يعطيه، وفاجأه الليل لم يأوِ إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط، ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه، ثم يعود على قوت عامه، فيؤثر منه، حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام، فاستقرض، وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخدم في مهنة أهله، وكان أشد الناس حياءً لا يثبت بصره في وجه أحد، ويجيب دعوة الحر والعبد، ويقبل الهدية، ولو أنها جرعة لبن، ويكافئ عليها ويأكلها، ولا يأكل الصدقة، ولا يستكبر عن إجابة الأمَة والمسكين، يغضب لربه، ولا يغضب لنفسه، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، يأكل ما حضر، ولا يرد ما وجد، لا يأكل متكئًا ولا

علـى خوان، لم يشـبع من خبز بر ثلاثـة أيام متوالية حتى لقـي الله تعالى إيثارًا على نفســه، لا فقرًا ولا بخلًا، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد الناس تواضعًا وأسكنهم في غير كبر وأبلغهم في غير تطويل، وأحســنهم بشــرًا، يركب الحمار، ويردف عبده أو غيره، يعود المرضى في أقصى المدينة، يحب الطيب، ويجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضــل، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، ويصل رحمه، ولا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقًّا، ضحكه التبسم من غير قهقهة، يرى اللعب المباح فلا ينكره، يســابق أهله، وتُرفَع الأصــوات عليه مــن الجفاة فيصــبر، لم يرتفع على عبيده في مأكل ولا ملبس، لا يمضــي له وقت في غــير عمــل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صــلاح نفســه، يخرج إلى بســاتين أصــحابه، لا يحتقر مســكينًا لفقــره، ولا يهاب ملــكًا لملكه، يدعو هــذا وهذا إلى الله دعاءً مســتويًا، قد جمع الله له الســيرة الفاضلة والسياسة التامة، وفقنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله.. آميـن.

٧٥٧ طول العمر

قــال الله تعالــى يؤنــب الكفار حــين يســألون الرجعة بعــد إدخالهــم النار ومشــهدهم المفــزع: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[فاطر: ٣٧] ويجيــب ربهم بقولــه: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[فاطر: ٣٧] قــال قتادة: اعلموا أن طــول العمر حجة، فنعوذ بالله أن يطول العمر. وقال الحسن: قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾؛ أي أربعين سنة، وقال مســروق: إذا بلــغ أحدكم أربعين ســنة فليأخذ حذره من الله، وقــال ابن عباس: العمر الذي أعــذر الله لابن آدم في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[فاطر: ٣٧] ســتون ســنة، والنذير هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقيل: هو الشيب.

أقول:

إي والله إن الداهيــة الفطن هو من يعمل لآخرته أكثر من عمله لدنياه، وإن قيل عنه: إنه درويش، ومعقد، ورجعي، ومتزمت، ومتطرف، ومتفتف، وموسوس... إلى آخر قاموس المســتهزئين المفتونين في هذه الفانية الغافلين عن الباقية، إنهم والله هم الدراويش، وهم المغفلون، وهم الرجعيون، وهم الســذَّج، هب أن الواحد منا نال ما نال هارون الرشيد وملوك الأرض كلهم قديمًا وحديثًا، أليس هو زائلًا بعد ســنة أو مئة ســنة؟ ثم ماذا؟ إنه الموت، ثم الحياة التــي فيها النتيجة والفوز الحقيقي والنجاح الحقيقي أو الخسران الحقيقي والسقوط الحقيقي، يوم يقال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

٧٥٨ الاختلاف بين الناس

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٧-١١٨] فأخبر ســبحانه أنهم لا يزالون مختلفــين أبــدًا مع أنــه إنما خلقهم للاختــلاف، وهو قول جماعة من المفســرين في الآيــة، وأن قولــه: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨] معنــاه وللاختــلاف خلقهم، وهــو مــروي عن مالك بن أنس قــال: «خلقهم ليكونوا فريقًــا في الجنة وفريقًا في الســعير»، فالضمير في ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨] عائد على النــاس، فلا يمكن أن يقــع منهــم إلا ما ســبق في العلــم، وليس المــراد ههنا، الاختلاف في الصــور كالحســن والقبح والطول والقصــر، ولا في الألوان كالأحمر والأسود، ولا في أصل الخلقة كالتّامّ الخلق، والأعمى والبصير والأصم والسميع، ولا في الخُلق كالشجاع والجبان والجواد والبخيل، وإنما المراد اختلاف آخر هو الاختلاف الذي بعث الله النبيين ليحكموا فيه بين المختلفين كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة: ٢١٣] وذلــك الاختلاف في الآراء والأديان والمعتقدات.

٧٥٩ أثر الصدقة

روى البخـاري عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**قال رجل: لأتصـدقن، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصـدق الليلة على سـارق! فقال: اللهم، لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يدِ زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية! فقال: اللهم، لك الحمد، لأتصـدقن بصـدقة، فخرج بصـدقته، فوضعها في يدِ غني، فأصـبحوا يتحدثون: تصـدق الليلة على غني! فقال: اللهم، لك الحمد على سـارق وعلـى زانية وعلـى غني. فأتـى فقيل له: أما صـدقتك على سـارق فلعلـه أن يسـتعف عن سـرقته، وأما الزانية فلعلها أن تسـتعف عـن زناها، وأما الغني فلعله أن يعتبر، فينفق مما آتاه الله**»[1].

٧٦٠ الإجابة المرضية

وقع نزاع بين الشـيعة والسـنة في حضـرة العالم الفقيه ابن الجوزي في أي الخليفتـين أفضـل أبوبكـر أو علي؟ واحتد النزاع ورضـوا فيمـا بينهم بما يجيب به الشـيخ، فأقاموا له رجلًا وسـط المجلس، فسـأله عن ذلك؟ فقال على الفور: أفضـلهما من كانت ابنته تحتـه، ونزل في الحال حتى لا يراجع، فقالت الشـيعة: يريد عليًّا؛ لأن بنت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تحته، وقال أهل السـنة: يريد أبا بكر؛ لأن ابنته تحت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، هذه الإجابة في غاية الحسن، وكانت على البديهة.

٧٦١ وصايا

قال لقمان لابنه:

---

(١) أخرجه البخاري (٢/١١٠-١١١ رقم١٤٢١)، ومسلم (٢/٧٠٩ رقم١٠٢٢).

يا بني، أنزل نفسك من صاحبك منزلة من لا حاجة له بك، ولا بد لك منه. يا بني، كن كمن لا يبتغي محمدة الناس، ولا يكسب ذلّهم، فنفسه منه في عناء، والناس منه في راحة. يا بني، إياك والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤدِّ حقًّا، وإذا ضجرت لم تصبر على حق. يا بني، لا تحقرنّ من الأمور صغارها، إن الصغار غدًا تصير كبارًا!

٧٦٢ للعقرب فوائد

قال ابن الجوزي: إن قال قائل: أي فائدة في خلق ما يؤذي؟ فالجواب أنه قد ثبتت حكمة الخالق، فإذا خفيت في بعض الأمور وجب التسليم، ثم إن المستحسنات في الجملة أنموذج ما أعد من الثواب، والمؤذيات أنموذج ما أعد من العقاب، وما خلق شيء يضر إلا وفيه منفعة.

قيل لبعض الأطباء: إن فلانًا يقول: أنا كالعقرب أضر ولا أنفع، فقال: ما أقلَّ علمَه! إنها لتنفع إذا شق بطنها، ثم شد على موضع اللسعة، وقد تجعل في جوف فخار مسدود الرأس مطبق الجوانب، ثم يوضع الفخار في تنور، فإذا صارت رمادًا سقي من ذلك الرماد مقدار نصف دانق أو أكثر مَنْ به الحصاة، فيفتّها من غير أن يضر بشيء من سائر الأعضاء، وقد تلسع العقرب من به حمى عتيقة فتزول، ولسعت رجلًا مفلوجًا، فزال عنه الفالج، وقد تلقى في الدهن حتى يجتذب قواها، فيزيل ذلك الدهن الأورام الغليظة، ومثل هذا كثير، فالجاهل عدو لما جهله، وأكبر الحماقة رد الجاهل على العالم.

٧٦٣ ضل الرعيل ومن يقوده

قال الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (قذائف الحق):

«ذكر الجنرال إيزنهاور قائد الحرب العالمية الثانية التي انتصرت فيها أمريكا، لم تعطِ رجلها لقب (ماريشال) مع أنه خاض حربًا تم له فيها النصر، بعد أن دُمرت مئات المدن والقرى، وقتل فيها، وجرح سبعون مليون شخص، لكن أناسًا في الشرقين الأوسط والأقصى حصلوا على هذا اللقب دون أن يخوضوا حربًا أو يعانوا ضربًا.

في البلاد المحترمة، يصعد الأفراد من السفوح إلى القمم، والعرق يتصبب من جبينهم، والإرهاق والتفكير يلاحقهم بين آن وآخر، وعلى هذه السنن تجري أمور الغرب، أما في البلاد المتخلفة، فإن ناسًا يصلون إلى الذُّرى دون جهد يذكر، اللهم، إلا جهد الملق لملاك السلطة، والاستعداد لخدمة الأهواء، وقديمًا نظر البحتري إلى واحدٍ من هؤلاء جعله الخليفة قائدًا، وهو لا يصلح لقيادة ولا ريادة، فقال:

ويكادُ مِنْ شبهِ العَذارَى فيه	أن تبدُو نُهودُه
ناطُوا بمعقدِ خصرِه	سيفًا ومنطقةٌ تؤودُه
جعلُوه قائدَ عسكرٍ	ضلّ الرعيلُ ومَنْ يقوده

٧٦٤ أجهزة الإعلام المغتصبة

التجزئة المفتعلة والقسرية التي فرضها الاستعمار على الأمة كانت إفرازات مروعة على أكثر من صعيد، فقد أنشأت هذه التجزئة تناقضًا موهومًا بين المصالح الإقليمية ومصالح الأمة، وأنتجت صراعًا موهومًا بين العروبة كانتماء غريزي والإسلام كعقيدة وشريعة، واستولدت لنا أنظمة وقادة لا يرون بقاءهم يكمل إلا بزوال أنظمة أخرى وقادة آخرين، ولولا القوة العقلية والنفسية لعنصر التجميع في وجه عناصر التفريق لأصبحنا أممًا لا يربط بينها إلا ما يربط بين الدول الناطقة بالإنجليزية في العالم، ولا بد من تغليب مصلحة الأمة على مصلحة الإقليم، بل لا بد من الإيمان بأن المصلحتين هما عند التأمل العميق

مصلحة واحدة، ولا بد من التوقف عند خوض المعارك الفكرية العبثية التي تضعف الانتماء، وتفسد العقول والقلوب، ويتحتم على بعض القادة أن يتواضعوا لله أولًا، وأن يصغوا إلى خفقات الضمير لدى أبناء هذه الأمة؛ ليكفكفوا من غلواء الإحساس الشاذ بأنهم وحدهم الذين يملكون الحقيقة.

نعم وبكل الصراحة أقول: إن على بعض القادة أن يتنازلوا عن مرتبة الألوهية التي خلعوها على أنفسهم، وأن يتذكروا أنهم بشر ممن خلق، وأنهم ليسوا إلا خدمًا لشعوبهم، وأنهم وبكل الصراحة أقول أيضًا: إننا لو استفتينا رجل الشارع في الكويت شرقًا وغربًا لوجدنا أمانيهم وآمالهم وأفكارهم، تكاد تكون متطابقة، وهذه الحقيقة هي سيدة الحقائق في البلاد العربية، على الرغم من كل محاولات الطمس والتشويه التي يمارسها الطغاة عبر أمرائهم وعبيدهم في أجهزة الإعلام المغتصبة.

هذه النادرة أخذناها مما قاله رئيس مجلس الشورى في الكويت لمجلة (التضامن العربي) عدد يوم ١٩/٥/١٩٨٤م، ونشرته السياسية الكويتية في اليوم نفسه.

أقول:

إن الكويت بخير، حيث إن من رجالها من يصل إلى هذا المستوى من الإدراك والإحساس ونقد الذات، فبغير هذا الاعتراف لن ننجح في معالجة المرض.

٧٦٥ تأملات عالم

قال الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثلاثون سنة ما خرجت منها إلا بشيء واحد: هو أني رأيت الحياة كمائدة القمار، فمن الناس من يخسر ماله، ويخرج ينفض كفه، ومنهم من يخرج مثقلًا بأموال غيره التي ربحها، ومنهم من يقوم على الطريق يمسح الأحذية، ومن يمد إليه حذاءه ليمسحه، ومن ينام على

السرير، ومن يسهر في الشارع يحرس النائم، ومن يأخذ التسعة من غير عمل، ومن يكد ويتعب، فلا يبلغ الواحد، وعالم يخضع الجاهل، وجاهل يترأس العلماء، ورأيت المال والعلم والخلق والشهادات قسمًا وهبات، فرُبّ غني لا علم عنده، وعالم لا مال لديه، وصاحب شهادات ليس بصاحب علم وذي علم ليس بذي شهادات، ورُبّ حسن الأخلاق لا يملك شيئًا!

٧٦٦ ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦]

فسّر الشيخ محمد متولي الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ آية: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦]، فقال: وضع الله سبحانه وتعالى قوانين في الأرض لكل شيء، وجعل الأسباب والمسببات في يديه، ولكن كل شيء يمضي بالقانون الذي وضعه الله له، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى بحكمة هو يعلمها أن يعطل هذا القانون أو يأتي بعكسه فإنه يقول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ولقد نبهنا الله سبحانه وتعالى في القرآن إلى أشياء لم يكشفها العقل البشري إلا خلال الفترة الأخيرة، فقال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦] وكان لا بد للعقل البشري أن يتنبه لكلمة: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦] لأن هناك كنوزًا أو ثروات قد وضعها الله سبحانه وتعالى تحت سطح الأرض، ولكن الإنسان في وقت نزول القرآن لم ينتبه إلى الآية: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦] ولم يفطن إلى أن الله قد وضع من الثروات ومن الأشياء في باطن الأرض بقدر ما وضعه فوق سطحها، وربما أكثر، ثم تقدم العلم، وحدثت الزلازل والبراكين، وخرج ما تحت الثرى إلى ما فوقها ليُكشف للإنسان بقدرة الله عن الكنوز التي وضعها الله تحت الثرى، فعرفنا المناجم والمعادن المدفونة في باطن الأرض، وعرفنا البترول، وبدأ الإنسان يبحث في معنى الآية الكريمة: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦]، وفي كل يوم يكتشف جديدًا لم يصل إليه علم، وهكذا كانت الآية التي ذكرها القرآن تُسمى حقيقة

كونية كبرى، هي أن الرزق في الأرض والخير الذي وضعه الله فيها لا يوجد فوق السطح، ولكن يوجد تحت سطح الأرض أيضًا، وتلك معجزة قرآنية بدأت تتكشف للعالم، والآن تقوم الدول الصناعية الكبرى بإنفاق الملايين من الأموال للبحث عن الثروات الموجودة تحت الثرى.

٧٦٧ إنها جنتان يا أمير المؤمنين

روى الأصبهاني في الحلية: حدثنا لؤلؤ خادم الرشيد قال: جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة زوجته وصاحبة عين السقيا؛ سقيا الحجيج المعروفة، مناظرة وَمُلاحَاة في شيء من الأشياء، فقال لها في معرض كلامه: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة! ثم ندم، واغتما جميعًا بهذه اليمين، فجمع الفقهاء، وسألهم عنها؟ فلم يجد منها مخرجًا، ثم كتب إلى سائر البلدان أن يحمل إليه الفقهاء، فلما اجتمعوا، وكنت واقفًا بين يديه لإنفاذ أمره سألهم عن يمينه وهل له منها مخلص؟ فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة، وكان فيهم الليث ابن سعد فقيه مصر، وهو جالس في آخر المجلس لم يتكلم بشيء. فقال هارون: بقي ذلك الشيخ في آخر المجلس، فانصرف من كان من الفقهاء، فقال: يا أمير المؤمنين، أتكلم على الأمان وطرح التكلف والهيبة والطاعة لي من أمير المؤمنين في جميع ما آمر به، قال: لك ذلك، قال: يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع، فأحضر المصحف، قال: يأخذه أمير المؤمنين، ويقرأ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢] فقرأ الرشيد، فلما بلغ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] قال: قف، فوقف عن القراءة، فقال: قل يا أمير المؤمنين، والله، فاشتد على الرشيد أن يستحلفه الليث، وقال له: ما هذا تستحلفني؟ فقال الليث: على هذا وقع الشرط، فنكس الرشيد رأسه، وكانت زبيدة في بيت مسبل عليها ستر، وتسمع الخطاب، فقال الرشيد: والله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. فقال له الليث: تحلف

هذه اليمين على أنك تخاف مقام الله، فقال الليث: يا أمير المؤمنين، فهي جنتان لا جنـة واحـدة، كما ذكر الله ـ في كتابـه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] قال لؤلؤ: فسمعت التصفيق والفرح من خلف الستر، وقال هارون: أحسنت والله، بارك الله فيك. ثم خلع عليه، وأحسن جائزته، وأرسلت إليه زبيدة بضعف ما أمر به الرشيد، وكان الليث كريمًا سمحًا موسعًا عليه ـ في الرزق، يصل إخوانه وأحباءه من ماله هو فضلًا على هدايا النبلاء.

٧٦٨ هكذا يجب أن يكون الدعاة إلى الله

جاء ـ في كتاب (الملهم الموهوب) للمجاهد عمر التلمسـاني عن أستاذه حسن البنـا: إن مـن أبرز مميـزات هذا الداعية الإسـلامي الكبـير: أن الله آتاه قدرة عجيبـة ـ في مخاطبة الناس علـى مختلف طبقاتهم وثقافتهـم وأعمارهم، ذهبت معه مرة إلى مدرسـة العباسـية الابتدائية، وكانت شعبة العباسية أعدت لقاء مع طلبـة تلك المدرسـة، ولما اكتمل الجمع طلب مني أن أتحـدث إلى هؤلاء الأطفال، فنظرت إليه ـ في دهشة بالغة قائلًا: أتريد مني أن أتحدث إلى هؤلاء الأطفال؟ قال: وماذا ـ في هذا؟ قال: يا أسـتاذي الفاضل، أنا محامٍ اعتاد أن يتحدث إلى القضاة والمستشـارين، أما إلـى هؤلاء الأطفال فلا عهد ليً بذلك، قـال: وهل الرجال إلا نبت هؤلاء الأطفال؟ الصـغير تسترضـيه بقطعة من الحلوى، والرجل تسترضيه بالكلمـة الحلـوة، الطفل يتعلق بأمـه، والرجل يتعلـق بزوجته، وكلتاهمـا امرأة، الطفل يحرص على كل ما وصـل إلى حوزته، وهل يفعل الرجل غير ذلك؟ الطفل تسـتهويه الأحدوثة السـاذجة لا يمل الاسـتماع إليها سـاعات، والرجل تستهويه القصة الممتعة، فلا يكف عن متابعة أحداثها حتى يأتي على آخرها، الطفل يعدو على ما ـ في يد طفل أضعف منه قوة وشأنًا إلا من رحم ربك:

والظلمُ مـنْ شيمِ النفوسِ فإنْ تجـدْ ذا عفـةٍ فلعلـةٍ لا يظلمُ

قلت: ولو... تفضل فضيلتك، فأنت صاحب هذا الموقف، ووقف وتحدث، فما طرفت عين طفل، ولا مل منهم أحد، ولا انشغل عن الاستماع، ولا قام واحد منهم بحركة توقف ذلك الفيض الذي أمتعهم به فضيلته، ودعي مرة إلى حفل بمناسبة المولد في بولاق، وكان هذا الحي يشتهر في ذلك الوقت بالفتوات والأقوياء، فكان حديثه عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أن جحش أبا جهل على بئر زمزم وهما في ميعة الصبا. وعن ركانة أقوى أقوياء الجزيرة العربية الذي لم يؤمن إلا بعد أن صرعه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرات، وعن مسابقته لأبي بكر وعمر وسبقه إياهما، ومن هذا الحديث المحبب إلى قلوب أولئك الفتوات كان يبين لهم كيف أن تلك القوة الجسدية الهائلة لم تأتِ إلا نتيجة للتمتع بقوة روحانية خارقة، والتزام كامل لأوامر الله واجتناب نواهيه.

وبلغ من إعجاب أحد الفتوات في الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الناحية أن صاح معبرًا عن إعجابه بمدى تفكيره قائلًا: «اللهم، صلِّ على أجدع نبي». وانتهى الحفل بأن بايع الكثيرون منهم فضيلة الإمام على الانضواء تحت لواء جماعة الإخوان المسلمين، والإقلاع عن استعمال قوتهم في المشاجرات والاعتداء على الناس، وأن يوجهوا هذه القوة التي منَّ الله بها عليهم إلى الخير ونصرة الإسلام، وكان على رأس هؤلاء الفتوات المرحوم إبراهيم كروم أشهر فتوات بولاق والسبتية في ذلك الحين.

أقول:

رحم الله الإمام البنا، ولا بد من تبيين أن الاحتفال في المولد بدعة، وليس في الإسلام إلا عيدان فقط: عيد الفطر، وعيد الأضحى.

٧٦٩ حياة البرزخ

سئل الفقيه الجليل فضيلة الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حياة البرزخ، فقال: المعروف عن جمهور المؤمنين أن الإنسان مخلوق من عنصرين متباينين:

جسـمه مـن هذه الأرضـ خلق ونما، وروحه مـن نفخة من الله سـبحانه وتعالى، فهـو ليس حيوانًا وليسـ ملاكًا، وفي كيانه تتجاور المتناقضـات من غرائز مادية، وسـبحات عقلية وعاطفية، وعندما يموت يرجع إلى الأرض ما نشـأ منها، وتغذى على نتاجها، يرجع هذا الجسد ليبلى، ويفنى منه ما شاء الله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، أما الروح فله مستقر آخر، لا ندري بدقة مكانه، لا ندري كذلك ما علاقته بالجسـد الذي كان فيه، هل انقطعت صـلته به انقطاعًا تامًّا؟ وما نبت فيه أن الشخصـية الإنسـانية لم تفنَ بالموت، وأنها رحلت مـن عالم إلى عالم آخـر، وأنها بقيت كاملة الحس تامة الوعـي، وأنها إذا فقدت الأذن والعين، فلم تفقد السمع والبصر، بل قد تكون أسمع وأبصر مما كانت على ظهر الأرض، إننا نكون مهرة في المنطق المادي.

أمـا المنطق الروحي فعلمنا محدود بل صـفر، وقد أخبرنا الله أن الشـهداء الذيـن قتلوا في معارك الجهاد، ومزعت أجسـادهم موتـى في نظرنا نحن فقط؛ لأنهـم غابـوا، أما في حقيقـة الأمر فهم أحياء، وقد أسـند إليهم خمس صـفات تسـتحق التأمـل: هـم أولًا أحياء لا هلكـى، وثانيًا في جوار كـريم؛ لأنهم عند رب العالمـين، وثالثًا في منزل خصـب حافل بالخير يـدر عليهـم الأرزاق، ورابعًا هم فرحـون بما نالوا، مغمـورون بالعطاء الأعلى، وخامسًـا مطمئنـون على أقاربهم وأصـدقائهم الذين خلفوهم في الدنيـا، إنهم على حق وإلى خير، وقريبًا سـوف يجتمـع الشـمل، ويلحـق أحيـاء الأرضـ بأحياء السـماء، هـذا ما تذكـره الآية الكريمـة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

صـحيح أننا لا نشـعر بهذا كله ولا بعضه، وقد صـرحت سورة أخرى بذلك: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

إن عدم شـعورنا لأن أجهزة الاسـتقبال السـمعي والبصري عندنا محدودة القـدرة، وغيرنا مـن الكائنات يرانا ولا نراه، وكما قـال العلماء: عدم العلم ليس

علمًا بالعدم، إنه يسافر أحدنا من بلد إلى بلد، يسافر الموتى من مكان إلى مكان، حيث تبدأ الحياة الآخرة، ويبدأ الحساب الرهيب تمهيدًا للمحاكمة الكبرى يوم النشور، وهذه المرحلة المتوسطة هي البرزخ كما ذكرت الآيات: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

ويشبه ما يلقاه الفجار في البرزخ ما يفعله رجال الشرطة بالمجرمين عندما يقعون في قبضتهم، هناك تحقيق ابتدائي سريع، ثم يرمى المتهمون في السجن ريثما يقدمون للقضاء في محكمة كبرى، ويشبه ما يلقاه الأبرار ما يصنعه رجال العلم عندما يستقبلون مؤلفًا تقررت مكافأته أو عبقريًّا منح جائزة سنية، إنه يجاء به مكرمًا، ويستريح في إحدى الغرف الأنيقة ريثما يأخذ ما تقرر له، والذين يفعلون الخير أو الشر ليسوا سواء في مراتبهم، فمن الأشرار من ينفتح له شواظ من نار يشوي وجهه حتى يوم اللقاء، ومن الأخيار من يتذوق النعيم من أول يوم، كما جاء في وصف الشهداء أن أرواحهم معلقة في قناديل تحت العرش، ترد أنهار الجنة، وتطعم من ثمارها.

المهم أن الموت رحلة من حياة أرضية محسوسة لنا إلى حياة غيبية نسمع بخبرها وحسب، وقد كان الأصحاب الكرام يعرفون ذلك معرفة يقين، فلما حضرت بلال الوفاة صاحت امرأته: وا كرباه! وصاح المحتضر المشرف على الموت: بل وا طرباه، غدًا ألاقي الأحبة محمدًا وحزبه! والواقع أن الموت نقلة إلى عالم مستقر مطرد النمو.

٧٧٠ صدقك وهو كذوب

قال أحد الغيورين: قُدم استجواب في الكنيست اليهودي عن مقتل شاب عربي في إحدى المظاهرات، ويظهر أن مقدم الاستجواب من العرب الشيوعيين

في إسرائيل، ووقف مناحم بيجن يرد في غضب شديد، ويقول: تريدون أن تقيموا الدنيا، وتقعدوها لمقتل شاب عربي على حين خيّم الصمت التام بعد مقتل عشرة آلاف في مدينة عربية مجاورة وتسوية ثلث مساكنها بالأرض؟ يعني مدينة حماة التي دكّها الباطنيون المتعاونون مع الشيطان، وشعرت بالخزي، وأنا أسمع الإجابة، وقلت لرجل يسمع معي: إن بيجن هنا ينطبق عليه الحديث المشهور: «**صدقك وهو كذوب**»[1]، وإذا كانت مجزرة هذه المدينة محنة تقشعر منها الجلود، وتتقرح العيون، فإن الصمت الذي لفت نظر السفاح اليهودي (مناحم بيجن) بعد وقوعها محنة أنكى وأقسى.

٧٧١ علامات الكبر

دخل الهيثم بن الأسود بن العريان، وكان خطيبًا شاعرًا، على عبد الملك بن مروان، فقال له: كيف تجدك؟ قال: أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود، واسودَّ مني ما كنت أحب أن يبيض، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين، ولان مني ما كنت أحب أن يشتد، ثم أنشد:

اسمعْ أُنبِّيكَ بآياتِ الكبرْ	**نومُ العشاءِ وسُعالٌ بالسحرْ**
وقلةُ النومِ إذا الليلُ اعتكر	**وقلةُ الطعمِ إذا الزادُ حضرْ**
وسرعةُ الطرفِ وتحميجُ النظر	**وتركي الحسناءَ في قبلِ الطهرْ**
وحذرًا أزداده إلى حذر	**والناسُ يبلونَ كما يبلى الشجرْ**

وقال الآخر: (مروا الأحداث بالمراء والكهول بالفكر). فقال عبد الله بن الحسن: «المراء رائد الغضب، فأخزى الله عقلًا يأتيك بالغضب» وقالوا: أربعة تشتد معاشرتهم: الرجل المتواني، والرجل العالم، والفرس الفرح، والملك الشديد المملكة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١/٣ رقم٢٣١١).

٧٧٢ ركوب الحمير

كان الفضـل بن عيسـى الرقاشـي لا يركب إلا الحمير، فقال له عيسـى بن حاشر: إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب، فَلِمَ ذلك؟ قال: لما فيها من المرافق والمنافع، قلت: مثل أي شـيء؟ قال: لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان، ثم هي أقلها داءً وأيسـرها دواءً، وأسـلم صريعًا وأكثر تصـريفًا، وأسهل مرتقى وأخفض مهوى، وأقل جماحًا، وأشهر فارهًا، وأقل نظيرًا، يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدًا، وقد أسرف في ثمنه.

٧٧٣ الصراط المستقيم

سـئل ابـن مسـعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مـا الصـراط المسـتقيم؟ فقـال: تركنـا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أدناه وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يساره جواد؛ يعني طرقًا شـتى، وثَمّ رجال يدعون من مر بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت بهم إلى النار، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسـعود: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٧٧٤ كيف تختلف هذه الأمة؟

خرَّج أبوعبيدة في (فضـائل القرآن) وسـعيد بن منصـور في تفسـيره عن إبراهيم التيمي قال: خلا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذات يوم، فجعل يحدث نفسه كيف تختلف هذه الأمة، ونبيها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: كيف تختلف هذه الأمة، ونبيها واحد، وقبلتها واحدة، زاد سـعيد: وكتابها واحد؟ قال: فقـال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يـا أمير المؤمنين، إنمـا أنزل علينا القـرآن، فقرأناه،

وعلمنا فيما أنزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن، ولا يدرون فيما نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: فزجره عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانتهره علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فانصرف ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ونظر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما قال، فعرفه، فأرسل إليه، وقال: أعد عليّ ما قلته، فأعاد عليه، فعرف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله، وأعجبه.

٧٧٥ على هذا، فليغنِّ من غنّى

جاء في كتاب (الاعتصام) للشاطبي ص ٢٧٢ أن قومًا أتوا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن لنا إمامًا إذا فرغ من صلاته تغنى، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من هو؟ فذكر الرجل، فقال: قوموا بنا إليه، فإنّا إن وجهنا إليه يظن أنّا تجسسنا عليه أمره، قال: فقام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع جماعة من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أتوا الرجل وهو في المسجد، فلما أن نظر إلى عمر قام فاستقبله، فقال: يا أمير المؤمنين، ما حاجتك وما جاء بك؟ إن كانت لحاجة لنا كنا أحق بذلك منك أن نأتيك، وإن كانت لحاجة لك فأحق من عظمناه خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ويحك بلغني عنك أمر ساءني، قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: أتتمجن في عبادتك؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين، لكنها عظة أعظ بها نفسي، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلها، فإن كان كلامًا حسنًا قلته معك وإن كان قبيحًا نهيتك عنه، فقال:

وفؤادٍ كلما عاتبتُه ... في مدى الهِجْرانِ يَبغي تَعبي
لا أراه الدهرَ إلا لاهيًا ... في تماديه فقدْ بـرَّحَ بي
يا قرينَ السوءِ ما هذا الصّبا ... فني العمرُ كذا في اللعبِ
وشبابٌ بانَ عنّي فمضَى ... قبلَ أن أقضي منْه أَرَبي
ما أُرجّي بعدَه إلا الفنا ... ضيّقَ الشيبُ علي مَطْلبي

ويـــحَ نـفـسٍ لا أراهـــا أبـــدًا ... في جـمـيـلٍ لا ولا في أدبِ
نفسيَ لا كنتِ ولا كـانَ الـهَوَى ... راقـبـي المـولَـى وخـافي وارهـبـي

قال: فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نفسـي لا كنت ولا كان الهـوى، راقبي المولى وخافي وارهبي. ثم قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: على هذا، فليغنِّ من غنّى.

٧٧٦ خبث اليهود

أشـكل علـى مروان بن الحكـم معنى قوله تعالـى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [آل عمران: ١٨٨]. فقـال لخادمه: اذهب إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا لنعذبن أجمعون، فبيّن له ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما أزال عنه الإشـكال، وقال له: إن الآية نزلت في أهل الكتاب اليهـود، حين سـألهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شـيء فكتموه إيـاه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، فنزلت الآيـة[1].

٧٧٧ هذا العالم المجنون

جاء في مجلة المجتمع عدد (٦٨٦) ما يأتي:

تلقينا رسالة من السجن المدني في الرباط بعث بها رجل أعمال فرنسي سجين، التقى هناك الداعية الإسلامي الأستاذ عبد السلام ياسين، وأسلم على يديه، وبدّل اسمه من جان بول إلى سليمان نفيسي. تقول الرسالة بعد ترجمتها إلى العربية: الإخوة في مجلة المجتمع، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لشد ما كانت بهجتي عظيمـة عندما أطلعني بعض الأشـخاص على مقالكم حول السـيد عبد السـلام

(١) أخرجه البخاري (٦/٤٠ رقم٤٥٦٨)، ومسلم (٤/٢١٤٣ رقم٢٧٧٨).

ياسين، وترجمه لي نظرًا لعدم قراءتي اللغة العربية، وفي هذا المقال تشيرون إلى لقاء الأستاذ ياسين داخل السجن برجل أعمال فرنسي واعتناقه الإسلام على يده، وبصفتي المعني بالأمر، وقد انتهلت من المعارف الواسعة للشيخ عبدالسلام ياسين، فإنه يسرني جدًّا أن أكتب إليكم لأطلعكم على السعادة التي تغمر قلبي، وأنا الآن أنتمي إلى الأسرة الإسلامية الكبيرة، ولربما أنكم تودون معرفة الأسباب التي أدت بي وأنا الرجل الغربي إلى اعتناق الإسلام، وتودّون الاطلاع على رأيي تجاه العالم الإسلامي حاليًّا، تجدر الإشارة أولًا إلى أن قراري باعتناق الإسلام لم أتخذه عن عجل دون أن يكون مسبوقًا ببحث دقيق وعميق، وإنما جاء بعد طرحي لكثير من الأسئلة التي كانت كثيرًا ما تخامر ذهني، وتأخذ بمجامع فكري دون أن أستطيع أن أجد لها جوابًا. إني لم أكن ملحدًا منكرًا لوجود الله، فقد ولدت في بيت ملتزم بالمذهب البروتستانتي، وتابعت تعليمًا دينيًّا مكثفًا، وخاصة ما يتعلق بالعهد القديم، ولكني- وأعترف لكم بذلك- لم أجد فيما تعلمت قط موردًا لإرواء عطشي الروحي، إنه ليس من طبيعتي ألا أعمل فكري، وألا أوظفه، ولهذا لم أجد فيما تعلمت أسسًا سليمة أستطيع أن أبني عليها إيمانًا عميقًا ودائمًا. إن المسيح قد أعطى بعض الأجوبة، لكنها تبقى غامضة ولغزية، إذ لا تفتأ أن تطرح بدورها أسئلة ربما أكثر غموضًا، حتى لا يبصر المتعمق في الأمر في النهاية إلا الظلام، ومن جهة أخرى إذا ما تجاوزنا الدراسة السطحية للديانة المسيحية، فإننا نعثر على التناقضات، ونلمس آثار البتر، وباختصار نجد آثارًا للتلاعب والتحريف البشري عن قصد ولأغراض معينة، فكيف يجوز إذن أن توضع الثقة في دليل ومرشد ليس أهلًا لها، ولا يستحقها، لكني مع ذلك أحتفظ في قرارة نفسي بذلك الإيمان الفطري بوجود الخالق، الذي فطر عليه كل مخلوق. إن الاستعداد الفطري لتلقي كلام الله الموحي به موجود في أعماقنا، لكننا لا نهتدي لذلك إلا عندما تقوى عزيمتنا، ولبلوغ ذلك، فإن الطرق كثيرة، لكنها ليست كلها صائبة، فكم واحدة منها لا تعدو أن تكون طريقًا مسدودًا لا مخرج منه، ولهذا فإني وفي يدي الثروات المتنوعة تهت في هذا العالم دون أي دليل حقيقي، اللهم وكما هو

الشأن بالنسبة لكثير من معاصري إلا دليل غرائزي. وكم من مرة أثور، وتأخذني الشفقــة عندما أرى ظلم هذا العالم المجنون الــذي يسعى إلى خرابه عندما أرى هــذا التسمــم الكوني الذي نرغــم على الخوض فيه من طرف القــوى الكبرى، عندمــا أرى الإله الدولار والآلهة التي خلقها تعبــد وتقدس، وهكذا واصلت بحثي أتلمســ تلمس الأعمى أبحث هنا وهناك واثقًــا من أنه لا يمكنني أن أرجو عطاء، لا مــن الفلسفة الحديثــة، ولا من علم اللاهــوت أو أدب المعاصريــن، وأما العلم الحديــث فإنه على الرغم من اكتشافاته المدهشة واستفساراته الكثيرة، فإنه إذا مــا اصطدم بالمجهول يقف معطوبًا يعالج آلام صدمته، لقد تأملت هذه المعطيات مليًّــا، فتوصلت إلى أنه لم يعد هناك ما ينتظر في حالة مزرية كهذه تفسح المجال للتعســف والأنانيــة المطلقة، وتفتح الباب على مصراعيــه للنذالة والخساسة، في هذه الحالة الروحية اكتشفت الإسلام، اكتشفت القرآن، واكتشفت سيرة الرسول محمد ﷺ فكانت الهداية، وكانت دعوة الحقيقة الخالصة الصافية التي لا تــترك مجالًا للتردد أو لعدم المسارعة إلى الإجابة، إن القدرة الإلهية أن ألتقي في طريقــي مــع رجل عرف كيف يوجــه خطواتي الأولى في هــذا الاتجاه الجديد، فعلمنــي يومًــا بعد يوم مبــادئ الدين، وأيقــظ في قلبي الروحانيــة التي كانت في سبــات عميق، فحمدًا لله الذي جعل ممكنًا ما كنت أراه مستحيلًا، والذي هيأ لي مرشدًا ودليــلًا في مستوى السيد عبدالسلام ياسين أرافقه طوال هذه الأيام، بل هــذه الشهور التي قضيناهــا معًا، وإني لواعٍ لهذه المحنــة الربانية التي اختصني بهــا سبحانه وتعالى، لقد أبيت إلا أن أقول هــذا بوضوح على مرأى ومسمع الأمة الإسلاميــة، لقد تمخضت عن هذا اللقاء وعن هذه المحبة مشروعات عدة، أرجو الله أن يحققهــا بمشيئتــه، وخاصة تلك التي ترمي إلى نشــر الإسلام في الغرب، الــذي هو في أشد الحاجة إليه على الرغم مــن العدد المتصاعد من المعتنقين له، وقــد حرصت على أن أحيطكم علمًا بهذه العوامل، التي أتمنى أن تلفت انتباهكم وكذا انتباه قراء مجلتكم الغراء، وإني لعلى كامل الاستعداد لكل حوار ترونه بنّاءً، وتودّون فتحه معي، وتقبلوا سادتي الأفاضل، تحيتي الخالصة.

أقول:

صدق الله العظيم، حيث يقول: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦] ربما كره هذا الرجل السجن، فكان فيه الخير كله، وقد قيل: «رُبَّ ضارة نافعة». وحدثني الأستاذ عبدالعزيز صالح المهنا قال: كان أعرابي يسكن في خيمة بجوارنا في الرياض، وكان عليل الجسد، وحدث بينه وبين خصم له مشادة، فضربه خصمه بطلق ناري أصاب ساقه، وأخذ دمه يسيل بغزارة، وتدخلنا، وأنهينا المشكلة بالإصلاح، وأُسعِف المصاب المريض سابقًا، ورأيته بعد أسابيع، وإذا حاله في تحسن عجيب، وإذا هو يعود كأقوى ما يكون الرجال، وتذكرت قول المتنبي:

لَعَلّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ فربَّما صحّتِ الأجسامُ بالعِلَلِ

٧٧٨ الحاكم الأسود النبيل

كان أبوبكر المحلى يتولى نفقات أبي المسك كافور الإخشيدي، وكان له في كل عيد أضحى عادة هي أن يسلم إلى أبي بكر بغلًا محملًا ذهبًا وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة إلى الجبانة وما بينهما.

قال أبوبكر المذكور: وكان يمشي معي صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل، وأطوف من بعد العشاء الأخيرة إلى آخر الليل، حتى أسلم ذلك إلى من تضمنت اسمه الجريدة، فأطرق منزل كل إنسان ما بين رجل وامرأة، وأقول: الأستاذ أبوالمسك كافور الإخشيدي يهنئك بالعيد، ويقول لك: اصرف هذا في منفعتك، وادفع إليه ما جعل له، وفي آخر وقت زاد كافور في الجريدة اسم الشيخ أبي عبدالله بن جابار، وجعل له في ذلك العيد مئة دينار، فطفت في تلك الليلة، وأنفقت المال في أربابه، ولم تبقَ إلا صرة ابن جابار، فجعلتها في كمي، وسرت مع النقيب حتى أتينا منزله لظاهر القرافة، فطرقت الباب، فنزل إلينا الشيخ وعليه أثر السهر،

فسلمـت عليه، فلم يرد عليّ، وقـال: ما حاجتك؟ قلت: الأستـاذ أبوالمسك كافور يخصـص الشيخ بالسلام، فقال: وإلى بلدنا؟ قلت: نعم، قال: حفظه الله، الله يعلم أني أدعـو له في الخلوات وأدبار الصلوات بمـا الله سامعه ومستجيبه، قلت: وقد أنفـذ معي نفقة وهي هذه الصرة، ويسألك قبولهـا لتصرف في مؤونة هذا العيد المبـارك، فقـال: نحن رعيته، ونحبـه في الله تعالى، وما نفسد هـذه المحبة بعلة، فراجعته القول، فتبين لي الضجر في وجهه والقلق، واستحييت من الله أن أقطعه عما هو عليه من عبادة، فتركته، وانصرفت، قال: فوجدت الأمير قد تهيأ للركوب وهو ينتظرني. فلما رآني قال: إيه يا أبا بكر، قلت أرجو الله أن يستجيب فيك كل دعـوة صالحة دعوت لـك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشريف، فقال: الحمد لله الـذي جعلني لإيصال الراحـة إلى عباده، ثم أخبرته بامتنـاع ابن جابار، فقال: نعـم، هو جدير، لم تجرِ بيننا وبينه معاملة قبـل هذا اليوم، ثم قال لي: عدْ إليه، واركـب دابـة من دواب النوبة، واطرق بابه، فإذا نـزل إليك فإنه سيقول لك: ألم تكـن عندنا؟ فلا تردّ عليه جوابًا، ثم استفتـح، واقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾[طه: ١-٦].

يـا ابن جابـار، الأستاذ كافور يقول لك: ومن كافـور العبد الأسود، ومن هو مـولاه، ومن الخلق، ليس لأحد مع الله ملك ولا شركة، تلاشى الناس كلهم ههنا. أتـدري مـن هو معطيـك، وعلي من رددت؟ أنت مـا سألت، وإنما هـو أرسل لك. يـا ابن جابار، أنت ما تفـرق بين السبب والمسبب. قـال أبوبكر: فركبت، وسرت، فطرقـت منزله، فنزل إليّ، فقال لي مثل لفظ كافـور: ألم تكن عندنا؟ فأضربت عـن الجـواب وقرأت (طـه) ثم قلت ما قـال لي كافور، فبكى، وقـال لي: أين ما حملت؟ فأخرجـت الصرة، فأخذها، وقال: علمنا الأستـاذ كيف التصوف. قلت لـه: أحسـن الله جزاءك، ثم عدت إليه، فأخبرته بذلـك، فسرّ، وسجد شكرًا لله تعالى، وقال: الحمد لله على ذلك.

٧٧٩ شتّان شتّان!

قال الشاعر:

فقلْ لبني الظالمينَ حيثُ حلُّوا ... وإنْ خضْتَ المُهندَ والقَطيعا

أجاعَ اللهُ مَنْ أشبعْتُموه ... وأشبعَ مَنْ بجورِكمُ أُجيعا

لذلك قال سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا نظرة الداعية للصراع مع الباطل: إن المسلم ينظر إلى غالبه من علٍ ما دام مؤمنًا، ويستيقن أنها فترة وتمضي، وأن للإيمان كرة لا مفر منها، وهبها كانت القاضية، فإنه لا يحني لها رأسًا، إن الناس كلهم يموتون، أما هو فيستشهد، وهو يغادر هذه الأرض إلى الجنة، وغالبه يغادرها إلى النار، وشتان شتان، وهو يسمع نداء ربه الكريم: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٨]. والجاهليون يغفلون عن هذه الحقائق التي ينطلق منها دعاة الإسلام، ويضيقون عليهم، لكنهم يخسرون كل جولة في النهاية، بما صادموا من الفطرة التي جبّل الله عليها الدعاة إليه.

٧٨٠ إلى كل طاغية وجبّار

قال مصطفى أمين الكاتب المعروف في زاوية (فكرة) في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٠/١١/١٩٨٤م:

«اعلم أنك لست خالدًا في منصبك، الأيام دول، وكم من رجال قبلك ظنوا أنهم باقون إلى الأبد، فداستهم الأيام بأقدامها، توهموا جني ظلمهم دائمًا، فجاءت العدالة، وسحقتهم، توهموا أن السوط سيبقى في أيديهم يلهبون به ظهور الأبرياء، فإذا الأبرياء الضعفاء ينتزعون السوط، ويلهبون به ظهور الطغاة

المستبدين. إذا وقعت قرارًا بفصل مظلوم من وظيفته الصغيرة، فسيجيء اليوم الذي يصدر فيه قرار بفصلك من منصبك الكبير، اعدل اليوم لتنال العدل غدًا، وانصف البريء لتنصفك الأيام، وقد رأينا مصارع الظالمين ونهايات المستبدين، فما دام طغيان، ولا استمر استبداد. أنت تعلق خصومك في المشانق، وتغتال أعداءك في المنافي، وتملأ السجون بمن يهمس بكلمة ضدك، لا تتوهم أن الزمن سيبقى حليفك دائمًا، فقد تبقى المشنقة التي شنقت فيها خصومك لتعلق فيها، وتبقى السجون التي ملأتها بمعارضيك لتسجن فيها، اقرأ التاريخ، وستجد في كل صفحة قبرًا لطاغية ونهاية لجبروت، لم يحدث على مدى الأيام أن بقي ظالم، تبدلت الأيام، وتحول الكرسي الذي يجلس عليه الطاغية الجبار إلى كرسي كهربائي، اعلم أن لعنات المظلومين قادرة على أن تسحق الظالمين، همساتهم تتحول إلى رعد، صرخاتهم تصبح كالأعاصير، هذه القلاع التي تبنيها حولك ستنهار كالتراب، لن ينفعك إلا العدل إذا عدلت، ولن يفيدك إلا العفو إذا عفوت، واعلم أن حب الشعب هو القلاع التي تحمي الحكام، وثقة الأمة هي الجيوش التي تصد أي اعتداء.

أنت لا تستطيع أن تلوث الشرفاء، وتحطم الأكفاء، وتزيّف الحقائق، وتلفق التاريخ، كل قواتك وسلطاتك ونفوذك وأموالك أضعف من أن تدفن الحقيقة أو تخرس فم الشعب الذي تتوهم أنك قادر على أن تخضعه بطغيانك واستبدادك، وإذا اضطر الشعب إلى أن يركع اليوم تحت وقع مطارقك، فهو سوف ينقض عليك، لا تصدق المنافقين حولك الذين يشيدون بعظمتك، ويتحدثون عن عبقريتك، فهم كلاب كل سلطة، وكذابو كل زفّة، وعبيد لكل طاغية، إنهم يجمعون معك في جبروتك، وينفضون عنك في هوانك، إنهم يقفون أمامك راكعين يحنون رؤوسهم، وهم في قرارة أنفسهم يحتقرونك، ويهزؤون بك. هذا خطاب شخصي موجه لكل طاغية في العالم الثالث.

على المسلم أن يسعى في طلب الغنى (قدر طاقته وبجميع الطرق المشروعة كالتجارة والزراعة والصناعة)، فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[1]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**»[2] ومعروف أن العليا هي المعطية والسفلى الآخذة، ولا تكون يدك عليا دون مال، وسمى الله المال في القرآن في مواضع عدة خيرًا، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كاد الفقر أن يكون كفرًا**»[3]، وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لو كان الفقر رجلًا لقتلته»، وقال الشاعر:

دَعيني للغِنَى أسعَى فإنِّي رأيتُ الناسَ شرُّهُمُ الفقيرُ

وقصتنا أدناه تدل على أن من بيده المال محترم ومقدر ممن حوله، قال مصطفى أمين في مذكراته تحت عنوان: (المسجون المليونير).

كان معنا في السجن مسجون متهم بجريمة نصب اسمه محمود، وكان ضابط العنبر يسيء معاملته ويستبد فيه، ويعاقبه بلا جريمة، ويشتمه بلا سبب، ويهينه كلما رآه. وكان ضابط العنبر معروفًا بالجشع يتقبل الهدايا والسجائر من المسجونين، وكان المسجون محمود فقيرًا معدمًا يعيش على بيع دمه كل أسبوع لوزارة الصحة. ولم ينفع مع الضابط الجشع شفاعات، ولا رجوات، ولا استرحامات، وفكر محمود في حيلة غريبة، فإن ابن عمه يعمل بحارًا على إحدى السفن التجارية التي تسافر إلى سيدني بأستراليا، وتمر أمام قناة السويس، وفي كل مرة تصل السفينة إلى السويس ينزل منها ابن العم، ويحضر إلى القاهرة

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩/٣٣٧-٣٣٨ رقم١٧٨٠٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٤٦ رقم١١٩٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/٣٥٥ رقم٣٧٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢/١١٢ رقم١٤٢٧)، ومسلم (٢/٧١٧ رقم١٠٣٣).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩/١٢ رقم٦١٨٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم٤١٤٨).

لزيارة ابن عمه في الليمان، واتفق محمود مع البحار ابن عمه على أن يرسل له خطابًا من ميناء سيدني يقول فيه: إن أحد أعمامه الذي هاجر من مصر منذ خمسين سنة اشتغل في تجارة الصابون في أستراليا، وأصبح زعيم الصابون هناك، وأنه توفي، وترك ثروة قدرها سبعة ملايين جنيه إسترليني، أوصى بنصفها لمحمود المسجون، وأوصى بالنصف الآخر لابنة عم أخرى له موجودة في مدينة شيكاغو في أمريكا، ووصل الخطاب من أستراليا إلى ليمان طرة، وتسلمه الضابط الجشع كما يفعل بباقي خطابات المسجونين، وفتح الخطاب، وقرأ فيه أن محمود أصبح مليونيرًا، فاستدعاه إلى مكتبه، وأطلعه على السر الرهيب، وأوصاه بألَّا يخبر أحدًا من زملائه في السجن بأمر هذا الكنز؛ حتى لا يطمعوا فيه، ويحاولوا أن يقتسموه، منذ ذلك اليوم تبدلت حياة المسجون الغلبان محمود. أصبح محمود بك، وبعد أن كان عمله كنس وتنظيف دورة المياه في العنبر، سحب الضابط منه المقشة والجردل، وأسند له وظيفة في المكتبة، وهو لا يقرأ ولا يكتب، ولم يعد الضابط يصفعه على قفاه كلما رآه، بل أصبح يأخذه بالأحضان، ويعانقه، ويقبله، وفي كل يوم يذهب الضابط إلى المطبخ، ويسرق طبقًا مليئًا باللحم والخضراوات، ويحمله إلى محمود بك، وهكذا عاش محمود بك زعيمًا في السجن بعد أن كان صعلوكًا يُصفع على قفاه، واستمرت الخطابات تصل من أستراليا، خطاب يصف العزبة الشاسعة التي ورثها وعدد الخيول والبقر والعجول والثيران التي تملأ زريبة العزبة، وخطاب ثانٍ فيه صورة قصر جميل تحيط به حديقة غناء وبركة للسباحة، ويذكر فيه ابن العم أن هذا القصر ورثه محمود في ضاحية من ضواحي سيدني، وأن شركة فنادق تعرض أن تستأجر هذا القصر بعشرة آلاف جنيه إسترليني في الشهر لتحوله إلى فندق كبير، وخطاب ثالث فيه صورة شقراء رائعة الجمال ومعها خطاب يقول: إن هذه صورة ابنة عم محمود التي ورثت هي الأخرى ثلاثة ملايين جنيه إسترليني ونصف، وأن ابن عمه ينصحه بأن يتقدم لخطبتها؛ حتى لا تتبعثر الثروة الهائلة، ويعقد المسجون اجتماعات مع الضابط الجشع يبحثان فيه مشروع الخطبة، وفي

أثناء ذلك يحصل محمود على السجائر مجانًا والمأكولات مجانًا، ومن وقت لآخر يجيء الضابط حاملًا بعض الأطعمة التي طهتها زوجته خصيصًا لمحمود بك، واتفق محمود بك مع الضابط أن يعينه مديرًا لأعماله بألف جنيه إسترليني في الشهر، وفي ضوء هذا الاتفاق أخذ من الضابط ساعة ذهبية و٥٠٠ جنيه مصري وامتيازات داخل السجن تساوي ألوف الجنيهات، وانتهت مدة محمود بك في السجن، وأفرج عنه، وقال للضابط: إنه سيسافر فورًا إلى أستراليا، وسيرسل له تذكرة الطائرة له ولزوجته وأولاده وبناته ليقيموا بجوار قصره المنيف، وخرج محمود النصاب من السجن، ولا يزال الضابط الجشع ينتظر الخطاب الموعود من أستراليا، وسوف ينتظر طويلًا.



٧٨٢ الرؤيا

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه القيم زاد المعاد: صح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان، فمن رأى رؤيا يكره منها شيئًا فلينفث عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان، فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحدًا، وإن رأى رؤيا حسنة فليستبشر، ولا يخبر بها إلا من يحب**»[1]، وأمر من رأى ما يكرهه أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه، وأمره أن يصلي، فأمره بخمسة أشياء: أن ينفث عن يساره، وأن يستعيذ بالله من الشيطان، فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحدًا، وأن يتحول عن جنبه الذي كان عليه، وأن يقوم يصلي، ومتى فعل ذلك لم تضره الرؤيا المكروهة، بل هذا يدفع شرها، وقال: الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت، ولا يقصها إلا على وادٍّ أو ذي رأي، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا قُصّت عليه الرؤيا قال: «اللهم، إن كان خيرًا فلنا، وإن كان شرًّا فلعدونا»[2]، ويذكر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠/٩ رقم٦٩٨٦)، ومسلم (١٧٧٢/٤ رقم٢٢٦١).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٤٩/٣ رقم٢٠٩٨).

عرضت عليه رؤيا فليقل المعروض عليه خيرًا»[1]، ويذكر عنه أنه كان يقول للرائي قبل أن يعبرها له: «**خيرًا رأيت**»[2]، ثم يعبرها، وذكر عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: كان أبوبكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أراد أن يعبر رؤيا قال: إن صدقت رؤياك كان كذا وكذا.

٧٨٣ ألفاظ إبليس ورفقائه

بها إبليس وفرعون وقارون فـ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] لإبليس، و: ﴿لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١] لفرعون، و: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] لقارون. وأحسن ما وضعت (أنا) في قول العبد: أنا العبد المذنب المخطئ المستغفر المعترف ونحوه، و(لي) في قوله: لي الذنب، ولي الجرم، ولي المسكنة، ولي الفقر والذل، و(عندي) في قوله: اغفر لي جدي وهزلي وعمدي وكل ذلك عندي.

٧٨٤ لعل في الأمر خيرًا

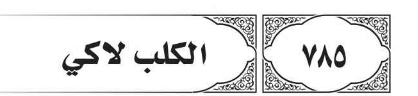
جاء في كتاب العلامة الشيخ عبدالله بن خميس من أحاديث السمر: التوكل على الله وإرجاع الأمر إليه في السراء والضراء وإدراك أن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، هذا مبدأ من مبادئ المؤمن الحق الذي يفوض أمره إلى الله، فإن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له، وليس معنى هذا أن يكون المرء تكلة يحيل على القدر كل شيء، ولكن ليعمل، وليبذل الأسباب كما أمره الله، وكلٌّ ميسر لما خلق له. هذا رجل مؤمن صحب رفقة له في سفر ليمتاروا من بلاد بعيدة، وكلما حصلت مناسبة أو أي أمر يقع يقول هذا المؤمن: لعل في الأمر خيرًا، ويكثر من ذلك، وفي عودتهم محملين

---

(١) لم أجده.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٢٩٣/٢ رقم٣٩٢٣)، والطبراني في الكبير (٢٧/٢٥ رقم٤٢).

ركابهم بالميرة أناخوا بمكان مساء لترعى ركابهم ليبيتوا، وفي الصباح يستأنفون سيرهـم، فذهب الرعاة بالإبـل ليرعوها، وعندما أظلم الليـل أقبلوا بالإبل، وفي مـكان منزوٍ عقلـوا به إبل هذا المؤمـن، وراحوا ببقية الإبل بقصـد امتحانه، ولما سألهـم عن إبله؟ قالوا: ضلت منا، وكل الوقـت نبحث عنها، فلم نجدها، ويجوز أن القوم اختطفوها، وذهبوا بها، فلم يزد على أن قال: لعل في الأمر خيرًا، كلمته التـي يرددها دائمًا، فسخروا منه، وضحكوا، وقالوا: أنت في موماة لا ماء بها ولا ساكن، منقطعة عن كل أنيس إلا من الوحوش وربما اللصوص، وميرتك مطروحة بالأرض، ولا يمكن لرفقتك أن ينتظروك في هذا المكان لئلا تهلكوا معًا، ومع هذا تقابل الأمر بكل برود وبكلمتك الدائمة؟! إن لأمرك لعجبًا، باتوا في مكانهم، وفي الليـل هجم اللصوص، وأخذوا إبلهم وميرتهـم إلا ميرة الرجل، فإنهم لم يجدوا ما يحملها، وفروا بها، ولم يعلموا عن إبل هذا الرجل الذي على بصيرة من دينه وعلى ثقة من وعد ربه، وأن إيمانه هو الذي جعله يتمسك بكلمته الخالدة، ويلاقي كل مصيبـة بالإيمان والارتياح لقضاء الله وقـدره، فأحضروا إبله، وحملوا عليها ميرته، وما بقي لهم من ماء وغذاء، وأصحبوا كلهم عالة عليه حتى وصلوا: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].



٧٨٥ الكلب لاكي

جاء في كتاب (سنة أولى سجن) للكاتب الكبير مصطفى أمين يقول: عندما وصلت إلى السجن الحربي قادمًا من سجن المخابرات وضعوني في زنزانة صغيرة، ثم أحضر الفريق حمزة البسيوني كلبين ضخمين (ميمي وليلى) وتركهما يندفعان نحـوي، التف الكلبان بي ينهشان لحمـي، ويمزقان ملابسي، وكان (ميمي) يمتاز بنابيه البارزين اللذين يبقيان خارج فمه إذا أغلقه، وقد علمت بعد ذلك أن كلاب حمـزة البسيوني كلهـا مدربة على تمزيـق أي إنسان يشير إليه ملـك التعذيب أو

أحـد زبانيه. ويقول الكاتب الكبير: استمر تعذيبـي في السجن الحربي اثني عشر يومًـا بالليل والنهـار، وفي اليوم الثاني عشر أخذوني ليـلًا إلى مكتب اللواء حمزة البسيـوني، وجدته في انتظاري مع عدد من ضباط صلاح نصر، وأمر كبيرهم أن أخلـع ملابسي كلها، ووقفت أمامه عاريًا تمامًـا، فأخذ يديرني في كل اتجاه ليرى آثار التعذيب على جسمي، ثم التفت إلى حمزة البسيوني قائلًا: يا حمزة بك، أنتم دللتـوه جدًّا، وهنا هوى الشاويش المصاحـب لي بالسوط الذي يحمله على صدري في ضربـة أراد أن يثبت بها لكبير رجال صلاح نصـر أنهم لا يدللوني، وقد ظللت أتـألم مـن هذه الضربة مـدة عام كامل، وكانـت مصدر عذاب أليـم لي في أثناء نومـي، وصاح اللواء حمـزة البسيوني: لا، حرام لا تضربوه هـات (لاكي)، ويقول مصطفـى أميـن: ولم أعرف من هو (لاكـي)، وبعد دقائق رأيـت أمامي شيئًا لم تصدقـه عيناي، كلبًا هائلًا لم أرَ في حياتي كلبًا في مثل حجمه أو بشاعته، كلبًا في حجم الحمار الضخم، لقد رأيت في حياتي كلابًا كثيرة من أنواع مختلفة، ولكنني لم أرَ مخلوقًـا بكل هـذه البشاعة والوحشيـة، كان يبدو كالوحشـ المفترس، دخل (لاكي) وهو يسد الباب بجسمه الضخم، وهنا أشار الشاويش إلي بطرف السوط، فقفـز (لاكي) نحوي مهاجمًا، وصرخت صرخة ملؤهـا الرعب والفزع، واحتميت خلف مقعد يجلس عليه أحد ضباط صلاح نصر، وهجم الكلب على المقعد، ونالت أظفـاره من أقـدام الضابط الذي قفز في فزع، وقال للشاويش في لهجة هستيرية: (طلّع الكلب ده بره)، وخرج لاكي بعد أن أحدث ارتباكًا وفزعًا بين الموجودين.

أقول:

لـو طبقنا المثـل الشعبي الدارج عندنـا في نجد الذي يقـول: «خذ من هرج العاقـل نصفـه»، لكان يكفي أن تتعـوذ بالله كل ساعة من هـذا الهول الذي صبّ على الرجل صبًّا.

٧٨٦ يدعو على القمر

نظر أعرابي إلى البدر في رمضان، فقال: سمنت، فأهزلتني، أراني الله فيك السل، ودعا على أعرابي عامل، فقال: صب الله عليك الصادات؛ يعني الصفع والصرف والصلب، وقال أعرابي لامرأته: أين بلغت قدركم؟ قالت: قد قام خطيبها؛ تعني الغليان، ووقف المهدي على عجوز من العرب، فقال لها: ممن أنت؟ قالت: من طيء، قال: ما منع طيًّا أن يكون فيهم آخر مثل حاتم؟ فقالت مسرعة: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك، فعجب من سرعة جوابها، وأمر لها بصِلَة.

تريد إلى الحسن يفخر عليها ولا ينصفها ويسيء إليها فيقول ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين، ولكن هل لك في ابن عمها فهي له وهو لها، قال: ومن ذلك؟ قال: محمد ابن الأشعث، قال: قد زوجته. ودخل الأشعث على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المؤمنين خطبت على الحسن ابنة سعيد؟ قال: نعم، قال: فهل لك في أشرف منها بيتًا وأكرم منها حسبًا وأتم منها جمالًا وأكثر مالًا؟ قال: ومن هي؟ قال: جعدة بنت الأشعث بن قيس، قال: قد قاولنا رجلًا، قال: ليس إلى ذلك الذي قاولته سبيل، قال: إنه قد فارقني ليأمر أمها فقال: قد زوجها من محمد بن الأشعث بن قيس، قال: متى؟ قال: الساعة الباب، قال: فزوج الحسن جعدة، فلما لقى سعيد الأشعث قال: يا أعور خدعتني، قال: أنت أعور خبيث، حيث تستشيرني في ابن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألست أحمق؟ ثم جاء الأشعث إلى الحسن فقال: يا أبا محمد ألا تزور أهلك؟ فلما أراد ذلك قال: لا تمشي والله إلا على أردية قومي، فقدمت له كندة سماطين وجعلت له أرديتها بسطًا من بابه إلى باب الأشعث.

٧٨٧ مع الله

قلْ للطبيبِ تخطفتْه يدُ الردَى | يا شافيَ الأمراضِ مَنْ أَرداكا
قلْ للمريضِ نجا وعوفيَ بعدما | عجزتْ فنونُ الطبِّ مَنْ عافاكا
قلْ للصحيحِ سيموتُ لا منْ علّة | منْ بالمنايا يا صحيحُ دَهاكا
قلْ للبصيرِ وكانَ يحذرُ حفرةً | فهوَى بها مَنْ ذا الَّذي أَهواكا
بلِ اسألِ الأعمى خطا بينَ الزحامِ | بلا اصطدامٍ مَنْ يقودُ خُطاكا
قلْ للجنينِ يعيشُ معزولًا بلا راعٍ | ومرعى ما الذي أَبكاكا
وإذا ترى الثعبانَ ينفثُ سمَّهُ | فاسألْه مَنْ ذا بالسموم حَشاكا
واسألْه كيفَ تعيشُ يا ثعبانُ | أو تَحيا وهذا السمُّ يملأُ فاكا
واسألْ بطونَ النحلِ كيفَ تقاطرتْ | شهدًا وقلْ للشهدِ منْ حلاكا
بلِ اسألِ اللبنَ المصفَّى كانَ بينَ | دمٍ وفرثٍ منِ الذي صفّاكا

٧٨٨ ارحل يا وردان

كتب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفلسطين إلى عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما بعد، فإنه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة، وقدم إلينا جرير بن عبد الله في بيعة علي، وحبست نفسي عليك حتى تأتيني، أقبلْ أذاكرك أمورًا لا تعدم صلاح مغبتها إن شاء الله. فاستشار عمرو ولديه عبد الله ومحمدًا فيما يصنع، فقال عبد الله: قتل عثمان وأنت غائب فقرّ في منزلك، فلست مجعولًا خليفة، ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أوشك أن تهلك، فنشقى فيها، وقال محمد: إنك شيخ قريش، وصاحب أمرها، وإن تصرم هذا الأمر وأنت فيه خامل تصاغر أمرك،

فالحقّ بجماعة أهل الشام، فكن يدًا من أيديهم. قال عمرو: أما أنت يا عبدالله، فأمرتني بما هو خير لي في ديني، وأما أنت يا محمد، فأمرتني بما هو خير لي في دنياي، وأنا ناظر فيه. وروي أنه قلّب رأيه في الأمرين، فقال: إني إن أتيت عليًّا قال: إنما أنت رجل من المسلمين، وإن أتيت معاوية يخلطني بنفسه، ويشركني في أمره، ولكن ظل يتردد إلى ساعة السفر بعدما عنّ له أن ينضوي إلى جانب الشام، فدعا غلامه وردان، فقال: ارحل يا وردان، ثم صاح به: حط يا وردان، فقال له وردان، وكان كما وصفوه داهيًا ماردًا: خلطت يا أبا عبدالله، أما إنك إن شئت أنبأتك بما في نفسك، قال: هات ويحك، قال: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك، فقلت: عليّ معه الآخرة في غير دنيا، وفي الآخرة عوض من الدنيا، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة، وليس في الدنيا عوض من الآخرة، فأنت واقف بينهما، قال: والله ما أخطأت، فما ترى يا وردان؟ قال: أرى أن تقيم في بيتك، فإن ظهر أهل الدين عشْ عند دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك، فتأمل في قول غلامه مليًّا، ولكنه لم يقبل القرار في بيته بعد عودته، وعوَّل على المسير، فسار.

٧٨٩ بسطوا له الأردية

قال الهيثم بن عدي: أخبرنا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الحسن ابنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أم عمران بنت سعيد ابن قيس الهمداني، فقال: فوقي أمير ذو إمرة يعني أمها، فقال: قمْ فأمرها، فخرج من عنده، ولقيه الأشعث بن قيس بالباب، فأخبره الخبر، فقال: ما تريد إلى الحسن يفخر عليها، ولا ينصفها، ويسيء إليها، فيقول: ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين، ولكن هل لك في ابن عمها، فهي له وهو لها، قال: ومن ذلك؟ قال: محمد بن الأشعث، قال: قد زوجته، ودخل الأشعث على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المؤمنين، خطبت على الحسن ابنة سعيد؟ قال: نعم، قال: فهل لك

في أشرف منها بيتًا وأكرم منها حسبًا وأتم منها مالًا؟ قال: ومن هي؟ قال: جعدة بنت الأشعث بن قيس، قال: قد قاولنا رجلًا. قال: ليس إلى ذلك الذي قاولته سبيل، قال: إنه قد فارقني ليوامر أمها، فقال: فزوج الحسن جعدة، فلما لقي سعيدٌ الأشعثَ قال: يا أعور، خدعتني، قال: أنت أعور خبيث، حيث تستشيرني في ابن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألست أحمق؟ ثم جاء الأشعث إلى الحسن، فقال: يا أبا محمد، ألا تزور أهلك؟ فلما أراد ذلك قال: لا تمشي والله إلا على أردية قومي، فقدمت له كندة سماطين، وجعلت له أرديتها بسطًا من بابه إلى باب الأشعث.

٧٩٠ العاقل والعالم

لا تعاشر الأحمق، وإن كان ذا جمال، وانظر إلى السيف ما أحسن منظره وأكثر أذاه! وقال الجاحظ: لا تجالس الحمقى، فإنه يعلق بك من مجالستهم من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهرًا من الصلاح، فإن الفساد أشد التحامًا بالطباع، وقال المتنبي:

ومِنَ البليَّةِ عذلُ مَنْ لا يَرْعوي ... عَنْ جهلِه وخطابُ مَنْ لا يفهمُ

قيل لحكيم: من أنعم الناس عيشًا؟ قال: من كُفي أمر دنياه، وتفرغ لأمر آخرته.

كان ابن المقفع والخليل يحبان أن يجتمعا، فاتفق التقاؤهما، فاجتمعا ثلاثة أيام يتحاوران، فقيل لابن المقفع: كيف رأيته؟ قال: وجدت رجلًا عقله زائد على علمه. وسئل الخليل عنه، فقال: وجدت رجلًا علمه فوق عقله. قال بعض العلماء: صدقا، فإن الخليل مات حتف أنفه في خص، وهو أزهد خلق الله، وتعاطى ابن المقفع ما كان مستغنيًا عنه حتى قتل أسوأ قتلة.

٧٩١ الأعرابي والعروض

دخل أعرابي مسجد البصرة، فانتهى إلى حلقة علم يتذاكرون الأشعار والأخبار، وهو يستطيب كلامهم، ثم أخذوا في العروض، فلما سمع المفاعيل والفعول ورد عليه ما لا يعرفه، فظن أنهم يأتمرون به، فقام مسرعًا، وخرج، وقال:

قد كانَ أخذُهُمُ في الشِّعرِ يعجبُني	حتى تعاطوْا كلامَ الزنجِ والرُّومِ
لما سمعتُ كلامًا لستُ أعرفُه	كأنَّه زحلُ الغربانِ والبومِ
وليتُ منفلتًا واللهُ يعصمُني	منَ التقحُّمِ في تلكَ الجراثيمِ

٧٩٢ كلْ يا أعرابي

كان المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام قد أصيبت عينه عام غزوة مسلمة ابن عبدالملك الأموي للقسطنطينية، وكان جوادًا كريمًا يُطعم الطعام حيث نزل، وحدث أن جاء أحد الأعراب، فجعل يديم النظر إلى المغيرة، ولا يأكل، فقال له المغيرة: ما لك يا أعرابي، لا تأكل كما تأكل الناس؟ قال: والله إنه ليعجبني كثرة طعامك، ولكنني مرتاب من عينك، قال: وما يريبك منها؟ قال: أراك أعور تطعم الطعام، وقد سمعت من أحد خطباء المساجد أنها صفة الدجال، فضحك المغيرة، وقال: كلْ يا أعرابي، فإن الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله.

٧٩٣ العدل العدل

كان لأحد تجار بغداد ولدان فتنا بغداد بحسنهما وأدبهما، فلما بلغ الأكبر أراد والده أن يحصنه كما كان يفعل التجار الورعون المحافظون على دينهم،

فاشــترى له جارية بألف دينار، وأخبره ألا يعلم أخاه بذلك، ولكن حدث أن وصل الخـبر إلى ابنــه الأصغر عن طريق أحد معارفه، وقال لــه: إن أباك خص أخاك بشــيء دونك، فقال له: بمَ خصــه؟ قال: بجارية اشتراها لــه، فقال الأصغر: هو إليها أحوج، وأنا عنها أغنى غير أني أشفق أن يتسع الخرق، وما علمت أن والدي فضّــل أحد أبنائه على الآخر منذ نشأنا، وأنا أجلّه عن المشافهة، ولكن هات دواة وبياضًا، فكتب إليه:

لـيـسَ لي بـعـدَ إلـهـي	مُـشـتـكَـى إلّا إلـيـكـا
وأخـي في الـفـضـلِ مِـثـلـي	وكِـلانـا في يـديْـكـا
إنَّمـا ابـنـاك كـعـيـنـيـكَ	فـداوِ مُـقـلـتَـيْـكـا
إن أذقـتَ الـعـينَ كـحـلًا	هـاجـتِ الأخـرى عَـلـيـكـا

فابتاع الأب جارية أخرى لابنه الأصغر، وأنفذها إليه.

٧٩٤ شريح والجراد

سئـل شريح القاضي عن الجراد؟ فقال: قبّح الله الجرادة فيها خلقة سبعة جبابـرة: رأسهـا رأس فرس، وعنقها عنـق ثور، وصدرها صـدر أسد، وجناحها جناح نسر، ورجلاها رجلا جمل، وذنبها ذنب حية، وبطنها بطن عقرب.

٧٩٥ درهم بـ ١٢٠ ألف درهم

روى التنوخـي في كتابـه (الفرج بعـد الشدة) أنه كان لرجـل مغزل، فباعه بدرهـم ليشتري به دقيقًا، فمر على رجلـين كل واحد منهما آخذ برأس صاحبه، فقال: ما هذا؟ فقيل: يقتتلان في درهم، فأعطاهما ذلك الدرهم، وليس له شيء غـيره، فأتـى إلى امرأتـه، فأخبرها بما جرى لـه، فجمعت له أشيـاء من البيت،

فذهب ليبيعها، فكسدت عليه، ومر على رجل ومعه سمكة قد أروحت، فقال له: إن معك شيئًا قد كسد ومعي شيء قد كسد، فهل لك أن تبيعني هذا بهذا؟ فباعه، وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت، وقال لزوجته: قومي، فأصلحي أمر هذه السمكة، فقد هلكنا من الجوع، فقامت المرأة تصلحها، فشقت جوف السمكة، فإذا هي بلؤلؤة قد خرجت من جوفها، فقالت المرأة: يا سيدي، قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج، وهو يقارب بيض الحمام، فقال: أريني، فنظر إلى شيء ما رأي في عمره مثله، فطار عقله، وحار لبه، فقال لزوجته: هذه أظنها لؤلؤة، قالت: أتعرف قدر اللؤلؤة؟ قال: لا، ولكن أعرف من يعرف قدر ذلك، ثم أخذها، وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤ وإلى صديق جوهري، فسلم عليه، فردّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأخرج تلك اللؤلؤة، وقال: انظر كم قيمة هذه، فقال بعد نظر طويل: عليّ أربعون ألفًا، فإن شئت أقبضتك المال تلك الساعة، وإن طلبت الزيادة فاذهب بها إلى فلان، فإنه أثمن بها لك مني، فذهب إليه، ونظر إليها، واستحسنها، وقال: لك بها ثمانون ألفًا، وإن شئت الزيادة فاذهب بها إلى فلان، فإنه أثمن بها لك مني، فذهب بها إليه، فنظر فيها، واستحسنها، وقال: لك بها على مئة وعشرون ألفًا، ولا أرى أحدًا يزيدك شيئًا، فقال: نعم، فوزن له المال، فحمل الرجل من ذلك اليوم اثنتي عشرة بدرة بكل بدرة عشرة آلاف درهم، فذهب بها إلى منزله ليضعها فيه، فإذا فقير واقف بالباب يسأل، فقال: هذه قصتي التي كنت عليها، ادخل، فدخل الرجل، فقال: خذ نصف هذا المال، فأخذ الرجل الفقير ست بدرات، فحملها، ثم تباعد غير بعيد، ورجع إليه، وقال: ما أنا بمسكين ولا فقير، وإنما أرسلني إليك ربك عَزَّوَجَلَّ الذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطًا، فهذا الذي أعطاك قيراطًا منه، وذخر لك تسعة عشر قيراطًا.

٧٩٦ ضربة سوط

قال مالك بن دينار: قلت للحسن البصري: ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا؟ قال: موت القلب، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة، فعند ذلك ترحل

عنــه بــركات العلم، ويبقى عليه رسمــه، وعن الحسن أنه عاد عليــلًا، فوجده قد شفــي من علته، فقال: أيها الرجل، إن الله قد ذكرك فاذكره، وقد أقال فاشكره، ثم قال: إنما المرض ضربة سوط من ملك كريم، فإما أن يكون العليل بعد المرض فرسًا جوادًا، وإما أن يكون حمارًا عثورًا معقورًا.

٧٩٧ هيهات أبا معاذ

حضــر الشاعــر الماجــن بشار بــن برد إلــى دار الخليفــة العباســي المهدي والنــاس ينتظــرون الإذن، فقال أحد الموالي لمن بالبــاب: عندكم في معنى النحل مــن قولــه تعالــى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل:٦٨]. وهي قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٩]. يعني العلم. فقال بشار: أراني الله طعامك وشرابك وشفاءك فيمــا يخرج من بطون بني هاشم، فقد أوسعتنــا غثاثة، فدعا بهما، وحدثه بشار بالقصة، فضحك المهدي حتى أمسك بطنــه.

٧٩٨ شربة ماء

قــال أبوحنيفة: احتجت إلى ماء بالباديــة، فجاءني أعرابي ومعه قربة ماء، فأبى أن يبيعنيها إلا بخمسة دراهم، فدفعت إليه خمسة دراهم، وقبضت القربة، ثــم قال: يــا أعرابي، مــا رأيك بالسويــق؟ فقال: هــات، فأعطيته سويقًــا ملتوتًا بالزيــت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثم عطشــ، فقال: شربة، قلت: بخمسة دراهم، فلــم أنقصه من خمســة دراهم على قدح مــن ماء، فاســترددت الخمسة، وبقي معي الماء.

٧٩٩ الجهل جعله يلعن الإمام

جـاء في فتاوى الشيخ محمد بـن إبراهيم مفتي المملكـة السابق رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (٧٥/١): وأنـا أقص الآن قصة عبدالرحمن البكري من أهل نجد، كان أولًا من طلاب العلم على العم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ وغيره، ثم بدا له أن يفتـح مدرسة في عمان يعلم فيها التوحيد مـن كسبه الخاص، فإذا فرغ ما في يده أخذ بضاعة من أحد، وسافر إلى الهند، وربما أخذ نصف سنة في الهند، قال الشيخ البكري: كنت بجوار مسجد في الهند، وكان فيه مدرس إذا فرغ من تدريسه لعنوا الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وإذا خرج من المسجد مرَّ بي، وقال: أنا أجيد العربيـة، لكـن أحب أن أسمعها من أهلها، ويشرب عنـدي ماءً باردًا، فأهمني ما يفعل في درسه، قال: فاحتلت بأن دعوته، وأخذت (كتاب التوحيد الذي هو حق الله علـى العبيد) للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونزعت ديباجته (الغلاف) ووضعته علـى رف في منـزلي قبل مجيئـه، فلما حضر قلـت: أتأذن لي أن آتـي ببطيخة؟ فذهبت، فلما رجعت إذا هو يقرأ، ويهز رأسه عجبًا، فقال: لمن هذا الكتاب، هذه التراجم عناوين الفصول شبه تراجم البخاري هذا والله نَفَس البخاري؟! فقلت: لا أدري، ثـم قلـت: ألا نذهب للشيخ الغزوي لنسأله، وكان صاحب مكتبة، فدخلنا عليه، فقلت للشيخ الغزوي: كان عندي أوراق سألني الشيخ: لمن هي؟ فلم أعرف، ففهم الغزوي المراد، فنادى من يأتي بكتاب (مجموعة التوحيد) فأتى بها، فقابل بينهـا، فقال: هذا لمحمد بـن عبدالوهاب، فقال العالم الهنـدي مغضبًا وبصوت عـالٍ: الكافر! فسكتنا، وسكت قليلًا، ثم هـدأ غضبه، واسترجع، ثم قال: إن كان هذا الكتاب له فقد ظلمناه، ثم صار كل يوم يدعو له، ويدعو معه تلاميذه، وتفرق تلاميـذ له في الهند، وإذا فرغوا من القراءة دعـوا الله جميعًا للشيخ محمد ابن عبدالوهـاب. انتهـى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أرأيت كيف يُنسـى التعصب؟ وقد رمي الإمام المجدد ابن عبدالوهاب بمثل ذلك، وأكثر وكذلك رمي الأئمة من قبله ومن بعده، ولكن لا يبقى إلا ما ينفع الناس.

٨٠٠ أبوذر والشيوعيون

تجادل الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ وشيوعي، فقال الشيوعي: أنا مع اليسار الإسلامي! فقال الشيخ: الإسلام دين ليس له يسار، وليس له يمين، إنه نهج فذ يخالف المغضوب عليهم كما يخالف الضالين. قال: أعني أنني مع رأي أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال الشيخ: إنني أعرف أنك شيوعي، فهل أنت مع أبي ذر في الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين؟ هل أنت مع الرجل الصالح في أداء الفرائض من صلاة وصيام وترك المنكر من خنا وبغي؟ هل أنت معه في الإيثار والمرحمة، فلا تبقي لديك فلسًا لأنك أسرع الناس إلى البذل والمواساة وطلب الآخرة؟ إن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاش زاهدًا مجاهدًا لم يخذل الإسلام في موطن، ولا نكص في معركة؟ بل كان أصرح الناس رأيًا وأشدهم في الله بأسًا، فما أنت وأبوذر؟ قال: أنا أتابعه على رأيه في المال، إنه يحرم أن يستبقي أحد عنده فوق حاجته، قلت ضاحكًا: أحسبك تكلف الآخرين بهذا الرأي، أما أنت فما أحسبك تتنازل للفقراء عن قصر ملكته بطريقة ما، أو مزرعة جاءتك، ولو بطريق الميراث. لقد ظننتم أبا ذر شيوعيًّا والرجل بعيد عن هذه النزعة، إنه مسلم صالح يتبع القرآن والسنة، ولا يعدل بهما شيئًا في الأولين والآخرين. ويرى المسلمون أنه في الأزمات التي تهدد الإسلام، وتهز أركانه يجب ألا يدخر أحد نفسًا ولا مالًا، وقد كان جمهور المؤمنين في الأيام العصيبة مثل غزوة العسرة يتنافسون في دعم الجهود الحربية، فمنهم من يخرج من ماله كله، ومنهم من يخرج من نصف ماله، ومنهم من يبذل القناطير المقنطرة. وكذلك كانوا يتباذلون في أيام السلام، فلا يدعون محرومًا، ولا يضيعون ضعيفًا، ونهضت تقاليد الكرم، وخفت نوازع الشح، واستقر بين الناس إنفاق ما زاد عن الحاجة، لكن شيئًا من ذلك لم يعطل آيات المواريث، ولم يمنع أصحاب الفضول أن تكون لهم مدخرات تنفعهم في غدهم، وتنفع ذرياتهم من بعدهم، ولم يخفف

التفاوت بين الأغنياء والفقراء في مقادير الثروات التي يحوزونها، الذي اختفى هو التضور والبأساء، ربما ظن أبوذر أن النعماء التي شاعت سببها أن أحدًا لم يمسك شيئًا يزيد عن حاجته، وربما سبق إلى ذهنه أنه يحرم الادخار على المؤمن. لقد اتفق أولو الرأي والعقل على أن ذلك خطأ، فهل يعني ذلك اتهام الرجل الصالح بأنه من اليسار الإسلامي؟ إن الشريعة في البناء أخت العقيدة في الأساس، ومع الشريعة والعقيدة معًا نسير، ونرفض أي تحريف.

٨٠١ لم يعصِ الله في بلاد المتحللين

قال المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ عمر التلمساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس للمرأة دخل في حياتي على الإطلاق، فما أحببت بالصورة الخيالية السائدة لدى الفتيات والفتيان، ولو حضرت مجلسًا فيه من النساء أكثر من الرجال اعتراني طوفان من الخجل: إنني لا أستطيع أن أنظر إلى امرأة في وجهها، أو أحدق النظر إليها. بل إني لا أحب الحديث إلى النساء، قد يرى المتحضرون أن هذا عيب، وقد يرونه جبنًا، لكنني لا شأن لي بالنظريات الحديثة ومساواة المرأة بالرجل، فأنا ما زلت أعتقد أن الرجل رجل، وأن المرأة امرأة ولذلك خلقها الله، ولا يستطيع البشر أن يغيروا حكمة الله في خلقه مهما قدموا لشبابنا المساكين من نظريات براقة تدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة، إن المرأة التي تؤمن بمساواتها بالرجل امرأة فقدت أنوثتها قبل أن تخسر عفافها وكرامتها. وكنت قد أعطيت تعليماتي لوكيل مكتبي ألّا يدخل عليّ امرأة بمفردها، بل لا بد أن يدخل معها إلى مكتبي، ولما حضرت مؤتمرًا للنساء في دولة الإمارات كنت أعجبت من جرأة بعض النساء في توجيه الأسئلة التي كنت أجيب عنها في لف ودوران، وكنت في فندق بمدينة كومو في بإيطاليا، وحددت موعدًا في صالون الفندق للحلاقة، فلما دخلت لم أرَ إلا نساءً، فسألت: من سيحلق لي شعري؟ فأشاروا إلى فتاة، فقلت: أليس من رجل؟ قالوا: لا! فقلت: لا رجل، إذن لا حلاقة. وبات الفندق يتحدث عن هذه الواقعة،

وبت أحمد الله على أني لم أعصِه في بلاد المتحللين. هذا هو دور المرأة في حياتي. ليس إلا زوجة وفية وفرت لي السعادة المنزلية جاءتني بأبناء وبنات هم موضع احترام كل من لقيهم، وأنا أريد أن أنفي من أذهان الناس أن هذا التصرف احتقار مني للمرأة، أبدًا فالله وحده يعلم كم أحترم النساء، وأرى في تصرفي هذا غاية الاحترام لهن. إنني من الدعاة إلى تعليم المرأة لكي تباشر من الأعمال ما يتناسب مع أنوثتها وشرفها حتى تكون دائمًا فوق مستوى الشبهات والأقاويل، وبحسب المرأة في الإسلام أن الله ساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات وفي المثوبة والعقاب.

٨٠٢ أعياد الفن

قال الشيخ المجاهد الدكتور عمر عبد الرحمن من مرافعاته في قضية الجهاد، وهو يعلق على كلام القضاة الذين حاكموه، حيث قال أحدهم: «ونسوا أن بغيتهم كان رجلًا نزف العمر في حب الله وفي حب مصر!!» فهل تعلمون من هو هذا الرجل؟ إنه الرجل الذي أعلن أن الأديان كلها سواء، فالإسلام والمسيحية واليهودية أديان واحدة، وأن عقيدة التوحيد لا تختلف عن عقيدة التثليث، وأن من قالوا: إن المسيح ابن الله وأن عزيرًا ابن الله لا يختلفون مع من قال: إن الله واحد: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣-٤] إن هذا الرجل جعل أحفاد القردة والخنازير من الضالين الذين كفروا بربهم، ونعتوه بصفات النقص، مثلهم كمثل المسلمين، بل اتخذهم أولياء وأصدقاء وأحبابًا، فوصف السفاح اليهودي العالمي بقوله: صديقي الحميم بيجن.. إن هذا الرجل الذي نزف العمر في حب الله قد غرق في هذه المحبة حتى نادى بمجمع واحد للأديان، وبتوحيد كتب الدين المدرسية للطلاب مسلمين كانوا أو مسيحيين، إن الرجل الذي قضى عمره في حب الله قد أباح في بلده كل ما حرم الله من خمر وميسر وربا، وسمح ببيوت الليل والملاهي الموبقة أن تملأ مصر، وتنتشر

في عهده الأسود، حتى وصلت حقارته ودناءته أن أقام احتفالات كبرى من أموال الشعب المطحون لتكريم الفاجرات والمخنثين فيما أسماه أعياد الفن، إن ذلك العابد لله كان يسخر من شرع الله، فيصف حجاب المرأة المسلمة أنه خيمة، وأن الإسلام جعل المرأة كالكرسي والحجر، وكان من فرط حبه لله لا يستحي أن يعصي الله جهرة، فيراقص النساء، ويعانقهن أمام شاشات التلفزيون، والقمر الصناعي ينقل صورته من أمريكا إلى العالم كله، وكل هذا زعمه لا يتنافى مع أخلاق القرية التي ينادي بها. هل تريدون مزيدًا عن ذلك العابد الذي توعد علماء المسلمين وشيوخهم فزجّ بهم في السجون والمعتقلات، وهددهم قائلًا: لن أرحمهم! ووصفهم بأنهم مجانين، وأنهم في السجون كالكلاب. إن ذلك الرجل الذي تبكيه النيابة، وتدعي أنه نزف عمره في حب الله لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب على هواه، بل كان ينادي بكل منكر وقبيح، فقال: إن قدوته هو كمال أتاتورك العلماني الذي أعلن سقوط الخلافة الإسلامية، ثم قال فض فوه كلمته المشهورة: لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة! فخلع بذلك ربقة الإسلام عن عنقه.

٨٠٣ أمهات الأمس

قال الأديب الأريب الأستاذ محمد حسين زيدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الكلمة التي تستحق التسجيل: «نحن جيل الحمد لله، نشأنا في حضانة الأمهات والجدات والعمات والخالات، فكل واحدة منهن أم الطفل، سواء كان من ضناه أو أن التي أضنت واحدة من الأسرة، فكل البيت بمن فيه وما فيه يشعرك بالحنان. تعانقنا بالمحبة وارتبطنا بالمسؤولية، ومع العناية بالطفل والبيت لا تجد واحدة من أمهاتنا ومن إليهن خالية شغل. في البيت أكثر من منسج، وفي البيت مدبغة، وفي البيت أكثر من مغزل، كلهن يعملن يغزلن الصوف يدبغن الجلد وعلى المنسج أشغال الإبرة حلية زينة. لم ألبس طاقية اشتريها من السوق، فالطاقية السنارة من شغل

خالتـي، حتى اللعب عرائس مـن القطن أو حيوانات من الطين على كل لعبة حلية مـن سعف النخيل عليها أصباغ شتى، فالأمهـات قل أن يتعسرن في الولادة لأنهن يتحركن، يعملن كأنما العمل هو الرياضة، لا يصبن بالزلال ولا يتكرشن بالشحم، تلد الأم قبل وصول الداية، هي تقطع الصرة، ولا ترقد منعمة بعد الولادة، بل هي وبعـد ساعة من ولادتها تقـوم بمسؤولية البيت، أعرف إحدى الجدات ذهبت إلى الحقـل حملت أكثر من ٤٠ كيلوجرامًا من التمـر، وبينما هي في الطريق فاجأها المخاض، فألقت حملها يحرسـه طفلان كانا معها، واتخـذت مكانًا قصيًّا تحت سدرة. أنجبت طفلة، دفنت الخلاص، حملت طفلتها، وحملت تمرها، وسارت إلى بيتها، فخبزت عجينها، وطحنت قدرها، وأطعمت بنيها، فرياضة العمل أكسبتها قوة الاحتمال، كان ذلك قبل، أما اليوم فنرمي الجلد الذي كن يحتفلن به، يغزلن صوفـه ويدبغن ويصنعن القلصـ الدلو القربة السعن، كل شـيء من الشاة حين تذبـح لا يرمـى، حتـى الفرث يحمـل ويدفن تحت النخلـة سمادًا لهـا، أما اليوم فـلا شيء من ذلك، حتى إن كرش الخروف والرأسـ يرميان في الزبالة، ونسينا الكوارع مصيرها الزبالة، بينما كانت توصف لضعيف البنية أو المصدور. من هنا كثر المرضـى، وانتفى الرضا، وأصبحنا نستورد الحبال والمكانس والزنابيل، فهل أحمد الشظف الذي كان ينمو به الاقتصاد، وأذم الترف الذي أفقر الاقتصاد.


٨٠٤ اسمعوا يا شباب

في جريدة (الوفد) الصادرة يوم ١٤٠٦/٤/٢٨هـ:

قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م باسم الحرية والديمقراطية والعدالة، فماذا فعلت بهـذه الثلاث؟ سحقت الحرية، وذبحـت الديمقراطية، وألحقت العدالة بأخوات كان! فباسم الثورة وفي غياب الديمقراطية سيطر حكم الفرد ما نجم عنه الكثير الكاثـر والخاسر من المغامرات غـير المحسوبة ومن الخسائر الفادحة في الأنفس

والأمــوال، وباسم الثــورة وفي غيــاب الديمقراطية أُستبيح الإنســان المصري في نفســه وفي شرفــه وفي عرضه. فمثلًا كان حمزة البسيــوني قائد السجن الحربي يقــول للمعتقلــين: أنا لا أتسلمكــم بإيصال، إشــارة إلى أنه لن يســأل عن الذين يختفون منهم، ويدفنون أحياء في صحراء مدينة نصر، وفي السجن الحربي كان يُؤتى يا شباب، بأمهات كأمهاتكم وبنات كأخواتكم، ويعرين تمامًا من ملابسهن، ثــم يعرضن علــى آبائهن وأزواجهــن وأبنائهن حتى يعترفوا بمــا يطلب منهم أن يعترفــوا به، فــإذا لم يفعلوا جيء بمن يفسق بهن أمام الــزوج أو الأب أو الابن أو الأخ، وفي السجن الحربــي الثوري جيء بسيدة فاضلة، وطرحها المجرمون أرضًا على ظهرها، وكشفوا عن نصفها الأدنى ثيابها، ثم أمروها أن تباعد بين ساقيها وفخذيهــا، ثم راحوا يتسلون بإطفــاء السجائر في فرجها، وفي سجون الثورة هذه استــورد مجرموها كلابًا مدربة على إتيان الرجــال والشباب، والمجرمون يتلهون بهــذا المنظر السعيــد، ويصفقون طويلًا للكلب الذي ينجــز مهمته في إتقان، وفي سجــون الثورة هــذه أُخِــذ أستاذ جامعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للمثــول أمام المحقــق، كان يقف على يمــين المحقق عسكري شائه المنظر، وإلى يســاره عسكري آخر يحمل سوطًا مجــدولًا، وبعــد انتهــاء التحقيق الــذي أنكر فيه الأستــاذ الجامعــي كل أكاذيبه وضلالاتــه، التفت المحقــق المهزوم والمخــذول إلى الضحية، وقال لــه: أترى هذا العسكري؟ إنه سيجامعك الآن مجامعة النساء، فهل تحب أن يأتيك وهو محشش أو وهو سكران؟ وصعق الرجل من المفاجأة، وراح يهمهم، ويغمغم، ولا يكاد يبين، وهنــا أشار المحقق لحامل السوط، فأوجعه ضربًــا وجلدًا، وأعاد المحقق السؤال، وقال الأستاذ وهو يلتقط أنفاسه: كما ترى يا سيدي، وأجاب المحقق: لا، لا بد أن تختار بنفسك، وتقــول بأعلى صوتك تريده محششًا أم مخمورًا، وأنقذه من هول الإجابة شلل أصاب لسانه، بيد أنه لم ينقذه من العذاب، ففقد وعيه، وسقط على الأرض، ثم لم يشعر بما أصابــه إلا حين صحا من إغمائه ليجد نفسه ملقى على أرض زنزانة ممزق الجسد نازف الدماء، ثم نجد من يقول: هذه حالات فردية، ولقــد كانوا سيضعونهــا في خانة المئــات أو الألوف لو كانوا هــم وأهلهم في عداد

القتلى والمعذبين. وفي عهد الثورة يا شباب، شهدت البلد هي والعباد مخابرات دمرت ثقة الإنسان بأخيه وبأمه وأبيه، وعاثت في الأرض والعرض فسادًا يزري بكل فساد، وليس أدل على بأسها ورجسها إلا وقوف عبدالناصر بعد النكسة خطيبًا في الناس يقول: الحمد لله لقد سقطت دولة المخابرات، وحتى بعد النكسة يا شباب، لم تتواضع الثورة، ولم تجد الخجل الذي يمنعها من اقتراف مذبحة القضاة.

وفي عهد الثورة يا شباب، ظل عبدالناصر على الرغم من جبروته عاجزًا أحد عشر عامًا عن نقل قائد الطيران الذي اتهمه بالتقصير الشديد في حرب ١٩٦٧م؛ لأن عبدالحكيم كان يعارض هذا النقل، ويرفضه، وهذا عاجل عقاب الله العادل لأي دكتاتور، يبدأ وكل القوة في قبضته، ثم لا يلبث حتى يرى نفسه قد سقط في قبضة الآخرين.

٨٠٥ سيف الله والقائد جرجة

قال المؤرخون: تقدم في أثناء معركة اليرموك من قلب فرسان العدو محارب غارق في الحديد، فما زال حتى توسط بين الصفين، وهناك انطلق ينادي بصوت ضخم: ليخرج إلي خالد، وما هو إلا تحققته الأسماع والأبصار حتى عرفته، إنه جرجة بن توادز أحد عمالة الروم وقائد مقدمتهم، وأقام خالد أبا عبيدة مكانه، ثم انطلق كشأنه كلما وجد فرصة للمبارزة يعدو بأشقره الحافي في اتجاه جرجة، وقد ملأته الغبطة، غير أنه ما كاد يقارب قرنه حتى سمعه يقول: شم سيفك يا خالد، ولأشم سيفي فإن لي إليك كلامًا. وردّ كلٌّ من البطلين سيفه إلى قرابه، وتدانيا حتى اختلفت أعناق دابتيهما، وبدأ جرجة الحوار: يا خالد، اصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع، قال: لك ما طلبت، فسلْ ما تشاء، قال: بالله أسألك هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من

السماء، فأعطاكه، فلا تسله على قوم إلاَّ هزمتهم؟ قال: اللهم، لا، قال: فبِمَ إذن سميت سيف الله؟ قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ بعث فينا نبيه، فدعانا، فنفرنا، ونأينا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، فكنت فيمن كذبه، وباعده، وقاتله، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا، فهدانا به، فتابعناه، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين**»[1]، قال: ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين. قال: لقد صدقتني، والآن أخبرني إِلامَ تدعوني؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله، قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية على أن نمنعه كل عدو يريد به شرًّا، قال: فإن لم يعطِ الجزية؟ قال: نؤذنه بحرب، ثم نقاتله، وصمت جرجة يفكر، ثم استأنف: فما منزلة الذي يدخل فيكم، ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا، قال: وهل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد، مثل مالكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم، وأفضل. قال: كيف يساويكم، وقد سبقتموه؟ قال: إنا دخلنا في هذا الأمر، وبايعنا نبينا، وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وأنتم لم تروا، ولم تسمعوا ما رأينا وسمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم حقيقة ونية كان أفضل منا. قال جرجة، وقد رقت لهجته، وترقرق فيها أثر اللهفة والحنين: أسألك بالله ألقد صدقتني، ولم تخادعني، ولم تتألفني؟ وفي حزم حاسم أجاب خالد: بالله لقد صدقتك، وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة، وإن الله لولي ما سألت عنه. ولم يبقَ في صدر جرجة أي محل للريب، فإذا هو يقلب ترسه، ويقول لخالد: أجل، لقد صدقتني، فهلمّ معك، وعلمني الإسلام. فأسلم، وقاتل في صفوف المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣/٥ رقم٤٢٦٢) بلفظ قريب، أما اللفظ المذكور فقد صححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٣٢٠٧).

٨٠٦ الملك فيصل والطبيب

جاء ﰲ مقال للأخ الكاتب الإسلامي الدكتور محمد بن سعد الشويعر ﰲ (جريدة الجزيرة) ١٤٠٦/٥/٧هـ ﰲ مقال تحت عنوان (عندما يسلم المفكرون) بتصرف: فهذا مثلًا الدكتور الفرنسي موريس بوكاي كان من أعداء الإسلام، وكان أشد عداوة للقرآن والرسول محمد ﷺ وكان كلما جاءه مريض مسلم محتاج إلى العلاج الجراحي، فإنه إذا تم علاجه، وشفي يقول له: ماذا تقول ﰲ القرآن هل هو من اللّٰه تعالى أنزله على محمد أم هو من كلام محمد نسبه إلى اللّٰه افتراءً عليه؟ وقد ذُكر عن الدكتور محمد تقي الدين الهلالي العالم المغربي أنه قابله ﰲ باريس، وقال له: إن المريض يجيبني هو من اللّٰه ومحمد صادق، فأقول له: أنا أعتقد أنه ليس من اللّٰه وأن محمدًا ليس صادقًا، فيسكت، ومضيت على ذلك زمانًا، حتى جاءني الملك فيصل بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية، فعالجته علاجًا جراحيًّا حتى شفي، فألقيت عليه السؤال نفسه المتقدم ذكره، فأجابني بأن القرآن حق، وأن محمدًا رسول اللّٰه ﷺ صادق، قال: فقلت له: أنا لا أعتقد صدقه، فقال لي الملك فيصل: هل قرأت القرآن؟ فقلت: نعم، قرأته مرارًا، وتأملته، فقال الملك فيصل: هل قرأته بلغته أم بغير لغته؟ قال: بل قرأته بالترجمة فقط، فقال لي: إذن أنت تقلد المترجم، والمقلد لا علم له، إذ لم يطلع على الحقيقة، لكنه أخبر بشيء فصدقه، والمترجم ليس معصومًا من الخطأ والتحريف عمدًا، فعاهدني أن تتعلم اللغة العربية، وتقرأ بها، وأنا أرجو أن يتبدل اعتقادك هذا الخاطئ. قال: فتعجبت من جوابه، فقلت له: سألت كثيرًا قبلك من المسلمين، فلم أجد الجواب إلا عندك، ووضعت يدي ﰲ يده، وعاهدته على ألّا أتكلم ﰲ القرآن ولا ﰲ محمد إلا إذا تعلمت اللغة العربية، وقرأت القرآن بلغته، وأمعنت النظر فيه حتى تظهر لي النتيجة بالتصديق أو بالتكذيب. فذهبت من يوم- والكلام لموريس بوكاي- إلى الجامعة الكبرى بباريس إلى قسم اللغة

العربيــة، واتفقت مع أستــاذ بالأجرة أن يأتيني كل يوم إلــى بيتي، ويعلمني اللغة العربيــة ساعة واحــدة كل يوم، حتى يــوم الأحد الذي هو يــوم الراحة، ومضيت علــى ذلك سنتين كاملتين، ولم تفتني ساعة واحدة، فتلقيت منه سبع مئة وثلاثين درسًــا، وقرأت القــرآن بإمعانٍ، ووجدته هو الكتاب الوحيــد الذي يضطر المثقف بالعلــوم العصرية إلى أن يؤمن بأنه من الله لا يزيد حرفًا ولا ينقص، أما التوراة والأناجيــل الأربعة ففيها كــذب كثير لا يستطيع عالم عصــري أن يصدقها (عن مقــال له نشر بمجلة البحــوث الإسلامية العدد ١١) وقد دخل موريس بوكاي بعد هذه الحادثة الإسلام، واهتــم به، وألف كتابًا أحدث صدى عالميًّا اسمه (القرآن والتــوراة والإنجيل والعلم- دراســة الكتب المقدسة في ضــوء المعارف الحديثة)، وقــد ترجم لسبع لغات عالمية منها اللغة العربية، وطبع طبعات عدة، مرات عدة، ومضمونه الدفاع عن القرآن الكريم وبيان أنه حق من عند الله بالقرائن العقلية والنقليــة، وفضــح التوراة التي بيــد اليهود اليــوم والأناجيل الأربعــة التي بأيدي النصارى الآن، وأبــان أنه دخلها التعديل والتحوير بالقرينة العلمية التي تناقض ما وضعوا في كتبهم، مع أنه كان منهم ومن المتحمسين لدعوتهم، ما ذلك إلا بعد أن عرف فكر الإسلام ونظراته البعيدة، فتغير فكره السابق الذي كان يحمله ضد الإسلام ورسوله الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم صار يدافع عن هذا الرأي تأليفًا ومحاضرات ومناقشات، فتأثر به كثير من بني جنسه، وأصبح رأيه هذا من أوسع أبواب المعرفة والدعوة لدين الإسلام؛ لأنه دخله عن قناعة وفهم.

٨٠٧ الطيور تشهد

قدم الأمير أبونصر بن مروان مائدته، وكان عليها قطاتان مشويتان، فنظر إليها أحد الرجال من أصحابه، وضحك، فسأله الأمير عن سبب ضحكه؟ فقال: كنــت في عنفوان شبابي قاطعًا للطريق، فمر بي تاجر، فأمسكت به، وأردت قتله، فتضــرع إليّ أن أخلــي سبيلــه، فما أفــاده تضرعه، فلمــا رأى أني قاتله لا محالة

التفت إلى حجلتين كانتا في الجبل، وقال لهما: اشهدا أنه قاتلي، فلما رأيت هاتين الحجلتين على سماطك تذكرت حمقه، فضحكت، فقال الأمير: لقد صدق الرجل، وشهد عليك إقرارك، وشهدت الحجلتان، ثم ضرب عنقه.

٨٠٨ تخيّر أخوال أولادك

قال أحد الأعراب يومًا لأولاده: والله لقد أحسنت إليكم قبل أن تولدوا صغارًا وكبارًا، قالوا: إننا عرفنا أنك أحسنت إلينا صغارًا وكبارًا، فكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: تخيرت لكم من الأمهات من لا تُعيّرون بها.

٨٠٩ ثلاث وثلاث

قالوا: ثلاث لا يصلح فسادهن بشيء من الحيل: العداوة بين الأقارب، وتحاسد الأكفاء، والركاكة في العقول. وثلاث يستفسد صلاحهن بنوع من المكر: العبادة في العلماء، والقنوع في المستبصرين، والسخاء في ذوي الأخطار. وثلاث لا يشبع منهن: الحياة والعافية والمال. وثلاث تبطل ثلاثًا: الشدة مع الحيلة، والعجلة مع التأني، والإسراف مع القصد.

٨١٠ لا يفضح شعبه

رفع صاحب الخبر إلى المأمون: «إنا أصبنا يا أمير المؤمنين، رقاعًا فيها كلام السفهاء والسفلة، وفيها تهديد ووعيد، وبعضها عندنا محفوظ إلى أن يأمر أمير المؤمنين فيها بأمره». فكتب المأمون إلى صاحب الخبر رسالة جاء فيها: «هذا أمر إن أكبرناه كثر غمنا به، واتسع خرقه علينا، فمر أصحاب أخبارك متى وجدوا مثل هذه الرقاع أن يمزقوها قبل أن ينظروا فيها، فإنهم إذا فعلوا ذلك لم يظهر لها أثر ولا عين».

أقول:

علــى كل مســؤول أن يرفق بالناس، فهــم أهله أو قومــه، وبالرفق يكسبهم، وبالشدة يخسر قلوبهم وأبدانهم.

٨١١ عجّل الهديـة

حــج أبوجعفر المنصور مرة، فقال للربيع وزيــره: «أبغني فتى من أهل المدينة ظريفًا عالمًا بقديم ديارها ورسوم آثارها، فقد بعد عهدي بديار قومي، وأريد الوقوف عليهــا» فالتمس له الربيع فتى مــن أعلم الناس بالمدينة، وأعرفهم بظريف الأخبار وشريــف الأشعار، فعجب المنصــور منه، وكان يسايره أحســن مسايرة، ويحاضره أزيــن محاضرة، ولا يبتدئه بخطاب إلا على وجه الجواب، فــإذا سأله أتى بأوضح دلالــة وأفصح مقالة، فأعجب به المنصــور غاية الإعجاب، وقال للربيع: «ادفع إليه عشرة آلاف درهم» وكان الفتى المدني محتاجًا إلى هذه النقود، ولكن الربيع تشاغل عنه، ولم يعطِه شيئًا مما أمر له المنصور، فاضطر الفتى المدني إلى الاقتراض من بعضــ أصدقائه، وحدث أن اجتاز مع المنصور دار عاتكة بنت يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية الذي يقول فيه الأحوص:

يـا بـيـتَ عـاتـكـةَ الـذي أتـعـزلُ   حـذرَ الـعِـدا وبـه الـفـؤادُ مـوكَّـلُ

فقــال المنصــور في نفسه: ما هاج منه ما ليس هــو طبعه من أن يخبر بما لم يستخــبر عنه، ويجيب بمــا لم يسأل عنه؟ ثم أقبل يردد أبيات القصيدة في نفسه إلى أن بلغ آخرها، وهو:

وأراكَ تفعلُ ما تقولُ وبعضُهم   مـذقُ اللِّسانِ يقولُ ما لا يفعلُ

(مذق اللسان: كذب فيه أو مزج الجد بالهزل) فدعا المنصور وزيره الربيع، وقــال له: هــل دفعت للمدني ما أمرنا لــه به؟ فقال: أخرته عنه علــة كذا يا أمير المؤمنين، قال: «أضعفها له، وعجلها».

٨١٢ لا يجر الإسلام من ذيله

قال الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت مكتبي فتاة لم يعجبني زيّها أول ما رأيتها، غير أني لمحت في عينيها حزنًا وحيرة يستدعيان الرفق بها، وجلست تبثني شكوكها وهمومها متوقعة عندي الخبر، واستمعت طويلًا، وعرفت أنها فتاة عربية تلقت تعليمها في فرنسا لا تكاد تعرف عن الإسلام شيئًا، فشرعت أشرح حقائق، وأرد شبهات، وأجيب عن أسئلة، وأفند أكاذيب للمبشرين والمستشرقين حتى بلغت مرادي أو كدت، ولم يفتني في أثناء الحديث أن أصف الحضارة الحديثة بأنها تعرض المرأة لحمًا يغري العيون الجائعة وأنها لا تعرف ما في جو الأسرة من عفاف وجمال وسكينة، واستأذنت الفتاة طالبة أن آذن لها بالعودة، فأذنت، ودخل بعدها شاب عليه سمات التدين يقول بشدة: ما جاء بهذه الخبيثة هنا؟ فأجبت: الطبيب يستقبل المرضى قبل الأصحاء ذلك عمله، قال: طبعًا نصحتها بالحجاب، قلت: الأمر أكبر من ذلك، هناك المعاد الذي لا بد منه، هناك الإيمان بالله واليوم الآخر والسمع والطاعة لما جاء في الكتاب والسنة والأركان التي لا يوجد الإسلام إلا بها في مجالات العبادات والأخلاق، فقاطعني قائلًا: ذلك كله لا يمنع أمرها بالحجاب، قلت في هدوء: ما يسرني أن تجيء في ملابس راهبة وفؤادها خالٍ من الله الواحد، وحياتها لا تعرف الركوع والسجود، إنني علمتها الأسس التي تجعلها من تلقاء نفسها تؤثر الاحتشام على التبرج، فحاول مقاطعتي مرة أخرى، فقلت له بصرامة: أنا لا أحسن جرّ الإسلام من ذيله كما تفعلون، إنني أرسي القواعد، وأبدأ البناء، وأبلغ ما أريد بالحكمة، وجاءتني الفتاة بعد أسبوعين في ملابس أفضل، وكانت تغطي رأسها بخمار خفيف، واستأنفت أسئلتها، واستأنفت شروحي، ثم قلت لها: لماذا لا تذهبين إلى أقرب مسجد من بيتكم؟ وشعرت بندم بعد هذا السؤال؛ لأني تذكرت أن المساجد محظورة على النساء، لكن الفتاة قالت: إنها تكره رجال الدين، وما تحب سماعهم، قلت:

لمــاذا؟ قالــت: قساة القلوب غلاظ الأكبــاد يعاملوننا بصلــف واحتقار. ولا أدري لمــاذا تذكــرت هند امرأة أبي سفيــان التي أكلت كبد حمــزة، ونالت من الإسلام مــا نالت، إنها كانت لا تعرف رسول الله، فلمــا عرفته، واقتربت، وآمنت به قالت هــذه الكلمات: يا رسول الله، والله ما كان على ظهــر الأرض أهل خباء أحب إلى أن يذلــوا من أهل خبائك، وما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلى أن يعــزوا من أهــل خبائك. إن نبع المودة الدافع من قلــب رسول الله الكريم بدّل القلــوب من حال إلى حال، فهــل يتعلم الدعاة ذلك من نبيهــم، فيؤلفون بدل أن يفرقوا، ويبشروا بدل أن ينفروا!

٨١٣ الأعرابي وابن عيينة

قيــل: إن أحد الأعــراب كان يلازم سفيان بن عيينة مــدة طويلة يستمع إلى مــا يرويه مــن الأحاديث، فلما أراد الأعرابي السفر إلى بــلاده سأله سفيان: «ما أعجبــك مــن حديثي يا أعرابــي؟» فقال الأعرابــي: ثلاثة أحاديث فقــط: أولها: حديــث السيدة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عن النبــي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يحب الحلــوى والعسل. وثانيها: حديثه عليه الصلاة والسلام إذا وقع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤوا بالعشاء، وثالثها: حديث عائشة ليس من البر الصيام في السفر!

٨١٤ العاشق المسكيـن

حكــى الأصمعي قال: بينمــا كنت أسير في بادية الحجــاز، إذ مررت بحجر كتب عليه هذا البيت:

أيـا معشرَ العشـاقِ بـاللهِ خبِّروا　　　إذا حلَّ عشقٌ بالفتَى كيفَ يصنعُ؟

فكتب الأصمعي تحت ذلك البيت:

يُـــداري هَــواه ثُــمَّ يكتـمُ سـرَّه ‏ ‏ ‏ ‏ ويخشعُ ‏في كلِّ الأمـورِ ويَخضعُ

ثم عاد في اليوم المقبل إلى المكان نفسه، فوجد تحت البيت الذي كتبه هذا البيت:

وكيفَ يُداري والهوَى قاتلُ الفتَى ‏ ‏ ‏ ‏ وفي كـلِّ يــومٍ قـلبُـه يـتـقـطَّـعُ؟

فكتب الأصمعي تحت ذلك البيت:

إذا لمْ يجدْ صبرًا لكتمانِ سرِّه ‏ ‏ ‏ ‏ فليسَ له شيءٌ سوى الموتِ ينفعُ

قــال الأصمعي: فعدت في اليـوم الثالث إلى الصخرة، فوجـدت شابًّا ملقى تحت ذلك، وقد فارق الحياة، وقد كتب في رقعة الجلد هذين البيتين:

سَمعْنا أطَعْـنـا ثُـمَّ مِتْـنـا فبلِّغوا ‏ ‏ ‏ ‏ سَلامي إلَى مَنْ كانَ للوصلِ يَمْنعُ

هنيئًا لأربــابِ الـنـعـيـمِ نَعيمُهم ‏ ‏ ‏ ‏ ولـلـعـاشـقِ المسكينِ مـا يـتـجـرَّعُ

٨١٥ قتيبة وأسيره

عن أبي عبيدة قال: أُتِيَ الحجاج بقوم كانوا قد خرجوا عليه، فأمر بقتلهم، وبقــي منهم واحــد، فأقيمت الصــلاة، فقال الحجــاج لقتيبة بن مسلــم: «ليكن عنــدك وتغدو بــه علينا» قال قتيبــة: «فخرجت والرجل معي، فلمــا كان في بعض الطريق قال لي الرجل: هل لك في خير يا قتيبة؟ فقلت: ما هو؟ قال: عندي ودائع للناســ، وإن صاحبك الحجــاج لقاتلي لا محالة، فهل لــك أن تخلي سبيلي لأودع أهلــي، وأعطــي كل ذي حــق حقه، وأوصي بما علــيّ ولي، والله تعالــى كفيلي بأن أعــود إليك غدًا؟ فتعجبت من قوله، وتضاحكت منه، ثم إنه أعاد عليَّ القول مرة أخــرى، وقال: يا هــذا، لله عليَّ أن أعود إليك، وما زال يلــح إلى أن قلت: اذهب. فلمــا تــوارى عني انتبهــت إلى نفسي، فقلت: مــاذا صنعت بنفسك يــا قتيبة؟ ثم أتيت إلى أهلي، فباتوا بأطول ليلة، فلما أصبحنا إذا برجل يقرع الباب، فخرجت

وإذا بالرجل، فقلت: رجعت؟ قال: جعلت الله كفيلًا، ولا أرجع؟ فانطلقت به، فلما أبصرني الحجاج قال: أين الأسير يا قتيبة؟ قلت: إنه بالباب أصلح الله الأمير، فأحضرته، وقصصت عليه القصة، فجعل الحجاج يردّد نظره فيه، ثم قال: وهبته لك، فانصرفت به، فلما خرجت من الدار قلت له: اذهب أين شئت، فرفع الأسير رأسه إلى السماء، وقال: اللهم، لك الحمد، ثم إنه لم يزد لي أي كلمة أخرى، وانصرف، فلما كان في اليوم الثاني جاءني، فقال: يا هذا، جزاك الله عني أفضل الجزاء، والله ما ذهب هذا عني أمس، وما صعقت، ولكني كرهت أن أشرك في حمد الله تعالى أحدًا.

٨١٦ المؤمن والكافر

ذكر أبونعيم في كتابه (حلية الأولياء) عن ثابت البناني أنه قرأ: (حم السجدة) حتى إذا بلغ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[فصلت: ٣٠] وقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تخف، ولا تحزن، وأبشر بالجنة التي كنت توعد، قال: فأمّن الله خوفه، وأقر الله عينه، فما عظيمة تغشى الناس يوم القيامة، فالمؤمن في قرة عين لما هداه الله له، ولما كان يعمل في الدنيا. وقال عمرو بن قيس الملاي: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ريح، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، إلا أن الله قد طيّب ريحك، وحسّن صورتك، فيقول: كذا كنت في الدنيا، أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا اركبني اليوم، ثم تلا: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[مريم: ٨٥] وأما الكافر فيستقبله عمله في أقبح صورة وأنتن ريح، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، إلا أن الله قد قبّح صورتك، ونتّن ريحك، فيقول: كذلك كنت في الدنيا، أنا عملك السيئ، طالما ركبتني في الدنيا، وأنا اليوم أركبك، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

٨١٧ أربعة يستشهد عليهم بأربعة

يوم القيامة يُنادى بالأغنياء وأهل الغبطة، فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله؟ فيقولون: أعطانا الله ملكًا وغبطة شغلنا عن القيام بحقه في دار الدنيا، فيقال لهم: من أعظم ملكًا أنتم أم سليمان؟ فيقولون: بل سليمان فيقال: ما شغله ذلك عن القيام بحق الله والدأب في ذكره. ثم يقال: أين أهل البلاء؟ فيؤتى بهم أنواعًا، فيقال لهم: أي شيء شغلكم عن عبادة الله تعالى؟ فيقولون: ابتلانا الله في دار الدنيا بأنواع من الآفات والعاهات شغلتنا عن ذكره والقيام بحقه، فيقال لهم: من أشد بلاء أنتم أم أيوب؟ فيقولون: بل أيوب، فيقال لهم: ما شغله ذلك عن حقنا والدأب لذكرنا. ثم ينادى: أين الشباب العطرة والمماليك؟ فتقول الشباب: أعطانا الله جمالًا وحسنًا فُتِنّا به فكنا مشغولين عن القيام بحقه، وكذلك المماليك فيقولون: شغلنا رق العبودية في الدنيا، فيقال لهم: أنتم أكثر جمالًا أم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلقد كان في رق العبودية ما شغله ذلك عن القيام بحقنا ولا الدأب لذكرنا؟ ثم ينادى: أين الفقراء، فيؤتى بهم أنواعًا، فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله تعالى؟ فيقولون: ابتلانا الله في دار الدنيا بفقر شغلنا، فيقال لهم: ما أشد فقرًا أنتم أم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فيقولون: بل عيسى، فيقول لهم: ما شغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب لذكرنا. فمن بُلي بشيء من هذه الأربعة فليذكر صاحبه.

٨١٨ لا يؤاخذ الله عبدًا بأول ذنب

روى ابن حزم بسنده قال: أُتِيَ أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسارق، فقال: اقطعوا يده، فقال اللص: أقلنيها يا خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما سرقت قبلها. فقال أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كذبت والذي نفسي بيده ما غافص الله مؤمنًا بأول ذنب يعمله. (غافصه: أخذه على غرّة). وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتي عمر بن

الخطــاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بســارق، فقــال: والله ما سرقــت قبلها، فقال لــه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كذبـت ورب عمــر مــا أخــذ الله عبــدًا عند أول ذنــب، وقيــل: إن عليًّا بــن أبي طالــب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قــال: الله أحلم من أن يأخذ عبده من أول ذنــب يا أمير المؤمنين، فأمــر به عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقطع. فلما قطع قام إليــه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: أنشدك الله كم سرقت من مرة؟ قال له: إحدى وعشرين مرة.

٨١٩ كان عندنا مثل ذلك

في ألمانيــا الغربية استقال ألــبرت أوزوولد رئيس وزراء ولايــة هيس ورئيس الحزب الاشتراكي فيها؛ لأنه كان يدير بنك كالدولة، وخسر البنك نتيجة قرارات أصدرهــا، وقد اضطر إلى الاستقالة مــن جميع مناصبه، ورفعت عنه الحصانة، واعتــزل السياسة. وفي إنجلترا اجتمع مجلس إدارتهــا أن يستقيل، ودهش رجال المال في إنجلترا، فهذا رجل يهودي ومن أوسع رجال الأعمال نفوذًا، وكان صديقًا حميمًا لمستر ويلســون رئيس الوزراء السابق الذي طلب من الملكة قبل أن يستقيل مباشــرة أن تنعــم علــى هذا المليونــير بلقب سير، وهــو صاحب نفــوذ ضخم في حــزب العمال الحاكم، وفــوق ذلك كله فالمعروف عنه أنه مــن أكبر المشجعين في إنجلــترا لإسرائيل، وأكبر المتبرعين لها، ورجال المــال اليهود في كل أنحاء العالم يعدُّونه حصنًــا من حصونهم، وقال أعضاء مجلــس الإدارة: إن المليونير اشترى طائــرة هيلوكبتر من أمــوال الشركــة، ووضعها تحت تصرف رئيــس الوزراء في المعركــة الانتخابية دون أن يستــأذن مجلس الإدارة، وتصــرف في أموال الشركة بغــير استئــذان مجلــس الإدارة، وأرغمــه المجلس علــى أن يرد مبلــغ (٥٠) ألف جنيــه للشركة، ورفــض المليونير اليهودي أن يستقيــل، ودعيت الجمعية العمومية للمساهمين للاجتماع في ١٧ مايو لتقرر مصير المليونير. ولم يستطع أحد أن يحمي المليونير، ولا أن يدافع عنه، ولم يفتح ويلسون فمه بكلمة؛ ذلك لأن المليونير خالف القانون حتى لو كان ذلك لمصلحة رئيس الوزراء، وصحيح أن المليونير يملك نسبة

ضخمة من أموال الشركة، ولكن ليس من حقه أن يقدم خدمة لرئيس الوزراء بغير أن يستأذن مجلس الإدارة، وبغير أن يستأذن أصغر مساهم في الشركة.

أقول:

كان عند العرب والمسلمين أعظم من ذلك، أقولها بمرارة وحزن، وأسال الله العلي القدير أن نسترد بضاعتنا.

٨٢٠ ثمانية وعشرون!

لقي غلام أعرابي أبا العلاء المعري، فقال له: من الشيخ يكون؟ قال المعري: أنا أبوالعلاء المعري شاعركم المعروف! فقال الغلام: أهلًا بالشاعر الفحل، ذي القول الجزل، والرأي الفصل، أنت القائل في شعرك:

وإنِّي وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تستطعْه الأوائلُ؟

قال أبوالعلاء: نعم، أنا القائل ولا فخر! فقال الغلام: قول طيب، وثقة بالنفس واعتداد، ولكن الأوائل قد وضعوا ثمانية وعشرين حرفًا للهجاء، فهل لك أن تزيد عليها حرفًا واحدًا؟! فسكت أبوالعلاء، وقال بعد ذلك: والله ما عهدتُ لي سكوتًا كهذا السكوت!

٨٢١ يضحكون وبقية الأجل ٤٥ ثانية!

هذا بالضبط ما حصل لطاقم تشالنجر الفضائي الذي طيّرته وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) يوم الثلاثاء الموافق ١٤٠٦/٥/١٨هـ، ففي ذلك اليوم عرض التلفاز على الناس صورة خمسة رجال وامرأتين، وهم متوجهون إلى مركبة الفضاء تشالنجر في طريقهم إلى الصعود، وهم فرحون، ويضحكون، والناس من حولهم يصفقون فرحين، وفي لحظات بدأ التشغيل، وصعدت المركبة فوق صواريخ الإطلاق، وعلى متنها الرواد والوقود المعد، وهو بحجم هائل قُدّر بنصف مليون جالون، وصعدت

المركبة والعالم كله تقريبًا يراها بواسطة الشاشة، وبعد أقل من ٤٥ ثانية من الصعود إذا بها تنفجر بالفضاء بمن فيها، وتصير هباء منثورًا، ودهش الناس كل الناس لهذا الحدث غير المتوقع، والقصد من تسجيله هنا هو العظة والعبرة، كيف تتغير أحوال الكون والناس كلمح البصر، سرور وحزن، ونجاح وسقوط، وموت وحياة، وصدق الله العظيم، حيث يقول: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

٨٢٢ بخيل وجبان

لما قتل عبدُ الملك بنُ مروان مصعبَ بنَ الزبير وجّه أخاه بشر بن مروان على الكوفة، ووجّه معه روح بن زنباع الجذامي وزيرًا، وكان روح رجلًا عالمًا داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم، فلما رأى أهل الكوفة من بخله ما رأوا تخوفوا أن يفسد عليهم أمرهم، وكانوا قد عرفوا جبنه، فاحتالوا في إخراجه عنهم، فكتبوا ليلًا على بابه:

إنَّ ابنَ مروانَ قدْ حانتْ منيتُه ... فاحتلْ لنفسِك يا روحُ بنُ زنباعِ

فلما أصبح، ورأى ذلك لم يشك أنه مقتول، فدخل على بشر، واستأذنه في الشخوص، فأذن له، وخرج حتى قدم على عبد الملك، فقال له: ما أقدمك؟ قال: يا أمير المؤمنين، تركت أخاك مقتولًا أو مخلوعًا، قال: كيف عرفت ذلك؟ فأخبره الخبر، فضحك عبد الملك حتى فحص برجليه، ثم قال: احتال لك أهل الكوفة، حتى أخرجوك عنهم!

٨٢٣ قرآن مسيلمة

حكى الشعبي قال: كنت في المسجد الجامع في الكوفة، إذ قام أعرابي يصلي وخلفه قوم جلوس، فقال: «الله أكبر أفلح من هبّ إلى صلاته، وأخرج الواجب من زكاته، وأعم المسكين من نخلاته، وحافظ على بعيره وشاته». فضحك القوم،

فقال: «أمن هيمنتي ضحكتم؟ أشهد عند الله على عمتي أنها سمعت هذه الآيات من فم مسيلمة!»!

٨٢٤ شجاعة الأنصار

لما أحدق المشركون واليهود بالمدينة، وحوصر المسلمون في دورها، وأزقتها على النحو الذي قال الله فيه: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠].

في هذه الأزمة العصيبة أراد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إغراء بعض القبائل بفك الحصار لقاء جُعْل من ثمار يثرب، فبعث إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه، فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة، فذكر ذلك رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة، واستشارهما فيه قالا: يا رسول الله، أشيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر تحبه، فنصنعه أم شيء تصفه لنا؟ قال: «**بل شيء أصنعه، والله ما أصنع ذلك إلا أني قد رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم**» فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك الله وعبادة الأصنام، لا نعبد الله، ولا نعرفه، ولا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة واحدة، فحين كرّمنا الله بالإسلام، وأعزّنا بك نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، ووالله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أنت وذاك**»[1] فتناول سعد الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتابة، ثم قال: ليجهدوا علينا.

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/٩٤)، وانظر: البداية والنهاية (٤/١٢٠).

٨٢٥ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]

قال الصحفي محمود السعدني في (جريدة السياسة) ما يلي: دخلت سجن القلعة ثلاث مرات: مرتين وهو سجن، والمرة الأخيرة وهو متحف، ووقفت أمام الزنزانة التي ضمتني شهورًا عدة، وتمنيت لو أنهم علَّقوا على بابها لوحة تضم أسماء الذين تشرفوا بالنزول فيها على مر الزمان، ولقد كان سجن القلعة أحط سجن وأحقره عرفته مصر، ومعظم السياسيين المصريين دخلوه، وعدد كبير أيضًا من المسؤولين ورجال الحكم؛ عاش مدة بين جدرانه المملوك حمصي أخضر الذي حكم مصر حقبة، ونزل فيه مفتي الديار المصرية في عهد فايربك بعد الغزو العثماني، وفي العصر الحديث سجنوا فيه الإخوان المسلمين والشيوعيين وبعض أقطاب الثورة، فقد دخله علي صبري نائب رئيس الجمهورية، وشعراوي جمعة وزير الداخلية، وشمس بدران وزير الحربية، وصلاح نصر مدير المخابرات، وعباس رضوان وزير الداخلية، وأمين هويدي مدير المخابرات، وأحمد كامل مدير المخابرات، وعبدالمحسن أبوالنور رئيس الاتحاد الاشتراكي. وجدرانه مصنوعة من الحجارة نفسها التي بنوا بها الأهرام، وهي تجعل الصيف قطعة من جهنم، وتجعل الشتاء قطعه من القطب الشمالي، ولا أحد استطاع الهروب من سجن القلعة؛ لأنه أقيم على جبل المقطم وفوق قمة عالية من قممه، وأي محاولة من هذا النوع سيكون مصيرها الهلاك، حبذا لو اهتمت وزارة الداخلية، فأصدرت سجلًّا بأسماء الذين دخلوا سجن القلعة في العصر الحديث على الأقل، وسيكتشف الناس عندئذ أن ٩٠٪ من كتّاب مصر دخلوه، و٢٠٪ من محامي مصر شرفوه، و١٠٪ من حكام مصر نزلوا ضيوفًا عليه، و٥٪ من النقابيين قضوا فيه مدة من الوقت، وأنه كان سجنًا لتحالف قوى الشعب العامل في السياسة.

أقول:

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، أرأيت كيف فعل الله بمن عذبّوا عباده؟ إن الجزاء من جنس العمل، سلّط الله الظالمين على الظالمين، فأخرج منهم الصالحين.

٨٢٦ لا تيأس من رَوح الله

ذكـر التنوخي ﴿ في ﴾ كتابـه (الفرج بعد الشدة) هذه القصــة: كان ينزل بباب الشام من الجانب الغربي من بغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة يقال له: لبيب العابـد، لا يُعـرف إلا بهـذا، وكان النـاسـ ينتابونه، وكان صديقًـا لأبي، فحدثني لبيب قال: كنت مملوكًا روميًّا لبعض الجند، فربّاني وعلمني العمل بالسلاح حتى صـرت رجـلًا، ومات مولاي بعـد أن أعتقني، فتوصلت إلـى أن حصلت رزقه لي، وتزوجت بامرأته، وقد علم الله أنني لم أرد بذلك إلا صيانتها، فأقمت معها مدة، ثـم اتفق أنني رأيـت يومًا حية داخلة في جحرها، فأمسكـت ذنبها، فانثنت عليّ، فنهشت يدي فشُلّت، ومضى على ذلك زمان طويل، فشُلّت يدي الأخرى لغير سبب أعرفـه، ثم جفّت رجـلاي، ثم عميت، ثم خرست، وكنت علـى ذلك الحال مُلقى سنــة كاملة، لم تبـقَ لي جارحة صحيحة إلا سمعي أسمع بـه ما أكره، وأنا طريح علـى ظهري لا أقدر على الكلام ولا علـى الحركة، وكنت أُسقى وأنا ريّان، وأترك وأنـا عطشـان، وأُهمـل وأنا جائع وأُطعم وأنـا شبعان، فلمـا كان بعد سنة دخلت امـرأة على زوجتي، فقالت: كيـف أبوعلي؟ فقالت لها زوجتي: لا حي، فيرجى ولا ميـت، فيسلى. فأقلقني ذلـك، وآلمني ألمًا شديدًا. وبكيـت، ورغبت إلى الله عَزَّوَجَلَّ في سـري بالدعـاء، وكنت في جميع تلك العلل لا أجـد ألمًا في جسمي، فلما كان في بقيـة ذلـك اليوم ضرب علـي جسمي ضربانًـا عظيمًا كاد يتلفنـي، ولم أزل على ذلـك الحال إلى أن دخل الليل وانتصف، فسكن الألم قليلًا، فنمت، فما أحس إلا قـد انتبهت وقت السَّحر وإحـدى يديّ على صدري، وقد كانـت طوال هذه السنة مطروحـة على الفراش لا تنشال أو تشال، ثم وقـع في قلبي أن أتعاطى تحريكها، فحركتهـا فتحركت، فقبضت إحدى رجلـيّ، فانقبضت فرددتها فرجعت، ففعلت مثل ذلك مرارًا، ثم رمت الانقلاب من غير أن يقلبني أحد كما كان يفعل بي أولًا فأنقلـب بنفسي، وجلست ورمت القيام فأمكنني، فقمت ونزلت عن السرير الذي

كنت مطروحًا عليه، وكان في بيت الدار، فمشيت ألتمس الحائط في الظلمة؛ لأنه لم يكن هناك سراج إلى أن وقعت على الباب وأنا لا أطمع في بصري. فخرجت من البيت إلى صحن الدار، فرأيت السماء والكواكب تزهر، فكدت أموت فرحًا، وانطلق لساني بأن قلت: يا قديم الإحسان، لك الحمد. ثم صحت بزوجتي، فقالت: أبوعلي؟! فقلت: الساعة صرت أبا علي؟ أسرجي. فأسرجت، فقلت: جيئيني بمقراض، فجاءت به، فقصصت شاربًا لي كان بزي الجند، فقالت زوجتي: ما تصنع؟ الساعة يعيبك رفقاؤك. فقلت: بعد هذا لا أخدم أحدًا غير ربي. فانقطعت إلى الله عَزَّوَجَلَّ وخرجت من الدار، وطلّقت الزوجة، ولزمت عبادة ربي، سبحانك يا رب، ما أعظم لطفك وأرأفك بعبادك!

٨٢٧ علوّ الهمة بلاء

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ابتلي الإنسان قط بأعظم من علو همته، فإن من علت همته يختار المعالي، وربما لا يساعد الزمان، وقد تضعف الآلة، فيبقى في عذاب، وإني أعطيت علوّ الهمة طرفًا، فأنا به في عذاب، ولا أقول: ليته لم يكن، فإنه إنما يحلو العيش بقدر عدم العقل، والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل، ولقد رأيت أقوامًا يصفون علو هممهم، فتأملتها فإذا بها في فن واحد، ولا يبالون بالنقص فيما هو أهم، قال الرضي:

ولكلِّ جسمٍ في النُّحولِ بليَّةٌ　　　وبلاءُ جسمي مِنْ تفاوتِ همَّتي

فنظرت فإذا غاية أمله الإمارة، وكان أبومسلم الخراساني في حالة شبيبته لا يكاد ينام، فقيل له في ذلك، فقال: ذهن صافٍ، وهم بعيد، ونفس تتوق إلى معالي الأمور، مع عيش كعيش الهمج والرعاع. قيل: فما الذي يبرد غليلك؟ قال: الظفر بالملك، قيل: فاطلبه، قال: لا يطلب إلا بالأهوال، قيل: فاركب الأهوال،

قـال: العقل مانـع، قيل: فماذا تصنع؟ قال: سأجعل مـن عقلي جهلًا، وأحاول به خطـرًا لا ينـال إلا بالجهـل، وأدبر بالعقل مـا لا يحفظ إلا به، فـإن الخمول أخو العـدم، فنظرت إلى حال هذا المسكين، فإذا به قد ضيّع أهم المهمات، وهو جانب الخـبرة، وانتصـب في طلب الولايـات، فكم فتك وقتل حتى نـال بعض مراده من لـذات الدنيا، ثـم لم يتنعم في ذلك أكثر من ثماني سنين، ثم اغتيل، ونسي تدبير العقل، فقتل ومضى إلى الآخرة على أقبح حال. وكان المتنبي يقول:

وفي الناسِ مَنْ يرضَى بميسورِ عيشه ... ومركوبُه رجلاه والثَّوبُ جلدُه
ولكنّ قلبًا بينَ جنبيّ ما له ... مدًى ينتهي بي في مرادٍ أحُدُّه
ترى جسمَه يُكسى شُفُوفًا تربُه ... فيختارُ أنْ يُكسى دُروعًا تهدُّه

٨٢٨ أسباب عدم إجابة الدعاء

من العجـب إلحاحك في طلب أغراضك، وكلمـا زاد تعويقها زاد إلحاحك، وتنسـى أنها قد تمتنع لأحد أمرين: إما لمصلحتك، فربما طلبت معجل أذى، وإما لذنوبك، فإن صاحب الذنوب بعيد عن الإجابة. فنظف طرف الإجابة من أوساخ المعاصـي، وانظـر فيما تطلبـه هل هو لإصـلاح دينك أو لمجرد هـواك؟ فإن كان للهـوى المجـرد فاعلم أنه من اللطف بك والرحمة لـك تعويقه، وأنت في إلحاحك بمنزلة الطفل يطلب ما يؤذيه، فيمنع رفقًا به، وإن كان لصلاح دينك فربما كانت المصلحـة تأخيره، أو كان صلاح الدين بعدمه، وفي الجملة تدبير الحق عَزَّوَجَلَّ لك خـير من تدبيرك، وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء ليبلوَ صبرك، فأرِه الصبر الجميل تَـرَ عن قرب ما يسر، ومتى نظفت طرق الإجابة من أدران الذنوب، وصبرت على ما يقتضيه لك، فكل ما يجري أصلح لك، عطاءً كان أو منعًا.

٨٢٩ قرت عينك يا حمد

سئل الشيخ خليل الرواف، وكان من أهل بريدة، ومن مواليد الشام عن أطرف موقف مر به؟ فقال: هناك موقف لا يخلو من طرافة على الرغم من صعوبته، وهو مع حمد المديفر من مدينة بريدة، وقد سافر إلى مصر، وترك ولده محمد وعمره سنتان، وطال به السفر حتى استقر في مصر مدة ٢٥ سنة. كانت هناك وقتها رحلات للعقيلات إلى مصر تحط بجمالها في القنطرة شرق، وهناك يستقبلون تجار العقيلات، ويشترون منهم الجمال والخيل، وكان ضمن هذه الرحلة محمد بن حمد المديفر، وكان حمد المديفر قد نزل على ولده محمد بالقنطرة شرق ليشتري منه، فمرّ عليهم أحد رجالات العقيلات، وكان يعرف الاثنين، فقال له: قرّت عيناك يا حمد، بولدك محمد. فدُهش حمد المديفر، وقال له بصوت قوي: أين هو؟ فقال له: هو الذي أمامك، وتشتري منه الجمال، وكانت المفاجأة المذهلة!

٨٣٠ المال في الشيخوخة

قال أحد الرجال، حينما رزقه الله المال بعد ذهاب الشباب:

ما كنتُ أرجوه إذ كنتُ ابنَ عشرينا ... ملكتُه بعدَ أنْ جاوزتُ سبعينا
تطيفُ بي منْ بني الأتراكِ أغزلةٌ ... مثلُ الغصونِ على كثبانٍ يبرينا
وخردٌ من بناتِ الرومِ رائعة ... يحكينَ بالحسنِ حورَ الجنةِ العِينا
يغمرْنني بأساريعَ منعمةٍ ... تكادُ تعقدُ منْ أطرافِها لينا
يردنَ إحياءَ ميتٍ لا حراكَ بهِ ... وكيفَ يُحيينَ مَيْتًا صارَ مدفونا

٨٣١ وصية حكيم

عنـد وفـاة القائد العربي المهلب بـن أبي صفرة دعا من حضـر من أبنائه، وكانوا كلهم فرسـانًا، منهم أشقاء وهم أبناء أم واحدة، ومنهم غير أشقاء، وهم الذين يسـمون أبناء العلات، فلما دعاهم أمر بإحضـار سـهام، فحزمت، وقال: أترونكم كاسـريها مجتمعـة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسـريها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة، فأوصـيكم بتقوى الله وصلة الرحم، فإن صلة الرحم تُنسئ في الأجل أي تزيد العمر، وتثري المال، وتكثر العدد، وأنهاكم عن القطيعة، فإن القطيعة تعقب النار، وتورث الذلة والقلة، فتحابوا وتواصلوا، وأجمعوا أمركم ولا تختلفـوا، تَبَـارُّوا تجتمع أموركـم، إن بني الأم يختلفـون فكيف ببني العلات؟ وعليكـم بالطاعة والجماعة، وليكن فعلكم أفضـل من قولكـم، فإني أحب للرجل أن يكـون لعمله فضـل على لسـانه، واتقوا الجـواب وزلة اللسـان، إن الرجل تزل قدمـه فينتعش مـن زلته، ويزل لسـانه فيهلك. اعرفوا لمن يغشـاكم حقه، فكفى بغُـدوّ الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك، فكيف الصـنيعة عنده؟ عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة، فإنها أنفع في الحرب من الشـجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن أخذ رجل بالحزم، فظهر على عدوه قيل: أتى الأمر على وجهه، ثـم ظفر فحمـد، وإن لم يظهر بعد الأناة قيل: ما فرط، ولا ضـيّع ولكن القضـاء غالـب، وعليكم بقـراءة القرآن وتعلم السـنن وأدب الصـالحين، وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم.

٨٣٢ الحمى مربحة

جـاء في كتاب (البخلاء) للجاحـظ: قال الخليل: حُمّ الثوري -أي أصـابته حمـى- وحمّ عياله وخادمه، فلم يقدروا مع شـدة الحمى على أكل الخبز، فربح كيلـة تلك الأيام من الدقيـق، ففرح بذلك، وقال: لو كان منزلي سـوق الأهواز أو

نطاة خيبر أو وادي الجحفة -لأن هذه المناطق لا تفارقها الحمى- لرجوت أن أستفضل كل سنة مئة دينار، فكان لا يهتم أن يُحمّ هو وأهله أبدًا بعد أن يستفضل كفايتهم من الدقيق.

٨٣٣ فوائد المسواك

منذ العصور الأولى للإسلام والمسواك يستعمل لنظافة الأسنان وطهارة الفم وإكسابه رائحة منعشة. وفي قسم البحوث بشركة فاربابازل ليمتد السويسرية للأدوية وبإشراف العلماء فيها، تم إجراء التجارب العلمية على خلاصة المسواك، فجاءت النتائج القاطعة والمذهلة باحتواء المسواك والمعروف علميًّا باسم (سلفادورا برزيكا) على مواد قاتلة لجراثيم الفم الضارة التي تسبب التهابات اللثة وتسوس الأسنان. هذه النتائج أثبتت بالبحوث العلمية التي أجريت في كل من قسم الكيمياء جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية، وقسم الكيمياء بجامعة أنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث جاءت المؤشرات الفارمالوكوجية مؤكدةً وجود المفعول المضاد للالتهابات والبكتيريا في نبات المسواك، وقد قام قسم البحوث العلمية بشركة فاربابازال ليمتد باستبعاد الشوائب من خلاصة المسواك دون إضافة أي مواد كيماوية قد تكون لها بعض الآثار الجانبية الضارة. فمعجون الأسنان كوالي مسواك معتمدًا على التقاليد الإسلامية والحكمة العربية أصبح الإجابة القاطعة لمتطلبات العصر في نظافة الأسنان والمحافظة عليها، هذه ليست من باب الدعاية للمعجون، وليس لي علاقة بتجارته، لا من بعيد ولا من قريب، ولكن حين قرأت ذلك تذكرت قول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] وتذكرت قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٤ رقم٨٨٧)، ومسلم (١/ ٢٢٠ رقم٢٥٢).

٨٣٤ الخواطر

يقــول محمد مهدي النراقي في كتابه (جامع السـعادات ص١٤٢): اعلم أن الخاطر ما يعرض في القلب من الأفكار، فإن كان مذمومًا داعيًا إلى الشـر سـمي (وسوسـة) وإن كان محمودًا داعيًا إلى الخير سـمي (إلهامًا). وتوضـيح أن مثل القلب بالنسـبة إلى ما يرد إليه من الخواطر مثل هدف تتوارد عليه السـهام من الجوانب أو حوض تنصبّ إليه مياه مختلفة من الجداول، أو قبة ذات أبواب يدخل منها أشـخاص مختلفون، أو مرآة منصـوبة تجتاز إليها صـور متباينة، فكما أن هذه الأمور لا تنفك عن تلك السوانح، فكذا القلب لا ينفك عن واردات الخواطر، ثـم لمـا كان الخاطر أمرًا حادثًا فلا بدَّ له من سـبب، فإن كان سـببه الشـيطان فهو الوسوسـة، وإن كان ملكًا فهو الإلهام، وما يسـتعد به القلب لقبول الوسوسـة يسمى إغواءً وخذلانًا، وما يتهيأ به لقبول الإلهام يسمى لطفًا وتوفيقًا، وإلى ذلك أشـار سيد الرسل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**في القلب لمتان: لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمة من الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب الحق**»[(١)].

وبقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن**»[(٢)].

٨٣٥ البحّار وهدية الملك

قـال الأديب والشـاعر عبدالله بالخـير في ذكرياته عن الملـك عبدالعزيز: كان الرئيسـ روزفولـت قد بعث إلى جدة مدمرة أمريكيـة لتقل الملك عبدالعزيز إلـى البحيرات المرة في قناة السـويس. ثم اجتمع بعد ذلك بالمسـتر (تشرشـل) في واحـة الفيوم. وفي عودته وضـع المسـتر تشرشـل مدمرة بريطانيـة تنقله من

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (٥/٣٩٤ رقم٢٠٢٧)، والطبراني في أكبر معاجمه (٩/١٠١ رقم٨٥٣٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/١٢٠ رقم٤٥٠٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم١٩٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٠٤٥ رقم٢٦٥٤).

ميناء السويس إلى جدة في عودته من تلك الاجتماعات، وفي المدمرة البريطانية قسمت غرف الضباط على كبار من كانوا في معية الملك، وجعلوا في كل غرفة ذات أسرة أربعة رجال، وكنت في إحداها مع الشيخين المستشارين خالد أبي الوليد القرقني وبشير السعداوي، فكان جندي من بحارة المدمرة موكلًا بشؤون من في الغرفة، وكان على جانب من الطيبة والبساطة والمرح، فسأله الشيخ بشير السعداوي، وقد جلس معنا: ما أحب شيء إليك إذا عدت إلى إنجلترا في إجازة ترى أن فيها السعادة التي تتمناها؟ ففكر البحّار البريطاني هنيهة، ثم قال: لعل من أسعد لحظاتي حينئذ أن آخذ زوجتي وأولادي في نزهة في شارع أوكسفورد بلندن، فنجلس في أحد مشارب الشاهي المحترمة -ولا شاهي فيها هذه الأيام- فيطلب الأولاد أن يتناولوا من أنواع الحلوى ما قد يوجد هناك، فيكون في جيبي حينئذ ما أستطيع أن أشتري لهم به ما تمنوه واشتهوه، وأن ترى زوجتي ونحن نمر بعد ذلك على معارض الملابس في الواجهات الزجاجية في أكبر محال الأزياء (فستانًا) أو معطفًا بديعًا، فتقف تنظر إليه، فأسألها ما لفت نظرها هناك؟ فتشير إليه، وتقول لي: إنها قطعة ممتازة، فأجذبها من ذراعها، وأدخل بها إلى ذلك المحل، وأفاجئها بشراء ما استحسنت، وأجد في جيبي حينئذ ما أحقق به أمنيتها ورغبتها، ثم أخرج وقد تأبطت ذراعها أحمل لها ما اشتريناه، ونعود إلى منزلنا في سعادة وهناء.

ولقد أعجبنا، واستحسنا من ذلك الجندي البسيط هذا الإحساس المرهف العميق، فلما جاء وقت جلوس مجلس الملك عبدالعزيز في بهو المدمرة، وجلسنا، قص الشيخ السعداوي خبر الجندي وأمنياته على الملك، فاهتز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سمع، وأعجب بأريحية ذلك الجندي وبشعوره الفياض نحو زوجته وأولاده، وأمرني أن أستدعيه في الحال، ففعلت، وأسقط في يد البحار، وارتبك ولم يصدق أن الملك يدعوه بالاجتماع به، وسألني في بساطة: هل هذا ما يريده صاحب الجلالة حقًّا؟ فقلت له: نعم، فقال: وهل يجب أن ألبي دون استئذان من ربان المدمرة؟ فقال له: نعم، قال، ولا يزال مرتبكًا حائرًا: والحقيقة أنني لم أجتمع بملك، ولا أعرف

كيـف يخاطب الملوك، ولا أدري كيف أتصـرف الآن، فقلت لـه: تعالَ معي والأمر كله بسـيط، وسـترى بسـاطته هناك، فقال لي: وهل أذهب هكذا بالقميص دون (جاكته)؟ فقال له: نعم، فقال لي: إن هذا لا يجوز في تقاليدنا الإنجليزية، فقال لـه: هـو جائز في تقاليدنا العربيـة، ثم جذبت يده، وتوجهت بـه إلى حيث يجلس الملك، فاسـتقبله اسـتقبالاً وديًا متهلل الأسارير، ثم أمره بالجلوس على الكرسي المجاور لجلالته، فاضطرب الرجل ولم يدرِ كيف يتصرف، فهمس في أذنه: اجلس حيث أمرك الملك، ففعل. واسـتدعى الملك صـانع القهوة كالعادة، فشرب وشرب الحاضرون وبينهم الضيف، وهنا جاءت الطامة الكبرى على الرجل عندما أقبل قائد المدمرة لتناول القهوة والشـاي مع الملك بحسـب العـادة خلال تلك الرحلة عصـر كل يوم، فوثب الجندي مذعورًا من دخول رئيسه وهو يؤدي له التحية على تلك الحال، ودهش الربان مما رأى، وضـحك الملك وهو يقول للربان: لقد دعونا الأخ لتناول الشـاي والقهوة معنا حتى نسـمع منه ما قصّـه علينا الأخ بشير مما سـمعه منه. وأمرني الملـك أن أقص على الربان حديث البحـار معنا، ثم أمر له بمبلغ من المال جاؤوا به، فتسـلمه الملك بيده من حامله، ثم مال على الجندي في جواره ومد به إليه وهو يقول له: خذ هذه الهدية حتى تشـتري للأولاد ولأمهم ما يشـتهون إذا عدت إليهم إن شـاء الله، وارتبك البحار كيف يتسلَّم الهدية، وكنت أترجـم لـه وللربان حديث الملك، فأمـره الربان بأن يتقبل الهدية شـاكرًا، ففعل وقام منصـرفًا تكاد تتعثر به خطاه من الحياء والفرح والحبور. ولم تسـع الدنيا صاحبنا وهو منطلق نحو رفاقه البحارة مملوء اليدين بالهدية الملكية، وكانوا قد استمعوا بأن الملك قد استدعاه ليتناول معه القهوة والشاي، فلم يصدقوا ما رأوه، وسـمعوه، وتجمعوا حوله يسألونه عما جرى وهو يصـيح فيهم ولا يستطيع ضبط أعصابه من الانفعال، ويقول لهم: انظروا لقد سلمها الملك لي بيده أمام الربان، وأمـرني الربان أن أتقبلها، وأن أشـكر جلالته عليها، ولقد أسـقط في يدي، فلم أعرف كيف أشـكر ولا ماذا يجب عليّ أن أقول، لم أصدق أنني بما قلته عفوًا دون روية سأنال كل هذا الشرف في هذا اليوم.

وعندما وصل الملك إلى ميناء جدة، واستقبلته الجماهير الزاخرة في عرض البحر بزوارقها وأهازيجها وأحاطوا بالمدمرة، نزل الملك إلى الزورق البخاري الذي أقله إلى الميناء، وكان البحار بينهم يؤدي التحية معهم في تأثر بالغ على أسارير وجهه، وحمله على أن يلوح بيده للملك، فبادله الملك الإشارة بمثلها وهو يبتسم، فقد عرف أنها من البحار الطيب المرح.

أقول:

صدق الله العظيم، إذ يقول: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] نعم، إنه الله الذي سخّر ملك العرب ليهب المال لهذا الرجل، وهو على غير دين الإسلام، ورحمة الله وعطاؤه ليس حكرًا على أحد.

٨٣٦ رقيب عتيد

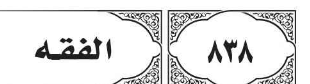
قال سفيان الثوري يومًا لأصحابه: أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا، قال: فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله تعالى.

٨٣٧ سلاح المسلمين المرعب

يقول هانونو وزير خارجية فرنسا السابق: «لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده، وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر».

ويقول البرمشادور: «من يدري؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية وفي الوقت المناسب».

ويتابع قائلًا: «لست متنبئًا، لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها. إن المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ: ها أنذا إنني لم أمت، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها». ويقول أنطوني ناتنج في كتابه (العرب): «منذ أن جمع محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي، وبدأ أول خطوات الانتشار الإسلامي، فإن على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلة تواجهنا عبر المتوسط». الشيء الغريب والمؤلم في آنٍ واحد على الرغم من كل هذه الاعترافات من قبل أعداء الإسلام، هو أن نجد في بعض البلاد الإسلامية من يحاول إبعاد هذا السلاح الفاعل عن ساحة المعركة الدائرة بيننا وبين أعدائنا. إلى هؤلاء نقول: إن الأمة بأجمعها تطالبكم أن تغيروا سلوككم هذا؛ لأن أمتكم التي فتحت أعينها على النور لا يمكن أن تعود ثانية إلى عصور الظلام، عصور التبعية، عصور الشعارات البراقة الفارغة، فما دام الدواء لما حل بنا من نكبات ونكسات بات معروفًا، فكونوا أنتم الأطباء وهداة الركب، وكل انحراف بالأمة عن هذه الأماني خيانة للأمانة وتفريط في الحق وتهديم للدولة.



٨٣٨ الفقه

كتب أحد عمال عمر بن عبد العزيز رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إليه: إني بأرضٍ قد كثرت فيها النعم حتى لقد أشفقت على أهلها من ضعف الشكر.

فكتب إليه عمر: إني قد كنت أراك أعلم بالله مما أنت فيه. إن الله لم ينعم على عبد نعمة، فحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمه، ولو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: ١٥].

٨٣٩ هيكل المليونير من دعاة الاشتراكية

جاء في كتاب الإمام المجاهد الشيخ عمر التلمساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر): إذا أردت أن تعرف كيف كانت السياسة الاقتصادية في عهد عبد الناصر مخربة للوطن مسعدة لحاشيته وأنصاره، فاقرأ في جريدة (أخبار اليوم) السبت ١٠ ديسمبر سنة ١٩٧٧م: «إن محمد حسنين هيكل أغنى اشتراكي في مصر، له عزبة يمتلكها في الهرم، وله شقة مطلة على النيل بها ست عشرة غرفة، وله شقة في الإسكندرية، وله يخت يملكه على شاطئ المعمورة». ولم يكذب هيكل حرفًا واحدًا من هذه الاتهامات التي تمس الأمانة والذمة الطاهرة في صميمها. هيكل الذي كان قبل اتصاله بعبد الناصر لا يملك إلا مرتبه التافه. وثمن الإعلانات التي كان يكتبها للمرحوم أحمد عبود باشا. هذا هو المستشار الصحفي للزعيم المفدى بالدم والروح والمال، من كل ممخرق مأجور.

٨٤٠ رد شهادة السلطان

حضر السلطان بايزيد إلى المحكمة بين يدي شمس الدين محمد حمزة الفناري قاضي القسطنطينية ليشهد في قضية رفعت إليه، فما كان من قاضي القسطنطينية إلا أن يرد شهادة السلطان، ولم يقبلها، ولما سأل السلطان عن وجه ردها، جاءه الجواب الحاسم من القاضي المؤمن الذي لا يرهبه سلطان: إنك تارك للصلاة مع الجماعة. أرأيتم ما طعن في صحة شهادة السلطان وجرأة القاضي الذي يستمد سلطته من شريعة الله لا من قوانين المضبوطين والمنهزمين؟ وكان جواب السلطان أن بنى جامعًا في الحال أمام قصره، وعيّن لنفسه موضعه فيه، ولم يترك صلاة الجماعة بعد ذلك.

عن كتاب (المنهزمين) ليوسف العظم، ص٩٦.

٨٤١ ابن أمير المؤمنين

روى صـاحب كتاب (الرياض النضـرة) عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: اشـتريت إبـلًا، وسـقتها الحمى، فلما سـمنت قدمـت بها، فدخـل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السـوق، فـرأى إبـلًا سـمانًا، فقال: لمن هـذه؟ فقيـل: لعبدالله بن عمـر، فجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: يا عبدالله، .. بخ .. بخ ابن أمير المؤمنين، فجئته أسعى، قلت: مـا لك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل؟ قلت: إبل اشـتريتها، وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسـلمون، فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسـقوا إبل ابـن أمـير المؤمنين، يا عبدالله بـن عمر، هذا رأس مالـك، واجعل الربح في بيت مال المسلمين.

٨٤٢ خذ الحكمة

في طريق عودة الرشيد إلى بغداد، رأى في الكوفة (بهلولًا) المجنون، فنصح بهلول الرشيد، وحاول الربيع إسكاته، فقال له الرشيد: قل يا بهلول، فقال:

هـبْ أنْ قـد ملكتَ الأرضَ طرًّا ... ودانَ لـكَ العـبـادُ فـكـانَ مـاذا؟
أليسَ غدًا مصيرُك جوفُ قبرٍ ... ويحثُو الـتُّرْبَ هـذا ثـمَّ هـذا؟

قال الرشـيد: أجدت يا بهلول، أفغيره؟ قال: نعـم، يا أمير المؤمنين، من رزقـه الله مالًا وجمالًا، فعف في جماله، وواسـى في مالـه، كُتب في ديوان الله من الأبـرار. فظن الرشـيد أنه يريد شـيئًا، فقال: إنا أمرنا بقضـاء دينك. فقال: لا تفعـل يا أمير المؤمنين، لا يُقضـى دين بديـن، اردد الحق إلى أهلـه، واقضِ دين نفسـك من نفسك. قال الرشيد: إنا أمرنا أن يجري عليك رزق تقتات به، قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنه سـبحانه لا يعطيك وينسـاني، وها أنا قد عشت عمرًا لم تجرِ عليّ رزقًا، انصرف لا حاجة لي في جرايتك، قال الرشيد: هذه ألف دينار

خذها، قال: اردُدْها على أصحابها، فهو خير لك، وما أصنع أنا بها، انصرف عني، فقد آذيتني.

٨٤٣ الغلام الجشع

قال الأصمعي: كنا عند الرشيد، فقُدِّمت إليه فالوذجة، فقال: يا أصمعي، حدثنا بحديث مُزرِّد، فقلت: إن مزردًا أخا الشماخ كان غلامًا جشعًا، وكانت أمه تؤثر عيالها بالطعام عليه، وكان ذلك يُحفظه (يغضبه) فخرجت أمه ذات يوم تزور بعض أهلها، فدخل مزرد الخيمة، وعمد إلى صاعي دقيق، وصاع من تمر وصاع من سمن، فجمعه، ثم جعل يأكله وهو يقول:

ولما غدت أمي تمير بناتها	أغرتُ على العكم الذي كانَ يُمنعُ
لبكت بصاعي حنطة صاع عجوةٍ	إلى صاع سمنٍ فوقَه يتربعُ
ودَبلتُ أمثالَ الأثافي كأنَّها	رؤوسُ نقادٍ قُطعتْ يومَ تُجمعُ
وقلتُ لبطني أبشرِ اليومَ إنَّه	حمى آمنٌ مما تحوزُ وترفعُ
فإنْ كنتَ مصفورًا فهذا دواؤُه	وإن كنت غرثانًا فذا يومَ تشبعُ

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره، ثم قال: كلوا باسم الله هذا يوم تشبع فيه يا أصمعي.

٨٤٤ العقل والشرع

قال حكيم: مثل العقل كمثل العين السليمة من الآفات، ومثل الشرع كمثل الشمس المنتشرة الضياء، والمستغني بإحداهما عن الأخرى معدودة في غمار الأغبياء؛ لأن العين السليمة دون ضوء الشمس لا ترى شيئًا، ولا ينتفع بها،

وكذلك ضوء الشمس لا ينفع العميان، فالشرع لا يستغني عن العقل، إذ هو أساس التكليف، وهو الذي يعقل الأوامر والنواهي عن الشرع، وكذلك العقل لا يستغني عن الشرع؛ لأن الشرع هو النور الإلهي الذي يرشدنا إلى ما فيه سعادتنا في الدنيا والآخرة من عقائد وعبادات وأخلاق، فمن دون الشرع يتيه العقل في أودية الضلال، وتتفرق به السبل، ويسبح في بحر الظلمات، لكنه يتأثر بالعصبيات والعنصريات، ويقلد ما في البيئة من ضلال وأوهام، فالشرع مع العقل نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء.

٨٤٥ خصمهم الحقيقي الإسلام

جاء في كتاب (الله أو الدمار) لرئيس وزراء الأردن السابق سعد جمعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكرت وكالة (الأسيوشتد برس) غداة الاحتفال بتشييع جنازة تشرشل في لندن أن (شالمان شازار وبن غوريون) اللذين مثّلا الحكومة الإسرائيلية في ذلك الاحتفال، سارا مسافة ميل ونصف وهما الشيخان اللذان تجاوزا السبعين، ورفضا ركوب العربة؛ لأن يوم الاحتفال كان يوم سبت، والدين اليهودي يحرم استخدام وسائل النقل في ذلك اليوم، وابن غوريون وغيره من القادة اليهود جميعهم دون استثناء لا يأكلون الطعام إلا إذا أعد وفقًا للعقيدة اليهودية وتحريماتها الواردة في التوراة، واليهود إلى هذه الساعة يرجمون السيارات في قلب تل أبيب إذا سارت أيام السبت في الطرقات، و(يوسف تيكواه) مندوب إسرائيل في الهيئة الدولية يعطل اجتماع مجلس الأمن ليقوم بالطقوس الدينية. والجماهير اليهودية حين وصلت إلى حائط المبكى في السابع من حزيران المشؤوم صلى بهم حاخامهم الأكبر صلاة النصر والظفر، فعلا النواح، وجلجلت الأصوات الهادرة: ليسقط محمد. اليوم انتهى محمد (محمد مات وخلف بنات) يا لثارات خيبر! لم يهتفوا ضد ناصر أو الأتاسي أو عارف أو الحسين أو غيرهم من قادة العرب وزعمائهم؛ لأن هدف المؤامرة هو محمد والإسلام. ومع ذلك لم

نسمع صوتًا واحدًا يرتفع في الساحة العربية للدفاع عن محمد ودين محمد، ولم نجد مفكرًا واحدًا يكتب حرفًا في تعبير اليهود بالأرضية الدينية، ولم نجد عربيًّا يسأل نفسه: لماذا يهتف القوم ضد محمد؟ ذلك لأن معظم من واجهوا إسرائيل في معركة الذل من التقدميين لا يعرفون محمدًا، بل لا يعرفون الله.

٨٤٦ إينشتاين والملحدون

يقول إينشتاين: «إن الإنسان الذي يعدّ حياته وحياة غيره من المخلوقات عديمة المعنى ليس تعيسًا فحسب، بل هو غير مؤهل للحياة». ثم يقول: «إن العقل البشري مهما بلغ من سمو الإدراك والتفكير عاجز عن الإحاطة بالكون، ولا يمكن أن يدرك أكثر من الطفل الذي يدخل مكتبة كبيرة تضم عددًا ضخمًا من الكتب المختلفة بلغات متعددة، فهو يعلم أن هناك أشخاصًا قد كتبوا مثل تلك الكتب، ولكن لا يعرف من كتبها، ولا كيف كتبها، ولا يعرف اللغات التي كتبت بها، والطفل يلاحظ أن هناك طريقة معينة في ترتيب الكتب ونظامًا خفيًّا لا يدركه هو، ولكنه يعلم بوجوده علمًا مبهمًا، فذاك شبيه بموقف العقل البشري من الله مهما بلغ من العظمة والسمو، وقد سأله مرة صحفي يدعى (فيرك): هل تؤمن بالله؟ فأجاب: ليس أمام أحد إلا ذلك، وإلا فلينظر إلى السماء، وليسمع موسيقاها الرياضية، وليقل بعد ذلك: من هو ذاك الموسيقار والمهندس العظيم وراء كل شيء وكل نفس وكل عقل؟ إنني لست ملحدًا، ولا أدري إذا صح في القول بأنني من أنصار مذهب وحدة الوجود، فالمسألة أوسع نطاقًا من عقولنا المجردة».

أقول:

إينشتاين الذي يُعّد بحق قمة العقل العلمي في العالم يؤمن بأن نطاق العقل محدود، وأدعو القارئ إلى مقارنة هذا التواضع العظيم ببعض صغار العقول من أنصاف المتعلمين الذين يسمون أنفسهم مفكرين ثوريين، وكل ثقافتهم حصيلة نتف سطحية من هنا وهناك، ولا يستحون أن يعتقدوا سفهًا أنهم بلغوا قمة المعرفة.

٨٤٧ الطنطاوي والتاجر الفاجر

قال الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكرياته بجريدة (الشرق الأوسط) ١٤٠٦/٩/٧هـ: لقد عودّت نفسي من الصغر ألا أقف على بائع، ولا أشتري بنفسي شيئًا، لا اللحم ولا الخضرة ولا الثياب ولا الأثاث، وإنما أوكل من يشتري لي، وإذا أنا خالفت عادتي، واضطررت إلى شراء شيء رجعت في كل مرة بقصة من أعجب القصص. من ذلك أني دخلت مرة دكانًا في سوق الحميدية مع صديق لي يحب أن يشتري قماشًا لأهله، فتلقاني صاحب الدكان مسلّمًا ومعظّمًا، وأهوى لتقبيل يدي؛ لأني كما يقول أستاذه وصاحب الفضل عليه: أهلًا وسهلًا بسيدنا يا مرحبًا، من علمني حرفًا حفظت له ودًّا، قل لي يا أستاذ، ماذا تأمر لأخدمك بعيوني؟ ولم آمن آمر بشيء، ولكن هذا المدح والتعظيم، وأن الرجل سيخدمني بعيونه قد خدّر أعصابي، كما يخدر الصياد الأسد والنمر بإبرة يطلقها عليه، أو كما يخدر الحُواة في الهند الحية الخطرة حتى ترقص بين يديه، والإنسان مفطور على محبة الثناء، فنظرت، فاخترت لونًا من الحرير أعجبني، فسألته عن ثمنه، فضحك، وقال: أي ثمن؟ محلك يا أستاذ! فحسبته أنه سيهديه إليّ، وحلفت أني لا آخذ إلا بثمن، ولن أطلب أن يبيعني بربح معقول، قال: برأسمالي لا أريد منك ربحًا أبدًا، وراح يحلف بذمته ودينه وأبيه وأمانته وشرف آبائه وعظام أجداده وما لا أذكر الآن من الأَيمان التي لا يجوز أن يحلف بها مسلم إنه لا يبيعني إلا برأس المال، وكان في داري يومئذ خمس نسوة: عمتي، وأختاي، وزوجتي، وبنتي الكبرى، وبناتي الصغيرات، فاشتريت لهن جميعًا، وبلغ الثمن قريبًا من ثلث الراتب، وذهبت إلى الدار، فقالت النساء: متى كنت تشتري؟ وبكم اشتريته؟ قلت: احزرن، قلن: بالله عليك إلا أن قلت، فأخبرتهن بأن الرجل تلميذي، وقد خدمني بعيونه، فباعني برأس المال وهو كذا! قلن: لقد زاد عليه ٣٠٪ قلت: مستحيل! قلن: ما قولك إن ذهبت فلانة الآن- لجارة لهن خياطة- فجاءت بالقماش نفسه من المحل نفسه بخصم ٣٠٪ قلت: أنا أدفع الثمن، وأهدي

إليهـا القماش. وذهبت مـن فورها إلى الدكان التي اشـتريت منها، ورجعت بعد ساعة، وقد أخذته بثلثي الثمـن الذي دفعته أنا لتلميذي البـار الذي حلف إنه لا يبيعني إلا برأس المال!!

٨٤٨ جراح الخيبة الكبرى

جاء في كتاب (تجربة عربي في الحزب الشـيوعي) لقدري قلعجي: قد تأكد لي أن المرء إنما ينتسب إلى الحزب الشيوعي وهو في سن المراهقة أو سن الشباب عن عاطفة نفسـية لا عن اقتناع فكري، ثم يحاول إقناع نفسـه عن طريق ما يقرأ أو يسمع، وهو لا يحب أن يقرأ أو يسمع إلا ما يدعم هذه المحاولة الجاهدة، يأخذ كل مـا يدعمهـا، ويرفض كل ما يهدمها، ومن النادر جدًّا أن يسـتيقظ بعد ذلك، وتسـقط الغشاوة عن عينيه؛ لأن جو الافتتان المسحور الذي يعيش فيه سرعان ما يُعطل عقله، ويفسـد حكمه على الأمور، وينتزع من نفسـه تلك الفضـائل المثالية التـي كانت دافعة إلى الانتسـاب إلى الحزب، كالأخوّة والمحبة والطيبة والشـعور الوطني والإنسـاني؛ لأن الحزب إنما يعمل أول ما يعمل على قتل الفضائل وتغيير صاحبها بها، بحجة أنها فضائل برجوازية ورواسب إقطاعية يجب التحرر منها، لهذا بقدر ما يكون الاندفاع نحو الشيوعية سهلًا يكون التحرر منها شاقًّا وعسيرًا، وقد كنت أرى المسـاوئ، فأنكرها، وأشـهد المخازي، فأخادع نفسي بشأنها، حتى كانت أحداث فلسـطين أشـبه بالقطرة التي تطفح بها الكأس المترعة، فانطلقت من شـراك العنكبوت الشـيوعي غير متحرج ولا نادم، وبقيت سـنوات عدة، وأنا أمسح جراح الخيبة الكبرى.

٨٤٩ عمر والرجل الجميل العفيف

روي أنه بينما كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعس ذات ليلة في سكك المدينة، إذ سمع امرأة تقول: هل من سبيل إلى خمرٍ، فأشربها، أم من سبيل إلى نصر بن

حجاج؟ فقال عمر: أما ما عشت فلا أرى معي في المدينة رجلًا تهتف به العواتق في خدورهن، عليَّ بنصر بن حجاج. فلما أصبح أُتي به، فإذا هو من أحسن الناس وجهًا وعينًا وشعرًا، فقال له: فتنت نساء المدينة يا ابن حجاج؟ والله لا تساكنني بلدة أنا فيها، فقال: يا أمير المؤمنين، ما ذنبي؟ قال: هو ما أقول لك سرْ إلى البصرة. وأبرد عمر بريدًا إلى عتبة بن أبي سفيان بالبصرة، فأقام بها أيامًا، ثم نادى منادي عتبة: من أراد أن يكتب إلى أهله بالمدينة أو إلى أمير المؤمنين شيئًا فليكتب، فإن بريد المسلمين خارج، فكتب الناس، ودسّ نصر بن حجاج كتابًا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبدالله عمر أمير المؤمنين من نصر بن حجاج: سلام عليك. أما بعد يا أمير المؤمنين:

لعمري لئنْ سيَّرتني أو حرمتَني ... وما نلتَ منْ شَتمي عليكَ حرامُ
أئنْ غنت الذلقاءُ يومًا بمنيةٍ ... وبعضُ أمانيِّ النساءِ غرامُ
ظننتَ بي الظنَّ الذي ليسَ بعدَه ... بقاءٌ فما لي في النّديّ كلامُ
فأصبحتُ منفيًا على غيرِ ريبةٍ ... وقد كان لي في المكتينِ مقامُ
سيمنعني ما تظنُّ تكرُّمي ... وآباءُ صدقٍ سالفونَ كرامُ
ويمنعُها مما تظنُّ صلاتُها ... وحالٌ لها في دينِها وصيامُ
فهذان حالانا فهلْ أنتَ راجعي ... فقد جُبَّ مني كاهلٌ وسنامُ

فقال عمر: أما وليَ ولاية فلا، وأقطعه أرضًا بالبصرة ودارًا. فلما قُتل عمر ركب راحلته، ولحق بالمدينة.

٨٥٠ دهاء ورفق

كتب معاوية إلى المغيرة يأمره أن يعذب عبدالرحمن بن أبي بكر أشد العذاب حتى يعترف بما لديه من مال عمه زياد، فأحضر المغيرة عبدالرحمن، وألقى على

وجهه قطعة قماش من حرير نضـحها بالماء، فأغميَ عليه بعد ثوانٍ، وفعل ذلك به مرات، ثم أخلى سـبيله، وكتـب إلى الخليفة قائلًا: إنني عذبـت عبدالرحمن، فلم أجـد عنده شـيئًا، ولقد أغمـي عليه مرات في أثنـاء العذاب، فثبت لـدي يقينًا أنه مفترى عليه، وليس لديه إلا ما يملكه هو مما لا يزيد على نفقته ونفقة من يعولهم.

أقول:

إذا كنت مسـؤولًا، وابتليت بمثل هـذا، فأكرب وجهك، وارخِ يديك كما يقول المثل، فالمغيرة أرضى الخليفة، وما ضرّ صاحبه، فهذه هي الحكمة بعينها.

٨٥١ أعمال لا يتصورها إبليس

سـأل صحفي من جريدة (السياسـة) الكويتية الإمام عمر التلمساني عليه رحمـة الله قبل موته بأيام قليلـة عن رأيه في التطرف المتهم بـه بعض الإخوان؟ فقال: إن ما نقوله هو أن النظرية شـيء والتطبيق شـيء آخر. الإسـلام بعيد عن معظـم مـا تقرؤونه، هنـاك من ينحون بدوافـع عدة إلى تطبيـق خاطئ لمفاهيم الإسـلام، على أن هـذا لا يعيب هؤلاء المطبقين، خاصـة وإن الإسـلام لا يقر ما تسـمونه بحزب الشيطان، صحيح أن هناك شبابًا متطرفًا، والله أعلم بالأسباب التي دعته إلى هذا التطرف، وإن كنت أرى أن الإجراءات التي تمت في السـجون المصرية لها ارتباط وثيق جدًّا بهذا التطرف المعروض الآن على الساحة المصرية، أعمال لا يتصـورها إنسان، ولا يتصورها إبليس نفسه، فما حدث في سجون (٥٤ و٦٥) كانت رهيبة جدًّا، ويكفي أن تعلم أنهم أتوا بشقيقتي وعلى ملأ من الجنود والضـباط، وهي عارية تمامًا، وأنا مقيد بالجنازير، ماذا تفعل لو كنت مكاني في هذا؟ التطرف الحادث كما أقول ضمن أولى مسبباته ما حدث في هذه السجون.

أقول:

ما قاله الإمام لا نشك في صدقه، وقد علقنا على هذه الأمور في نادرة سابقة.

جاء في مجلة (الحوادث) في عددها ١٩٧٣/٦/٢٩م ما يلي:

حيث أفاد أن الفريق صلاح محسن، والفريق محمد فوزي، ومدير المخابرات العسكرية قد تجاهلوا، وأهملوا، وتهاونوا في إبلاغ إنذارات أربعة وُجّهت إليهم بتوقع الهجوم الإسرائيلي ذلك الصباح:

الإنذار الذي وجهه الرئيس عبدالناصر إلى القوات المسلحة يوم ١٩٦٧/٦/٢م.

الإنذار الذي وجهه آمر مخابرات العريش الساعة ٢٣:٣٠ من مساء يوم ١٩٦٧/٦/٤م. عن توقع الهجوم البري للعدو صباح اليوم التالي؛ أي قبل الهجوم الفعلي بست ساعات.

الإنذار الموجه من قيادة سيناء إلى القيادة العامة في القاهرة ببدء الهجوم البري قبل الغارات الجوية بنحو ساعة ونصف.

الإشارة الموجهة إلى القيادة العامة من رادار عجلون في الأردن بإقلاع طائرات العدو في اتجاه مصر، وقد وصلت هذه الإشارة قبل نصف ساعة من وقوع الهجوم، وهي مدة كافية- كما قال المرحوم الفريق عبدالمنعم رياض- لتمكين المقاتلات المصرية من ملاقاة الطائرات المغيرة.

إن هذه الإنذارات الأربعة لو أُبلغت في الحال إلى القيادات العسكرية البرية والجوية لتغيّرت وجهة المعركة كليًّا، ولكنها اختفت، وضاعت، ولم ينكشف أمرها إلا في أثناء المحاكمات التي جرت في مصر بعد الهزيمة، حتى جاء حسين الشافعي نائب رئيس جمهورية مصر العربية ليعلن في محاضرة له بجمعية الشبان المسلمين في القاهرة قوله: «انقلوا على لساني أن الجيش المصري لم يحارب في

معركـة ١٩٦٧م، بل هُزم بسـبب الإهمال والخيانة، وأقول الخيانة واضـعًا تحتها عشرة خطوط».

٨٥٣ العوني وعبيد الرشيد

حدثني والدي قدّس الله روحه قال: عبدالله العوني والد الشـاعر المشـهور رجلٌ ذو نكتة وروح خفيفة، وهو من أمهر البناة للبيوت وقصور الطين، وكان ذات يوم يبني قصرًا عند الأمير محمد بن الرشيد، ويضع فتحات للرماة من الداخل، فوقـف عليه الأمير محمد وحيّاه، فردّ التحية، ثـم نظر الأمير إلى الجدار، فقال له: الجدار قصير على السلم، فقال بعفوية: تكذب، فغضب الأمير، وأمر بإحضار السـلم فورًا، ووضـع على الجدار، فزاد عليه، والتفت الأمير إليه قائلًا: أكذب؟! فقـال له علـى الفور: أكـذب أنا يا الأمير، وضـحك منه. وفي المسـاء على مائدة العشاء التفت إليه الأمير الشاعر عبيد العلي، وقال: هاه يا أستاذ؟

ليتك حضرتن يوم زوغات الأذهان　　السيف في يمناي والدرع فوقي

ورد العوني قائلًا: لا، يا ذخري لن أحضر إن شاء الله إلا على هذه الصحفة.

يقول والدي: وصلوا ذات يوم صلاة الخسوف، حيث خُسف القمر، وذلك في قرية الربيعية، وأطال الإمام القراءة، ثم سـلم، وقال: انظروا هل انجلى ما على القمر؟ قالوا: لا، فصـلوا ثانية، وأطال الإمام، ثم سلم، وقال: انظروا، وبدا على العوني التعب، فقال: تكفينا نجيماتنا، وانصرف. يرحم الله الجميع.

٨٥٤ غضب للأرض

حدثني الصـديق الأسـتاذ محمد العلي السـويح قال: حدثه من يثق به قال: كنت أسـكن قرب مقبرة، ذات ليلة سمعت صوت صياح، وكذبت سمعي، وفي الليلة

الثانية تكرر الصوت من جانب المقابر، وقد استمرت الحال بشكل مزعج لا يدعني أنام، فتوضأت، وتطهرت، وعزمت على أن أمشي جهة الصوت، فحين سمعته ذهبت جهته، وإذا بي أمام قبر أسمع صاحبه يقول: قل لأولادي يردوا الأرض إلى أهلها، فاسترجعت إلى الخلف، وفي الصباح ذهبت أسأل عن صاحب القبر؟ فدللت عليه، وأخبرت أولاده بما حدث، فردّوا الأرض إلى صاحبها، وهدأ الصوت.

يقول الرجل: سألت أحد العلماء؟ فقال: هذه منّة من الله على صاحب القبر.

٨٥٥ الشركة العمياء

مصلحة الضرائب في أمريكا تأخذ عينة عشوائية بواقع واحد من كل عشرة آلاف لتحري صدق المعلومات التي فيه؛ لأنه لا يمكن رد جميع الإقرارات ومناقشاتها واحتمال رد إقرار المواطن العادي، أو أن تحقق معه مصلحة الضرائب وهو واحد من عشرة آلاف إلا مواطن واحد في أمريكا هو الرئيس نفسه، فلا يتساهل في أمره ولا بد من مناقشته والتحري عنه وإثبات صحة ما ذكره من معلومات، هذا الرئيس البائس يناقشه مأمور الضرائب كل سنة، ويطالبه بمستندات، ويفتش، وينقب في أوراقه لعله يجد أنه أخفى دولارًا، فيخرب بيته وبيت البيت الأبيض. وقد نشرت التفاصيل هذا العام (١٤٠٦هـ) عن مداخيل الرئيس وزوجته كالآتي: مرتبه ١٠٠ ألف دولار، ويحق له مخصصات ٥٠ ألف دولار، و ٢٠٠ ألف دولار مصاريف سفر، و٢٠ ألفًا حفلات رسمية، وحصلت زوجته على ٧٧٢ دولارًا ثمن برامج تلفزيونية، وحصل من أملاكها ١١٥٩٦ فوائد ادخار، و١٨٨٢٧ ربح من بيع عقار، و٣٦٠٠ أجور أملاك، و٢٢٨٣٤ حقوق تأليف كتاب قبل العمل في الحكومة، ولم يؤلفه وهو في السلطة و٢٨٠ معاشه السابق في لكينورنيا. وأطرف ما عرف بمناسبة نشر الإقرار الضرائبي للرئيس هو تعبير الشركة العمياء؛ لأن

القانون يقضي أن يضع الرئيس فور انتخابه جميع أمواله وممتلكاته في شركة تتولى استثمارها دون أن يعرف أين تستثمر، فيشترون له أسهمًا في أي شركة، ولا يخطرونه بذلك، فلا يدري إلا في نهاية العام أنه كسب كذا أو خسر كذا احتياطي؛ لكيلا يعلم الرئيس أو الموظفون على تربيح الشركات المسهم فيها سيادته، مصلحة الضرائب وحدها هي التي تعلم. ألا يذكرنا ذلك بخليفتنا الراشد عمر بن الخطاب على حظر ابنه بالعمل على تجارة الجمال؛ حتى لا يقوم الناس تنحو لجمال ابن أمير المؤمنين، فتسمن إبلك، وتجوع جمال الناس. آه يا ابن الخطاب، أصبحت عندهم الشركة العمياء وعندنا الدولة والذمة عمياء. عن جريدة الوفد المصرية عدد ٢٧/١٠/١٤٠٦هـ.

٨٥٦ ابن سعود وأهل القصيم

حدثني الأمير الوقور عبدالله الفيصل الفرحان آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان صديقًا لوالدي قال: حدثه الوجيه المرحوم فهد العلي الرشودي قال: اشتد الأمر على أهل القصيم في أثناء معارك الإمام عبدالعزيز بن سعود مع خصمه الكبير الأمير عبدالعزيز بن متعب آل رشيد، ومعروف أن كبرى المعارك حصلت في القصيم، مثل معركة البكيرية، ومعركة الشنانة، ومعركة روضة مهنا، وما قبلها وما بعدها. يقول الرشودي: وأحس الملك في عبقرية نادرة ما يجول في بعض النفوس من التململ، وأراد أن يشد أزر القوم بأن يقودهم بقلوبهم، وليس بأبدانهم فقط، وأراد الإعذار وتبيين الأمر لهم بأنه ليس في مصلحتهم أن يتركهم الإمام، ويتولى عليهم الأمير الصارم، وقال لهم بالحرف الواحد: يا أهل القصيم، أنا أحبكم، ولا أضمر لكم إلا كل خير، وقد رأيت ما فعلت الحروب بنا وبكم وأنا لا أكرهكم على الحروب، وأود والله الصلح بيني وبين هذا الرجل، يعني الأمير ابن رشيد، فأنا عازم على الرحيل، وابعثوا من تثقون به منكم ليكلم الأمير عبدالعزيز بن رشيد، فإن رحل، وترككم فهذا والله خير لنا جميعًا، يذهب إلى

جبل شمر، وأذهب إلى الرياض، وأنتم أحرار في بلدكم. يقول الأمير: إن الرشودي قال له: لقي هذا الاقتراح من الإمام عبدالعزيز قبولاً في النفوس، وفعلاً أرسلوني مندوبًا لأكلم ابن رشيد في هذا الموضوع، وذهبت إليه وكان معسكرًا قرب قصر ابن عقيل بعد معركة الشنانة، وعند وصولي إليه- والكلام للرشودي- قال: ماذا تريد يا فهد الرشودي؟ يقول محدثي الأمير عبدالله: وفهد الرشودي هذا في القمة ذكاءً وعقلاً ودينًا وشجاعة، حتى إن الملك عبدالعزيز قال عنه: لو وجد عشرة مثل هذا الرجل لأصلحت بهم نصف العالم- نعود لابن رشيد يقول فهد: قلت له: أيها الأمير، نريد منك أن تضع الحرب عنا، ويضع ابن سعود الحرب كذلك، وكلٌّ يبقى في بلده، يقول الرشودي: أصغِ إليَّ، ثم زمجر قائلاً: تبقى لي بلدة جبه يا بعد حيي لينسحب عنكم ابن سعود، وأبقى أنا، قلت: أخشى أن أهل القصيم لا يريدون ذلك، فصاح: هذا رأيك فقط، فتوعدني وحدي، وتوعد أهل القصيم، ولولا أن الرسل لا تقتل لقتلني، وقمت من عنده، وأنا مرعوب وهو يقول لي: والله لو أن الله ولاني عليكم لأفعل كذا وكذا. ولما عدت إلى الإمام عبدالعزيز قال: ما عندك يا فهد؟ قلت: أريدك على انفراد، قال: لا، قل ما عندك لقومك علنًا، فالأمر يهمكم أنتم يا أهل القصيم، قبلي. وأخبرت الجميع بما سمعت، ورأيت، ثم قال عبدالعزيز: هاه يا للمسلمين؟ فقالوا بصوت واحد: الآن جد الجد وأنت يا عبدالعزيز ونحن معك على السراء والضراء. وعزموا على الحرب بجهد مضاعف في دفع الرجال والأموال حتى تم لهم ما أرادوا. وهذا ما يريد عبدالعزيز وما كان يتوقع حدوثه، وليعلم هذا الجيل كيف كان الأهل قبل عقود قليلة من الزمان.

٨٥٧ أحسن الأصدقاء

قال الأحنف: الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات، فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك، وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا في أخيك التقصير، ويقول الشاعر:

وجدتُ مصيباتِ الزمانِ جميعَها   سِوى فرقةِ الأحبابِ هينةَ الخطبِ

وقال الفضيـل: إنما تقاطع الناس بالتكلف، يزور أحدهم أخاه، فيتكلف له، فيقطعه ذلك عنه.

٨٥٨ أدب المجلس

لا تشبك أصابعك، ولا تعبث بلحيتك وخاتمك، ولا تخلل أسنانك، ولا تدخل إصبعـك في أنفـك، ولا تبصق، ولا تتنخـم، ولا تتثاءب، وأصـغِ إلى محدثك، ولا تسألـه الإعادة، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا خادمك ولا تأليفك، ولا تتزين تزين المرأة، ولا تتبذل تبذل السخيف، ولا تلح في الحاجات، ولا تخبر بقدر مالك، فإن كان قليلًا هنت في نفوسهم، وإن كان كثيرًا سألوك ما لا تستطيع قضاءه.

٨٥٩ الكبر والحرص

دخل عون بن عبدالله على الفضل بن المهلب، وكان يومئذ على واسط، فقال: إني أريد أن أعظك بشيء، فقال: وما هو؟ قال: إياك والكبر؛ فإنه أول ذنب عصي الله بـه، ثم قرأ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾[البقرة: ٣٤]، وإيـاك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة، أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السمـاوات والأرض، يأكل منهـا إلا شجرة واحـدة نهاه الله عنها، فـأكل منها، فأخرجـه الله تعالى منها، ثم قـرأ: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا﴾ [طه: ١٢٣]. وإياك والحسد، فإنمـا قتل ابن آدم أخاه حين حسده، وإذا ذكر أصحاب رسول الله فأمسك، وإذا ذكر القدر فأمسك، وإذا ذكرت النجوم فأمسك.

٨٦٠ المسيء سيكفيكه إساءته

قال بكر بن عبدالله المزني: كان رجل يغشى بعض الملوك، فيقوم بحذاء الملك، فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه، فإن المسيء سيكفيكه إساءته. فحسده رجل على ذلك المقام والكلام، فسعى به إلى الملك، فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك، ويقول ما يقول، زعم أن الملك أبخر، فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك، فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه؛ لئلا يشم ريح البخر، فقال له: انصرف حتى أنظر، فخرج من عند الملك، فدعا الرجل إلى منزله، فأطعمه طعامًا فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده، وقام بحذاء الملك على عادته، فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه إساءته، فقال له الملك: ادنُ مني، فدنا منه، فوضع يده على فمه؛ مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلانًا إلا قد صدق؟ قال: وكان الملك لا يكتب بخطه إلى عامل من عماله: إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحشُ جلده تبنًا، وابعث به إليّ!! فأخذ الكتاب، وخرج، فلقيه الرجل الذي سعى به، فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك لي بصلة، فقال: هبه لي، قال: هو لك، فأخذه، ومضى به إلى العامل، فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك، قال: إن الكتاب ليس لي، فالله الله في أمري حتى تراجع الملك، قال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه، وحشا جلده تبنًا، وبعث به، ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته، وقال مثل قوله، فعجب الملك، وقال: ما فعل الكتاب؟ قال: لقيني فلان، فاستوهبه مني، فوهبته له، قال له الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر، قال: ما قلت ذلك، قال: فلِمَ وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنه أطعمني فيه ثومًا، فكرهت أن تشمه، قال: صدقت، ارجع إلى مكانك، فقد كفى المسيء إساءته.

٨٦١ جوائز الأمراء

قال ابن المبارك: إن الذين يأخذون الجوائز اليوم، ويحتجون بابن عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما يقتدون بهما؛ لأن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين ألفًا، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فعلت مثل ذلك، وجابر بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاءه مال، فتصدق به، قال: رأيت أن آخذه منهم، وأتصدق أحب إليَّ من أن أدعها في أيديهم. وهكذا فعل الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بما قبله من هارون الرشيد، فإنه فرقه على قرب، حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة.

٨٦٢ المرأة والطوفان

قيل في أخبار الطوفان: إن امرأة حملت ولدًا صغيرًا مرضعًا، ولم يكن في القوم من الأطفال غيره، فلما ارتفع الماء حملت ابنها على عنقها، وهربت، وصعدت به إلى جبل عالٍ لتعتصم به من الماء، فلما غشيها الماء حملت ابنها على عنقها، فلما بلغ الماء إلى فمه رفعته بيدها إلى أعلى رأسها، فلما غمرها الماء جعلته تحت رجليها، ووقفت عليه ساعة، فطلبت النجاة قدر نفس، ثم غرقا جميعًا، فأوحى الله إلى نوح لو كنت أرحم أحدًا من قومك لرحمت تلك المرأة وولدها، فصارت الواقعة هذه مثلًا، فيقال: إذا وقع الطوفان يضع الإنسان ولده تحت رجليه. قال الكسائي: اختلف جماعة من العلماء في مقدار مكث الماء على الأرض، فمنهم من قال: مكث على وجه الأرض ستة أشهر، ومنهم من قال: مئة وخمسين يومًا، وبعد ذلك أوحى الله إلى الأرض: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤] ويروى أن الجودي جبل بالقرب من الموصل، فاستقرت السفينة عليه.

٨٦٣ الدكاترة زكي مبارك والقاهرة

كتب الدكاترة زكي مبارك يصف القاهرة وما بها من نزعات، وذلك بأسلوبه الساخـر منذ نصف قـرن يقول: القاهرة مدينة خطرة جـدًّا، فيها يشتبك الجد والهزل، ويصطرع الهدى والضـلال، وفي القاهرة طوائف من المغفلين، وطوائف من المحنكين، ويكفي أن يكون بها الأزهر والجامعة المصرية. في القاهرة أقطاب الملحديـن وأقطاب المؤمنين، وفي القاهرة خلفاء حسـن البصري وخلفاء إبليس، في القاهـرة أتباع القرآن والتوراة والإنجيل، في القاهرة أبناء الآخرة والموعودون بالنعيم والجحيم، في القاهرة أحياء باريسية، وأحياء بغدادية، وأحياء دمشقية، فيهـا منازل لا يدخلها الفأر بسبب النعمة، ومنازل لا يدخلها الفأر بسبب الجوع، في القاهرة ناس يموتون من الظمأ، وناس يموتون من الشراب، في القاهرة خدود تجرحهـا خطـرات النسيم، وفيهـا وجوه تعجز عـن لفحها النـيران، ومن الذي يصـدق أن إبليسـ يقف مبهوتًا أمـام حيل الفجور في القاهـرة؟ تنظر في شوارع القاهـرة، فترى شيخًا يهطع لإلقاء عظة في مسجد، وترى فتى متأنقًا يمضي إلى موعـد غرام، وترى رجلًا يحمل أوراقه ليناقش الميزانية في مجلس النواب، وترى فتـاة تصاولك بعينين مصوغتين من السحر الحرام أو الحلال. (عن كتاب ليلي المريضـة بالعراق بتصرف). وسمـي الدكاترة؛ لأنه حاز علـى شهادات دكتوراه عدة في موضوعات عدة.

٨٦٤ العمرية

قصيـدة قالها حافظ إبراهيم في الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ويَعُدّها النقـاد مـن أعظم ما قيـل في سيرة الرجل الـذي يعد من مفاخر ديـن الإسلام ومـن أعظم ما أنجب الإسلام من الرجال، بل أعظمهم على الإطلاق بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصدّيـق، ولعـل القـارئ الذي لم يطلع على سـيرة الخليفة أن

يرجـع إليهـا في مصدرها ويسهل عليه فهم بعض ما ورد في الأبيات من تفاصيل، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حسبُ القوافي وحسبي حينَ أُلقيها ... أنّي إلَى ساحةِ الفاروق أُهديها
فمر سري المَعاني أنْ يُواتيني ... فيها فإنّي ضعيفُ الحالِ واهيها
مولى المغيرةِ لا جادتْكَ غاديةٌ ... مِنْ رحمةِ اللهِ ما جادتْ غَواديها
مزقت منه أديمًا حشوُه هممٌ ... في ذمةِ اللهِ عاليها وماضيها
طعنتَ خاصرةَ الفاروقِ منتقمًا ... مِنَ الحنيفةِ في أعلَى مجاليها
فأصبحَتْ دولةُ الإسلامِ حائرةً ... تشكو الوجيعةَ لمّا ماتَ آسيها
مضى وخلّفها كالطودِ راسخةً ... وزانَ بالعدلِ والتَّقوى مَغانيها
تنبو المعاولُ عنها وهيَ قائمةٌ ... والهادمونَ كثيرٌ في نَواحيها
واهًا على دولةٍ بالأمسِ قد ملأتْ ... جوانبَ الشرقِ رغدًا في أياديها
واللهِ ما غالَها قدمًا وكادَ لها ... واجتثَّ دوحتَها إلا مواليها
لو أنَّها في صميمِ العربِ ما بقيتْ ... لمّا نَعاها على الأيامِ ناعيها
يا ليتَهم سَمعوا ما قاله عمرٌ ... والروحُ قد بلغتْ منه تَراقيها
لا تُكثروا مِنْ مواليكم فإنَّ لهم ... مطامعًا بَسَماتُ الضعفِ تُخفيها
رأيتُ في الدينِ آراءً موفقةً ... فأنزلَ اللهُ قرآنًا يُزكيها
قد كنتَ أعدى أعاديها فصرتَ لها ... بنعمةِ اللهِ حصنًا مِنْ أعاديها
خرجتَ تبغي أذاها في مُحمدِها ... وللحنيفةِ جبارٌ يُواليها
فلم تكدْ تسمعُ الآياتِ بالغةً ... حتّى انكفأتَ تُناوي مَنْ يُناويها
سمعتَ سورةَ طه مِنْ مُرتِّلها ... فزلزلتْ نيةً قدْ كنتَ تَنويها
وقلتَ فيها مقالًا لا يُطاولُه ... قولُ المحبِّ الذي قد باتَ يُطْريها

ويوم أسلمتَ عزَّ الحقُّ وارتفعتْ   عنْ كاهلِ الدينِ أثقالًا يُعانيها

فأنتَ في زمنِ المختارِ منجدُها   وأنتَ في زمنِ الصديقِ مُنجيها

كم استراكَ رسولُ اللهِ مغتبطًا   بحكمةٍ لكَ عندَ الرأي يُلقيها

وموقفٌ لكَ بعدَ المُصطفى افترقتْ   فيه الصَّحابةُ لمّا غابَ هاديها

بايعتَ فيه أبا بكرٍ فَبايعَه   علَى الخلافةِ قاصيها ودانيها

وأطفئتْ فتنةٌ لولاكَ لاستعرتْ   بينَ القبائلِ وانسابتْ أَفاعيها

باتَ النبي مسجًى في حظيرتهِ   وأنتَ مستعرُ الأحشاءِ داميها

تهيمُ بينَ عجيجِ الناسِ في دهشٍ   منْ نبأةٍ قدْ سَرى في الأرضِ ساريها

تصيحُ: منْ قال نفسُ المصطفى قبضتْ   علوتُ هامتَه بالسيفِ أبريها

أنساكَ حبُّكَ طه أنه بشرٌ   يُجري عَليه شؤونُ الكونِ مُجريها

وأنه واردٌ لا بدَّ موردها   منَ المنيةِ لا يُعفيه ساقيها

فللسقيفةِ يومٌ أنتَ صاحبُه   فيه الخلافةُ قدْ شيدت أواسيها

مدتْ لها الأوسُ كفًّا كي تناولَه   فمدّتِ الخزرجُ الأَيدي تُباريها

وظنَّ كلُّ فريقٍ أنَّ صاحبَهم   أولَى بها وأَتى الشحناءَ آتيها

حتى انبريتَ لهم فارتدَّ طامعُهم   عنْها وآخى أبوبكرٍ أَواخيها

كمْ خفتَ في اللهِ مضعوفًا دعاكَ به   وكمْ أخفتَ قويًّا يَنْثني تيِها

وفي حديثِ فتى غسانَ موعظةٌ   لكلِّ ذي نعرةٍ يأبَى تَناسيها

فما القويُّ قويًّا رغمَ عزّتِه   عندَ الخصومةِ والفاروقُ قاضيها

وما الضعيفُ ضعيفًا بعدَ حجتِه   وإنْ تخاصمَ واليها وَراعيها

وما أقلَّ أبا سفيانَ حينَ طوَى   عنكَ الهديةَ معتزًّا بمهديها

لم يغنِ عنه وقدْ حاسبته حسبٌ   ولا معاويةٌ بالشامِ يَجبيها

قيد منه جليلاً شابَ مفرقُه ... في عزةٍ ليسَ مِنْ عزٍّ يُدانيها

قد نوَّهوا باسمه في جاهليته ... وزاده سيدُ الكونينِ تنويها

في فتحِ مكةَ كانتْ دارُه حرمًا ... قد أمّنَ اللهُ بعدَ البيتِ غاشيها

وكل ذلكَ لم يشفعْ لدى عمرٍ ... في هفوةٍ لأبي سفيانَ يأتيها

تاللهِ لو فعلَ الخطابُ فعلتَه ... لما ترخصَ فيها أو يُجازيها

وتلكَ قوةُ نفسٍ لو أرادَ بها ... شمَّ الجبالِ لما قرَّتْ رَواسيها

سلْ قاهرَ الفرسِ والرومانِ هلْ شفعتْ ... له الفتوحُ وهل أغنَى تَواليها

غزى فأبْلى وخيلُ اللهِ قد عقدتْ ... باليمنِ والنصرِ والبشرى نَواصيها

ما وَاقَعَ الرومَ إلا فرّ قارحُها ... ولا رمى الفرسَ إلا طاشَ راميها

وخالدٌ في سبيلِ اللهِ موقدُها ... وخالدٌ في سبيلِ اللهِ صاليها

أتاه أمرُ أبي حفصٍ فقبّله ... كما يقبلُ آيَ اللهِ تاليها

واستقبلَ العزلَ في إبانِ سطوتِه ... ومجدُه مستريحُ النفسِ هاديها

فاعجبْ لسيدِ مخزومٍ وفارسِها ... يومَ النزالِ إذا نادَى مُناديها

يقودُه حبشيٌّ في عمامتِه ... ولا تحركَ مخزومٌ عواليها

ألقى القيادَ إلى الجراحِ ممتثلا ... وعزةُ النفسِ لم تجرحْ حَواشيها

وانضمَّ للجندِ يمشي تحتَ رايتِه ... وبالحياةِ إذا مالتْ يفدِّيها

فخالدٌ كانَ يدري أنَّ صاحبَه ... قد وجهَ النفسَ نحوَ اللهِ توجيها

لذاكَ أوصَى بأولادٍ له عمرًا ... لّما دعاه إلى الفردوسِ داعيها

وما نهى عمرٌ في يومِ مصرعِه ... نساءَ مخزومٍ أنْ تبكي بَواكيها

وقيلَ فارقتَ يا فاروقُ صاحبَنا ... فيه وقدْ كانَ أعطى القوسَ باريها

فقالَ: خفت افتتانَ المسلمينَ به ... وفتنةُ النفسِ أعيتْ منْ يُداويها

تاللهِ لم يتَّبعْ في ابنِ الوليدِ هوى ... ولا شفَى غلّةً في الصدرِ يطويها

لكنَّه قدْ رأى رأيًا فأتبعَه ... عزيمةٌ منه لَمْ تثلمْ مَواضيها

وما أصابَ ابنه والسوطُ يأخذُه ... لديه من رأفةٍ في الحدِّ يُبديها

شاطرت داهيةَ السواسِ ثروته ... ولم تخفْه بمصرٍ وهوَ واليها

وما في ابنِك عبدِالله أنيقُه ... لمّا اطلعتَ عليها في مَراعيها

رأيتَها في حِماه وهيَ سارحةٌ ... مثلُ القصورِ قد اهتزتْ أَعاليها

فقلتَ: ما كانُ عبدُالله يشبعُها ... لو لم يكنْ ولدي أو كانَ يرويها

قد استعانَ بِجاهي في تجارته ... وباتَ باسمِ أبي حفصٍ يُنمّيها

ردّوا النياقَ لبيتِ المالِ إنَّ له ... حقَّ الزيادةِ فيها قبلَ شاريها

جنى الجمالُ على نصرٍ فغرَّبه ... عن المدينةِ تَبكيه ويَبكيها

وكم رمتْ قسماتُ الحسنِ صاحبَها ... وأتعبتْ قصباتُ السبقِ حاويها

كانتْ له لمةٌ فينانةٌ عجبٌ ... على جبينٍ خليقٍ أن يُحلِّيها

وكانَ أنى مشَى مالتْ عقائلُها ... شوقًا إليه وكادَ الحسنُ يُسبيها

هتفنَ تحتَ الليالي باسمِه شغفًا ... وللحسانِ تمنٍّ في لَياليها

فصحتَ فيه: تحولْ عنْ مدينتِهم ... فإنَّها فتنةٌ أخشَى تَماديها

وراعَ صاحبَ كسرى أنْ رأى عمرًا ... بينَ الرعيةِ عطلًا وهوَ راعيها

عهدُه بملوكِ الفرسِ أنَّ لها ... سورًا منَ الجندِ والأحراسِ يَحميها

رآه مستغرقًا في نومِه فرأى ... فيه الجلالةَ في أسمى مَعانيها

وقالَ قولةَ حقٍّ أصبحتْ مثلًا ... وأصبحَ الجيلُ بعدَ الجيلِ يَرويها

أمنتَ لمّا أقمتَ العدلَ بينهمُ ... فنمتَ نومَ قريرِ العينِ هانيها

يا رافعًا رايةَ الشورى وحارسَها ... جزاكَ ربُّك خيرًا عنْ مُحبيها

لم أنسَ أمـرَك للمقدادِ يحملُه إلـى الجمـاعـةِ إنـذارًا وتَنبيـهـا

إنْ ظلَّ بعدَ ثلاثٍ رأيُهم شعبًا فجرد السيفَ واضربْ في هواديها

يا مَنْ صدفتَ عن الدُّنيا وزينتِها فلمْ يغرَّك من دنياكَ مُغريها

ماذا رأيتَ ببابِ الشامِ حينَ رأوا أنْ يُلبسوكَ من الأثوابِ زاهيها

ويركبوكَ على البرذونِ تقدمُه خيلٌ مطهمةٌ تَحْلو مرائيها

فصحتَ يا قومُ كادَ الزهوُ يقتلُني وداخلتْني حالٌ لستُ أَدريها

ردُّوا ركابي فَلا أَبغي به بدلًا ردُّوا ثيابي فحَسبي اليومَ باليها

ومنْ رآه أمامَ القدرِ منبطحًا والنارُ تأخذُ منه وهو يُذكيها

وقدْ تخللَ في أثناءِ لحيتِه منها الدخانُ وفوه غابَ في فيها

رأى هناكَ أميرَ المؤمنينَ على حالٍ تروعُ لعمرُ اللهِ رائيها

يستقبلُ النارَ خوفَ النارِ في غدِه والعينُ منْ خشيةٍ سالتْ مآقيها

إنْ جاعَ في شدةٍ قومٌ شركتَهم في الجوعِ أو تنْجَلي عنهمْ غواشيها

جوعُ الخليفةِ والدنيا بقبضتِه في الزهدِ منزلةٌ سبحانَ مُوليها

فمَنْ يباري أبا حفصٍ وسيرتَه أو مَنْ يحاولُ للفاروقِ تَشْبيها

يومَ اشتهتْ زوجُه الحلوى فقالَ لَها: منْ أينَ لي ثمنُ الحلوى فأَشْريها

لا تمتطي شهواتِ النفسِ جامحةً فكسرةُ الخبزِ عنْ حلواكِ تَجزيها

وهلْ يفي بيتُ مالِ المسلمينَ بما تُوحي إليكِ إذا طاوعتِ مُوحيها

قالتْ لكَ اللهُ إنّي لستُ أرزؤُه مالًا لحاجةِ نفسٍ كنتُ أَبغيها

لكنْ أجنبُ شيئًا منْ وظيفتنا في كلِّ يوم على حالٍ أُسوِّيها

حتّى إذا ما ملكْنا ما يُكافئُها شريتَها ثمَّ إنِّي لا أُثنيها

قالَ اذهبي واعلَمي إنْ كنتِ جاهلةً أنَّ القناعةَ تغني نفسَ كاسيها

وأقبلتْ بعدَ خمسٍ وهيَ حاملةٌ ... دريهماتٍ لتقْضي منْ تَشهِّيها

فَقالَ نبَّهتِ منّي غافلاً فَدَعي ... هذي الدراهمَ إذْ لا حقَّ لي فيها

ويلي علَى عمرٍ يرضَى بمُوفيةٍ ... على الكفافِ وينهَى مُستزيديها

ما زادَ عنْ قوتنا فالمسلمونَ به ... أولى فقومي لبيتِ المالِ ردّيها

كذاكَ أخلاقُه كانتْ وما عهدتْ ... بعدَ النبوة أخلاقٌ تُحاكيها

في الجاهليةِ والإسلامُ هيبتُه ... تُثني الخطوبَ فَلا تَعدو عواديها

في طيِّ شدتِه أسرارُ مرحمةٍ ... تُثني الخطوبَ فَلا تَعدو عواديها

وبينَ جنبَيْه في أوفَى صرامته ... فؤادُ والدةٍ ترعَى ذَراريها

أغنتْه عنِ الصّارمِ المصقولِ درتُه ... فكمْ أخافتْ غويَّ النفسِ عاتيها

كانتْ له كعصا موسَى لصاحبِها ... لا ينزلُ البطلُ مجتازًا بواديها

أخافَ حتّى الذَّراري في ملاعبِها ... وراعَ حتّى الغواني في مَلاهيها

أَأريتَ تلكَ التي لله قدْ نذرتْ ... أنشودةً لرسولِ الله تَهديها

قالتْ: نذرتُ لئنْ عادَ النبيُّ لنا ... منْ غزوةٍ لعلَى دُفّي أُغنيها

ويممتْ حضرةَ الهادي وقدْ ملأتْ ... أنوارُ طلعتِه أرجاءَ ناديها

واستأذنتْ ومشتْ بالدُّفِّ واندفعتْ ... تُشجي بألحانها ما شاءَ مُشجيها

والمصطفى وأبوبكرٍ بجانبِه ... لا ينكرانِ عَليها منْ أَغانيها

حتّى إذا لاحَ منْ بعدٍ لَها عمرٌ ... خارتْ قُواها وكادَ الخوفُ يُرْديها

وخبّأتْ دفَّها في ثوبِها فَرَقًا ... منْه وودَّتْ لَوَ انَّ الأرضَ تَطويها

قدْ كانَ حِلمُ رسولِ الله يُؤْنِسها ... فجاءَ بطشُ أبي حفصٍ يُخشّيها

فقالَ مهبطُ وحيِ الله مبتسمًا ... وفي ابتسامته معنًى يُواسيها

قدْ فرَّ شيطانُها لمّا رأى عمرًا ... إنَّ الشياطينَ تخشى بأسَ مُخزيها

وفتيةٌ ولعوا بالراحِ فانتبذُوا ... لهمْ مكانًا وجدُّوا في تَعاطيها
ظهرتَ حائطَهم لما علمتَ بهمْ ... والليلُ معتكرُ الأرجاءِ ساجيها
حتّى تبينتَهم والخمرُ قدْ أخذتْ ... تعلو ذُؤابةَ ساقيها وَحاسيها
سفهتَ آراءَهم فيها فَما لَبثوا ... أنْ أوسعوكَ عَلى ما جئتَ تَسْفيها
ورمتَ تَفْقيهَهم في دينِهم فَإذا ... بالشَّربِ قد بَرَعوا الفاروقَ تَفقيها
قالوا: مكانَك قدْ جِئنا بواحدةٍ ... وجئتَنا بثلاثٍ لا تُباليها
فأتِ البيوتَ منَ الأبوابِ يا عمرُ ... فقد يُزنُّ منَ الحيطانِ آتيها
واستأذنِ النّاسَ أن تَغْشى بيوتَهُمُ ... ولا تلمَّ بدارٍ أو تُحيّيها
ولا تجسسْ فهذي الآيُ قد نزلتْ ... بالنَّهي عنه فلمْ تذكرْ نَواهيها
فعدتَ عنهم وقد أكبرتَ حجتَهم ... لما رأيتَ كتابَ اللهِ يُمليها
وما أنفتَ وإنْ كانُوا على حرجٍ ... من أنْ يحجَّك بالآياتِ عاصيها
ودوحةٌ في سماءِ السرحِ قدْ رفعتْ ... بيعةَ المُصطفَى منْ رأسِها تِيها
أزلتَها حينَ غالُوا في الطوافِ بِها ... وكانَ تطوافُهم للدينِ تَشْويها
هذي مناقبُه في عهدِ دولتِه ... للشاهدينَ وللأعقابِ أَحكيها
في كلِّ واحدةٍ منهنَّ نابلةٌ ... منَ الطبائعِ تغذو نفسَ واعيها
لعلَّ في أمةِ الإسلامِ نابتةً ... تَجلو لحاضرِها مرآةَ ماضيها
حتى ترى بعضَ ما شادتْ أوائلُها ... منَ الصروحِ وَما عاناهُ بانيها
وحسبُها أنْ تَرى ما كانَ منْ عمرٍ ... حتّى يُنبهَ منها عينَ غافيها

٨٦٥ جائزة نوبل والعرب

قال الشيخ محمد الغزالي تغمده الله برحمته: المسؤولون عن جائزة نوبل يبحثون في أرجاء العالم عن أكفأ رجل لنيل هذه الجائزة الرفيعة في شتى الفروع العلمية والأدبية التي تقررت لها. ولا يدور في خلدهم أي بحث عن إيمان الرجل أو إلحاده إذا كان بارزًا، من الناحية الفنية، ولذلك لم يترددوا في منح جائزتهم إلى الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر، مع أنه جريء الكفر منكور السيرة. والمفاجأة التي وقعت أن سارتر رفضها بكبرياء؛ لأنه يزدري نوبل ومؤسسته، ويحيا وفق قيم أخرى ليست موضع حديثنا، وقد تتدخل معانٍ ذات بال في سوق الجائزة إلى قوم آخرين، فقد نالتها الراهبة تريزا أكبر داعية للنصرانية في الهند لأعمالها الاجتماعية الجليلة، وأرى أنها جديرة بها، ولا ريب أنها وجهت قيمتها المادية إلى أعمال البر التي تشرف عليها.

ونال الجائزة مناحم بيجن أستاذ إسحاق شامير، وكلا الرجلين يؤمن أن اليهود مُلّاك العالم وملوكه وسادة العرب وأصحاب الأرض التي يعيشون عليها، وهي فلسفة تشبه فلسفة قطاع الطرق، وهم يقومون بالسلب والنهب، ويجتاحون إلى حقوق الآخرين بما أتيح لهم من قوة، أما أنور السادات فله شأن آخر لا نذكره هنا.

وقد نال الجائزة أخيرًا الأستاذ نجيب محفوظ، وهو قصاص وروائي كبير، متمكن. والرجل ليس دون من نالوها من قبل، وقد يكون خيرًا منهم، ولكن لفت نظري أن من بين الأعمال التي رشحته لنيلها رواية (أولاد حارتنا) التي نشرت في الخمسينيات بصحيفة الأهرام. إن هذه الرواية هجوم على عقيدة الألوهية ورفض للوحي كله وإنكار ساخر لنبوات موسى وعيسى ومحمد، ونزعة علمانية تجعل الدين أوهامًا ومهازل.

وأذكــر أن الأستــاذ الشيخ محمد أبوزهــرة كتب تقريرًا ضافيًــا عنها، وأن الدكتــور أحمد الشرباصــي قام بالعمل نفســه، وإني كتبت تقريــرًا عن الرواية، والتقــت هذه التقارير عنــد الأستاذ حسن صبري الخولي الرقيــب العام يومئذ. وقد رجع إلى الرئيس جمال عبدالناصر، ثم صادر الرواية، ومنع تداولها تسكيتًا لثــورة المؤمنين. واليوم يتحدث البعض عن أبطال المصــادرة وإعادة النشر، وقد كنت أظن أن المؤلف وهو في العقد الثامن من عمره وفي رحلة العودة إلى الله يحب تــرك الرواية في مرقدها طارحًا ما فيها من أفكار، فهل أخطأت الظن؟ لا أدري. علــى أي حالة نحــن نقبل التحدي، وستكــون نتائجه مُرّة المــذاق في أفواه كثيرة. جريدة (المسلمون) يوم ٢٣ من ربيع الآخر ١٤٠٩هـ العدد (٢٠٠).

نقــول: هي جائزة شهرتها طبقــت الآفاق، هذا صحيح، ولكن منحت لبيجن مناصفــة مــع (أبو رغــال العصر الحديــث الســادات)، ومنحــت لسارتر زعيم الوجودية، ومنحت في كثير من الأحيان لأناس يخدمون اليهود أولًا، ولا أدل على أن المرشح مع نجيب هو أدونيس الذي يدعو إلى هدم كل شيء، حتى عقائد المسلمين تعرضــ لها علنًــا، نقول: مع الأســف إن جائزة الملك فيصل منحــت لشخصيات عربيــة ومصرية بالذات، ولم تسلــط عليهم الأضواء كما سلطت على نجيب على الرغــم من نزاهة الجائزة التــي منحت للأستاذ محمود شاكــر، والشيخ محمد قطــب، ولم نَرَ من الإعلام العربــي ولا (١٠٪) من الترحيب الذي لقيه محفوظ، والفــرق بين خدمة محفــوظ ومحمود شاكر ومحمد قطب مثــل الفرق بين الثرى والثريــا، فيما خدم الأول الأعداء، وخدم هؤلاء دينهــم وأمتهم، ولكن الغرب هو القوي ماديًــا، والعرب في موقع ضعف، والقاعدة تقول: إن الضعيف يحاول تقليد القوي ومتابعته، وهذه حقيقة ذكرها العلامة ابن خلدون في تاريخه، وهي تحصل في كل يوم وفي كل عصر، وقد لاحظت ذلك شخصيًّا في مجتمعاتنا الصغيرة.

٨٦٦ الطفل الذي ولد مرتين

جاء في جريرة (الشرق الأوسط) تاريخ (٧/٢/١٤٠٧هـ).

في عملية رائدة وجريئة أخرج الأطباء جنينًا من رحم أمه، وأجروا له جراحة لإنقاذ حياته، ثم أعادوه إلى الرحم، حيث قضى تسعة أسابيع أخرى ولد بعدها طفلًا، وهو الآن يقترب من عامه الأول في صحة جيدة. كان الجنين في الشهر الخامس من الحمل في رحم أم أمريكية من تكساس طلبت عدم الكشف عن هويتها، وأظهر الفحص الطبي آنذاك أن الجنين يعاني انسدادًا خلقيًّا في المسالك البولية، وذلك يُعدُّ مقدمة لتلف الكليتين ثم الوفاة، واتجه تفكير الأطباء في بداية الأمر إلى إجهاض المرأة، ولكن الدكتور مايكل هاريسون وزملاءه بجامعة كاليفورنيا في سان فرانسيسكو أجروا الجراحة التي تضمنت فتح الرحم، ثم إخراج الجنين وتسليك الانسداد، ثم إعادة الجنين إلى الرحم، وقد تم فتح الرحم بالجراحة القيصرية، وأُخرج الجنين دون فصله عن المشيمة. الجراحة التي أجريت قبل عام ظلت سرًّا كشف النقاب عنه ليلة أمس.

٨٦٧ سيهلك حسن أو الحسني أو الفرخ

حسن هو الأمير الشهير حسن المهنا أبا الخيل أمير القصيم في العقد الأول من القرن الرابع عشر والعقد الأخير من القرن الثالث عشر، والحسني هذا مزارع من ضواحي بريدة يشتهر بالدهاء والحيلة، والفرخ هو النخلة الصغيرة التي تقلع من النخلة الكبيرة لغرسها.

قلنا لحسن السليمان الحسن المهنا من قريتنا الربيعية وهو حفيد الأمير حسن: يا أبا صالح، ما قصة هذا المثل؟ قال: إن جده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد غرس نخل في روضة الربيعية، وربما غيرها، فأرسل بعض رجاله لشراء الغريس، وفعلًا اشتروا

له من عدة مزارعين عددًا من الغريس، ومن ضمنهم هذا المزارع الحسني، ولكنه بـاع على رجال الأمير فراخ فحول، وليسـ غريسًا، فعلم به بعض أصدقائه، فنهاه قائـلًا لـه: أما تخاف سطوة الأمـير؟ فقال بعفوية رحمهـم الله جميعًا: هذا أمير قادر، وأنا مزارع فقير سآخذ هذا المال، ولن يتبين له أنني خدعته إلا بعدما يطلع ثمـر النخل، وهذا على أقرب الفروض سيكون بعـد خمس سنوات، وفي هذه المدة سيموت الحسن، أو سيموت الحسني، أو سيموت الفرخ، بعدها يحلها الحلال رب العزة والجلال. وبعد أربع سنوات أو خمس اطلع النخل، وتبين أن الحسني خدعهم، واستدعاه الأمير، وفي مجلس الأمير قال: إن صدقتك تعفيني من العقوبة؟ قال له: نعم، قـال: هذه حساباتي، ولكن الله أخلف ظني، وأبقانا جميعًا. فضحك الأمير، وعفا عنه على ألا يعود لمثلها، فذهبت مثلًا مشهورًا في القصيم عندما يشتد الأمر على أحدهم، فيقول: «سيفرجها الله إما حسن وإما الحسني وإما الفرخ».

نقـل لي ابـن أخـي الأستاذ عبـدالله الفهد الزمـام احتجاج بعض أحفاد الحسنـي على رواية حفيد الأمير حسن، ويقولـون: إن حسن أراد أخذها غصبًا، وليسـت شراءً، وأن ليس في الأمر مزاحًا ونحـن هنا للأمانة التاريخية نعتذر من أحفاد الحسني، ونثبت رأيهم وروايتهم، وهذا من حقهم علينا.

٨٦٨ اختيار القادة

كتب مصطفى أمين في الشرق الأوسط يوم ١٤٠٧/٢/٢٥هـ ما يلي:

يجـب أن ندقق في اختيـار القادة، وليس كل من ينافقنـا هو عبقري زمانه، وليس كل من ينتقدنا جاهلًا وغبيًّا وخطرًا على الأمن والنظام.

الدكتور أحمد ماهر أفندي المدرس بمدرسة التجارة العليا لفت نظر الزعيم سعـد زغلول بمعارضته لـه في اجتماعات الحزب، واختاره وزيـرًا للمعارف، ولم

يلفت نظره إلى النواب الذين يصفقون، ويهتفون، ويحاولون أن يحملوا الزعيم على الأعناق. ويستر بينان النائب العمالي البريطاني كان ينكد الحياة على مستر إتلي زعيم الحزب بمقاطعته ومهاجمته، ومع ذلك اختاره وزيرًا في وزارته، وكان من أكفأ وزراء بريطانيا العظام. ولهذا نخطئ عندما نختار للوظائف المهمة الإمعات والأقزام والتافهين والمنافقين والهتافين والانتهازيين. وقد يصلح هؤلاء للزفة والسير في المواكب، ولكنهم لا يصلحون أبدًا لمناصب الخبراء والأعوان، وإذا هبت العاصفة كانوا أول الراكعين، وإذا قامت معركة كانوا أول الهاربين، وإذا حدثت أزمة كانوا في مقدمة المستسلمين. الأصفار لا يصلحون لإقامة دولة، ولا لإنشاء نهضة، ولا لقيادة شعب، القائد القوي المؤمن هو الذي يبعث الروح والحياة في المؤسسة التي يرأسها، هو الذي يوقظ النائمين، ويحرك الساكنين، وينهض القاعدين، هو الذي يوزع النجاح على كل من يعملون معه، ويتحمل وحده تبعة أخطاء الجميع، أستاذ عبقري واحد في كلية يستطيع أن يخرج جيلًا من النابغين، ومصنع يديره مهندس كفء قادر على أن يحول الخسائر إلى أرباح، ومزرعة يديرها زراعي ممتاز ممكن أن يتضاعف إنتاجها مرات عدة، واحذروا من الاعتماد على الأصفار، فإن مجموع ألف صفر هو صفر واحد كبير.

أقول:

وفعلها الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع أمير المجمعة عبدالله بن عسكر، وكان ابن عسكر معروفًا بقوة الشخصية ومعارضته للحكومة، ثم إنه ذهب لمقابلة الملك في بريدة بعد فتحها، وتوقع الناس أن يبطش به الملك، ولكنه قال له: يا هلا يا لقوماني، فردّ عليه ابن عسكر بقوله: يا هلا يا طمام، وطمام يعني النهر الجارف. قال: وفاؤك لعهدك مع ابن رشيد زاد من قيمتك عندنا، اذهب، فأنت أمير على بلدك. وفعلها الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع الكاتب المرحوم عبدالله عريف، وكان يكتب وينقد بعض الأنواع الخاصة بخدمات أم القرى، وجمع الملك رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاباته، واستدعاه، وقال: يا عبدالله، القول شيء والعمل شيء آخر،

هل تستطيع عمل ما تقول؟ قال: نعم، قال: اذهب فتسلّم عمل الأمانة من الغد، وفعلًا نجح العريف في عمله، وكان مضرب المثل، وسلمه الأمير ماجد يوم كان وزيرًا للبلديات شهادات تقدير. وفعلها قبل هؤلاء جميعًا صفوة خلق الله محمد بن عبدالله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم قال لأبي ذرّ: «**يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم**»[1]، وقال لشقيق خالد بن الوليد: «**إن لأخيك عقلًا لا يدله إلا إلى الخير، ولو أسلم لقدمناه على غيره**»[2]، وفعلًا أسلم، وقدمه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال عنه هذا «**سيف من سيوف الله**»[3]. وكان أمة وحده، وفعل الأفاعيل في ميزان الإسلام، ومصيبتنا في جميع بلدان العالم الثالث أن الرجل المناسب لا يوضع في المكان المناسب.

٨٦٩ ممن يؤخذ العلم

قال الإمام مالك: لا يؤخذ العلم من أربعة، ويأخذ ممن سوى ذلك: لا يؤخذ من سفيه معلن وإن كان أروى الناس، ولا يأخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على الأحاديث النبوية، ولا من صاحب هوى يدعو إلى بدعته، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إن كان لا يعرف ما يحدث به، ولقد أدركت بالمدينة أقوامًا لو استسقي بهم القطر لسقوا، وقد سمعوا من العلم والحديث شيئًا كثيرًا، وما أخذت عن واحد منهم؛ لأن زهدًا بلا معرفة ولا إتقان لا ينتفع به وليس هو بحجة، ولا يحمل عنهم العلم.

نقول:

رحم الله الإمام لو أدرك عصرنا هذا وكثرة فتاوى المجلات والجرائد، وأكثرها بغير علم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥٧/٣ رقم١٨٢٦).

(٢) لم أجده

(٣) أخرجه البخاري (١٤٣/٥ رقم٤٢٦٢).

٨٧٠ قوة حفظ الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

يقول: دخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة الفجر، فأتيت مسجد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرأيت مالك بن أنس مؤتزرًا ببردة متشحًا بأخرى، وهو يقول: حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر، فلما رأيت ذلك هبته الهيبة العظيمة، وجلست حيث انتهى المجلس، فأخذت عودًا من الأرض، فجعلت كلما أملى مالك حديثًا كتبته بريقي على يدي ومالك ينظر إلي من حيث لا أعلم حتى انفض المجلس، وجلس مالك ينتظر العشاء من المغرب، ولم يرَني انصرفت فيمن انصرف، فأشار إلي بيده، فدنوت منه، فنظر إلي ساعة، ثم قال لي: أحرميّ أنت؟ قلت: وقرشيّ، قال: كملت صفاتك فلمَ رأيتك سيئ الأدب؟ فقلت: وما الذي رأيت من سوء أدبي؟ قال: رأيتك وأنا أملي الألفاظ لرسول الله، وأنت تلعب بريقك في يدك، قلت: عدم الورق، وكنت أكتب ما تقول، فجذب مالك يدي، فقال: ما لي لا أرى عليها شيئًا، قلت: إن الريق لا يثبت على اليد، ولكني وعيت جميع ما حدّثت به منذ وقت جلست إلى حين قطعت، فعجب مالك من ذلك، فقال: أعد علي ولو حديثًا واحدًا، قلت: حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر، وأشرت بيدي إلى القبر كإشارته عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثًا حدث بها من وقت جلس.

(نوابغ الفكر الإسلامي لأنور الجندي).

٨٧١ غلطوا بالزفاف

حضر أبوحنيفة مع العلماء وليمة رجل زوّج ابنتيه من أخوين، فخرج الولي، وهو يقول: أصابتنا مصيبة عظيمة، غلطنا، فزفت إلى كل واحد غير امرأته، وأصابها، قال سفيان: لا بأس بذلك كما حكم به علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: أرى على كلٍّ المهر بما أصاب من المرأة، وترجع كلٌّ إلى زوجها، فاستحسن الناس فيه ذلك

وأبوحنيفة ساكت، فقال له مسعر: قل فيها. قال سفيان: وما عسى أن يقول خلاف هـذا؟ قال أبوحنيفة: عليَّ بالغلامين، فأحضرا، فقال لكل واحد منهما: أتحب أن تكـون عندك التي زفت إليك. قال: نعم، قال: فما اسم امرأتك التي عند أخيك؟ قـال: هـي فلانة، قال: قـل: هي طالق مني. ثـم زوّج المرأة التـي مسها، وأمرهم بتجديـد عرس آخر. فعجب الناس من فتياه بذلك حتى قام مسعر، فقبله، وقال: لا تلوموني على حبه، وسفيان ساكت لا يقول شيئًا.

٨٧٢ عفّ عن الباذنجانة فرُزِق المرأة!

قـال: الشيخ الجليل علي الطنطـاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مذكراته: إني سأورد عليكم طرفتين من طرف اللصوص فيها إن شاء الله متعة:

في دمشـق مسجد كبير اسمــه (جامع التوبة)، وهو جامــع مبارك فيه أنس وجمــال، سمــي بجامع التوبة؛ لأنه كان خانًا ترتكب فيــه أنواع المعاصي، فاشتراه أحـد الملوك في القرن السابع الهجري، وهدمه، وبناه مسجدًا، وكان فيه منذ نحو سبعين سنة شيــخ مُربٍّ عالم عامل اسمه الشيخ سليم المسوطي، وكان أهل الحي يثقـون به، ويرجعـون إليه في أمور دينهـم وأمور دنياهـم، وكان مضرب المثل في فقـره وفي إبائه وعـزة نفسه، وكان يسكـن في غرفة في المسجد، مـرَّ عليه يومان لم يـأكل فيهمـا شيئًا، وليس عنده ما يطعمه، ولا ما يشـتري به طعامًا، فلما جاء اليـوم الثالث أحس كأنه مشرف على المـوت، وفكر ماذا يصنع، فرأى أنه بلغ حدّ الإضـرار الـذي يجوز له أكل الميتة أو السرقة بمقدار الحاجـة، وآثر أن يسرق ما يقيم صلبه، وهذه القصة واقعـة أعرف أشخاصها، وأعرف تفصيلها، وأروي ما فعـل الرجل، لا أحكم بفعله بأنه خـير أو شر أو أنه جائز أو ممنوع. وكان المسجد في حي من الأحيـاء القديمة، والبيوت فيها متلاصقة والسطوح متصلة، يستطيع المـرء أن ينتقل مـن أول الحي إلى آخـره مشيًا على السطـوح، فصعد إلى سطح

المسجد، وانتقل منه إلى الدار التي تليه، فلمح بها نساء، فغضّ من بصره، وابتعد، ونظـر، فرأى إلى جنبهـا دارًا خالية، وشمّ رائحة الطبخ تصدر منها، فأحس من جوعـه لما شمهـا كأنها مغناطيس تجذبـه إليها، وكانت الدور مـن طبقة واحدة، فقفـز قفزتـين من السطح إلـى الشرفة، فصـار في الدار، وأسـرع على المطبخ، فكشـف غطاء القـدر، فرأى فيها باذنجانًا محشوًّا، فأخـذ واحدة، ولم يهتم من شـدة جوعه بسخونتهـا، وعض منها عضة، فما كاد يبتلعهـا حتى ارتدّ إليه عقله ودينه، وقال لنفسه: أعوذ بالله أنا طالب علم مقيم في المسجد، ثم أقتحم المنازل، وأسـرق ما فيها؟ وكبر عليه ما فعل، ونـدم، واستغفر، وردّ الباذنجانة، وعاد من حيـث جاء، فنزل إلى المسجد، وقعد في حلقـة الشيخ وهو لا يكاد من شدة الجوع يفهم مـا يسمع، فلما انقضى الدرس، وانصرف النـاس - وأؤكد لكم أن القصة واقعة - جاءت امرأة مستترة، ولم يكن في تلك الأيام امرأة غير مستترة، فكلمت الشيـخ بكلام لم يسمعه، فتلفت الشيخ حولـه، فلم يَرَ غيره، فدعاه، وقال له: هل أنـت متزوج؟ قـال: لا، هل تريد الـزواج؟ فسكت، فقال له الشيـخ: قل: هل تريد الـزواج؟ قال: يا سيدي، ما عندي ثمن رغيـف والله، فلماذا أتزوج؟ قال الشيخ: إن هـذه المرأة خبرتني أن زوجها توفي، وأنهـا غريبة عن هذا البلد ليس لها فيه، ولا في الدنيـا إلا عـم عجوز فقير، وقد جاءت به معهـا، وأشار إليه قاعدًا في ركن الحلقـة، وقد ورثـت دار زوجها ومعاشه، وهي تحب أن تجـد رجلًا يتزوجها على سنـة الله ورسوله؛ لئلا تبقى منفردة، فيطمع فيهـا الأشرار وأولاد الحرام، فهل تريـد أن تزوج بها؟ قال: نعـم، وسألها الشيخ: هل تقبلين بـه زوجًا؟ قالت: نعم، فدعا بعمها، ودعا بشاهدين، وعقدا العقد، ودفع المهر عن التلميذ، وقال له: خذ بيد زوجتك، فأخذ بيدها أو أخذت هي بيده، فقادته إلى بيتها، فلما دخلته كشفت عـن وجهها، فرأى شبابًا وجمالًا، ورأى البيت هـو البيت الذي نزله، وسألته: هل تأكل؟ قال: نعم، فكشفت غطاء القدر، فرأت الباذنجانة، فقالت: عجبًا من دخل الدار، فعضّها؟ فبكى الرجـل، وقص عليها الخبر، فقالت له: هذه ثمرة الأمانة، عففت عن الباذنجانة الحرام، فأعطاك الله الدار كلها وصاحبتها بالحلال.

٨٧٣ التقوى وبركتها

وجـاء في مذكرات الشيـخ الطنطاوي قصـة أخرى يقول فيهـا الشيخ: لعل الطرافة فيها أكثر من المنفعة منها، وهي واقعة أعرف أشخاصها وظروفها، وهي أن شابًّـا فيـه تقى وفيه غفلة طلب العلم، حتى إذ أصـاب منه حظًّا قال الشيخ له ولرفقائه: لا تكونوا عالة على الناس، فإن العالم الذي يمد يده إلى أبناء الدنيا لا يكـون فيه خير، فليذهب كل واحد منكم، وليشتغل بالصنعة التي كان أبوه يشتغل بهـا، وليتّـقِ الله فيها. وذهب الشاب إلى أمه، فقال لها: ما الصنعة التي كان أبي يشتغـل بهـا؟ فاضطربت المرأة، فقالـت: أبوك قد ذهب إلى رحمـة الله فما لك وللصنعـة التي كان يشتغل بها؟ فألح عليهـا، وهي تهرب منه، حتى إذا اضطرها إلـى الكلام أخبرتـه، وهي كارهة أن أبـاه كان لصًّا؟ فقال لهـا: إن الشيخ أمرنا أن يشتغـل كلٌّ بصنعـة أبيه، ويتقى الله فيها، قالـت الأم: ويحك! وهل في السرقة تقـوى؟ وكان في الولـد- كمـا قلت- غفلة، فقـال لها: هكذا قـال الشيخ. وذهب، فســأل، وتسقط الأخبـار حتى عرف كيف يسرق اللصوص، فأعدّ عدّة السرقة، وصلـى العشاء، وانتظـر حتى نام الناس، وخـرج ليشتغل بصنعـة أبيه، كما قال الشيـخ، فبدأ بدار جـاره وهمّ أن يدخلها، ثم ذكر أن الشيـخ قد أوصاه بالتقوى، وليس من التقوى إيذاء الجار، فتخطى هذه الدار، ومرّ بأخرى، فقال لنفسه: هذه دار أيتام، والله حذر من أكل مال اليتيم، وما زال يمشي حتى وصل إلى دار تاجر غني ليس له إلا بنت واحدة، ويعلم الناس أن عنده الأموال التي تزيد عن حاجته، فقـال: ههنا، وعالج الباب بالمفاتيح التي أعدها، ففتح، ودخل، فوجد دارًا واسعة وغرفًـا كثـيرة، فجال فيها حتى اهتـدى إلى مكان المال، وفتـح الصندوق، فوجد من الذهب والفضة والنقد شيئًا كثيرًا، فهمّ بأخذه، ثم قال: لا، لقد أمرنا الشيخ بالتقوى، ولعل هذا التاجر لم يؤدِّ زكاة أمواله، لنخرج الزكاة أولًا.

وأخـذ الدفاتر، وأشعـل فانوسًا صغيرًا جـاء به معـه، وراح يراجع الدفاتر ويحسـب، وكان ماهـرًا في الحساب خبـيرًا بإمساك الدفاتـر، فأحصى الأموال

وحسب زكاتها، فنحّى مقدار الزكاة جانبًا، واستغرق في الحساب حتى مضت ساعات، فنظر فإذا هو الفجر، فقال: تقوى الله تقضي بالصلاة أولًا، وخرج إلى صحن الدار، فتوضأ من البركة، وأقام الصلاة، فسمع رب البيت فنظر، فرأى عجبًا: فانوسًا مضيئًا! ورأى صندوق أمواله مفتوحًا، ورجلًا يقيم الصلاة، فقالت له امرأته: ما هذا؟ قال: والله لا أدري، ونزل إليه، فقال: ويلك! من أنت وما هذا؟ قال اللص: الصلاة أولًا، ثم الكلام، فتوضأ، ثم تقدم فصلِّ بنا فإن الإمامة لصاحب الدار. فخاف صاحب الدار أن يكون معه سلاح، ففعل ما أمره به والله أعلم كيف صلى، فلما قضيت الصلاة قال له: خبّرني من أنت؟ وما شأنك؟ قال اللص: وماذا تصنع بدفاتري؟ قال: أحسب الزكاة التي لم تخرجها منذ ست سنين، وقد حسبتها، وفرزتها لتضعها في مصارفها. فكاد الرجل يجنّ من العجب، وقال له: ويلك! ما خبرك؟ هل أنت مجنون؟ فخبّره خبره كله، فلما سمعه التاجر، ورأى جمال صورته وضبط حسابه ذهب إلى زوجته، فكلمها، ورجع إليه، فقال له: ما رأيك لو زوجتك بنتي، وجعلتك كاتبًا وحاسبًا عندي، وأسكنتك أنت وأمك في داري، ثم جعلتك شريكي؟ قال: أقبل. وأصبح الصباح، فدعا المأذون والشهود، وعقد العقد.

٨٧٤ كل من في الأرض للمسلم

قال الناظم الفقيه العمري المقدسي:

وتاركُ الصلاةِ حتّى كَسلا يقتلُ كفرًا إنْ دُعيَ وقالَ لا

ومالُه فيْءٌ ولا يُغسّل وَصَحَّحَ الشيخانِ حدًّا يُقتَل

وقوله: «وماله فيء» يعني لبيت المال؛ لأنه لا يرث ولا يورث، وأصل الفيء مشتق من (فاءَ) إذا رجع. قال الشيخ ابن تيمية: لما كان جميع ما في الأرض حلالًا وملكًا للمسلم المؤمن، ولا يستحقه الكافر؛ لعدم قيامه بشكر النعمة، ولذلك وجب

جهاده ليلتزم حكم الله، أو يدخل في دينه، وحل ما عنده من المال والنساء والمتاع، فإنه لهـا كالمغتصب؛ لعدم شكره، فسمي ما يغنمـه المسلمون من الكافرين فيئًا؛ لأنه ملك لهم رجع إليهم بعد استغلال الغير له.

٨٧٥ كلمة الله فوق عين طفل

ذكـر في جريدة (الأنباء) الكويتية بتاريخ (٢٩ ربيع الأول ١٤٠٧هـ) ما يلي: ذكر في مسقط أنه ظهرت على عين أحد الأطفال كلمة (الله) مكتوبة بطول (٤) ميليمترات تقريبًا من العروق الرفيعة المملوءة بالدم الأزرق الداكن، ويبلغ الطفل العمـاني الـذي ظهرت كلمـة (الله) في إحدى عينيـه من العمر خمـس سنوات، ويدعـى أنور بن فرج البطحري من سكان الشويمية في المنطقة الجنوبية بسلطنة عمان، ونسبت صحيفـة (عمان) التي أوردت النبأ إلى والد الطفل قوله: إن نظر ابنه عادي جدًّا، وليس بين عينيه أي اختلاف.

٨٧٦ أراد حرق المصحف فاحترقت يده

سبحـان الله! كلمتان لا يستطيـع الإنسان إلا أن يذكرهمـا، وهو يسمع تلك القصة التي أوردتها جريدة (عكاظ) والتي جاءت كالآتي:

نشـرت جريدة (ترنيـم) النيجيرية الواسعة الانتشار يـوم الأربعاء الماضي خـبرًا لا يزال حديـث النـاس في نيجيريـا بأسرها، فقد زلزل معقـلاً من معاقل المسيحيـة في ولايـة كنجولا النيجيرية. الخـبر يقول: إنه وقـف القس ولبرفورس راعـي كنيسة المدينة وبيده مصحف كان قد جذبه من بين يدي أحد الحاضرين. ثم ألقى به على الأرض، وسكب عليه مقدارًا من البنزين وهم بإشعال عود ثقاب بالمصحف، وأصيبت يده بحروق شديدة، ولم تمس النار المصحف الشريف، وكان الحاضـرون يتابعون هـذا المشهد وهم في ذهول، حيث جرى ذلك في أثناء قدّاس في الكنيسة، وعقـب هذا الحادث مباشرة أعلن القس فورس دخوله في الإسلام،

وتبعه رئيس الكنيسة يعقوب موسى، وتوالى دخول المبشرين المسيحيين في الإسلام حتى بلغ عددهم (٢٠٠٠) مبشر. وقدم يعقوب موسى (٢٢) سنة استقالته من منصبه بوصفه سكرتيرًا عامًّا للجمعية المسيحية النيجيرية للتنصير في كنجولا، وفي حديث لرئيس تحرير الجريدة الحاج إبراهيم سليمان نشر في اليوم اللاحق صرح يعقوب موسى بأنه يعكف في الوقت الراهن على نشر الدعوة الإسلامية في أوساط المسيحيين في نيجيريا، خاصة أنه يحمل دبلومًا عاليًا في علوم الكتب المقدسة. وأعرب يعقوب موسى عن أسفه؛ لأن الدعوة إلى الإسلام غير نشطة في المنطقة، وقال: إنه ينوي تأليف كتاب عن الإسلام، وقد شرع فعلًا في هذا العمل. ويقوم يعقوب موسى حاليًّا بزيارة لمدينة (كانو) بهدف جمع معلومات عن الإسلام والمسلمين في نيجيريا، وقد سأله رئيس التحرير عما ينوي القيام به من أجل الإسلام؟ فقال: إنه سيعمل على توضيح حقيقة الإسلام وإزالة كل الشبهات التي تعتمل في نفوس غير المسلمين تجاهه. وأعلن يعقوب موسى أنه حول كل أفراد أسرته إلى دين الإسلام، وقال: لو يمثل المسلمون الإسلام بالقدوة، فإنهم سيساهمون في نشر الدين الإسلامي بين غير المسلمين، وذلك من خلال العمل بما يأمر به الإسلام في مختلف أنشطة الحياة، وأشار يعقوب موسى إلى حاجة المنطقة إلى دعاة للدين الإسلامي يرشدون أبناءها، ويوجهونهم، ويخرجونهم من الحيرة التي يعانونها، ويعلمونهم قواعد الدين الإسلامي ومبادئه، هذا ما نشرته جريدة (عكاظ) على لسان مندوبنا في نيجيريا، والقصة لا تدعو أبدًا إلى التعليق، ولكنها تدعو لكل المقاييس إلى العبرة والاعتبار، وما إيرادنا لذلك الخبر إلا لهذا الهدف. عن جريدة (المسائية) يوم (١٤٠٧/٣/١هـ).

٨٧٧ عالم قادم

جاء في جريدة (السياسة) الكويتية يوم (١٤٠٧/٤/٨هـ) نشرت صحيفة (الدستور) الأردنية أخيرًا تحقيقًا صحفيًّا حول الطفل المعجزة عبدالله الصنادي

البالـغ من العمـر تسع سنوات، وقالـت الصحيفة: إنه بعد صـلاة العصر من يوم جمعـة تقـدم طفل صغير لم يتجاوز التاسعة من عمـره صفوف المصلين في مسجد الشهيـد بجبل التاج بالأردن، وبـدأ يتحدث بأسلوب أخاذ شائـق يستند إلى كتاب الله وسنـة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حول رسالة الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أصيـب المصلون بالدهشة وهم يتابعون موعظة الطفل المعجزة حول مهمة الرسالة والأنبياء والعلماء من بعدهم، وقالت (الدستور): إن الحديث يتدفق من بين شفتيه بسلاسة وعذوبة وتركيز، مستشهدًا بآيات قرآنية وأحاديث قدسية وأحاديث نبوية شريفـة، مؤكدًا أنه إذا ترك الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر في المجتمع استحق أبنـاؤه غضب الله ولعنته، وأخذ الله العامة بجريرة الخاصة، فالعذاب إذا نزل في الدنيا أصاب الصالـح والطالح. وأجابت صحيفة (الدستور) في مقابلة مع الطفل عن مختلف الأسئلة والحقائق المتصلة بالطفل، فهو عبدالله أحمد علي الصنادي، تسـع سنوات، طالب بمدرسة موسى بن نصير الإعدادية، يدرس في الصف الثالث الابتدائـي، ولد في القاهرة، وتجول مع والـده في عمله بالسعودية بمدينة القريات، وهو يعيش الآن في كنف والده في عمان، ويعيش مع والده وحيدين. والطفل المعجزة مبدع في دروسه كما هو مبدع في حفظ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتفسير والأحـكام، وهبه الله قـوة حفظ خارقة وشخصية قوية قـادرة على التعامل مع أي مجتمع يتحدث فيه بلهجة واثقة. ويقول الطفل المعجزة: إنه ليس لديه فراغ كالأطفال الآخرين ليلهو ويلعب، فهو يقضي وقته إضافة إلى الأشغال اليدوية في الاستماع إلى المذيـاع، فيقوم بتسجيل الأحاديث الدينية والتلاوات المباركة، فيسجلها ويحفظها، ويعيـد قراءتهـا وكتابتها حتى تستقر في ذهنه، وتفيض علـى لسانه بأسلوب مميز ورباطة جأش في مواقف يضعف أمامها أقوى المتحدثين.

أقول:

أسـأل الله أن يتـم عليه نعمته، وينفع به الإسـلام والمسلمين، فهذا قد يكون عالمـًا في مستقبـل الأيـام، ولِمَ لا؟ فالعلماء الكبـار كانوا على هـذا المستوى من النبوغ، مثل الأئمة الأربعة.

٨٧٨ اللَّجاجَة

قالـت السيدة زبيدة زوجـة الخليفة هارون الرشيـد: «قاتل الله اللجاجة» قالتها حين رأت المأمون يمشي خليفةً، وسمعها المأمون، فسألها: لماذا قالت ذلك؟ فانصرفـت عن الإجابة، ولكنه ألحّ ولـجّ، فأجابته: لا تتلجلج، لقد كنت أنا وأبوك أيـام الصفـاء وحلاوة الوفـاء نلعب الشطـرنج ينزل المغلوب علـى حكم الغالب، فغلبنـي. ويصدر حكمه لأقف أمامه متجردة مـن أثوابي، ولا عيب في ذلك، زوج وزوجـة، ولكني كنت أستحـي حين يراني، فخضعت للحكم، ثـم استأنفنا اللعب، فغلبتـه، وأصـدرت حكمي، أمرتـه أن يطأ أقبـح جارية في المطبـخ، فكانت أمك مراجـل، فحملتك وكان ما كان، واكفهر المأمون، ولم يزورّ، فقال: صدقت يا أماه «قاتل الله اللجاجة». هذه الكلمة جعلتني أكره الخوض في اللَّجاجَة.

٨٧٩ نساء ألمانيا يطالبن بمنع الاختلاط في التعليم

طالبت التنظيمات النسائية في ألمانيا الغربية بعودة الفصل بين الجنسين في المؤسسات التعليمية؛ وذلك لتجنب الفتاة المنافسة والإهمال من قِبَل الأساتذة.

وأعربت تلك المنظمات عن اعتقادها بأن السبب الرئيس لمطالبتها يكمن في الإهمال الذي تعانيه الفتاة داخل المؤسسات التعليمية، والاهتمام بالفتيان خاصة في حصص الرياضيات والعلوم الطبيعية، ما يسبب ردع رغباتهن العلمية.

وتبلـغ نسبة المشاركة بالنسبة إلـى الفتيان في الصف الواحد (٢٠٪) فقط، وذلك جعل الفتاة تصاب بالفتور إزاء أكثر المواد العلمية.

تضيـف المصادر التنظيميـة النسوية أن انفصال الفتـاة عن الفتيان سوف يعيـد لها بالضرورة ثقتها بنفسها وبإمكاناتها، وكذلك تطورها العلمي. (جريدة السياسة) الكويتية العدد (٧٣٣٨) الأحد غرة جمادى الآخرة (١٤٠٩هـ) الموافق (٨) من كانون الثاني (يناير) (١٩٨٩م) ص ٢٨.

هـذه النـادرة نهديها إلى إخواننـا المخدوعين ببهرج الاختـلاط في التعليم الجامعي وغير الجامعي من أبناء هذا الوطن وجميع بلاد الإسلام.

وهم يدعون إلى ذلك بغير سوء قصد ولا خبث، ولكنهم مخدوعون، ويحبون التقليد، ونهديها كذلك إلى إخوان الشياطين وأذناب اليهود والنصارى والطابور الخامس الذين يدعون إلى ذلك عن سوء قصد وتبييت نية الهدم، وهم أحفاد ابـن سلـول وابن سبـأ. نسأل الله لهـم الهداية، وإن كان في علمـه جل شأنه غير ذلك، فنسأله أن يطهر بلاد الإسلام والعرب منهم، وخاصة بلاد الحرمين.

٨٨٠ يا للهول!

عندمـا ظهر الوثنيـون التتار على المسلمين في بغداد وقعـت المأساة الدامية التـي سجلتها الروايات التاريخية، والتي نكتفي فيها بمقتطفات سريعة من تاريخ (البداية والنهاية) لابن كثير فيما رواه من أحداث عام (٦٥٦هـ):

ومالوا على البلد، فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايـخ والكهـول والشبان، ودخل كثـير من النـاس في الآبـار وأماكن الحشوش وقني الوسخ، وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلـى الخانات، ويغلقون عليهـم الأبواب، فتفتحها التتار إمـا بالكسر وإما بالنار، ثـم يدخلون عليهم، فيهربـون منهم إلى أعـالي الأمكنة، فيقتلونهـم بالأسطحة حتـى تجري الميازيب مـن الدماء في الأزقـة، فإنا لله وإنا إليـه راجعون، وكذلك في المساجـد والجوامع والربـط، ولم ينجُ منهم أحد سوى أهـل الذمة من اليهود والنصـارى ومن التجأ إليهم وإلـى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا أمانًا يدلون عليه أموالًا جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم. وعادت بغـداد بعدما كانـت آنس المدن كلها، لكأنها خراب ليس فيها إلا القليل من النـاس وهـم في خوف وجوع وذلة وقلة. وقد اختلفت النـاس في كمية من قتل ببغداد من

المسلمين في هذه الواقعة. فقيل: ثماني مئة ألف، وقيل: ألف ألف. وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يومًا، وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر، وعفي قبره، وكان عمره يومئذ ستًّا وأربعين سنة وأربعة أشهر، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيامًا، وقتل معه ولده الأكبر أبوالعباس أحمد، له خمس وعشرون سنة، ثم قتل ولده الأوسط أبوالفضل عبدالرحمن وله ثلاث وعشرون سنة، وأسر ولده الأصغر مبارك، وأسرت أخواته الثلاث فاطمة، وخديجة، ومريم. وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وكان عدو الوزير، وقتل أولاده الثلاثة: عبدالله وعبدالرحمن وعبدالكريم وأكابر الدولة واحدًا بعد واحد، منهم الدويدار الصغير مجاهد من أمراء السنة وأكابر البلد، وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس، فيخرج بأولاده ونسائه، فيذهب إلى مقبرة الخلال تجاه المنظرة، فيذبح كما تذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار، وقتل خطباء الأمة وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجُمُعات مدة شهور ببغداد، ولما انقضى الأمر المقدر، وانقضت الأربعون يومًا بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر، فتغيرت صورهم، وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى، وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو والريح؛ فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى والمقابر وكأنهم الموتى، إذ نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضًا، فما يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا، وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى.

٨٨١ عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصف الموت

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دخلت على عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد احتضر، فدخل عليه عبدالله بن عمرو، فقال له: يا عبدالله، خذ ذلك الصندوق، فقال: لا حاجة لي فيه، قال: إنه مملوء مالاً. قال: لا حاجة لي به. فقال عمرو: ليته مملوء بعرًا، قال: فقلت يا أبا عبدالله، إنك كنت تقول: أشتهي أن أرى عاقلاً يموت حتى أسأله كيف تجد؟ فكيف تجد؟ قال: كأنما أتنفس من خرم إبرة، ثم قال: اللهم، خذ مني حتى ترضى. ثم رفع يديه، فقال: اللهم، أمرت، فعصينا، ونهيت، فركبنا فلا بريء فأعتذر، ولا قوي فأنتصر، ولكن لا إله إلا الله (ثلاثًا) ثم فاض. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٨٨٢ طبق طائر

شاهد ملاحو طائرة شحن يابانية قبل شهرين طبقًا طائرًا، وكان مقدرًا أن تضاف قصتهم إلى ألوف القصص المماثلة التي ثبت خطؤها لولا أن هذه المشاهدة الأخيرة جاءت مختلفة عن المألوف؛ فملاحو الطائرة اليابانية الذين شاهدوا الطبق ليسوا أولادًا أو جهلة، بل يجمعون فيما بينهم (٤٦) سنة خبرة في حقل الطيران، وقد فحصوا جميعًا فور إعلانهم مشاهدة الطبق الطائر، وثبت أنهم أصحاء العقول والأجسام، وأنهم لم يتعاطوا أي شراب أو مخدر خلال الرحلة. كذلك وجد الخبراء أن وصفهم للصحن الطائر كان دقيقًا للغاية، ومتماثلاً من واحد إلى آخر، فهم رأوا طبقًا هائل الحجم، وربما في حجم ملعبي كرة قدم على شكل حبة جوز وهو منتفخ من فوق وتحت ومسطح عند الأطراف، وكانت هناك أجسام مضيئة صغيرة تدور حوله. ولم تكن مشاهدة الطبق الطائر عابرة أو بعيدة، فالملاحون قدروا على رادارهم أن الطبق اقترب منهم حتى مسافة خمسة أميال، وعندما حاولوا الفرار منه تبعهم (٤٠٠) ميل.

وأغـرب من كل هذا أن الجسـم الغريب أو الطبق الطائر سجـل في الوقت نفسه علـى رادار وكالة الطـيران الفيدرالية الأمريكية، وهي المرجـع في أمور الطيران العالمي كله. وعلى رادار سلاح الطيران الأمريكي. عن جريدة (الشرق الأوسط) يوم ١٥/٥/١٤٠٧هـ.

وتعليقنا هو قول الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وذلك أنه يوجـد عالم آخر في الكون لا يعلمـه إلا الله، ولم يقل جل شأنه رب العالم، بل قال رب العالمين.

٨٨٣ الطنطاوي على مائدة الملك فيصل

قـال الشيـخ: لقد عشت أكثر شبابـي وسماء بلاد العرب ملبـدة بالغيوم، لا يبدو فيها من الشمس شعاع، حتى إذا كانت سنة (١٩٧٣م) إن لم أكن قد أخطأت التاريـخ، وكان قـد مر عليَّ عشـر سنوات وأنا أدرس في جامعـات المملكة العربية السعوديـة في الرياض أولًا، ثـم في مكة المكرمة، وأذيع مـن إذاعتها، كنت قادمًا بالطيـارة من الرياض إلى جدة، فاتفـق أن كنت قريبًا من الشيخ السقاف رحمة الله عليـه الـذي كان وزيـر الخارجية، أو يقـوم مقام وزيـر الخارجية، فخبرني خـبرًا ملأ قلبـي مسرة، هو أن المملكـة وجهت الدعوة إلـى وزراء خارجية الدول الإسلاميـة ليعقـدوا مؤتمرهم، ليكون تمهيـدًا لمؤتمر القمـة الإسلامي، وأبلغني عـن المقـام السامي بـأن أكون في الفندق الـذي ينعقد فيه اجتمـاع الوزراء حتى إذا عرضـت مسألـة شرعيـة، وكان لي علم بها ورأي فيها سئلـت عنها. فركبني والله هـمّ أحسست منـه كأن صخرة قد وضعت على كتفـي، ولم أدرِ كيف أعتذر عنهـا، وأتخلص منها، وكان قـد دعي إلى هذا مثلي الشيـخ الصواف، والدكتور أمـين المصـري، فشكـرت إليه، ورجوتـه أن يخلصنـي، فأخذني إلـى لقاء الملك فيصـل رحمة الله عليه، وقاموا إلى الغـداء، فأقاموني معهم، وأنا أتحرج أن آكل في الفنـدق أمام النـاس، فكيف على مائدة الملك فيصل؟ ولم يكن على المائدة إلا

هو رحمة الله عليه، والدكتور معروف الدواليبي، والدكتور أمين المصري، والشيخ الصواف، وأنا، وكان عليها ضيفان أحسبهما من الصحفيين من لبنان، وجعلوا يأتون بطبق بعد طبق، وأنا لا يحتمل أكلي كله ست دقائق، فكيف أنتظر حتى ينتهي الطعام؟ وجاؤوا بطبق فيه شيء حسبته من المعجنات، فأخذت الشوكة لأمسكه بها، ثم أقطعه بالسكين كما رأيت الناس يصنعون، وإذا هو صلب لا تنزل الشوكة فيه، وإذا هو ينط (وكلمة نط فصيحة) من الطبق وأنا يجللني الخجل لا أدري ما العمل، وأقول لنفسي: ويحك! يا نفس، ما الذي جاء بك إلى مائدة الملك؟ ومتى كنت أصلح لها؟ وأجد أن الحق كله على الشيخ الصواف الذي يراه الناس نعمة يحرصون عليها، وأجده أنا عذابًا أهرب منه، وتمنيت أن أجد شقًّا في الأرض، أو زاوية في الغرفة أختبئ فيها، وليس يعلم إلا الله كيف أمضيت مدة الطعام، ولكن الذي أعلمه أنني قمت، وأنا جائع.

وأقول:

أظن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سقط منه تحديد تاريخ أول مؤتمر إسلامي، فقد عقد في المغرب عام (١٩٦٩م) بدعوة من الملك فيصل عندما أقدم اليهود على حرق المسجد الأقصى.

٨٨٤ العلاقة بين المال والسياسة

قال هيكل في (أخبار اليوم) يوم (١٢/١٠/١٤٠٨هـ) على مائدة غداء مع دافيد روكفللر يوم (١٨ أكتوبر ١٩٧٥م): في إحدى قاعات الطعام المخصصة له في الطابق الأربعين من مبنى بنك تشيز مانهاتن سألته صراحة عن العلاقة بين المال والسياسة، وكان رده ببساطة: «إنهما وجهان لعملة واحدة» وقلت له: إنني رأيت شخصك في بعض أزماتنا وأزمات غيرنا الكبرى، وفي بعضها الآخر لمحت ظلك، ثم عددت له بعض ما رأيته، ولمحته فيه من مناسبات وظروف، وكان رد دافيد روكفللر وبابتسامة هادئة هو قوله: «هل تسمح لي أن أقول لك ما القاعدة

الذهنيــة في عمل البنوك؟» ثم أجاب عن سؤالــه: «الصمت» واستطرد: «كان أول درس تعلمناه في جو الأسرة أن أكبر قدر من النجاح يرتبط بأقل قدر من الكلام، كلمــا تكلمنا أكثر كشفنا من مواقعنا رقعة أوسع، وكلما كشفنا المزيد من مواقعنا ضاقت أمامنا مساحة الحركة وحرية التصرف. ميدان المال فيه كثير من ميدان الحــرب خصوصًــا بالنسبة إلى السريــة والمفاجأة وسرعة الحركــة بالفعل وبرد الفعل» وقلت لـ (دافيد روكفللر) ما معناه: إن ذلك (الجو) الذي يحيط به وبغيره مــن أقــراه يثير سحبًا كثيفة من الشكــوك والريب تصل أحيانًــا، إلى درجة سوء الظن وحتى الكراهية، وكان رده مختصرًا: «إن الكلمات لا تقتل أحدًا» وحين قلت لــه: إن كلامــه يذكرني بمثل مأثــور في الأدب العربي يقــول: «إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب» ارتفعت درجة حماسته ومد يده إلى ورقة وقلم وكتب ترجمة القول العربي المأثور قائلًا لي: «إنه سوف يطلب من سكرتاريته أن يحفروه له على لوحة صغيرة من الفضة يضعها على مكتبه».

٨٨٥ التخفيف أمر نسبي

جــاء في كتــاب (مختصر زاد المعــاد) أن النبــي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في صلاة الظهــر يطيــل قراءتهــا أحيانًا، حتى قــال أبوسعيــد: كانت صــلاة الظهر تقام، فيذهــب الذاهب إلــى البقيع، فيقضي حاجتــه، ثم يأتي أهلــه، فيتوضأ، ويدرك النبــي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الركعة الأولى مما يطيلها[١]. وكان يقرأ فيها تارة بـ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجــدة، وتارة بــ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾، وأمــا العصر فعلى النصــف من قراءة الظهر إذا طالــت، وبقدرها إذا قصرت. وأما المغرب فكان هديه فيها خلاف عمل الناس اليوم، فإنه صلاها مرة بـ (الأعــراف) في الركعتين ومرة بـ (الطور) ومرة بـ (المرسلات). وأما المداومة علــى قــراءة قصار المفصــل فيها فهو من فعل مــروان، ولهذا أنكــر عليه زيد بن

---

(١) أخرجه مسلم (١/٣٣٥ رقم٤٥٤).

ثابت، قال ابن عبدالبر: روي عنه أنه قرأ في المغرب (المص) وبـ (الصافات) وبـ (الدخان) و﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾وبـ (التين) وبـ (المعوذتين) وبـ (المرسلات).

وأنه كان يقرأ فيها بقصار المفصل: وكلها آثار صحاح مشهورة. وأما العشاء الآخرة فقرأ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها بـ (التين) ووقت لمعاذ فيها: بـ (الشمس وضحاها) وبـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ونحوها. وأنكر عليه قراءته فيها بـ (البقرة) وقال: «**أفتان أنت يا معاذ؟**»[1] فتعلق النقارون بهذه الكلمة، ولم يلتفتوا إلى ما قبلها ولا ما بعدها. وأما الجمعة فكان يقرأ فيها بسورتي (الجمعة) و(المنافقون) وسورتي (سبح والغاشية) وأما الأعياد فتارة يقرأ بـ (ق) و(اقتربت) كاملتين وتارة بـ (سبح) و(الغاشية) وهذا الهدي الذي استمر عليه إلى أن لقي الله عَزَّوَجَلَّ ولهذا أخذ به الخلفاء، فقرأ أبوبكر (سورة البقرة) حتى سلم قريبًا من طلوع الشمس، وكان بعده عمر يقرأ بـ (يوسف) و(النحل) و(هود) و(بني إسرائيل) ونحوها. وأما قوله: «أَيُّكُمْ أم الناس فليخفف» فالتخفيف أمر نسبي يرجع فيه إلى ما فعله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا إلى شهوات المأمومين.

نقول:

هذه النادرة أخذناها من (مختصر زاد المعاد) للإمام ابن القيم تأليف الإمام محمد بن عبدالوهاب، وهي تهم إخواننا الكرام أئمة المساجد وفقهم الله.

٨٨٦ الرؤيا

قال الإمام ابن القيم: صح عنه «**الرؤيا الصالحة من الله، والرؤيا السوء من الشيطان، فمن رأى رؤيا يكره منها شيئًا فلينفث عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان، فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحدًا، فإن رأى رؤيا حسنة**

(١) أخرجه البخاري (١/١٤٢ رقم٧٠٥)، ومسلم (١/٣٣٩ رقم٤٦٥).

فليبشر، ولا يخبر بها إلا من يحب»[1] وأمر من رأى ما يكره أن يتحول من جنبه الـذي كان عليه، وأمره أن يصلى. فأمره بخمسة أشياء: أن ينفث عن يساره، وأن يستعيـذ بالله من الشيطان، ولا يخبر بها أحـدًا، وأن يتحول عن جنبه الذي كان عليـه، وأن يقـوم يصلي. وقال: «**الرؤيا على رجل طائر مـا لم تعبر، فإذا عبرت وقعـت، ولا يقصـها إلا علـى وادّ أو ذي رأي»**[2]، ويذكر عنه أنه كان يقول للرائي: «**خيرًا رأيت»**[3]، ثم يعبرها.

٨٨٧ دعوة الإخوان في نظر زعيمها الثالث

المسلـم لا يرضـى أن يظلمه أحد، فمـن تمام إسلامه ألا يظلـم أحدًا، فإذا تسلل هذا المعنى في طبقات الأمة وفئاتها حتى وصل إلى الحاكم، فلن تجد حاكمًا مسلمًا يَظلِم؛ لأنه لا يحب أن يُظلَم، ولا تجد حاكمًا مسلمًا يؤمم ما يملكه الناس؛ لأنـه لا يحـب أن يؤمـم ملكيته أحـد، ونبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «المسلـم من سلم الناس من لسانه ويده»[4] فاستمساكًا من المسلم بتعاليم دينه لا يبطش ولا يشتم، والحاكـم مسلم، فعليه ألا يبطش، ولا يشتم، فإن فعل فعلى المسلمين جميعًا حمله على ترك البطش والسفه بكل الوسائل التي سنها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تغيير المنكـر باليد، فمن لم يستطع فباللسان، فمن لم يستطع فبالقلب وليس وراء ذلك ذرة من إسلام أو إيمان أو إحسان. فالإخوان المسلمون يدعون إلى كل ذلك بكونه عنصرًا أو جانبًا من تعاليم دينهم لا على أنه سياسة بالمفهوم الدارج لهذه الكلمة

---

(١) أخرجه البخاري (٤/١٢٥-١٢٦ رقم٣٢٩٢)، ومسلم (٤/١٧٧٢ رقم٢٢٦١)، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/٤٦٤ رقم٥٠٢٢)، وابن ماجه (٢/١٢٨٨ رقم٣٩١٤)، وصححه ابن حبان في صحيحه (٤١٥/١٣ رقم٦٠٥٠)، وحسنه شعيب الأرناؤوط. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٥٨٤٨).

(٣) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه (٢٧/٢٥ رقم٤٢)، من حديث أم الفضل: أنها رأت كأن قطعة من جسد النبي قطعت ووضعت في حجرها، فقال لها النبي: «**خيرًا رأيت، تلد فاطمة إن شاء الله غلامًا، فيكون في حجرك**» فولدت فاطمة حسنًا، فكان في حجرها، قال ابن الملقن في البدر المنير (١/٥٤٣): إسناده جيد.

(٤) أخرجه البخاري (١/١١ رقم٩)، ومسلم (١/٦٥ رقم٤١).

في هـذه الأيام. لا يقومون بهذا على أنه تخصص أو ممارسة، ولكنهم يقومون به تلقائيًّا كما يدخل الهواء أنوفهم لإصلاح رئاتهم وتنقية لدمائهم دون أن يكون لهم دخل إرادي في هذا، أو كما تتحرك حراشيف المعدة انقباضًا وانبساطًا لتهضم ما فيهـا من غذاء، دون أن يطلب الواحد منهم عناء في هذا المجهود. وإذا كان شرع الله الـذي يطالبون بتطبيقه قد تحدث عن العدل والحرية والإنصاف من يوم أن نزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإذا كان الإخوان المسلمون من دعاة هذا الدين فهم بدهيًّـا لم يدخلوا علـى مناهجهم شيئًا جديدًا بالحـذف أو بالإضافة، ولكن هذا هـو طريقهم الذي تخيروه لأنفسهم من أول يوم قامـت فيه دعوتهم، ونادى على رؤوس الأشهـاد مرشدهم الإمام حسن البنا رضـوان الله عليه أنهم ليسوا ذوي أطمـاع في حكم، ولكنهـم ذوو سعي في سبيل إصلاح كل حكـم، إنهم ليسوا ذوي رغبـة في مكانة أو جاه، فإنهم بدعوتهم وبتمسكهـم والعمل من أجلها والتضحية في سبيلهـا أعلـى الناس قدرًا وأوسعهـم جاهًا وأهنأ حياة، إنهـم أغنى من على ظهر الأرض باستغنائهم عما في أيدي الناس بما أفاءه الله لهم من رزق، إنهم لا يسألـون الناس شيئًا لأنفسهم، ومن لا يسأل الناس فإنه الغني حقًّا وصدقًا. فهل آن للناسـ أن يفهموا هـذا أم يريدون أن يبقوا على جهالتهم بتعاليم هذا الدين؟ وسـواء أصـر بعضهم علـى ألا دين في السياسـة ولا سياسة في الديـن، أو أخذوا بمفهـوم الإخوان النابع من كتـاب الله وسنة رسوله مـن أن الإسلام دين ودولة، سـواء أفهم الناس هـذا أو ذلك فليس هـذا بمغير شيئًا مـن مناهجهم وعملهم حتـى يلقـوا الله معذورين، فليـرح خصوم دعـوة الإخوان أنفسهـم أو العاطفون المحبون للإخوان، ليريحوا جميعًا أنفسهم من اللجاج في هذا الأمر؛ لأن الإخوان المسلمـين إذا صحبـوا النـاسـ بأبدانهـم فإن نظرتهـم وتطلعهـم وأملهم متعلق بالله عَزَّوَجَلَّ بمن أحصى كل شيء عددًا، فهو المطمح، وهو المرجى، وهو المقصود، وهو المعبود بحـق، وهو العليم بالنيات، وما تخفي الصدور، أما النشء فلا دراية لهـم إلا بالظاهر مـن الأمـور ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾[لقمان: ١٦].

جِسْمي مَعي غيرَ أنَّ الروحَ عندَكم   فالجسمُ في غربةٍ والروحُ في الوطنِ

مـن أجـل ذلك سيظـل الإخـوان المسلمـون أحيـاء بدعوتهم؛ لأنهـم حملة هـذه الدعوة إلـى الناس، وإنهـم أحياء ولو انتقلـوا إلى جوار ربهـم، في حين أن خصومهـم أموات، ولو كانوا يسيرون علـى أقدامهم. كم من ظالم أو متزلف من طاغيـة آذى الإخوان، ثم ذهب، واختفت آثاره وذكراه، أما الإخوان المسلمون فلا يزالـون يحملون هذه الدعوة مسلمًا عن مسلـم، ويملؤون طباق الأرض هتافًا بأن الله غايتهـم ويا لها من غاية، والقرآن دستورهـم دون دساتير الأرض مجتمعة، وأن الرسـول زعيمهم مهما تعلق النـاس بقادة وزعماء غيره، والجهاد سبيلهم لا ينظرون إلى سواه، ولا يظن النـاس أن الجهاد طلقة مدفع أو أزيز نفثاته فحسب، ولكـن ما عليه الإخـوان المسلمون من دعـوة ومثابرة وإعـداد واستهانة بكل قوى الأرض واحتساب، فإنه جهاد وفي صميم الجهاد، بل ومن دونه لن يكون جهاد. إن الإخوان لا يخافون مخلوقًا أيًّا كان موقعه، إذ ليس من دنياهم ما يخافون عليه من أحد، فالرزق ليس على الأرض: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] والأجل هـو الدرع الحقيقية التي يدرعون بهـا إذا هددهم الطغاة والظالمون: ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ [الرعد: ٣٨] كذلك ليس عند الظالم من شؤون الآخرة ما يرجوه الإخوان له. فما الذي يخيفنا من الناس أو ما الذي يطمعنا فيهم؟ فليربع خصوم الإخوان على أنفسهم، فالموقف قد تحدد والأمر قد استبان. إن مكة بلد الله الحرام، وإن رمضـان شهر الله دون حرمـة الآدمي ودمه عند الله. هذه هـي الموازين القسط التـي يجب أن يلجأ المنصفون إليها إذا ما أرادوا وزن أي أمر من الأمور أو إنسان من الأناسي. أما وصف امتهان خلق الله وانتهاك حرمات المسلمين بأنها سلبيات فوصـف خـادع مخادع وتهرب مـن إعطاء المسميـات أسماءهـا الصحيحة التي علمنـا الله إياهم. ومع كل ما أصابني، وأصاب الإخوان معي فمحتسب عند الله. وأطلب المغفرة لمن اجترحه وجناه، فالنتيجة الكبرى والمطلب الأسمى أن ننجو يوم الحساب مما جنيناه من عمد أو خطأ، وأما غيرنا فليس لنا معه إلا أن نردّد قول

الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: ٧-٨] اللهم، تقبل، وارحم، وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين سيدنا محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته أجمعين ومن اتبع هداه إلى يوم الدين. كلمة قالها أفقر الفقراء إلى الله رب العالمين عمر عبدالفتاح التلمساني في (١٠) من رمضان سنة ١٤٠٣هـ في مجلة (الدعوة).

نقول: عمر هذا أشهر من أن يعرف زهدًا وورعًا، وذكر في مذكراته أن الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ رشحه للقضاء، واعتذر.

٨٨٨ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

ذكرت صحيفة (الثورة) اليمنية أن نزاعًا شبّ بين أخ وأخيه على ملكية أرض زراعية انتهى إلى قتل أحدهما للآخر، فعندما التقيا على نفس الأرض البعيدة قليلًا عن قريتهما ثارت بينهما الخصومة ما جعلهما يتبادلان إطلاق النار على بعضهما من بندقيتيهما، حتى أُردي واحد منها قتيلًا، وفر الآخر تاركًا جثة أخيه مضرجة بالدماء بعد أن فارق الحياة، ومكث القاتل بعد الحادثة مختبئًا في منطقة أخرى مدة شهرين حتى ضاق من أمره، وقرر أن يبحث عن مكان آخر، فعزم على الرحيل في أثناء الليل، وبينما هو يمر في بقعة مليئة بالحشائش فوجئ بحية تعضه في رجله، ودار بينها وبينه قتال، وشاء الله ألا تطلقه الحية إلا بعد أن مزقها بخنجره، وانطلق القاتل إلى أقرب مستوصف لينقذ نفسه، بينما كان رأس الحية لا يزال عالقًا في رجله، وتم إنقاذه والتعرف إليه، ثم سلم إلى يد العدالة؛ كي تقتص منه جزاء فعلته النكراء. ذلك كله يجسد لنا حكمة الله ومشيئته؛ حيث سلط عليه ما يكون سببًا في تلقيه الجزاء الدنيوي قبل جزاء الآخرة.

أقول:

هــذا العمل نتيجــة لقلة الدين، وعدم الخوف مــن الله، وثمرة الغضب التي هــي من الشيطان، وإن المرء ليعجب أشد العجب من رجال من بلادنا وفي غيرها مــن البلاد، ويصرف في بعض الأيام الآلاف، ولا يهتم بها، ويقتــل أخاه أو جاره على شبر من أرض أو دينار أو درهم. نسأل الله الرشاد للجميع.

٨٨٩ رسول الذي يجيب المضطر

ذكــر الحافظ ابن عساكر في ترجمــة رجل حكى عنه أبوبكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي: قال هذا الرجل: كنت أكاري على بغل لي من دمشق إلى بلــد الزبداني، فركب معي ذات مرة رجل، فمررنا على بعض الطريق علــى طريق غير مسلوكة. فقال لي: خــذ في هذه؛ فإنها أقرب، فقلت: لا خبرة لي فيها، فقال: بل هي أقرب، فسلكناها، فانتهينا إلى مكان وعر وواد عميق وفيه قتلى كثــيرة، فقال لي: أمسك رأس البغل حتى أنزل، فنزل، وتشمر، وجمع عليه ثيابه، وســل سكينًــا معه وقصدني، ففرت من بين يديه، وتبعنــي: فناشدته الله، فقلت: خــذ البغل وما عليه، فقال: هــو لي، وإنما أريد قتلك، فخوفتــه الله والعقوبة فلم يقبل، فاستسلمت بين يديه، وقلت: إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين، فقال: عجــل، فقمت أصلي فارتج علي القرآن، فلم يحضــرني منه حرف واحد، فبقيت واقفًــا حائرًا، وهو يقول: هيــا افرغ، فأجرى الله على لســاني قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] فــإذا بفارســ قــد أقبل من فم الــوادي وبيده حربة، فرمى بها الرجل، فما أخطأت فؤاده، فخرّ صريعًا، فتعلقت بالفارســ، وقلت: بالله من أنت؟ فقال: أنــا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، قال: فأخذت البغل والحمل، ورجعت سالمًا.

أقول:

إنهــا قصصــ مواعــظ وعبر، ومــا أكثرهــا في تاريخنا الإسلامــي الحافل

بالقصص الحقيقية والواقعية التي ليست من نسج الخيال، وقد نقلتها من مختصر تفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر تفسير سورة النمل، وبالله التوفيق.

٨٩٠ المسافر وما يلزمه

قال لقمان لابنه: يا بني، إذا سافرت فلا تنم على راحلتك، وإذا نزلت بها أرضًا مكلأة فأعطِها حظها من الكلأ، وابدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك، وإذا أردت النزول فلا تنزل على قارعة الطريق، فإنها ملأى بالحيات والسباع، ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لونًا وأحسنها تربة، وسافر بسيفك وقوسك وجميع سلاحك، وخفك وعمامتك وإبرتك، وكن لأصحابك موافقًا في كل شيء يقربك إلى الله، ويباعدك من معصيته، وأكثر التبسم في وجوههم، وكن كريمًا على زادك بينهم، وإذا دعوك فأجبهم، وإذا استعانوك فأعنهم، وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم، واجهد رأيك، وإذا رأيتهم يمشون فامشِ معهم، أو يعملون فاعمل معهم، واستمع لمن هو أكبر منك، وإن تحيّرتم في طريق فانزلوا، وإن شككتم في القصد فتثبتوا وتشاوروا، وإذا رأيتم خيالًا واحدًا فلا تسألوه عن طريقكم، فإن الشخص الواحد في الفلاة هو الذي يحيّركم، واحذروا الشخصين أيضًا إلا أن تروا ما أرى، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وإن العاقل إذا أبصر شيئًا بعينيه عرف الحق بقلبه.

أقول:

الراحلة اليوم هي السيارة وإكرام السيارة فحصها وملاحظة زيوتها وشحومها وجميع محركاتها، ويا ليت المسؤولين خففوا على الناس رسم الفحص الدوري إلى عشرة ريالات مثلًا، فهم أهل للرفق.

٨٩١ مع سيف الله خالد

لما كتب الخليفة أبوبكر الصديق إلى قائده في العراق خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشام قائدًا على جيوش المسلمين مكان أبي عبيدة بن الجراح، أخذ

خالـد صحـراء السماوة بين العـراق والشام حتى انتهى إلـى قراقر، فقطعها في خمسـ ليـالٍ، ولكنـه لم يكن يعرف هذا الطريـق حتى دلوه علـى رافع بن عميرة الطائي، فكان دليلًا خريتًا بارعًا، فقال لخالد: خلّف الأثقال، واسلك هذه المفازة إن كنت فاعلًا، فكره خالد أن يخلف أحدًا، وقال له: «لا بد أن نكون جميعًا» فقال له رافع: والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه، وما يسلكها إلا مغرّر مخاطر بنفسـه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال خالد: «لا بد من ذلك» فقال: ابغني عشرين جزورًا من الإبل، فحبسهن عن الماء حتى ظمئن، ثم سقاهن حتى روين، ثم قطع مشافرهـن وكعمهن حتى يمنعها الاجـترار، ثم قال خالد: سرْ بالخيول والأثقال، فكلمـا نزلت منزلًا نحرت من تلك الجزر أربعًا، ثـم أخذت باقي بطونها من الماء، فسقيتـه الخيل، وشرب الناس. فلما صاروا إلى آخر المفازة جهد الناس، وعطشت دوابهـم، فقـال له خالد: ويحك ما عنـدك؟ قال رافع: أدركت أمـري إن شاء الله، انظروا هل تجدون شجرة عوسج على ظهر الطريق؟ فنظروا، فوجدوا أصلها تكاد تطمره الرمال، فقال: احفروا في أصلها، فحفروا، فوجدوا عينًا، فشربوا، وتزودوا، فقال رافع: والله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة مع أبي وأنا غلام.

٨٩٢ عاشق شهم شجاع

كان خالـد بن عبدالله القسري ممن تولوا حكم البصرة أيام الأمويين، ولاه عليهـا هشـام بن عبدالملك الأمـوي، ثم عزله عنها. حدث يومًـا أن كان خالد في مجلسـ حكمه بالبصرة، فجاءه رهط قد أمسكـوا بشاب ذي جمال وكمال وأدب ظاهـر، ووجه زاهر حسـن الصورة والملبس، طيب الرائحـة، عليه سكينة ووقار، فقدمـوه إلى خالد، فلما سألهم عن قصته؟ قالـوا: هذا لص أصبناه البارحة في منازلنـا. فنظـر إليه خالد، فأعجبه حسـن هيئته ونظافته وسكينـة نفسه ووقار حركاتـه، فقال: خلوا عنه، ثم أدناه منه، وسأله عـن قصته؟ قائلًا له: ما حملك علـى ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة؟ قال: حملني عليه الشر في الدنيا،

وبهـذا قضـى الله سبحانه وتعالى، فصاح فيه خالـد: ثكلتك أمك أما كان لك في جمـال وجهـك ورجاحة عقلك وحسن أدبك ما يزجرك عـن السرقة؟ فأجابه في سكـون وأدب: دعْ هـذا عنـك أيها الأمـير، وأنفذ ما أمرك بـه الله تعالى، فذلك جزائي على ما اكتسبته يداي، وما الله بظلام للعبيد، فتحير خالد، وصمت يفكر في أمر الفتى وغرابة مبادرته إلى الاعتراف، ثم أدناه منه، وقال له: اعترافك على رؤوس الأشهاد قد رابني في أمرك، وما أظنك سارقًا، وإن لك قصة غير السرقة، فأخبرني بها، قال: أيها الأمير، لا يقع في نفسـك إلا ما اعترفت به عندك، وليس لي قصـة أشـرحها لك إلا أني دخلت دار هؤلاء، فسـرقت منها مالًا، فأدركوني، وأخذوه مني، وحملوني. فأمر خالد بحبسـه، وأمر مناديًا ينادي في البصرة: من أحـب أن ينظر إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضـر في الغد، فلما اسـتقر الفتى في الحبس، ووضعت رجلاه في الحديد تنفس الصعداء، ثم أنشد:

هـدَّدني خـالـدٌ بقطـعِ يـدي ... إنْ لمْ أبـحْ عـنـدَه بِقصّتِـها

فقلت: هيهـاتَ أنْ أبـوحَ بما ... تضـمَّنَ القلـبُ مِـنْ مَحبّتِـها

قطعُ يـدي بـالّذي اعترفتُ بهِ ... أهـونُ للقلـبِ مـن فَضيحتِها

فسـمعه الموكلون بـه، فأتوا، وأخـبروه بذلك، فلما جن الليل أمر بإحضـاره عنده، فلما حضـر اسـتنطقه، فوجده أديبًا ظريفًا، فأعجـب به، وأمر له بطعام، فأكلا معًا، ثم تحدثا ساعة، ثم قال له خالد: قد علمت أن لك قصة غير السرقة، فإذا كان الغد، وحضـر الناس والقضاء، وسـألتك عن السرقة، فأنكرها، واذكر فيها شـبهة تدرأ عنك القطع، فقد قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادرؤوا الحدود بالشبهات**»[1]، ثم أمر به إلى السجن، فبات هناك، فلما تنفس الصبح بدأ الناس يتوافدون أرسـالًا إلى السـاحة التي سيعاقب فيها الفتى ليروا عقوبته، فلما كانت الغداة ركب خالد ومعه وجوه البصـرة وغيرهم، ثم دعا بالقضاة، وأمر بإحضار

(١) ضعفه الألباني في إرواء الغليل (٧/٣٤٣ رقم٢٣١٦).

الفتى، فأقبل يحجل في قيوده، ولم تبقَ واحدة من النساء إلا بكت عليه، وارتفعت أصواتهن بالعويل والنحيب، فأمر بتسكين الناس وإسكاتهم، ثم التفت إلى الفتى قائلًا: إن هؤلاء القوم يدعون أنك دخلت دارهم، وأخذت مالهم فما تقول؟ قال: صدقوا أيها الأمير، دخلت دارهم، وسرقت مالهم، فأمسكوني به. فسأله: لعلك شريك القوم في شيء منه، فأجاب: بل المال كله لهم، ولا حق لي في شيء منه، عندئذ غضب خالد؛ لأنه كلما فتح له بابًا للخلاص أصر على سده في عناد، فقام بنفسه، وضربه بالسوط، وقال متمثلًا:

يريدُ المرءُ أنْ يُعطَى مناهُ ويأبَى اللهُ إلّا ما يشاءُ

ثم دعا الجلاد ليقطع يده، فحضر، وأخرج السكين، وقبض على يد الفتى، وشهر السكين لقطعها، فإذا جارية من صف النساء تخرج وعليها إزار وسخ، فصرخت، ورمت بنفسها عليه، ثم أسفرت عن وجه وضاح كأنه البدر في تمامه، وضجّ الناس لذلك ضجة منكرة، وكادت تقع فتنة، ثم نادت الفتاة بأعلى صوتها: رويدًا أيها الأمير، ناشدتك الله ألّا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة، فلما فض خالد الرقعة وجد فيها هذه الأبيات:

أخالدُ هذا مستهامٌ متيمٌ — رمتْه لِحاظي عن قِسيٍّ الحَمالقِ

فأصماه سهمُ اللحظِ منِّي فقلبُه — حليفُ الجوَى من دائه غيرُ فائقِ

أقر بما لم يقرفْه كأنَّه — رأى ذلكَ خيرًا من هتيكة عاشقِ

فأشفقْ على الصَّبِّ الكئيبِ فإنَّه — كريمُ السَّجايا في الورَى غيرُ سارقِ

فلما قرأ الأبيات تنحى عن الناس، وأحضر الفتاة، ثم سألها عن القصة، فأخبرته أن هذا الفتى عاشق لها، وهي له عاشقة، وأنه أراد زيارتها، فلما بلغ الدار تسلقها حتى استوى على السقف، وأراد أن يعلمها مكانه، فرمى بحجر إلى الدار، فسمع وقعه أبوها وإخوتها، فصعدوا إليه، فلما أحس بهم يحاصرنه بادر

بجمع ما تيسر له من قماش البيت، وجعله صرة، فأخذوه على هذه الهيئة، وقالوا: هذا سارق، ثم أتوا به إليك، فاعترف بالسرقة، أصر على ذلك؛ حتى لا يفضحني بين أهلي، وهان عليه قطع يده ليستر علي كل ذلك لمروءته وكرم نفسه، فقال خالد: إنه خليق بذلك، ثم استدعى الفتى إليه، وقبّل ما بين عينيه، وأحضر أبا الفتاة، وقال له: إني عزمت على قطع يد هذا الفتى حدًّا، وإن الله أنقذه، وأنقذني من الخطأ، وأمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانة شرفكم، وأمرت لابنتك بمثل ذلك، وأنا أسألك أن تأذن لي في تزويجها منه، فقال والدها: رضيت وشكرت، ثم إن خالدًا حمد الله، وخطب خطبة حسنة، ثم قال: زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة بإذنها ورضاها وإذن أبيها ورضاه على عشرة آلاف درهم، فقال الفتى: قبلت هذا التزويج، ثم قال الفتى هذين البيتين مشيرًا إلى خالد:

لقدْ جدتَ يا ابنَ الأكرمينَ بنعمة ... جمعتَ بها بينَ المحبينَ في سترِ

فلا زلتَ للإحسانِ كهفًا وملجأً ... وقدْ جلَّ ما كانَ منكَ عنِ الشُّكْرِ

٨٩٣ أمانة النصارى السورية

ألقي القبض أمس على أكثر من (٢٠) موظفًا في قسم الأمتعة التابعة لشركة (بريتش أيرويز) إثر عملية كبرى للشرطة في مطار هيثرو الدولي.

ويتوقع أن توجه لهؤلاء الموظفين خلال (٢٤) ساعة تهمة التآمر على السرقة من حقائب الركاب في المطار.

وقال البوليس: إنه قام بعملية تمشيط شاملة في المطار وفي منازل موظفي الشركة بعد عملية مراقبة استمرت أسابيع عدة، وامتنع البوليس عن كشف أي رقم لقيمة المسروقات، واكتفى بالقول: إن جرائم سرقات حقائب الركاب وأمتعتهم كانت مشكلة كبيرة في مطار هيثرو مدة سنوات عدة (عن جريدة الرياض يوم ٣/١٠/١٤٠٧هـ).

سـجلناها في كتابنا، وهي مهداة مني ومن كل مسـلم إلى من افتتنوا بمدح الغرب والشرق بالأمانة والصدق والحط من قدر الإسلام والمسلمين والعرب، ولو أن هذا حصل في مطار إسلامي أو عربي لأقاموا الدنيا، وأقعدوها، ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل.

٨٩٤ الشعبي يصف شعر الأعشى

قال الإمام الشـعبي: الأعشـى أغزل الناس في بيت، وأخنث الناس في بيت، وأشجع الناس في بيت، فأما أغزل بيت فهو:

غـرّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارضُها ... تَمشي الهُوينَى كما يَمشي الوَجي الوَحلُ

وأما أخنث بيت فقوله:

قـالـتْ هـريـرةُ لمّـا جئـتُ زائـرَهـا ... ويلي عليكَ وَوَيلي منكَ يا رجلُ

وأما أشجع بيت فقوله:

فتًى لا يريدُ العزَّ إلّا منَ التُّقى ... ولا المـالَ إلا مـن قنًـى وسيوفِ

٨٩٥ سماحة أهل حائل

حدثني أحد الأصـدقاء من شـمر قال: كان لي جار في مدينة الدمام، وذات يـوم دخل عليَّ مهمومًا قائلًا: المشـورة يـا جاري، قلت له: ما الأمر؟ قال: صـدر الأمر بنقلي من عملي إلى مدينة حائل، وأنا أصلي من المنطقة الجنوبية، وعشت هنـا، وأحببـت البلـد، ولا أريد الذهاب إلـى هناك، حتى لو اسـتقلت من عملي. قلـت له: مهلًا، لا تتعجل، فالبلد الذي نقلت إليه أحسـن جوًّا من الدمام، قال: لا بد من الاسـتقالة، قلت له: والله إن نقلت إلى حائل ولو شـهرًا واحدًا فسـترغب، وتطلب الاسـتمرار بها، وكان عسكريًّا في رتبة كبيرة، واعتذر عن الذهاب، وقدم

اسـتقالته إلى المسـؤولين، وقدم الأعذار المقبولة، فقال له المسـؤول بعد الاطلاع علـى ملفه، وأنه من الأكفاء: لا، لن تقبل اسـتقالتك وعليـك التنفيذ. وفعلًا نفذ الأمر، وذهب، وبعد أشـهر عدة جاء إليَّ يسلم، فقلت له: ماذا صنع الله بك، وما أخبارك مع شـمر؟ قال ضـاحكًا: شـهادتك في أهل حائل مجروحـة، حيث إنهم أبناء عمك شـمر، قلت له: ماذا لقيت؟ قال: لقيت فوق ما تقول فيهم بكثير، وها أنذا سأسـتقر هناك، وسـأرحل، ولماذا لا أرحل إلى بلدة تجمع بين نظافة البيئة، وبرودة الجو واعتداله وبشـر الوجوه وكرم الأخلاق، حيث إن أسـوأ كلمة تقال لي هناك: يا بعد حيي.

أقول:

حائل هي بلد حاتم الطائي الذي قال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابنته سـفانة: «**لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه**»[1]. وهي بلد زيد الخيل الذي سـماه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **زيد الخير**[2].

٨٩٦ هيكل يبكي أمام عبدالناصر

قال محرر الوفد في مقابلة مع صلاح نصر في يوم ١٣/١٠/١٤٠٧هـ، وأسجل أنه كان يتحدث بعد أن قضى في السجن سبع سنوات استطرد يروي لكبار الكتاب والصحفيين:

هيـكل أقـرب المقربـين إلى عبدالناصـر، وكان عبدالناصـر يصـف هيكل بالكذاب، قال لنا عبدالناصر مرة: لم أسمع بواحد قط كان زميلًا لهيكل في أثناء الدراسـة بالجامعة الأمريكية كما يدعي، بينما هناك من زامله في العمل موظفًا لدى قيادات الإنجليز في معسكرات القناة، وكان عبدالناصر يضع أمام هيكل كل

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤٣٣/٥ رقم٢٠٨٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٨/١١-٣٥٩).

(٢) أخرجـه الطـبراني في أكبر معاجمه (٢٠٢/١٠ رقم١٠٤٦٤)، وأبو نعيم في معرفة الصـحابة (١١٩٨/٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤٣١/٥ رقم٢٠٨٥)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩٨/٧ رقم١١٨١٤).

أسـراره التي يخفيها، فيبكي هيكل أمامه، وهي أسـرار تريق ماء الوجه، وحرص عبدالناصر أن يطلب من سامي شرف أو من حسن عليش وكيل المخابرات العامة أن يجنـد كبـار الكتاب المصـريين ليعـدوا له تقاريـر المعلومات عن أصـدقائهم وزملائهم ورحلاتهم في الخارج مقابل أجور ضخمة قبل أن يسند إليهم المناصب الرئاسـية في دور الصحف، وكان بعضـهم يتقدم متطوعًا لأداء هذه المهمة تقربًا مـن السـلطة، فإذا ما سـمع عبدالناصـر بلقـاء أحدهم فاتحه في بدايـة اللقاء بأسـراره الشخصية المشينة، فيتلاشـى هذا الكاتب أو ذاك أمامه، ويبقى طوال اللقاء ذليلًا أسيرًا، فكيف يستطيع أحد بعد ذلك أن ينقد أو يصلح؟ هذا الكلام لصـلاح نصر صاحب مخابرات عبدالناصـر حتى عام (١٩٦٧م) عام الهزيمة الكبرى التي سماها هيكل وبقية المطبلين (نكسة) وهي هزيمة عسكرية وسياسية ودينيـة وأدبية لم يجرِ على العرب والإسـلام أعظم منهـا بعد غزو التتار وخروج المسـلمين من الأندلس، هذه هي الثلاث هزائم للعرب والمسلمين، وقد تكون أكبر الهزائم في هذه الفترة.

والغريب أن هذا الدجال؛ وأقصـد هيكل لا يزال يكذب على النـاس في كتبه، ولا يزال يصـف عبدالناصر بالبطل المنتصر، ولا يزال هذا العلماني يحاول قلب الحـق باطلًا، ولكـن يعزينا قـول الله تعالـى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[إبراهيم: ٤٢].

٨٩٧ احتضار طاغوت

قـد أثبتت الدراسـات الميدانية في الغرب والشـرق أن التديـن يخفف كثيرًا مـن قلق الموت ورهبته، وثبت أن هنـاك فارقًا واضـحًا بـين معنى الموت ومواجهته بـين المتدين وغير المتدين، ولحظات الوفاة تسـجيل دقيق لنتائج أعمال الإنسـان في الدنيا، فالمؤمن الصـالح مرحـب للموت فرح بلقاء الله. أمـا الكافر فهو على العكس تمامًا.

وأعتقد أن اللحظات التي سبقت وفاة ستالين الزعيم الروسي هي نموذج لوفاة غير المؤمن، وقد سجلتها ابنته سفيتلانا في مذكراتها، فتقول: كان موت أبي مأساة حقيقية، مأساة صعبة، إن الله لا يمنح الموت السهل إلا للمؤمنين. إن النزيف الداخلي امتد رويدًا رويدًا إلى بقية المخ، وإذا كان قلب أبي قويًّا، فإن النزيف غزا بالتدريج مركز التنفس، وانتهى بالاختناق، كان أبي يعاني نقصًا حادًّا في الأكسجين، وكان وجهه ترتسم عليه أمارات الفزع، وكان متقلصًا، واسودت شفتاه، وأصبحت تقاطيع وجهه غريبة، وكانت الساعات الأخيرة احتضارًا رهيبًا، وكان أبي يختنق بدمائه تحت أنظارنا، وفي اللحظة التي باتت وكأنها الذروة في احتضاره فتح عينيه فجأة، وشمل جميع ممن حوله بنظرة رهيبة، نظرة معتوه أو نظرة خوف من الموت أو من الوجوه الغريبة للأطباء الذين كانوا بجواره، ثم وقع شيء مخيف وغير مفهوم لن أنساه مدى الحياة، ولم أفهمه حتى اليوم، فقد رفع أبي فجأة يده اليسرى، وكأنه يشير إلى شيء، ثم أسقطها إلى جانبه، وكأنه يلعننا جميعًا، وكانت تلك الإيماءة التمهيدية بلا تفسير، ولم يستطع أحد أن يقول إلى من أو إلى ماذا كانت موجهة.

وشهادتها لا تحتاج إلى شرح أو تعليق أو توضيح، فهي نهاية رجل لم يؤمن تنطبق عليه الآية الكريمة: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] إن اللحظة التي رأى فيها ستالين كل شيء، وفهم كل شيء هي اللحظة التي بدأ فيها رحلة الذهاب إلى حيث لا رجوع.

٨٩٨ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]

كانت الأحداث تتوالى بسرعة. كاد الرئيس السادات يفقد صوابه تجاه العلماء ورجال الدين تدريجيًّا، وفي يوم (٤) سبتمبر ١٩٨١م اعتقل الشيخ، وذهب به إلى سجن التجربة، وهو أسوأ السجون المصرية على الإطلاق، ومخصص

لكبار المجرمين والخطرين، ووقف السـادات يخطب في الأمة مزهوًّا في يوم (٥) سـبتمبر بأن الشـيخ البذيء (يقصـد الشـيخ أحمد المحلاوي) ملقى في السجن كالكلب. كانت الأوامر تقضـي بمعاملة الشيخ أسوأ معاملة، ولكن الله كان هناك، كان في هذا السـجن شخص يقضي عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة بتهمة الاتجار في المخدرات يتمتع بنفوذ كبير داخل السـجن بفضـل ما يدفعه من رشًـا وإتاوات وشـراء للذمم، كانت أفخم الأطعمة تأتي إليه سـاخنة أو بـاردة من أكبر المحالّ في القاهرة، وبنخوة مصـري بسـيط قرر هـذا الرجل أن يشـرك المحلاوي معه في طعامـه أو شـرابه، بل لقد أرسـل في طلـب ملابس للشـيخ، وجاءته على وجه السـرعة، بل إن ذلك الرجل قرّر أن يصلي حتى يقبل الشيخ مشاركته في الطعام على أساس أنه ربما لا يقبل أن يشاركه بدعوة أنه لا يصلي، وكانت مفاجأة للشيخ أن يجد أمامه طعامًا لم يذقه في حياته، وملابس فخمة وعددًا كبيرًا من الحراس رهن إشـارته بحكم أموال ذلك الرجل التي تدفع لهم، ويذهب السادات، ويخرج الشيخ من السجن، والله غالب على أمره. عن كتاب (قصتي مع السادات) الذي كتبـه د. محمود مورو، مـع تحفظنا على ما جاء في الكتاب مـن عبارات من عند المؤلف لا تمت للإسلام بصلة.

٨٩٩ نيللي والشيخ كشك

قال الشيخ عبدالحميد كشك- وهو من أشهر خطباء الجمعة في مصر- في مقابلة مع جريدة (المسـلمون) يوم (١٤٠٧/١١/٧هـ) ما يلي: إنه في يوم الجمعة الثامن والعشـرين من أغسـطس ١٩٨١م صـعدت المنبر، وكنت أشعر وأنا أصعد درجة بسـخونة الأحداث وارتفاع درجة حرارتها، فقد كان كل شـيء ينذر بوقوع أشـياء جسـيمة وخطيرة، ورأيتني في مقدمة الخطبة أصرخ بأعلى صوتي قائلًا: اتّـقِ الله أيهـا الظـالم، فالليل مهما طال فـلا بد من طلوع الفجـر، والعمر مهما طـال فلا بد من دخول القبر؛ وظللت أردد كلمات فيها الوعيد للظالمين، وبالفعل، ففي ليلة الثاني من سـبتمبر ١٩٨١م انتزعني الحراس من بين أطفالي السـبعة،

وعلمت بعد ذلك أن المصلين في مسجد عين الحياة قاموا بمظاهرات بعد صلاة الجمعة لما علموا أنني قد تم إلقاء القبض عليَّ. كان موعدي مع التحقيق يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر سبتمبر، ففي صبيحة هذا اليوم جيء بقافلة من السيارات، وفي موكب مسلح تتقدمه الدراجات البخارية التي تمرق مروق السهم من الرمية، وقد انطلقت الصفارات تفسح الطريق لسيارتنا التي حشرنا فيها حشرًا، حتى استقر بنا المقام أمام المبنى الذي سيحقق معنا فيه، ودخلت على المحقق، ووجّه أسئلته، وكان أكثرها يدور حول الخطب، ومن الأسئلة التي مازلت أذكرها هذا السؤال الخالد: لماذا تهاجم نيللي؟ وكأن هذه قد أصبحت ذاتها مصونة لا تمس، ومن أرادها بسوء قصمه الله، وكأنها كنانة الله في أرضه أو مبعوثة العناية الإلهية، فقلت: إنما كنت أطالب بتأخير فوازيرها حتى نصلي القيام، فقد صرفت الناس عن صلاة القيام في رمضان، ثم قلت: لقد صارت كالهلال نصوم لفوازيرها، ونفطر لفوازيرها، وسأل: لماذا تهاجم الكرة؟ قلت: لأنها تحولت إلى رياضة مذمومة، وأصبح ضررها كالخمر والميسر.

٩٠٠ الاشتراكية واردة من البيت الأبيض

قال الداعية الإسلامي والمحاضر في جامعة الملك عبدالعزيز الأستاذ/ محمد قطب، وهو شقيق الشهيد سيد قطب صاحب الموقف المشرف أمام مستورد الشيوعية لأرض الكنانة (عبدالناصر)، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (واقعنا المعاصر) ص٣٥٢:

يظن كثير من الطيبين أن الاشتراكية التي استخدمت في المنطقة كانت واردة من روسيا، ويستدلون على ذلك بلا شك بالتوغل الذي توغلته روسيا في المنطقة في وقت من الأوقات.

وقـد كانت (اللعبة) متقنة في الحقيقة لتـؤدي إلى هذا الاعتقاد عن الناس لأمر يراد.

هنـاك كتـاب كان مقررًا على طلبـة البكالوريوس في كليـة التجارة بجامعة القاهـرة فـترة من الوقت يحمل عنـوان (مراحل التنمية الاقتصـادية في البلاد المتخلفة) من تأليف (ولت روسـتو)، وهو أحـد أخوين يهوديين يعملان في البيت الأبيض الأمريكي، يقول فيه ما خلاصـته: إن المنطقة- يقصـد ما يسمى منطقة الشرق الأوسط- معرضة للشـيوعية بسبب فساد الحكم فيها والفوارق الضخمة بين الطبقات وانخفاض مسـتوى الدخل، ولا بد لعلاج هذا الأمر من رفع مسـتوى المعيشـة، وتقريب فوارق الطبقات، وإزالة الفساد الضارب أطنابه في الحكم، ولا يمكن رفع الدخل القومي إلا عن طريق التصنيع الثقيل، ولكن التصنيع الثقيل في البلاد المتخلفة لا يمكن أن يقوم به رأس المال الفردي؛ لأنه لا يحقق أرباحًا سريعة، وقد يظل يحقق خسـائر مدة عشـر سـنوات أو خمس عشرة سـنة مما لا يتحمله رأس المال الفردي؛ لذلك ينبغي أن تقوم به الدولة، وذلك بإنشاء قطاع عام يظل يتسـع تدريجيًّا حتى يحتوي القطاع الخاص في داخله، ولا بد في الوقت نفسـه من إنشـاء زعامـات محلية قوية تلتف حولهـا الجماهير؛ لكي لا تتجه ببصـرها إلى روسيا، وبعد أن يرتفع الدخل القومي، وتقرب فوارق الطبقات يمكن الرجوع على نشـاط رأس المال الفردي الحر مرة أخرى، بينما تكون شعوب المنطقة قد كرهت الشـيوعية تحـت وطأة التجربة الاشـتراكية المخففة، ثم يضـيف الشـيخ محمد قطب قائلًا:

هل بقي شيء من الصورة يختلف عن الواقع الذي طبق بالفعل؟!

نعم، هناك شيء واحد لم يكن في بال (والت روستو) وهو يصدر الاشتراكية إلـى شـعوب المنطقة مـن داخل البيت الأبيض؛ لأنه لم يكن يعيش هناك، وكان يتصور الأمر من وراء مكتبه لا من المشاهدة الميدانية.

لقد جاء التأميم إلى مصــر، فأممت المصــانع الحيوية والمؤسسات، فتحول مــن فيهــا من العمال إلــى موظفين في الدولة على ذات النســق نفســه الذي كان قائمًا في دواوين الحكومة من قبل، فضلًا على ما يحدث في الاشتراكية دائمًا من وجود طبقة من العاملين لا تعمل في الحقيقة إنما ينصرف همها إلى التقرب إلى المباحــث والمخابرات بالتجســس على إخوانهم وكتابــة التقارير. وهكذا لم يرتفع الدخل القومي بالتجربة الاشــتراكية، ولم يصــلح الفســاد، بل انهار الاقتصــاد، ووصل حد الإفلاس، وعولج في كل مرة بالقروض التي تؤدي في النهاية إلى مزيد من الانهيار.

ثم يضــيف الشيخ محمد قطب قائلًا: المهم لدينا في سياقنا هذا أن التحول الاشــتراكي العظيــم كان توجيهًا من البيت الأبيض، ولم يكــن توجهًا حقيقيًّا إلى الاشتراكية. لقد كان الهدف أخطر من ذلك بكثير، وهو حرب الإسلام.

٩٠١ أنواع الصبر

قال حجة الإســلام الغزالي: إن الصــبر تختلف أسماؤه باختلاف ما يصبر عليه المرء منه، فإن كان صــبرًا عن شــهوة البطن والفرج سمي عفة، وإن كان في احتمال مكروه ســمي صبرًا وضده الجزع، وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وضــده البطر، وإن كان في الحرب ســمي شــجاعة وضده الجبن، وإن كان في كظم الغيظ ســمي حلمًا وضــده التذمر، وإن كان في نائبة مضجرة سمي سعة الصــدر، وإن كان في إخفاء كلام ســميّ كتمان الســر، وإن كان في فضول العيش ســميّ زهدًا، وإن كان على قدر يســير من الحظوظ ســمي قناعة، والصــبر عن المحظور فرض، وعن المكروه نفل، وعن أذى الناس فضيلة.

٩٠٢ حكمة تحريم أواني الذهب

قال بعض العلماء: إن الذهب والفضة إذا خرجا من معدنهما صارا كالزروع المحصورة والأنعام المذبوحة لا يسوغ غير أكلها وإنفاقها، وكذلك هذا المال ليس له بعد الاستنباط غير الطبع عينًا وورقًا وترديده في الأيدي، لهذا السبب تروى حكمة تحريم الأواني الذهبية؛ لأنها تصير غير منتفع بها في الوقت الذي جعلت من أجل تسهيل التبادل في المصالح البشرية.

٩٠٣ صوت البنادق

تقول جيهان السادات زوجة الرئيس المصري الراحل أنور السادات: إنها لن تنسى أبدًا أصوات المدافع الرشاشة التي أنهت حياة زوجها عام ١٩٨١م.

وتصف السيدة جيهان السادات في كتاب عنوانه (سيدة من مصر) تروي فيه سيرتها الذاتية، وما تشع به من ذكريات مرعبة عن قتل زوجها بأيدي جماعة إسلامية، بينما كان يشاهد عرضًا عسكريًّا في القاهرة. وتقول أيضًا: سأظل أسمع ما حييت صوت البنادق الآلية التي أنهت حياة زوجي وتسعة أشخاص آخرين، وسأظل أرى دماء أنور، وهي تسيل على المقاعد الخشبية المبعثرة على منصة العرض.

وقالت أيضًا: إنها ستظل طوال حياتها تبكي عندما تذكر أحفادها الصغار وهم يصرخون هلعًا، بينما حطّم الرصاص النوافذ فوق المنصة، وارتطم بالحائط الأسمنتي الذي كنا نختبئ خلفه. ومضت تقول: ستمر خمسة أعوام لكي يستطيع أحفادي النوم دون كوابيس، ولن أعرف أبدًا طعم النوم الهادئ مرة أخرى.

هذا ما ذكرته جريدة الجزيرة يوم ١٨/١٢/١٤٠٧هـ ونسـبته لوكالة رويتر، ونسـجله هنا ليعتـبر أولو الألباب، وليعلم أن السـعادة هي بتنفيذ تعاليم رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو ما عناه الإمام الشافعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقوله:

وَلا تـأسَ فِي الـدُّنيا علَى فائتٍ   وعـنـدَك الإسْــلامُ والـعـافِـيـة

وللعلـم، فهذه المـرأة أمرها عجيب، فهي في غاية الدهاء، وهي مسـترجلة، وتحمل الجنسـية البريطانية والأمريكية، وتسـلطت على كثير من الأموال العامة المصرية باسم جمعيات الوفاء والأمل.

وفي الفترة الأخيرة قامت بجمع التبرعات لجماعات إسـرائيلية، ولكن ربك بالمرصاد، فمع كل هذه الشهرة والأموال حرمها الله السعادة والنوم.

وصـدق الله العظيـم، حيث يقـول ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤] فهذه والله المعيشة الضنك.

٩٠٤ انتهاك حرمات البشر

قالت جيهان السادات زوجة الرئيس المصري أنور السادات في مذكراتها في جريدة (الوفد) عدد يوم ٢١/١/١٤٠٨هـ:

همسـ أحد زعماء قريـة ميت أبوالكوم في أذني، وأنا في زيارة إلى هناك في صـيف ١٩٦٩م: مدام إن ما يحدث في قرية كشـيش شيء غير إنساني، لقد دخل ضـباط البوليس أمس، وأخرجوا عميد عائلـة النقي من منزله، وربطوا حبلًا في رقبتـه، وطلبوا منه أن يركـع على يديه وركبتيه مثل الحمار، وأخذوه إلى شـوارع القرية، وطلبوا من الفلاحين أن يبصـقوا عليه. وتقول جيهان: وانتهكت حرمات البشـر، وأصبح منظرًا مألوفًا أن يقتحم رجال الأمن منزل أحد المشتبه فيهم في أثناء الفجر، ويؤخذ الرجال من وسط أطفالهم دون أي سبب.

أقول:

هذا كلام سيدة شاركت زوجها الحكم بمعنى الكلمة، وتدخلت في كل صغيرة وكبيرة، وهي تكتب هذا الكلام لينشر باللغات الغربية من إنجليزية وفرنسية وغيرها، وقد سمت مذكراتها أو كتابها هذا (سيدة من مصر) ونشر في صحف عدة عربية، ولا شك أن هذه المرأة في منتهى الذكاء والدهاء، وَتُدَرَّسُ في جامعات أمريكية عدة.

أقول:

وماذا يقول عن العرب والمسلمين من يقرأ هذا الكلام؟ لا شك أنه سيصاب بالدهشة! كيف يحدث هذا العمل الشنيع من حاكم لمواطنيه؟ وسيكون سبة عار إذا علم أن الرئيس الأمريكي كنيدي قتل، ولم يعتقل أحد، والرئيس الأمريكي ريجان جرح ولم يعتقل إلا واحد، ورئيسة الوزراء الإنجليزية تاتشر فجّر الفندق وهي بداخله ولم يعتقل إلا اثنان، هل يعرفون عنا أن ديننا وإسلامنا يأمر بنص القرآن بأن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وأن الخليفة عمر قال لنائبه على مصر: «متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا»، وأمر المصري بأن يقتص من الحاكم الإداري، ولكن الله المستعان، وله الأمر من قبل ومن بعد.

٩٠٥ من مذكرات مدرس

يقول أحد المدرسين: علبة العصير التي غيرت حياتي. هذه السنة الثانية لي في التدريس، ومدير المدرسة يستدعيني في مكتبه: أستاذ راشد! هذه السنة جدولك سيكون في الصفين الثاني والثالث الأدبي! مفاجأة لم أحسب حسابها! فأنا ما زلت شابًّا صغيرًا، عمري لم يتجاوز الرابعة والعشرين بعد! حاولت معه ليتركني أستمر في تدريس الصف الأول، لكن هيهات! فخرجت من عنده، وأنا أتذكر ما يردده بعض الزملاء عن طلاب الأدبي: فهم الأسوأ، وهم كبار السن

الذين لا يرغبون في شيء اسمه دراسة، فعشت ساعات في قلق، فماذا أفعل لم يتبقَّ على بداية العام إلا أقل من أسبوعين؟ فذهبت إلى المستودع، وأخذت كتب هذين الصفين، وقرأتها حتى حفظت كل ما فيها.

لا، لا، هذه لا تكفي، فتوجهت إلى مكتبة الرشد، واشتريت كتبًا ومراجع لكل ما يتعلق بالمواد التي سوف أدرسها، ولا سيما كتب التحليل الأدبي وشروح ديوان المتنبي وأبي تمام، وغدًا أول أيام العام الدراسي، فإذا بي أردد بيت امرئ القيس:

أَلا أيُّها الليلُ الطويلُ أَلا انْجَلي ....

وكعادة الشعراء يشكون جراحهم في الليل، ففيه الهدوء، أما أنا فكنت أنتظر الصباح لأرى هل أنجح مع هؤلاء الطلاب، وأكسب قلوبهم؟ رن الجرس معلنًا بداية الحصة الثانية. نعم، أتذكر تلك الحصة بكل تفاصيلها! فاتجهت للصف الثاني الأدبي، ودخلت الفصل بكل هدوء، وعرفتهم بنفسي وبالمواد الكثيرة التي سوف أدرسها لهم، وطلبت أن يعرفنا كل طالب باسمه، والتفت إلى السبورة، وكتبت المادة: (أدب) الدرس: (تاريخ الأدب العباسي). وبينما أكتب على السبورة عنوان الدرس، فإذا بي أسمع انفجارًا مدويًّا داخل الفصل، مفاجأة مرعبة! أحد الطلاب قذف علبة (عصير الربيع) بكل قوة في اتجاه السبورة، وآثار العصير أصابت جزءًا من ثوبي! مفاجأة وأي مفاجأة؟! لكني حسبت حسابها قبل حدوثها، والحمد لله أنها حدثت في بداية العام! فالتفت إلى الطلاب، فكأن على رؤوسهم الطير، صمت رهيب يخيم على الفصل، وبحسبة بسيطة عرفت أن الذي رمى علبة العصير يجلس في الخلف، فلم أتكلم مدة دقيقة! بعدها انطلقت قائلًا: أنا أستطيع أن أخبر الإدارة، وهم يخرجون الطالب، ويعاقبونه، لكني متأكد أن الطالب الذي رمى علبة العصير كان يقصد أن يضعها في سلة المهملات أسفل السبورة، وأن الذي رمى العلبة رجل سيكون من أحسن الطلاب، وأنه سيعتذر؛ لأني سامحته، وبذلك أحسسته بأنني انتصرت، لكن ماذا بشأن بقية طلاب الفصل؟ فقد رأيت في أعين بعضهم الأسف، فقلت لهم: هل أخطأت؟

إن كنت أخطأت على أحد منكم فأنا أستحق هذه الإهانة أو أكثر، أنا سأدرسكم، وسأقف معكم، وسأكون صديقًا لكم، أنتم مظلومون، هل تعلمون أن أكثر الوزراء من خريجي القسم الأدبي؟ فألقيت عليهم المقطوعة الشعرية، وهي قصيدة المقنع الكندي، فهزت مشاعرهم، وظهر الندم عليهم مشوبًا بالإعجاب بالأستاذ الجديد، ورنّ الجرس، فتوجهت إلى المكتبة، حيث يوجد مكتبي، فلاحقني الطالب، وهو في قمة الحرج والحياء قائلًا: آسف، فقلت له: تعالَ معي، اجلس. جلس، وبكى ذلك الطالب الفتوة الذي طالما أزعج المدرسة والمدرسين، فقدمت له الشاي، فلم يصدق أن مدرسًا يصب له الشاي، فأخذ رأسي وقبله، وتغير هذا الطالب، وأصبح يسلم خافضًا رأسه حياءً واحترامًا، فاستبشر المعلمون، وصار ذلك الطالب من أحسن الطلاب، وتمر السنون، ويتخرج في الثانوية، ويلتحق بـ (كلية الملك خالد العسكرية)، ويتخرج ضابطًا، ويستمر تواصله معي، ويدعوني لحضور زواجه، فشكرته على حلاوة أخلاقه، حيث ذكر قصة علبة العصير لوالده، فضحك الوالد، ودعا لي بظاهر الغيب.

أقول:

عالجوا أيها المدرسون، جموح المراهقين وعنفوانهم بهذا الأسلوب الجميل.

٩٠٦ رئيس أمريكا رجعي

قال الرئيس الأمريكي ريجان في خطاب له في واشنطن يوم ١/٣٠/ ١٩٨٤هـ: إن الإنجيل يضم كل الإجابات على قضايا العصر وكل الأسئلة الحاضرة، وقال: إن أمريكا أقامها رجال آمنوا بأنه لا عاصم إلا الله إلهنا، وإذا كنت أعترف بأننا يجب أن نكون على حذر في ادعاء أن الله معنا، فإنه من الضروري أن نتساءل دائمًا: هل نحن مع الله؟ وأضاف يقول: إن الأموال التي ننفقها في محاربة المخدرات والخمر والأمراض يمكن توفيرها لو حاولنا جميعًا أن نعيش وفق

الوصـايا العشـر، لقد أخبروني أنه منذ بداية الحضارة سـنّت ملايين القوانين، ولكنهـا جميعًا لم تصـل إلى مسـتوى قانون الله في الوصـايا العشـر (عن مجلة أكتوبر ١٢/٢/١٩٨٤هـ).

وتعليقنـا: ماذا نتوقع أن يقول الأمريكيون لزعيمهم؟ هل وصـفوه بالرجعية والتأخر؟ هل وصفوه بالجمود؟ هل تعالت الصيحات من كل مقهى وملعب رياضة: اسكت يا رجل، نحن في عصر الصاروخ والذرة وأنت تدعو إلى نظام القرن الأول الميلادي ونحن في نهاية القرن العشرين؟!

نعـم، نعم، هذا ما لاقاه دعاة الإسـلام في بلاد العرب والمسـلمين، فحين قامت المملكة بنشـر الإسـلام والدعوة إليه وتطبيق الحدود لاقـى زعماؤها الأمرّين من كل ذنب من أذناب الشرق والغرب، طبعًا خارج المملكة ولله الحمد، وعند قيام الجماعات الإسـلامية في بعض أقطار العرب والمسـلمين في الدعوة والرجـوع إلى تطبيق القرآن والسـنة لاقوا من العنت والاسـتهزاء والتعذيب ما لا يعلم إلا الله شـدته، فنقول لهم: هل رئيس أمريكا رجعي؟ هل الأمريكيون جهلة؟ هل الذرة وعصـرها الذي تتبجحون بذكرها عندما تذكرون بسنة رسول الله ﷺ هل هي من صنعكم أم من صنع قوم ريجان؟ هل الصـواريخ من صـنعكم أم من صـنع قوم ريجان؟ هل غزو الفضاء مـن عملكـم أم من عمل ريجان؟ هل الضـبط والربط الإداري والضـبط الصـناعي مـن عندكـم أم من عنـد ريجان وقومه؟ لمـاذا لا يخجل الرجل من ذكـر تعاليم دينه والدعوة إليه، وتخجلون أنتم من ذكر دينكم وشعائره؟ ولكنها نتيجة الجهل والهزيمة والنسيان، لكم من الله حيث نسيتم الله، فأنساكم أنفسكم.

٩٠٧ انتبهوا لأطفالكم

جاء في جريدة (الشرق الأوسط) يوم الأحد ٢/٤/١٤٠٨هـ:

أفاق السـكان في منطقة قليبية التونسية على صراخ أم يمزق سكون المكان، خرج الجيران لاستيضاح الأمر، فوجدوا صبيًّا في الرابعة عشرة من العمر يتدلى

مــن حبل ربط في كوة بجدار. اعتبرت السـلطات الحادث انتحــارًا، وأمرت بفتح تحقيــق لمعرفة ملابســاته، وباســتجواب الأم أفادت أن ابنهــا القتيل كان مدللًا، وكان يعامــل معاملــة حســنة للغاية، لكنه اعتاد أن يتخاصــم بــين حين وحين مع شقيقته الصغرى لأسباب تافهة. ومضت تقول: إنها في يوم الحادث صرخت فيه بســبب مشاجرة وقعت بينه وبين شقيقته، وأنها أنبته على ما فعله، فصدرت منه تهديدات لم تأخذها الأم على محمل الجد، واستطردت الأم في محضر التحقيق قائلــة: إن خمس دقائق مــرت على هــذه الواقعــة، وإذا بإحدى جاراتهــا تبلغها بوجــود الصــبي معلقًا من رقبته يتدلى من كوة الجدار، وقد اتضــح أن الصــبي أتى بقضــيب حديدي، وثبته في الكوة التي تبعــد أمتارًا عن المنزل، ثم لفّ الحبل حــول رقبتــه، وربط طرفه الآخر في القضــيب، ووقف فوق صــناديق طماطم، ثم دفعها بقدميه لينزل مشــنوقًا على النحو الذي شــاهده الجيران، وأكدت الأم أن ابنها أدمن مشــاهدة الأفلام البوليسية، ولا ســيما تلك التي تبثّها من حين لآخر القناة الإيطالية، وكان يحرص في كل مرة على سرد ما يشاهد من مغامرات على مسامع أصدقائه الأطفال من أبناء الجيران.

نقول:

هذا ما جناه الإعلام الغربي الخبيث على المجتمع.

٩٠٨ تفسير آيــة

قال العلماء في تفســير الآية الكريمــة: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ســأل فيها أمير المؤمنين معاوية بن أبي ســفيان الإمام الجليل عبدالله بن عباس عليهم جميعًا رضــوان الله؟ فقال: يا ابن عباس، كنت أقــرأ كتــاب الله، فعلتني موجة في بحر القــرآن كادت تغرقني، قــال ابن عباس: ومــا تلك يا أمير المؤمنين، قال: قولــه تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] قال ابن عباس: هي من القدر (بفتح القاف وإسـكان

الدال) أي فظن أن لن نضيق عليه، فلما ترك قومه مغاضبًا كان جزاؤه أن التقمه الحوت، وهو مكان ضيق: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

٩٠٩ من ابتلي بأربع فلا ينسى أربعًا

قال الإمام جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عجبت لمن ابتلي بأربع كيف ينسى أربعًا، عجبت لمن ابتلي بالخوف كيف ينسى قوله تعالى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤] وعجبت لمن ابتلي بالضر كيف ينسى قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤]، وعجبت لمن ابتلي بالغم كيف ينسى قوله تعالى: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقد قال الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] وعجبت لمن ابتلي بمكر الأعداء كيف ينسى قوله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] وقد قال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

٩١٠ الليث يستمع للقرآن

حبس أحمد بن طولون أحد حكام مصر الأقدمين العالم الجليل القدر أبا الحسن أحمد بن بنان، وقد دخل العالم على الحاكم، فأمره ونهاه، فغضب الحاكم

على العالم متجاهلًا قول الصادق المعصوم صلوات ربي وسلامه عليه: «**اثنان إذا صلحا صلحت الأمة، وإذا فسدا فسدت الأمة: العلماء والأمراء**»[1]. غضب الحاكم ولم يبقَ في قوس صبره منزع، وبلغ من غضبه بعدما غلى مرجل غيظه، وانفجر أنه قال لجنده: خذوا هذا، وادفعوا به إلى أسد جائع، وأغلقوا عليهما قفصًا حتى لا يبقي من عظامه ولحمه، ولا يذر. وانفرد الأسد بالعالم الجليل، وفي صبيحة اليوم اللاحق نظر الحراس، فوجدوا العالم يجلس في وقار وجلال يذكر آيات الله، ويتلو آياته المباركات، ووجدوا الأسد الرئبال مطأطئ الرأس في سكينة وتواضع يستمع إلى آي الذكر الحكيم، وكيف لا وهو كلام الله جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ٢٣]، ثم كيف لا؟ ومنزل الكتاب سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

٩١١ خمس خصال

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا معشر المهاجرين، خصال خمس إذا ابتليتم بهن نزلن بكم، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم. ولم يمنعوا زكاة مالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، وما لم يحكموا بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم، ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلا سُلّط عليهم عدو من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم**»[2].

---

(١) ذكره الجبرتي في عجائب الآثار (١٨/١)، من قول سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٢/٢ رقم٤٠١٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٥٧/٢ رقم١٧٦١).

٩١٢ قسوة القلوب

قال الشـيخ الجليـل عبدالحميد كشـك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مذكراته: جاءني الشـيخ عبدالمقصـود حجر، وقال لي: ألا تدري ماذا يحدث لي في السـجن الحربي على يدي شـمس بدران؟ قلت له: قل يا أخي، فإني أسـمع، وكان الحديث بيننا همسًا، قال: لمّا دخلت السجن الحربي نودي عليّ، وذلك من قبل شمس بدران، وبعد سؤال وجواب قال لي: إن لم تعترف الآن بالمعروف فسوف أعرفك كيف تعترف، سأنتزع الاعتراف من رأسك بالطريقة التي أراها. ولم يكن عندي ما أقوله، فليس هناك تهمـة ولا ذنب، فبمـاذا أعترف؟ ولكنهم قوم لو وزعت قسـوة قلوبهـم على أهل الأرض ما بقي للرحمة سبيل إلى قلب واحد من أهل الأرض، ولما لم يجد مني أي اعـتراف أمر زبانيته أن يأخذوني ويغلوني، ورأيـت نفسي أمام بئر آبار المجاري، وإذا بـه يصدر الأمر أن أنزل في هذا البئـر المليء بالقاذورات والفضلات، وكان يومًا شديد الحر، كأن شمسه خرجت من بين الرمال، ولم تشرق من بين السحب، لقـد سال مـن الشمس لعاب كالمهل يشوي الوجوه، أمرهـم أن يخلعوا ثيابي كيوم ولدتني أمي، وامتثالًا لأمر الطاغية نزلت في البئر، وصلت القاذورات إلى عنقي، فقـال لي الطاغية: اغمسـ رأسك يا ابن كذا وكـذا، وإلا حطمت رأسك بحذائي هذا، قال الشيخ وهو من حملة القرآن الكريم: فوضعت يدي على وجهي، وغمست رأسـي، فلما رفعته قال لي بصوته المفزع: هـل ستعترف؟ فأقسمت بالله أن ليس عندي ما أعترف به، هذا وقد اشتعل جسمي لهيبًا، وكان هناك من الحشرات ما يلسع، ويقرض، ويلدغ كلها كأنها قد اجتمعت علي فضلًا على الرائحة التي تزكم الأنـوف، وتطيش لها العقول، ثم قال: أخرجـوه، وحسبت أنني سأذهب إلى دورة الميـاه لأغسل مـا علق بجسمي من تلـك النجاسات المركزة، ولكنـي فوجئت بهم يأخـذوني عاريًا ملوث البدن إلى مكان تركز الشمس حرارتها عليَّ، فاجتمع عليّ قيـظ الهواجر ولهيب ما علق بجسمي من قـاذورات وما زكم من أنفي من خبيث الرائحة، وظللت هكذا ساعات وساعات.

٩١٣ سجل لا يشرف

سجل التغريب في المرحلة البورقيبية لا يشرف حاكمًا مسلمًا لبلد مسلم، وهو ما تمثل في ذلك الانحياز المدهش لكل ما هو فرنسي بصورة تكاد توحي بأن فرنسة المجتمع التونسي وتثبيت التبعية الثقافية والحضارية للغرب ظلا ضمن المحاور الإستراتيجية التي التزم بها النظام خلال السنوات الثلاثين التي أعقبت التحرير الأول، في هذا الإطار صدر قانون الأحوال الشخصية الذي لا يحاسب الزوج إذا زنى، ولكن يحاكمه، ويسجنه إذا تزوج بأخرى، وثمة قضية شهيرة هزت تونس في آخر السبعينيات، وخلاصتها أن رجلًا ضبط متلبسًا بارتكاب جريمة التعدد، وعندما قدم إلى المحاكمة كانت نقطة الدفاع الأساسية التي أثارها محاميه هي أن علاقة الرجل بالمرأة الثانية لم تكن زواجًا، والعياذ بالله، ولكن المرأة كانت خليلة له، الأمر الذي أراد به المحامي أن يثبت أن موكله مارس عملًا مشروعًا يحميه القانون، ولا يجرمه، وقد فشل المحامي في أن يثبت للمحكمة أن المسألة لم تخرج عن حدود العشق والزنا المباح، ما رجح لدى المحكمة وفي ضمير قاضيها أن المتهم قارف جريمة الزواج، فحكمت بسجنه حتى يرتدع، ويكون عبرة لغيره، في هذا الإطار أيضًا دعا الرئيس بورقيبة إلى الإفطار في رمضان؛ حتى لا تتعطل الأعمال، وكان هو شخصيًّا في مقدمة المفطرين، وزعم أن إفطاره قد يكون مبررًا بحكم سنه أو مرضه إلا أنه كان يقيم حفلات الغداء لضيوفه علنًا في شهر رمضان، ويدعو وزراءه وكبار رجال الدولة بطبيعة الحال إلى مثل هذه المناسبات. وفي شهر رمضان الفائت أقام غداءً من هذا النوع لرئيس الوزراء الفرنسي جاك شيراك حضره الوزراء وبعض أكابر القوم من التونسيين، ونقل التلفزيون التونسي مأدبة الغداء التي شاهدها ملايين الصائمين، وقيل وقتذاك: إن الوفد الفرنسي هو الذي أبدى رغبة في تأجيل الغداء وتحويله إلى عشاء مثلًا، ولكن الرئيس بورقيبة أصرّ على إقامة الغداء إكرامًا لضيوفه الذين يعتز بهم

للغايـة، في الوقت نفسـه، فإن بورقيبة لم يكف عن تسفيه المتدينين وتحقيرهم في كل مناسبـة، فلم يكن يذكر المتدينين والعلماء خاصة إلا ويقترن ذكرهم بصفات مثل الرجعية والتحجـر والتخلف، وفي العام الماضي أقيم الاحتفال السنوي الذي يصافـح فيـه الرئيس أوائل الكليـات الجامعية، وتنقله الإذاعـة والتلفزيون على الهـواء مباشرة، وعندما تقدم إليه الأول على كلية الشريعة وبّخه الرئيس قائلًا: إن البلد ليس في حاجة إلى مأذونين جدد، ثم تفرس في هيئته، وسأله عن القذارة التـي في وجهه؟ فقال له الطالب: إنهـا لحيته أطلقها اقتداءً بالنبي عليه الصلاة والسلام (عن جريدة الوطن) ١٤٠٨/٣/٢٠هـ الكويتية.

٩١٤ وسع الكون

أسفـرت بحوث علمية قام بها ثلاثة من علماء الفلك الأمريكيين في المرصد الوطنـي بولايـة أريزونا وعـالم من المعهـد الفلكي البريطـاني في كامبريدج عن اكتشـاف أبعد نجـم في الكون تّم اكتشافه حتـى الآن، حيث قـدروا أنه يبعد عن الأرض بمسافة واحد وثمانين بليون تريلون ميل، وقد أثبت تحليل الضوء الصادر عـن النجم المكتشف أنه أبعد شيء معروف للبشر حتى الآن، حيث يُقدّر بعده عن الأرض بمسافة ثلاثة عشر بليون سنة ضوئية.

وقـال العلماء الفلكيون: إن اكتشاف النجـوم القصية في الكون يعطي دفعة قوية للبحوث العلمية التي تهدف إلى معرفة حجم الكون وعمره. (جريدة الرياض ١٤٠٨/٤/١٧هـ).

أقول:

صـدق الله العظيم، إذ يقـول: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات: ٤٧] ويقـول سبحانـه: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦] نعم، إن قريشًا في ذلك الوقت لم يكونوا يعلمون عن النجوم وأبعادها كثير علم، ولكن في عصرنا هذا علم الناس عن النجوم الشيء الكثير، وبقي الشيء

الأكثر الذي لم يعلموه، حيث قال الله في آية أخرى: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ [ص: ٨٨] نعم، إن من قرأ بنفس مجردة من الهوى سيؤمن بأنه من عند الله، وأنه معجزة من المعجزات.

٩١٥ الانضباط العسكري

أصدر نابليون أمرًا لجنده ألا يوقد أحد شيئًا في الليل، وفي أثناء تفقده جنده رأى ضوءًا خافتًا، فاتجه إليه، فوجد جنديًّا بجواره، فسأله عن سبب مخالفته الأمر؟ فقال: يا سيدي، لي أم عجوز، وقد تركتها منذ زمن، ولا تعلم عني شيئًا، فأردت أن أكتب لها رسالة أطمئنها عليّ، فقال له: إذن اكتب في آخر الرسالة أنك ستعدم غدًا رميًا بالرصاص، وفي الصباح أعدمه.

٩١٦ ليتهم انتحروا

جاء في كتاب الدكتور جابر الحاج (فشل حركة أكتوبر): يحدثنا عبد اللطيف البغدادي في مذكراته عن هزيمة ما أسموه الاعتداء الثلاثي: في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م قامت إسرائيل بالاعتداء على الجيش المصري، وأسقطت بعض جنود المظلات عند ممر (متلا) بصحراء سيناء، وقررنا مقابلة هذا العدوان بالقوة، ورأينا من الضروري استخدام قواتنا الجوية في الليلة نفسها لقذف قوات العدو التي أنزلت عند الممر، وحضر محمد صدقي رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية، وظهر عليه الاضطراب والارتباك، وأبدى أن هناك بعض الصعوبات التي تعترض قيام الطائرات القاذفة بعملياتها فورًا بحجة عدم توافر الوقود اللازم لها، وطلب جمال البغدادي مساعدة عبد الحكيم في الإشراف على القوات الجوية، وذهب البغدادي لعبد الحكيم، وأبلغه رغبة جمال، فلم يوافقه، وقال له: اعمل على أنك رأيت أن تمرّ عليهم بالقوات الجوية كزيارة لهم عند ذهابك إلى منزلك، ويقول:

لاحظت أن عبدالحكيم يدير المعركة بحالة عصبية، ويتولى إصدار الأوامر في كل صغيرة وكبيرة، والقادة في الميدان لا يملكون التصرف إلا بعد الرجوع إليه، وفي مساء اليوم نفسه في أثناء اجتماع مجلس الوزراء أبلغنا بإنذار بريطاني فرنسي يطالب مصر وإسرائيل بإيقاف القتال برًّا وبحرًا وجوًّا، وسحب كل منهما قواته بعيدًا عن قناة السويس وبمسافة عشرة أميال غرب القناة، وإن لم ينفذا هذا خلال ١٢ ساعة فإنهما سيضطران إلى التدخل العسكري، ولم يأخذ عبدالناصر الإنذار مأخذ الجدّ، وتقرر رفض الإنذار وعدم قبوله، وأبدى صلاح رغبته في الانسحاب، ورفض جمال؛ لأنه كان لا يزال يُعدّ أن الإنذار غير جديّ، وفي السابعة مساء أعلنت غارة جوية قام بها السلاح الجوي البريطاني، واشترك سلاح الطيران الفرنسي في عمليات سيناء، وأصبح واضحًا أمامنا الهدف من اشتراك إسرائيل معهما، وذلك بغرض دفع جيشنا إلى سيناء، ثم تقومان بتدميره والقضاء عليه، وعلى هذا التصور نوقش سحب الجيش كله من سيناء وغزة ورفح وشرم الشيخ، وفي الساعة الحادية عشرة كانت قد أعلنت غارة جوية ثانية على القاهرة، ونزلنا إلى المخبأ الموجود بمبنى القيادة، ثم أبلغنا أن هناك عملية إنزال جنود مظلات معادية في أرض السباق بمصر الجديدة القريبة من مبنى القيادة العسكرية ومن منزل جمال أيضًا، وحدث على أثر سماع هذا الخبر ما لا كنت أتوقعه من الانفعال والعصبية، وتكلم عبدالحكيم قائلًا: اختفوا جميعًا، واتركوني مع الجيش، واضطرب جمال، وفكر في أولاده، وطلب العمل على نقلهم فورًا إلى القناطر الخيرية، ولكنه عاد بعد فترة، وطلب نقلهم إلى منزل في وسط القاهرة؛ خوفًا من كلام الناس، وأما صلاح سالم فإنه كان يصرّ على قيامنا فورًا بمغادرة مبنى القيادة والاختفاء بعيدًا عن الخطر، وزكريا تكلم عن ثلاث شقق كان سبق تجهيزها لاستخدامها عند الطوارئ تحت أي ظرف من الظروف، وكان السؤال الذي يدور في ذهن كلٍّ منّا: هل نستمر في المعركة نتحمل نتائج التخريب والتدمير، أم نجنب البلاد هذا الدمار بالاستسلام والاختباء لمقاومة هذا الاحتلال الذي سيفرض علينا، وذلك عن طريق المقاومة السرية؟

وكان الاتجاه الغالب الاختفـاء والقتال، وأما جمال فكان مضطربًا، ولكنه لم يبدِ رأيـه فـورًا، ولم يظهر اتجاهه، وتبين لـه أن ليس هناك أي قـوات بالقاهرة غير الكتيبة (١٣) المكلفة بحراسة منزل جمال عبدالناصر.

وفي يـوم الخميـس أول نوفمـبر صحـوت مبكرًا علـى صوت انفجـار قنابل الطائـرات المهاجمـة لمطـاري ألماظـة ومصـر الجديـدة القريبين مـن منزلي، وغـادرت منزلي إلى منزل جمال، وطلب مني أن أظـل معه بالمنزل، وبتنا معًا في منزلـه، ولم تكن أسرته بالمنزل، وكانـت قد نقلت إلى مسكن آخر بوسط المدينة، وفي يـوم الجمعـة ٢ نوفمبر صحونا علـى أصوات الانفجـارات الناتجة عن غارة جوية وأصوات المدافع المضادة للطائرات، ودعا عبدالحكيم، وطلب إليه الذهاب لزيـارة الوحدات العسكرية بالقنـاة؛ حتى يجدد في نفسه روح القتال، وحتى يراه الجنـود بينهم، فترتفع روحهم المعنوية، ووافق عبدالحكيم أن يقوم بتلك الزيارة بعـد يومـين، وذهبت لرؤيـة أولادي في المنزل الـذي كانوا قد نقلـوا إليه بالدقي، ولكـن بعد وصولي بدقائق اتصل بي جمال، وطلب مني الذهاب إليه، فوجدته مع عبدالحكيم الذي قال: إن الاستمرار في المعركة سيترتب عليه تدمير البلاد وقتل كثـير من المدنيـين، والشعب سيكره النظـام والقائمين عليه، وأنـه يفضل تفاديًا لهذا التدمير أن نطلب إيقاف القتال، وقلت: إننا سنخسر المعركة، ولكن لا بد لنا أن نخسرها بشرف، ورأى زكريا أن نستمر ولو إلى حين، وجاء صلاح، وقال: إننا يجـب أن نجنب البلاد ويلات التدمير والتخريب، ونقـوم بتسليم أنفسنا للسفير الإنجليـزي، فـرددت عليه: إننـي أرى أنه أشرف لي يا صـلاح، أن أنتحر قبل أن أقوم بمثل هذا العمل، وطلب من زكريا إحضار عدد من زجاجات السم (سيانور البوتاسيوم) تكفي لعددنا لاستخدامها عند اللزوم، وفي يوم ٤ نوفمبر دخلت على جمـال، وقلـت له: كيف الحال اليوم؟ فردّ عليّ بأنه لم ينم طوال الليل، وصرح لي بأنه قد بكى على ما يظهر، فقد أضاع البلد.

أقول:

هؤلاء هم الذين تسمو بالأحرار، وكل يوم يفضح بعضهم بعضًا في كتاباتهم.

٩١٧ ولله في خلقه شؤون

جـاء في جريدة (الشرق الأوسط) ١٤٠٨/٤/٢٤هـ: لقي زوجان مصرعهما تحـت عجلات سيارة نقل بعد إنقاذهما من الغرق بدقائق معدودة، حيث انقلبت السيـارة في الترعـة، وهـي تسير علـى طريق دميـاط وبداخلها رجـل، وزوجته، وأولادهمـا، وسائـق السيارة، وهـبّ الأهالي لنجدتهـم، وتمكنوا مـن انتشالهم وإنقاذهـم من الغـرق، فجلس الرجل وزوجته على الطريـق لتجفيف ملابسهما، وفجأة جاءت سيارة نقل مسرعة، وصدمتهما، فلقيا مصرعهما في الحال.

أقول:

إن الأجل كان فيه بقية، وهذه البقية هي الدقائق التي بين الحادثتين.

٩١٨ هل يحصل هذا في بلاد الأزهر؟

جـاء في جريدة (الوطن الكويتية) يوم الثلاثـاء ١٤٠٨/٤/٢٥هـ ما يلي: كان أحد الشباب المتدينين من بنها، واسمه محمد السيد عبدالخالق قرر أن يعلم بعض الصبيان بين العاشرة والثانية عشرة كيفية تلاوة القرآن الكريم حسبةً لله سبحانه وتعالى، فوجّه الدعوة إلى من يعرف، وعقد لهؤلاء الصبية جلسة أسبوعية للتلاوة في المسجد في العلن وعلى رؤوس الأشهاد، ولما اكتشف أمره استدعاه مسؤول الأمن يطلـب منه أن يكفّ عن هذا العلم، فرفض الشـاب، وقال: إنه عمل مشروع، وليس فيـه ما يعكر الأمن من شـيء، فما كان منه إلا أنه استدعـى أباه، وهدده باحتجاز ابنه واعتقاله إذا لم يوقف نشاطه، لكن الابن لم يستجب لدعوة أبيه، فبعث مسؤول الأمـن باثنين من المخبريـن إلى أهالي الصبيـة، ونقلا إليهم تهديـدًا بأنه إذا لم يتوقـف الأولاد عن أخذ دروس التلاوة في المسجد فسيتعرضون بدورهم للاعتقال، وفي النهاية سارع الأهـالي إلى منع أبنائهم من الذهاب إلى المسجد، سواء للصلاة أو لتلاوة القرآن، زيادة في الاحتياط وابتعادًا عن الشبهات.

ونقول: إنها فتن كقطع الليل المظلم بدأت في اليوم الذي مُنع الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الصلاة في المسجد وإلى يوم الناس هذا، وهي تختفي تارة، وتظهر تارة، داعين الله أن يخفف على المسلمين هذا البلاء.

٩١٩ رئيسة وزراء كالتلميذة

قال محرر جريدة الشرق الأوسط يوم الخميس ١٤٠٨/٥/٤هـ:

شهدنا كما شهدت ملايين غيرنا ذات مساء، مذيع نشرة الأخبار الرئيسة في محطة التلفزيون البريطانية، يقدم لنا مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية، ثم يعلن المذيع أنه سيبقيها حتى تنتهي نشرة الأخبار ليسألها مجموعة أسئلة محرجة عن صحة الناس وعلاجهم؟ قدم المذيع الأخبار، ودار فينا إلى الجريمة، ثم إلى السياسة، ثم إلى فلسطين، ثم إلى الفتاتين اليمنيتين، ثم إلى الفلبين، ثم انعطف إلى لعبة الكريكت، ورئيسة سبعة وخمسين مليونًا من البشر تنتظر بلا ملل حتى جاء دورها، فقدمها المذيع، وسألها ما شاء من الأسئلة، ثم طلب منها كما يطلب من التلميذة بلطف شديد مغادرة المشاهدين، ففعلت بابتسامة لم تفارق شفتيها، وهي (المرأة الحديدية). لقطة مهداة للصحفي العربي الذي يلاقي معاملة مختلفة من مسؤولي الدرجة الرابعة أو الخامسة، وربما السادسة في محيطنا العربي، لقطة تعني أن واحدًا مسؤولًا عن هذه المعاملة في عالمين تجمعهما قرية واحدة اسمها الأرض أهو المسؤول الذي لم يعد يحترم الصحفي أم الصحفي الذي لا يحترم مهمته؟

أقول:

كلٌّ لا يحترم الآخر إلا من رحم ربي، وقليل ما هم، والأمر لا يقتصر على عالم السياسة بالنسبة إلى العالم الثالث، وهو في الغالب ديار العرب والمسلمين، ونقول للأخ المحرر: يوم كانوا متقدمين كان المسؤول يُعدّ نفسه مكلفًا يبتغي الأجر من الله والشكر من الناس، أما الآن فيُعدّ المنصب مغنمًا، ويتلقون التهاني

والتبريـكات، ويجب أو يستحب أن يقال للمسلم عندما يتسلّم منصبًا، أو يُعيّن في منصب: أعانك الله على حمل هذه الأمانة وهذه المسؤولية.

٩٢٠ كل العصافير بيدها

قـال أحد التجـار: تفتعل أمريكا هبوط الدولار، وتصنعـه صنعًا لتضرب به التجـارة اليابانية والتجارة الأوروبية، وتنافس بالسعر الأرخص في كل المنتجات، كمـا تسرق نصـف قيمة المليارات التـي أودعها العرب ودول البـترول في البنوك الأمريكيـة بطريقـة ذكيـة ومشروعة، كما تخفض قيمة العائـدات النفطية إلى النصـف، كما تخفض قيمة ديونها، وتعالج العجـز في ميزانيتها، وهكذا تضرب جميع العصافير بحجر واحد، [الواقعة: ٧٥-٧٦] يزيد سعرها على سعر السيارة الأمريكية كبيرة الحجم جيدة الصنع؟ إنه عمل مقصود!

٩٢١ دوران الأرض

قـال الشيـخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سلسلة كتابه (هذا هـو الإسلام) ج١، ص ١٨٢: لا يـزال كثير من النـاس إلى الآن لا يصدقون هذه الحكاية، تقول له: لماذا؟ يقـول لأنني أراها ثابتة، تقـول له: والله عجيب! كيف تعـرف حركة المتحرك؟ لا نعـرف حركة المتحرك إلا إذا قيس إلـى ثابت، ولا يمكن أن تعرف أن هذا الشيء متحـرك إلا إذا قسته إلى ثابـت، الإنسـان والسفينة كيف يعرف أنهـا سائرة؟ إذا رأى الجبـل أمامـه وبعد ذلك رأى الجبل الثابت علـى الشاطئ الآخر بعد أن كان بينـه وبينه خـط عمودي أصبح بينه وبينه خط مائـل، وبعد ذلك كلما تبتعد الخـط المائل يزيد، أنـا أعرف نفسـي أني متحرك، عندما قسـت نفسي بثابت، لكـن إذا كانت الأرض متحركة بما عليهـا فما هو الثابت الذي يمكن أن تقيس به حركة الأرض لا يمكن، هب أننا في غرفة، والغرفة مغلقة، وبعد ذلك هذه الغرفة

موضوعة هندسيًّا على شكل آلة تدور كالرحى، إذا كانت الغرفة مقفلة ونحن جالسون فإننا لا ندرك هذه الحركة، فمواقعنا لأنفسنا لا تتغير، هذا أمامي وهذا خلفي، وإذا فتحنا نافذة في الغرفة رأينا شجرة، ورأينا الشجرة تبدو مرة، ثم تختفي عرفنا أننا نتحرك، إذًا لا نعرف حركة المتحرك إلا إذا قيس إلى ثابت.

فما دامت الأرض تتحرك بما عليها، فلا يمكن أن تعرف الحركة، ولكن ثبت أنها متحركة. يتعرض القرآن لمثل هذه القضية، ويمسّها مسًّا لا يخدش العقل المعاصر، ولكنه يعطي العقل المعاصر زاده أيضًا، فيأتي الحق سبحانه وتعالى، ويمرّ على المسائل مر الكرام، ويقول: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

ثم يقول الشعراوي: المَيَدَان هو الاضطراب؛ لأن الأرض مخلوقة على هيئة الثبوت، ما الذي يعرضها أن تميد أو تتحرك، ما دام حتى لا تميد فهي مخلوقة على هيئة الحركة والجبال مجعولة مثقلات فيها، ولكن كيف عرفت؟ فيأتي نيوتن بقوانين الحركة (القانون الثاني) مثلًا: الجسم المتماثل في الكثافة حول محور لا يميد، ولا يضطرب إذا دار حول هذا المحور، ويأتي كل جسم متحرك لا يتغير لا في اتجاهه ولا في مقداره إلا بما يغير من هذا الاتجاه والمقدار في قوة أخرى!! إذن الأرض تدور بشكل منتظم بدليل الزمان نرتبه على هذه الدورة، فيكون مضبوطًا، إذن فمعنى هذا يعطينا نظريتين: النظرية الأولى: أن كتلة الأرض في أي قطاع من قطاعاتها مساوٍ للآخر، يعني إن جئت، وبنيت عمارة ٢٠ مليون طن، فإنك إن وجدت ثقلًا في مكان، فتأتي بتعويض يعوض هذا الثقل، فيخف شيء من هنا، ويقل شيء من هناك، وتسمى القوة الطاردة، لو لم تكن كذلك لحين دارت، وأي شيء يزيد على الكثافة يطرح خارجًا، إذا أتيت بشيء كالكرة، ووضعت عليه شيئًا آخر مخالفًا لكثافته، وتديره يندفع للخارج، كانت العمائر لو لم تكن هذه القضية ثابتة قد طارت من على الأرض!! إذن هذه المسألة مسّها الله سبحانه وتعالى أين؟: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] وجاء في آية أخرى،

فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] إذن مرّ الجبال كمر السحاب، هل السحاب يتحرك بذاته؟ لا يتحرك إلا بالرياح، إذن حركة السحاب حركة ثابتة لحركة الرياح، إذن حركة الجبال تابعة أيضًا، وما دامت ثابتة وراسية كالأوتاد في الأرض إذن لا بد أن تكون حركة الجبال تابعة لحركة الأرض، فيحضر واحد، ويقول: هذا يوم القيامة، نقول له: افهم النص هكذا: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨] وهل يوم القيامة يكون حسبانًا أم يقينًا؟ بل يقال: تحسبها بظن أنها على هذه الحالة، إذن يوم القيامة يكون يقينًا، هل يوم القيامة امتنان بصنعة الله، الامتنان بصنعة الله إنما يأتي من أجل الاعتبار في الإيمان. يقول لك: سياق الآية يدل على أنه يوم القيامة، كيف هذا؟ يقول: يا أخي، الآية تقول: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [النمل: ٨٣-٨٦] نقول له: تكلم عن القيامة، ثم نقلنا من القيامة إلى أمور دنيوية؛ لأن كون الليل نسكن فيه والنهار مبصرًا هذه الآية، ولكن الحق أراد في آية أن يأتي لنا بالهول الذي يأتي يوم القيامة يقول لك: تنبه له جيدًا، وبعد ذلك يأتيك إلى آية إيمانية، وبعد ذلك قال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

أقول:

الشيخ الشعراوي من الراسخين في العلم، وعلى الإخوة طلبة العلم، ألا يتسرعوا عندما يسأل أحدهم عن مثل هذه الأمور بالنفي؛ أي نفي الدوران، فالإفتاء مسؤولية جسيمة، ولا يقدم عليها إلا من يثق بنفسه وعلمه، وقد قرأت لبعض الإخوان في بعض الصحف نفي الدوران دون أن يكلفوا أنفسهم البحث والتقصي، وقد قال السلف: «نصف العلم كلمة لا أدري»، وهذه العلوم لسنا متعبدين بها، ولا يضرنا الجهل بها، فخير لطالب العلم أن يعتذر عن الإجابة، ولا يجيب، وهو يعلم.

ولا ننسى أن سورة (عم) فيها آية: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[النبأ: ٢٠] في وصف يوم الفصل يوم القيامة.

٩٢٢ يعاقب المتكلم وينجو المتهم

كتب الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جريدة (المسلمون) يوم ١٤٠٨/٦/٢هـ يقول: هل نحن متخلفون علميًّا أم خلقيًّا؟ إننا في ميدان الإنتاج الصناعي والزراعي ضعفاء، وفي آفاق الثقافة والحضارة أتباع نخطو حينًا، ونكبو أحيانًا، قلت: أعزّي النفس، لعل أخلاقنا أزكى، ثم قرأت هذا الخبر الآتي من الصين:

فقد السيد (شان تو) عضويته في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني لماذا؟ لأنه وهو مدير عام للطيران المدني سعى للحصول على تذاكر سفر مجانية لأولاده، إنه لهذه المحاباة فصل من عمله ومن الحزب معًا، قلت: ما أكثر الذين يستغلون نفوذهم عندنا لنفع أقاربهم وأصدقائهم، ولا ينالون أذى!

وقرأت كيف رفض مجلس الشيوخ الأمريكي اقتراح رئيس الجمهورية مستر ريجان تعيين أحد القضاة في منصب خالٍ بالمحكمة العليا، وسبب الرفض أن القاضي اتهم في شبابه بتدخين الماريجوانا، قلت: إن لدينا من شرب الخمر، ودخن الحشيش، وتولى أعلى المناصب، وعلم الناس، ولم يعترضوا، ولو وقع اعتراض لعوقب المتكلم ونجا المتهم، قال صديق: على أي حال نحن من الناحية الجنسية أشرف أخلاقًا وأنقى أعراضًا، فسكت، وتملكتني حيرة، فقلت: نعم، الأعراض هناك مستباحة على نحو منكر، بيد أني أتساءل: لماذا انسحب مرشح الحزب الديمقراطي من الانتخابات لرئاسة الجمهورية عندما اتهم بعلاقة مريبة مع إحدى الغواني؟ لماذا استقال وزير الحربية في إنجلترا لعلاقته السيئة بسكرتيرته؟ إن شؤون هؤلاء الناس تبدو غامضة أمامي، مباذلهم شائعة،

وضوابـط الحياة العامة صارمـة، وأهواء الأفراد تحترق أمـام المطالب القومية والمصالح الوطنية.

٩٢٣ الأعمار بيد الله

كتبـت جريدة المسلمون في عددهـا (١٨١) تاريخ ٨ من ذي الحجة ١٤٠٨هـ مـا يلي: تنفرد المسلمـون بنشر قصة إنسانية واقعية بطلهـا طبيب سوري مرض بالسرطـان، وعالجـه بالصدقة. قال الطبيـب السوري عيسـى مرزوقي: أصيب بالسرطـان بشهادة كبار أطبـاء دمشق، وشفي منه عن طريـق الصدقة. أثارت الحالـة جـدلًا طبيًّا واسعًا. وعاد الطبيب إلى عمله بعـد أن كان زملاؤه قد فقدوا الأمـل في شفائـه، بينمـا انشغلوا بالبحـث عن السـر. رفضت خطيبـة الطبيب المريضـ فسـخ خطوبتهـا، وانتظرت معـه الموت، فجاءهـا الفرج. قـدم الطبيب السـوري شهادة طبية موثقة تفيد بوجـود السرطان في إبطه اليسرى، ثم اختفاء الحالة على الرغم من توقعات الأطباء المعالجين بوفاته خلال أيام. قال الطبيب: إنــه تمثـل قـول رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»(١) وجعله حبـل النجاة حتى هـداه الله لبيت أسرة فقدت عائلها منـذ بضع سنوات، فحمل مبلغًـا زهيدًا مـن المال هو كل ما يملكه في ذلك الوقت، وقدمه للأسرة عن طريق صديق له. أخبر صديقه أفراد الأسرة بأن الشخص صاحب المال مصاب بمرض خبيث وخطير وهو يسعـى للتداوي بالصدقة؛ التجاء منه إلى الله، وكان ما كان، واكتملـت القصة بشفاء أذهل كبـار أطباء سوريا. أوضح أنـه اختار هذا العلاج مهتديًـا بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأكد أنه لم يعرض عن العلاج الطبي مطلقًا، وإنما وجـد نفسـه مطمئنًا لنوع خاص مـن أنواع العلاج. قال: إنه يؤمـن بالقدر، وهذا الإيمان لا يعني الإعراض عن الأطباء وعدم الأخذ بالأسباب.

---

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم٣٣٥٨).

٩٢٤ المفتي كالطبيب

سئل الشعبي عن مسألة؟ فقال: لا أدري، فقيل له: ألا تستحي من قولك: لا أدري وأنت فقيه أهل العراق؟! فقال: لكن الملائكة لم تستح حين قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[البقرة: ٣٢] وقال بعض أهل العلم: تعلَّم لا أدري، فإنك إن قلت لا أدري علموك حتى تدري، وإن قلت: أدري سألوك حتى لا تدري. وقال عقبة بن مسلم: صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهرًا، فكان كثيرًا ما يُسأل، فيقول: لا أدري، وكان سعيد بن المسيب لا يكاد يفتي فتيًا لا يقول شيئًا إلا قال: اللهم، سلمني وسلم مني. وسئل الشافعي عن مسألة؟ فسكت، فقيل: ألا تجيب؟ فقال: حتى أدري الفضل في سكوتي أو في الجواب. وقال ابن أبي ليلى: أدركت مئة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول، وما منهم من أحد يحدث بحديث أو يسأل عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه، وقال أبوالحسين الأزدي: إن أحدهم ليفتي في المسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر. وسئل القاسم بن محمد عن شيء؟ فقال: إني لا أحسنه، فقال له السائل: إني جئتك لا أعرف غيرك. فقال له القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي والله ما أحسنه، فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي، الزمها فوالله ما رأيناك في مجلس أنبل منك اليوم، فقال القاسم: والله لأن يُقطع لساني أحب إلي من أن أتكلم بما لا علم لي به، وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما وكان بينهما مؤاخاة: بلغني أنك قعدت طبيبًا، فاحذر أن يكون متطببًا أو تقتل مسلمًا، فكان ربما جاءه الخصمان، فيحكم بينهما، ثم يقول: ردوهما على متطبب، والله أعيدوا عليَّ قضيتكما.

أقول:

في عصرنا هذا كثر الرويبضة في كل مجلة وجريدة، والرويبضة هو الذي يفتي بغير علم.

٩٢٥ فضل يوم الجمعة

جاء في كتاب (إعلام الموقعين) لابن قيم الجوزية: ص (٢٨٦) ما يلي:
سئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لأي شيء فضلت يوم الجمعة؟ فقال: «**لأن فيها طبعت طينة أبيك آدم، وفيها الصعقة، وفيها البطشة، وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له**»[(١)]. وسئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، أخبرنا عن يوم الجمعة ما فيه من الخير؟ فقال: «**فيه خمس خلال: فيه خلق آدم، فيه أهبط آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئًا إلا أعطاه إياه ما لم يسأل إثمًا أو قطيعة رحم، وفيه تقوم الساعة، فما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا حجر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة**»[(٢)]. ذكره أحمد والشافعي.

أقول:

ما رأي إخواننا بعض الشباب المسلمين وبعض شيوخهم الذين لا يقيمون ليوم الجمعة وزنًا، ويخرجون للتنزه والفسح ليلتها ويومها، وبعضهم لا يبحث عن مسجد لحضور الصلاة، هذا هو الخسران المبين.

٩٢٦ وصفة نبوية

استفتاه عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشكا إليه وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال: «**ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[(٣)]. ذكره مسلم.

---

(١) ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١/١٠٩ رقم٤٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧/١٢٢ رقم٢٢٤٥٧)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/٣٠٥ رقم١٣٦٣). والحديث أصله في صحيح مسلم مختصرًا، بلفظ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**» (٢/٥٨٥ رقم٨٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (٤/١٧٢٨ رقم٢٢٠٢).

٩٢٧ الأخطاء تكون معجزات

وحتى عندما كنت أرتكب خطأ، وكثيرًا ما وقعت في أخطاء، كانوا يشعرونني بأنها معجزات ملكية، وفي مثل تلك السن كان من الطبيعي أن أتأثر بهذا الكلام، وأنت تعرف أن تلك الفترة في حياة الناشئ يكون لها تأثير سلبي في حياته كلها فيما بعد. لقد كانوا يقبلون يدي، وكنت على يقين من أنهم يفعلون ذلك منافقين، كان كل واحد منهم يشي بزملائه معتقدًا أن هذا هو طريق التقرب إلي، فجرني ذلك إلى التلهي بضرب واحدهم بالآخر. لقد أخطأت بلا جدال، ولكنها أخطاء كل حاكم، ومرجعها الأول يعود إلى صغر سني، قلة خبرتي وإلى الحاشية السيئة التي كانت محيطة بي.

من حديث للملك فاروق آخر ملوك مصر ذكرها في كتابه نذير فنصة السياسي السوري المعروف أيام حسني الزعيم.

أقول:

البطانة السيئة هي آفة كل مسؤول، كبيرًا كان أم صغيرًا في كل عصر ومصر، وجاء في الحديث: «**إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه. وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه**»[(١)].

٩٢٨ يوم الإثنين الأسود

كشف خبير مصري في الاستثمار الدولي النقاب عن أن خسائر انهيار بورصة الأوراق المالية في نيويورك في أكتوبر (١٩٨٨م) بلغت قيمتها (٧٥٠) مليار دولار،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/٩٣ رقم٢٩٣٤)، وقال النووي في رياض الصالحين (١/٣٨٣): رواه أبو داود بإسناد جيد على شرط مسلم.

منها (٥٠٠) مليار دولار في يوم الإثنين الأسود وحده، مشيرًا إلى أن خسائر الدول العربيـة بلغت (١٦٥) مليار دولار، وذلك وفقًا لما جاء في تقرير رسمي مقدم إلى الرئيس الأمريكي رونالد ريجان عرف باسم تقرير (نيكولاس برادلي). وأشار المستشار محمد كمال فراج الذي عمل في المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة سنوات عدة إلى أن هذه الخسائر كانت كافية لتكون معجلًا للاستثمار في جميع الدول النامية بلا استثناء، موضحًا أن ألمانيا الاتحادية واليابان استطاعتا تعويض خسائرهما خلال سبعة أشهر فقط، في الوقت الذي عجزت فيه الدول الأعضاء في منظمة الأقطار المصدرة للنفط (أوبك) عن ذلك.

أقول:

لا نتوقع أن يصل العرب والمسلمون إلى مستوى ألمانيا، ولكن نأمل أن يكون درسًا كافيًا لكي يعودوا برؤوس الأموال إلى بلاد هي في أشد الحاجة إليها، وأراضيها بكر لم تستثمر، مثل أراضي السودان وأراضي كثير من البلاد الإسلامية والعربية، ويكون سمنهم في دقيقهم، ولا بد من التضحية، حيث إن بعض الأنظمة في بعض هذه الدول ليست بمستوى موثوق من أصحاب رؤوس الأموال، ورأس المال جبان كما يقولون، ولكن هذا أقل بكثير من خسارة اليوم الأسود في سوق اليهود والنصارى.

٩٢٩ أذناب الماسونية

ما أهم عمل تعتقدين أنك قمت به في حياتك؟ التخلي عن العباءة وخروج المرأة كما تخرج الآن. لأنني كنت أعتبر هذه القماشة السوداء أداة تخلف ورمزًا للاستعمار. هذا السؤال طرح على لولوة القطامي في جريدة (القبس) يوم (١٤٠٨/١٢/١٧هـ) من الكويت. كذبت وربّ الكعبة، هذا رمز كرامة المرأة، وأمر

الله ورسوله لها، ونسأل الله الهداية لك وأمثالك، وإن كان في علمه جلَّ شأنه غير ذلك أن ينظف ديار العرب والمسلمين من هذه النماذج.

٩٣٠ مصير أولاد الكفار

إن حكم من مات من أولاد الكفار قد اختلف العلماء فيهم على أربعة أقوال: أحدها، أنهم في الجنة، واحتج من رأى ذلك بما رواه أحمد في مسنده أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المولود في الجنة**»[(١)]. وبما رواه البخاري أن رسول الله رأى في المنام مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أولاد المسلمين وأولاد المشركين. اختلف بعد ذلك أيكونون خدمًا لأهل الجنة، أم يكونون مثل غيرهم؟ القول الثاني، إنهم مع آبائهم في النار، لما رواه أحمد في مسنده أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**هم تبع لآبائهم**» أو «**هم مع آبائهم**»[(٢)]. القول الثالث، التوقف في تحديد مصيرهم؛ لما في الصحيحين أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن أطفال المشركين؟ فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[(٣)]. القول الرابع، إنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وطريقة الامتحان كما جاء في أحاديث عدة أنه يؤتى بنار يوم القيامة، ويؤمرون بدخولها، فمن دخلها نجا، ومن نكل عنها هلك.

٩٣١ الإسلام هو الحل

أعلن منذ أيام رجل الاقتصاد البريطاني (أحمد كريستوفر شامونت) أنه دخل في الإسلام، قال: لقد وجدت في الإسلام ما كنت أبحث عنه، فأي مشكلة

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤١٨/٦ رقم٨٧٣٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٦/١ رقم٢٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٩٥/٤١ رقم٢٤٥٤٥)، والطبراني في الكبير (١٦/١١ رقم١٠٨٩٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٧٠/٥ رقم ٩٦٠٨): رواه الطبراني وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، وثقه أحمد وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠/٢ رقم١٣٨٣)، ومسلم (٢٠٤٨/٤ رقم٢٦٥٨).

يعانيها المرء في حياته سوف يجد حلها في القرآن الكريم. ثم يقول أشهر اقتصادي إنجليزي: إن الإسلام يخاطب العقل الإنساني، ويضعه على مشارف الطريق الحق، ويضمن له سعادة الدنيا والآخرة. ويقول: إنني حتى الآن قرأت ست سور من القرآن الكريم، وقد شعرت بأن الإسلام يملك أسباب التقدم الحضاري والتفوق العلمي، ولكن المسلمين متقوقعون يعيشون بعيدًا عن هدي دينهم، وهو ما جعل غيرهم من الشعوب يسبقهم، ويرجح عليهم، ولم يكن المسلمون الأوائل على هذا النحو السيئ، لقد كانوا أول سالك لطريق الحضارة والتقدم في شتى الميادين العلمية والاجتماعية والاقتصادية. عن جريدة (الشرق الأوسط) يوم ١٤٠٨/١٢/٢٤هـ.

أقول:

إن في الغرب رجالًا لهم عقول كبيرة، ولهم نفوس لا تزال على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والمسؤولية هنا تقع على حملة هذا الدين، وهو الماء الذي لا تحيا البشرية إلا بوجوده، وحملته هم الفقهاء، ومن نزل القرآن بلسانهم عليهم واجب التفقه في هذا الدين، وحسن عرضه على الناس باللغات الأخرى وبالأسلوب النبوي الكريم.

٩٣٢ برّ الوالدين

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] وعن علي رضي الله تعالى عنه: لو علم الله شيئًا في العقوق أدنى من أفٍّ لحرمه، فليعمل العاقّ ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البارّ ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار. يعني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن البارّ، وإن كان على شيء من المعاصي، فإن رضا الوالدين يدرك له حسن الختام والتوبة، وأن العاقّ، وإن كان على شيء من الطاعة يدركه سوء مصير العقوق، ويختم له بسوء. والله أعلم.

٩٣٣ أحب الأسماء

في صحيح مسلم عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أحب أسمائكم إلى الله تعالى عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرّة»**[1].

٩٣٤ احرص على التجارة الحلال

يروي ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله: الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، وهو عندهم أعذب من الماء، وأرفع من السماء، وأحلى من الشهد، وأزكى من الرد، خطؤه صواب، وسيئاته حسنات، وقوله مقبول، يرفع مجلسه، ولا يمل حديثه. والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب، وأثقل من الرصاص، لا يُسلَّم عليه إن قدم، ولا يسأل عنه إن غاب، إن حضر ازدروه، وإن غاب شتموه، وإن غضب صفعوه. مصافحته تنقض الوضوء.

٩٣٥ خرج عليه من القبر

اجتمع مالك بن الريب وأبوحردبة وشظاظ يومًا، فقالوا: تعالوا نتحدث بأعجب ما علمنا في سرقتنا، ثم قال الشظاظ: أخبرنا أنت بأعجب ما أخذ في لصوصيتك، ورأيت فيها. فقال: نعم، كان فلان رجل من أهل البصرة له ابنة عم ذات مال كثير وهو وليها، وكانت له نسوة، فأبت أن تتزوجه، فحلف ألا يزوجها من أحد ضرارًا لها، وكان يخطبها رجل غني من أهل البصرة، فأبى أن يزوجها منه، ثم إن ولي الأمر حج، حتى إذ كان بالدو مات، فدفن برابية،

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧٧/٣١ رقم١٩٠٣٢)، وأبو داود (٤٤٣/٤ رقم٤٩٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (رقم٦٢٩).

وشيد على قبره، فتزوجت الرجل الذي كان يخطبها. قال شظاظ: وخرجت رفقة مـن البصرة معهـم برّ ومتاع، فتبصرتهم وما معهـم، واتبعتهم حتى نزلوا، فلما ناموا بيتهم، وأخذت من متاعهم، ثم إن القوم أخذوني، وضربوني ضربًا شديدًا، وجـردوني، وذلك في ليلة قرة، وسلبوني كل قليل وكثير، وتركوني عريانًا، وتماوت لهـم، وارتحل القوم، فقلت: كيف أصنع؟ ثم ذكرت قـبر الرجل، فأتيته، فنزعت لوحًـا، ثـم احتفرت فيه سربًـا، فدخلت فيه، ثم سددت علـيَّ باللوح، وقلت: لعلي الآن أدفأ، فأتبعهم. مرّ الرجل الذي تزوج بالمرأة في الرفقة، فمر بالقبر الذي أنا فيـه، فوقف عليه، وقـال لرفيقه: والله لأنزلنّ إلى قبر فلان حتى أنظر هل يحمي الآن فلانـة؟ قال شظاظ: فعرفت صوتـه، فقلعت اللوح، ثم خرجت عليه بالسيف مـن القبر، وقلت: بل ورب الكعبـة لأحمينّها، فوقع والله مغشيًّـا عليه لا يتحرك، ولا يعقـل، فجلست عليها، وعليها كل أداة وثياب ونقد كان معه، ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هاربًا من الناس، فنجوت بها، فكنت بعد ذلك أسمعه يحدث الناس بالبصـرة، ويحلـف لهم إن الميت الذي كان منعه مـن تزويج المرأة خرج عليه من قـبره، والناس يعجبون منه! فعاقلهم يكذبه، والأحمق منهم يصدقه، وأنا أعرف القصة، فأضحك منهم كالمتعجب.



٩٣٦ علاج

كان أحد الصالحين إذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل، واستوهب من مهر أهله شيئًا، وكان يقول: قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾[ق: ٩] وقـال تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[النحل: ٦٩] وقال عليه الصلاة والسلام: «**ماء زمزم لما شرب له**»[1]، وقال تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤] فمن جمع بين ما بورك فيه، وبين ما فيه شفاء، وبين الهني والمري يوشك أن يلقى العافية.

---

(١) أخرجـه أحمد (١٤٠/٢٣ رقـم١٤٨٤٩)، وابن ماجـه (١٠١٨/٢ رقم٣٠٦٢)، وصححـه الألباني في إرواء الغليل (٣٢٠/٤ رقم١١٢٣).

٩٣٧ الوهم علاج

دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان، فوجده يتأوه، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب، ويباسطك استرحت، فقال: لست بصاحب لهو، فقال: ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين؟ قال: هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه، فبلغ مني ما ترى، فقال: إن بديحًا مولاي أرقى الخلق منه، فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه قال عبد الملك: يا بديح، ارقِ رجلي، فقال: يا مولاي، أنا أرقى الناس لها. ثم وضع يده عليها، وجعل يقول ما لا يسمع، فقال عبد الملك: قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة؟ ائتوني بها تكتبها لئلا يهيج بي الوجع بالليل، فقال بديح: الطلاق يلزمه ما أكتبها إلا بتعجيل جائزتي، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين، الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تُحمل جائزتي إلى بيتي، قال: تُحمل، فحملت، فقال: يا أمير المؤمنين، الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك إلا مباسطة بقول نصيب، حيث قال:

أَلا إِنَّ لَيلَى العامِرِيَّةَ أصبحَتْ ... على البعدِ منّي ذَنب غَيري تَنْقمُ

فقال: ويلك! ما تقول؟ فقال: الطلاق يلزمه ما رقيتك إلا بها، فقال: اكتمها عليَّ، فقال: كيف؟ وقد سارت بها الركبان إلى أخيك بمصر؟ فضحك حتى أعجبه هذا البسط.

٩٣٨ اللّٰه أكبر

قال الشاعر أحمد الصافي النجفي:

أفكرُ في السفاسف في الحياةِ ... وأحسبُها حقائقَ راهناتِ

فيقطعُ لي سلاسلَ تُرّهاتي ... دعاءُ مؤذنٍ: اللّٰه أكبرْ

وآسَى للتفكُّرِ في اغترابي	عنِ الأهلينَ ناءٍ عنْ صحابي
أصيحُ: إلى متى؟ فإذا جَوابي	هتافُ مؤذنٍ: اللهُ أكبرْ
وأضربُ سادرًا بينَ الهموم	وأسعَى للوصولِ إلَى النَّعيم
فيدعُوني إلى النَّهجِ القويم	نداءُ مؤذنٍ: اللهُ أكبرْ
وأُفني في الرُّقادِ ثمينَ عُمري	كأنّي ميتٌ في جوفِ قبرِ
فأسمعُ صوتَ (حَي علَى الصلاةِ)	فأنهضُ صائحًا: اللهُ أكبرْ

كلمة الله أكبر إن تأملناها في الجانب الروحي وجدناها في الأذان دعوة، وهي مفتاح الشروع في الصلاة، وفاتحة لكل أعمال الصلاة من ركوع وسجود وقيام وجلوس، وهي في الذكر: دعاء الله أكبر كبيرًا، وفي الجانب الآخر نجدها في حياة المؤمن شعرًا به يحيا وعليه يموت، وفي الجهاد سلاح، ما هتف مجاهد باسم: الله أكبر إلا فتح الله عليه بالنصر، وآزره بالتأييد.

٩٣٩ تميرات ابن موسى

ابن موسى هذا من شعراء الربيعية، وكان له دكان يبيع فيه التمر على البادية، وقف عليه أعرابي ليشتري منه تمرًا، وإذا التمر قليل في الزنبيل، وهو ملتصق بعضه ببعض على شكل كتل كبيرة، فأخذ الأعرابي كتلة كبيرة من الزنبيل، وأخذ يأكل منها، وقال لابن موسى: زنّ لي يا حضري، تمرًا، فرفع أبوموسى إليه طرفه قائلًا: أعد التميرات إلى مكانها حتى أزن لك منها.
وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أشد الناس حبًّا لبلدتنا الربيعية، ويقول: هناك بلدة الزلفي شرقيها ضلع، وغربيها نفود إلا الربيعية. وذهب للحج مرة مع بعض رفاقه ورجع من منتصف الطريق ولهًا عليها.

٩٤٠ يسقيه جبريل من حليب ناقته

في معركـة الشعيبة التي وقعت عام (١٣٣٧هـ) بـين جنود الملك عبدالعزيز وقبيلة شمر، وكان من بينهم رجل من الويبار يقال له: حداد بن مجلوب قال: كنت مـن النفر الذين أصيبـوا في تلك المعركة إصابات قاتلة عـدة، ولكن أنجاني الله علـى الرغم من أن الأعـداء لم يتركوني إلا وهم يعتقدون أنني في حساب القتلى. والواقـع أننـي بقيت أيامًا في وسـط القتلى كواحد منهم بلا شعـور ولا إحساس، اللهـم إلا شعـورًا نسبيًّـا لا أستطيع أن أعبر عنه إلا أن أقـول: إنه شعور أكمل من شعور النائم، وأقل من شعور الإنسان عندما يكون في يقظته الكاملة، وعندما أبلغ هذه الدرجة التي بين النوم واليقظة أشعر كأن إنسانًا يحلب ناقتي التي لا أنكرها، فـإذا انتهـى منها ناولني حليبها الذي لا أذكر في الدنيا طعمًا ألذّ منه، بقيت تلك المرة أنعم بهذا الغذاء إلى أن عاد إليَّ إحساسي وشعوري وكامل صحتي، فوجدت نفسـي أشبه ما يكـون بالمرء الذي استيقـظ بعد رقاد طويـل، وعند ذلك ذهبت أفكر في سر حليب هذه الناقة التي كنت أسقى حليبها عندما كنت في تلك الحالة الخطـرة، وإذا بي أذكر أنها ناقتي التي وهبتهـا أيتامًا توفي والدهم وهو لا يملك من حطـام الدنيا درهمًا، فذهبت ووهبتهم هذه الناقـة، فظلوا يشربون حليبها، وهكذا زاد إيماني بالله بأنه لا يضيع أجر المحسنين. ومن تلك الحادثة إلى يومنا هـذا آليت على نفسي ألّا أدخر وسعًا من فعل الخير ما استطعت إليه سبيلًا. عن كتاب (من شيم العرب) للأستاذ/ فهد المارك رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٢٩٢).

نقول:

صـدق رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيـث يقـول في الحديـث المأثـور: «**صنائـع المعروف تقي مصارع السوء**»[١].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦١/٨ رقم٨٠١٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم٣٧٩٧).

٩٤١ في عمره بقية

ذكرت جريدة (الرياض) يوم (١٤٠٩/١/٧هـ) أن الجنرال ميرزا إسلام بيج الذي خلف الرئيس ضياء الحق في قيادة الجيش الباكستاني كان أحد شهود عيان حادث انفجار الطائرة العسكرية الذي أودي بحياة الرئيس ضياء الحق وبقية ركاب الطائرة، ونسبت صحيفة (جانغ تودي) عن الجنرال إسلام بيج قال: إنه شاهد الكارثة من الطائرة الصغيرة التي كان يستقلها في أثناء وقوع الحادث. وطبقًا لما ذكرته الصحيفة، فإن الجنرال إسلام بيج أبلغ اجتماعًا طارئًا لمجلس الوزراء الباكستاني الليلة قبل الماضية أنه كان ذاهبًا إلى بهلايور في طائرة الرئيس نفسها، لكن في طريق العودة اضطر إلى الذهاب إلى مناطق أخرى، وهناك استقل طائرة صغيرة أخرى، وطلب من قائدها الإبقاء على اتصال الرادار مع طائرة الرئيس، لكن فجأة انقطع الاتصال مع الطائرة، وهنا طلب من قائد الطائرة العودة إلى مطار بهلايور، وأشار إلى أنه في طريق العودة شاهدت طائرة الرئيس تتناثر إلى قطع ملتهبة في الجو.

حقًّا الأعمار بيد الله، ورئيس الباكستان رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجل له مواقف طيبة جدًّا مع الجهاد الإسلامي الأفغاني.

٩٤٢ الشاعر بشار بن برد

كان بشار من أشد الناس تبرمًا بالناس، وقالوا: كان بشار جبانًا رعديدًا جشعًا نهمًا شهوانيًّا فاحشًا ماجنًا مستهترًا، أفسد بغزله نساء البصرة وشبانها، فهذا مالك بن دينار يقول فيه: «ما شيء أدعى أهل المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى»، وقال واصل بن عطاء فيه: «إن من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد»، ومر رجل من الكوفة على بشار، وهو منبطح في دهاليز، وقال له ألست القائل:

فِي حُلَّتي جسمُ فتى ناحلٍ   لَو هبّتِ الريحُ بِهِ طاحا

قال بشار: نعم، قال الرجل: لو بعث الله الريح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حركتك من مكانك! فبهت بشار، ولم يقل شيئًا.

أقول:

كم شاعر وفاسق في هذا العصر ممن تنشر الجرائد السيارة فسقهم وفجورهم.

٩٤٣ المتردية والنطيحة

قال الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (تأملات في الدين والحياة): هذه قصة شهدت وقائعها ولم أعجب لها لطول ما رأيت من أمثالها، وأحسست من آثارها. كان لرجل ثري ولد مريض البصر، عاث الرمد في عينيه على الرغم من جهود الأطباء المتوالية، حتى كاد يأتي عليهما لولا بقية من ضياء يعرف بها الولد ألوان الحياة. وجلس الأب يومًا، فقال لأصحابه: أنا وهبت ابني لله، وسوف أدخله الأزهر بعد أن يحفظ القرآن، ما هي إلا أيام حتى كان الولد يرتل الآيات، ويستظهر الصفحات على يد فقيه أعمى معروف بالمهارة، ولكن القدر العجيب لم يشأ أن يترك المسألة على هذا النحو، فإن الولد الذي حار الطبيب في عينيه بدأ يصح، وكلما مرت الأيام ازداد بصره حدة، وازدادت أجفانه نضارة وإشراقًا، وحار الوالد وجاشت في نفسه شتى الخواطر، لقد وهب ابنه للأزهر على أساس أنه أعمى أو شبه أعمى، وذلك ما يجعله يقفه على التعليم الديني من باب قول الله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [النحل: ٦٢] أما الآن فماذا يصنع؟ لم يطل تردده، فما هي إلا أيام حتى كان الفقيه الأعمى طريدًا، والولد ملتحقًا بإحدى المدارس المدنية. ذلك مبلغ عناية المسلمين بدينهم، لا يهبون لتعليمه إلا طوائف من الناس فيها العمياء والعوراء والمتردية والنطيحة وما أكل السبع. أما أصحاب المواهب العريقة والخصائص الدقيقة والوجوه الصبيحة والأجسام المكتملة

فليس من البر أن يظفر بها دين الله. أخشى أن يرتفع المستوى الصحي في الأمة فلا نجد من يتعلم الإسلام.

٩٤٤ رد ابن تيمية على زعيم الشيعة

قد زعم زعيم الشيعة ومدلّسهم الحسن بن المظهر الحلي في كتابه (منهاج الكرامة) أن عثمان بن عفان رضي الله عنه ولى أمر المسلمين من لا يصلح للولاية، فأجابه شيخ الإسلام ابن تيمية في (منهاج السنة) (١٧٣-١٧٦) أن عليًّا رضي الله عنه ولى زياد ابن أبي سفيان، وولى الأشتر النخعي، وولي محمد بن أبي بكر، وأمثال هؤلاء، ولا يشك عاقل أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كان خيرًا من هؤلاء كلهم. قال: ومن العجب أن الشيعة ينكرون على عثمان رضي الله عنه أنه ولى أقاربه من بني أمية، ومعلوم أن عليًّا ولى أقاربه من قبل أبيه وأمه، فولى عبيد الله بن عباس رضي الله عنه على اليمن، وولى على مكة والطائف قثم بن العباس رضي الله عنه وأما المدينة فقيل: إنه ولى عليها سهل بن حنيف رضي الله عنه وقيل: ثمامة بن العباس رضي الله عنه، وأما البصرة فولى عليها عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وولى على مصر ربيبه محمد بن أبي بكر الذي رباه في حجره (لأنه تزوج أمه بعد وفاة أبي بكر، وكان محمد صغيرًا). ثم إن الإمامية تدعي أن عليًّا نص على أولاده في الخلافة أو على ولده وولده على ولده الآخر وهلم جرًّا. ومن المعلوم إن كانت تولية الأقربين منكرًا فتولية الخلافة العظمى أعظم من إمارة بعض العمال، وإذا قال القائل: لعلي حجة فيما فعله قيل له: وحجة عثمان فيما فعله أعظم، وإذا ادعى لعلي العصمة ونحوها مما يقطع عنه ألسنة الطاعنين كان ما يدعي لعثمان الاجتهاد الذي يقطع ألسنة الطاعنين أقرب إلى المعقول والمنقول.

أقول:

من أعجب العجب أن النصارى واليهود لا يطعنون في أصحاب عيسى عليه السلام وحوارييه، واليهود لا يطعنون في أصحاب موسى عليه السلام، أما

الشيعة فلم يسلم من الصحابة إلا أربعة فقط! أين العقول؟ أين التفكير؟ أو أن بعض الناس كالأنعام، بل هم أضل؟

٩٤٥ القاضي الشجاع

حضر الفضل بن الربيع وزير هارون الرشيد عند القاضي أبي يوسف يومًا ليشهد في قضية، ولكن أبا يوسف رد شهادته، ولم يقبلها، فعاتبه الخليفة، فقال أبويوسف: «لأني سمعته يومًا يقول لك: أنا عبدك، فإن كان صادقًا فلا شهادة للعبد، وإن كان كاذبًا فكذلك؛ لأنه إذا لم يبالِ بالكذب في مجلسك، فلا يبالي به في مجلسي».

أقول:

كم هم الذين يقولون دون ذلك ليل نهار، وما أقل من يستطيع رد شهادتهم!

٩٤٦ استخرج الشكر لله

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، أما القلب فهو أن يقصد الخير، ويضمره للخلق كافة، وأما اللسان فهو إظهار الشكر لله بالتحميد، وأما بالجوارح فهو استعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، فمن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه، فهذا يدخل في جملة شكر هذه الأعضاء، والشكر باللسان إظهار الرضا عن الله تعالى، وهو مأمور به. روي أن رجلًا سلم على عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فردّ عليه، ثم قال عمر: ذاك الذي أردت. وقد كان السلف يتساءلون ومرادهم استخراج الشكر لله، فيكون الشاكر مطيعًا والمستنطق مطيعًا.

٩٤٧ نساؤنا ونساء الإفرنج

قال الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في جريدة (الشرق الأوسط) (١٤٠٩/١/٢٧هـ):

حدثني أستاذ أنه كان يتكلم عن المرأة المسلمة في إحدى محاضراته في أمريكا، ويذكر أن لها الاستقلال في شؤون المال، لا ولاية عليها في مالها لزوجها ولا أبيها، وأنها إن كانت معسرة كلف بنفقتها أبوها أو أخوها، فإن لم يكن لها أب أو أخ فأي واحد من أقربائها الذين يرثونها، ولو كان ابن عم عمها، وأن هذه النفقة تستمر إلى أن تتزوج، أو يكون لها مال، وأنها إذا تزوجت كلف زوجها بنفقتها، ولو كانت تملك مليونًا، ولو كان عاملًا لا يملك شيئًا. إلى غير ذلك مما نعرفه نحن، ويجهلونه هم عنا؛ فقامت سيدة أمريكية من الأديبات المشهورات، فقالت: إذا كانت المرأة عندكم كما تقول فخذني أعيش عندكم ستة أشهر، ثم اقتلوني! وعجب من مقالها، وسأل عن حالها، فشرحت له حالها وحال البنات هناك، فإذا المرأة الأمريكية تبدو حرة وهي مقيدة، وتُرى معززة وهي مهانة، إنهم يعظمونها في التوافه، ويحقرونها في جسيمات الأمور، يمسكون بيدها عند النزول من السيارة، ويقدمونها قبلهم عند الدخول للزيارة، وربما قاموا لها في الترام لتقعد أو فسحوا لها في الطريق لتمر، ولكنهم في مقابلة ذلك يسيئون إليها إساءات لا تحتمل، إذا بلغت البنت هناك سن الرشد قبض أبوها يده عنها، وسدّ باب داره في وجهها، وقال لها: اذهبي فتكسبي وكلي، فلا شيء لك عندي بعد اليوم. فتذهب المسكينة تخوض غمرة الحياة وحدها لا يبالون أعاشت بجدها أم بجسدها، ولا يسألون هل أكلت خبزها بيديها أم بثدييها؟، وليس هذا في أمريكا وحدها، بل هو شأن القوم في ديارهم كلها.

٩٤٨ أم عقيل

ذكـر أبوالفرج بن الجوزي في (عيون الحكايات) قال الأصمعي: خرجت أنا وصديـق لي إلـى البادية فضللنا الطريـق، فإذا نحن بخيمة عـن يمين الطريق، فقصدناهـا، فسلمنـا فإذا امـرأة ترد علينا السـلام قالت: ما أنتـم؟ قلنا: قوم ضالـون عن الطريق أتيناكم، فأنسنا بكم، فقالت: يـا هؤلاء، ولوا وجوهكم عني حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل، ففعلنا، فألقت لنا مسحًا، فقالت: اجلسوا عليـه إلـى أن يأتي ابني. ثم جعلـت ترفع طرف الخيمة، وتردهـا إلى أن رفعتها، فقالـت: أسأل الله بركة المقبل، أما البعير فبعير ابني، وأما الراكب فليس بابني، فوقف الراكب عليها، فقال: يا أم عقيل، أعظم الله أجرك في عقيل، قالت: ويحك! مـات ابني؟ قال: نعم، فقالت: ومـا سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل، فرمت به في البئر، فقالت: انزل فاقضِ ذمام قوم. ودفعت إليه كبشًا، فذبحه، وأصلحه، وقرب إلينا الطعام، فجعلنا نأكل، ونتعجب من صبرها، فلما فرغنا خرجت إلينا، وقد تكورت، فقالت: يا هؤلاء، هل فيكم من أحد يحسن من كتاب الله شيئًا؟ قلت: نعـم، قالـت: اقرأ عليَّ من كتـاب الله آيات أتعزى بها، قلـت: يقول الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤-١٥٧].

قالـت: الله إنها لفي كتاب الله هكذا؟ قلـت: الله إنها لفي كتاب الله هكذا، قالـت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، عند الله أحتسب عقيلًا، تقول ذلك ثلاثًا: اللهم، إني فعلت ما أمرتني به، فأنجز لي ما وعدتني.

٩٤٩ بنوك الآخرة

قال فضيلة الشيخ الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تظنوا أن ما تعطونه يذهب بالمجان، لا والله، إنكم تقبضون الثمن أضعافًا، تقبضونه في الدنيا قبل الآخرة، ولقد جربت

ذلك بنفسي، أنا أعمل، وأكسب، وأنفق على أهلي منذ أكثر من ثلاثين سنة، وليس لي من أبواب الخير والعبادة إلا أني أبذل في سبيل الله إذا كان في يدي مال، ولم أدخر في عمري شيئًا، وكانت زوجتي تقول لي دائمًا: يا رجل، وفّر، واتخذ لبناتك دارًا على الأقل، فأقول: خليها على الله، أتدرون ماذا كان؟ لقد حسب الله لي ما أنفقه في سبيله، وادخره لي في بنك الحسنات الذي يعطي أرباحًا سنوية قدرها سبعون ألفًا في المئة، نعم: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ [البقرة: ٢٦١] وهناك زيادات تبلغ ضعف الربح: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ٢٦١] فأرسل الله صديقًا لي سيدًا كريمًا من أعيان دمشق، فأقرضني ثمن الدار، وأرسل أصدقاء آخرين من المتفضلين، فبنوا الدار حتى كملت، وأنا والله لا أعلم من أمرها إلا ما يعرفه المارّة عليها من الطريق، ثم أعان الله برزق حلال لم يكن محتسبًا، فوفيت ديونها جميعًا، ومن شاء ذكرت له التفاصيل، وسميت له الأسماء، وما وقعت والله في ضيق إلا فرّجه الله عني، ولا احتجت إلى شيء إلا جاءني، وكلما زاد عندي شيء، وأحببت أن أحفظه وضعته في هذا البنك، فهل في الدنيا عاقل يعامل بنك المخلوق الذي يعطي ٥٪ ربحًا قدره سبعون ألفًا، وهو مؤمن عليه عند رب العالمين، فلا يفلس، ولا يحترق، ولا يأكل أموال الناس؟ فلا تحسبوا أن الذي تعطونه يذهب هدرًا، إن الله يخلفه في الدنيا قبل الآخرة، وأنا لا أحب أن أسوق لكم الأمثلة، فإن كل واحد منكم يحفظ مما رأى أو سمع كثيرًا منها، إنما أسوق لكم مثلًا واحدًا: قصة الشيخ سليم المسوتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد كان شيخ أبي، وكان على فقره لا يردّ سائلًا قط، ولطالما لبس الجبة أو الفروة، فلقي بردان يرتجف، فنزعها فدفعها إليه، وعاد إلى البيت بالإزار، وطالما أخذ السفرة من أمام عياله، فأعطاها السائل، وكان يومًا في رمضان، وقد وضعت المائدة انتظارًا للمدفع، فجاء سائل يقسم إنه وعياله بلا طعام، فابتغى الشيخ غفلة من امرأته ولولت عليه، وصاحت، وأقسمت إنها لا تقعد عنده وهو ساكت، فلم تمر نصف ساعة حتى قرع الباب، وجاء من يحمل الأطباق فيها ألوان الطعام والحلوى والفاكهة، فسألوا: ما الخبر؟ وإذا

الخبر أن سعيد باشا شموين كان قد دعا بعض الكبار، فاعتذروا، فغضب، وحلف ألا يأكل من الطعام، وأمر بحمله كله إلى دار الشيخ سليم المسوتي.

٩٥٠ نبي الله في السجن

جاء في كتاب (روح المعاني) للآلوسي: روى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أوحى الله تعالى إلى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: من استنقذك من القتل حين هم إخوتك أن يقتلوك؟ قال: أنت يا رب. قال: فمن استنقذك من الجب إذا ألقوك فيه؟ قال: أنت يا رب، قال: فمن استنقذك من المرأة إذ همت بك؟ قال: أنت يا رب. قال: فما بالك نسيتني، وذكرت آدميًّا؟ قال: يا رب، كلمة تكلم بها لساني، قال: وعزتي وجلالي لأخذلنّك في السجن بضع سنين.

نقول: نعم، هذه الدنيا هي دار الاختبار، وهي سجن المؤمن وجنة الكافر.

٩٥١ وفد تميم

لما قدم وفد تميم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناداه رجل منهم من وراء الجدار: يا محمد، اخرج إلينا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] وفي قراءة ابن مسعود: (بنو تميم أكثرهم لا يعقلون) وأنزل الله في ذلك: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

٩٥٢ التقوى

ودع ابن عون رجلًا، فقال: عليك بتقوى الله، فإن المتقي ليست عليه وحشة، وقال زيد بن أسلم: كان يقال: من اتقى الله أحبه الناس، وإن كرهوا، وقال الثوري

لابن أبي ذئب: إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئًا، وقال سليمان بن داود: أوتينا مما أوتي الناس، ومما لم يؤتوا، وعلمنا مما علم الناس، ومما لم يعلموا، فلم نجد شيئًا أفضل من تقوى الله في السر والعلانية، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وفي الزهد للإمام أحمد أثر إلهي: «ما من مخلوق اعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من دونه، فإن سألني لم أعطه، وإن دعاني لم أجبه، وإن استغفرني لم أغفر له، وما من مخلوق اعتصم بي دون خلقي إلا ضَمنت السماوات والأرض رزقه، فإن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته، وإن استغفرني غفرت له».

أقول:

هذا شيء مجرب ومشاهد، ولو استعرضت من تعرف من الناس لوجدت هذا في غاية السعادة، وهو قليل المال، وهذا في غاية التعب والهم، وينام في خفية من كثرة المشاغل، وفي غاية الشقاء، وهو كثير المال.

٩٥٣ جولة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرسمية

هذا ما رواه ابن كثير عن هذه الرحلة يقول: قدم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجابية على طريق إيليا على جمل أورق، تلوح صلعته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة، تصطفق رجلاه بين شعبتي الرحل بلا ركاب، وطاؤه كساء أنبجاني ذو صوف، هو وطاؤه إذا ركب وفراشه إذا نزل، حقيبته نمرة أو شملة محشوة ليفًا، هي حقيبته إذا ركب، وسادته إذا نزل، وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جنبه، فقال: ادعوا لي رأس القوم، فدعوا له الجلومس، فقال: اغسلوا قميصي، وخيطوه، وأعيروا لي ثوبًا أو قميصًا، فأتي بقميص كتان، فقال: ما هذا؟ قالوا: كتان، قال: وما الكتان؟ فأخبروه، فنزع قميصه، فغسل، ورفع، وأتي به، فنزع قميصهم، ولبس قميصه، فقال له الجلوس: أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئًا غير هذا، وركبت برذونًا لكان ذلك أعظم

في أعـين الـروم، فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسـلام فلا نطلب بغير الله بديلًا ، فأتـي ببرذون، فطرح عليه قطيفته بلا سـرج ولا رحل، فركبه بها ، فقال: احبسوا احبسوا ، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا ، فأتي بجمله، فركبه.

٩٥٤ نفس ابن آدم

قـال ابـن القيـم في كتابه القيـم (الفوائـد) : سبحـان الله! في النفس كبر إبليس، وحسد قابيل، وعتوّ عاد ، وطغيان ثمود ، وجرأة نمرود ، واستطالة فرعون، وبغـي قارون، وقحـة هامان، وهوى بلعام، وحيل أصحـاب السبت، وتمرد الوليد ، وجهل أبي جهـل، وفيها من أخلاق البهائم، حرص الغراب،وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجعـل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثـوب الفهد ، وصولة الأسـد ، وفسق الفأرة، وخبـث الحية، وعبث القرد ، وجمـع النملة، ومكر الثعلب، وخفـة الفراش، ونـوم الضبع، غـير أن الرياضـة والمجاهدة تذهـب ذلك، فمن استرسـل مع طبعه، فهو من هذا الجنـد ، ولا تصلح سلعته لعقد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ [التوبة: ١١١] فمـا اشـترى سلعـة إلا هذبهـا الإيمان، فخرجـت من طبعها إلـى بلد سكانه التائبون العابدون، سلـم المبيع قبل أن يتلف في يـدك، فلا يقبله المشـتري، قد علم المشـتري بعيب السلعة قبـل أن يشتريها، فسلمها ، ولك الأمان من الرّد.

نقـول: صدق الشيخ، ذكر التاريخ شخصيات قبل الإسلام كانوا طغاة بغاة، ثم أصبحوا أئمة ودعاة.

٩٥٥ القرآن وأمثال العرب

قـال سفيان بن عيينة: لا تأتون بمثل مشهور للعرب إلا جئتكم به من القرآن الكـريم، فقـال له قائل: فأين في القرآن «أعطِ أخاك تمـرة، فإن لم يقبل فأعطِه

جمـرة»، فقال: في قوله تعالـى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

٩٥٦ المفتاح

قال الفقهاء: أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فتيقـن حينئـذ أن الحسنات من نعمـه، فتشكره عليها، وتتضـرع إليه ألّا يقطعها عنـك، وأن السيئات من خذلاته وعقوبتـه، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلـك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفســك، وقد أجمع العارفون على أن كل خير أصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر أصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق ألّا يكلـك الله إلى نفسـك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير أصله التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجوء والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطي العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن هذا المفتاح بقي باب الخير مُرتَجًّا دونه.

٩٥٧ إذا رأيتم الحريق فكبروا

يذكـر من حديـث عمرو بن شعيـب مرفوعًـا: «**إذا رأيتـم الحريـق فكبـروا فـإن التكبـير يطفئه**»[1]. لمـا كان الحريق سببه النار، وهي مـادة الشيطان التي خلـق منهـا، وكان فيه من الفساد العام ما ينـاسب الشيطـان بمادته وفعله، وكان للشيطان إعانة عليه وتنفيذ له، وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد، وهذان الأمران وهمـا العلو في الأرض والفساد هما هدي الشيطـان وإليهما يدعو وبهما يهلك بني آدم، فالنار والشيطان كلٌّ منهما يريد العلو في الأرض والفساد، كبرياء الـرب عَزَّوَجَلَّ تقمع الشيطان، فإذا كبّر المسلم ربه طفئ الحريق، وقد جربنا نحن وغيرنا، فوجدنا ذلك. عن كتاب (زاد المعاد).

---

(١) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم٥٠٤).

٩٥٨ كيف تشهد الأعضاء؟

فسّر الشيخ الشعراوي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: التنوين هنا معناه: يوم نأتي من كل أمة بشهيد على أنه بلّغ، ويشهد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هؤلاء في هذا اليوم، يودّ الذين كفروا، وكذبوا بالرسول أن تسوى بهم الأرض؛ وذلك لأنهم فوجئوا بعملية كانوا يكذبونها، وكان يعتقدون أن المسألة مجرد كلام فقط، ومعنى: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي يكونون هم والأرض قطعة واحدة غير منفصلة، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ معنى الكتم: محاولة منع الشيء من الخروج بطبيعته بالقوة، وكلمة: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾ دليل على أن الحديث مندفع، ولا يقدر على منعه.

والسؤال الآن: لماذا يكتمون الحديث؟ والجواب: أن ذلك راجع إلى ذاتية المنطق، وليس في أداة المنطق باللسان، واللسان سوف يشهد، والجلود كذلك، واليدان وكل الجوارح، والمسألة خرجت من يد الإنسان، فهناك ما يسمى ولاية الاقتدار، يوجد قادر ومقدور عليه، ولنضرب لذلك مثلًا يقرب المسألة، يوجد هناك كتيبة من الجيش مثلًا وعليها قائد برتبة عقيد، لو أنها قامت بمهمة فالقانون العام يجعل لهذا العقيد قادرية الأوامر، أما الباقون فعليهم الطاعة، ولا يقدرون على مخالفة الأوامر العسكرية، لكن هب أنهم جاؤوا إلى القائد الأعلى فماذا يكون الموقف؟ تنتقل قادرية الأوامر إليه، فكذلك الحق سبحانه وتعالى حينما خلق الإنسان خلق جوارحه منفعلة لإرادته، الإرادة الخاصة به مكيفة بأي شيء، فإرادة الطائع إطاعة أمر واجتناب نهي، وإرادة العاصي على العكس من ذلك لا يطيع الأمر، ولا يمتثل للنهي، فلو أنه أراد شرب الخمر مثلًا فرجله مشت إلى هناك، ولسانه نطق للرجل الذي أعطاه الكأس، ويده امتدت، وأخذت الكأس، وشرب، الجوارح التي تفعل ذلك هي مقدورة لقادري إرادته؛ لأن الله سبحانه

وتعالى خلقها كذلك، ولكن حين تذهب إلى من دبر الأمر في الآخرة تقول له: يا رب فعل بي كذا كذا أو كذا، لماذا؟ لأن قادرية الإرادة للإنسان امتنعت هنا تمامًا، وليست له إرادة في هذا اليوم؛ لأن الملك اليوم لله الواحد القهار، ولو سألت الجوارح: وأين كنت حين فعل ذلك؟ تقول: يا رب كنت مقهورة لقادرية إرادته التي جعلتها له، وهذا واضح حينما تريد أن تضرب إنسانًا بيدك توافقك يدك، وحينما تريد للسانك أن يشتم واحدًا يشتمه، وعندما تريده أن يمدحه يمدحه، هذه كلها ولاية القادرية من الإرادة على المقدوريات من الجوارح؛ أي إن الجوارح حين تصنع غير مرادات الله سبحانه وتعالى بحكم أنها خاضعة للمريد وهو غير طائع تكون كارهة لذلك، فإذا ما وجدت الفرصة، وأن إرادة المريد انحلت عنها تقول على ما حدث تفصيليًّا، فيدهش الجميع. عن جريدة (المسلمون) ١٧/٣/١٤٠٩هـ.

٩٥٩ فتوى من شيخ وليست من شويخ

قال ابن خلكان في (وفيات الأعيان): إن الأمير عبدالرحمن بن الحكم صاحب الأندلس كتب إلى الفقهاء يومًا يستدعيهم إليه، وكان ابن الحكم قد نظر في شهر رمضان إلى جارية له كان يحبها حبًّا شديدًا، فبعث بها، ولم يملك نفسه أن وقع عليها، ثم ندم بعد ذلك ندمًا شديدًا، فلما أتاه الفقهاء سألهم عن توبته من ذلك وكفارته، فقال يحيى بن يحيى الليثي: يكفّر ذلك بصوم شهرين متتابعين، فلما بدر يحيى بهذه الفتوى سكت باقي الفقهاء حتى خرجوا من عند الأمير قالوا ليحيى: ما لك لم تفتِه بمذهب الإمام مالك، فعنده أنه مخيّر بين العتق والطعام (أي إطعام المساكين) والصيام، فقال يحيى: لو فتحنا له هذا الباب سهُل عليه أن يطأ كل يوم، ويعتق رقبة، ولكن حملته على أصعب الأمور؛ لئلا يعود.

نقول: هذا الشيخ يريد وجه الله والدار الآخرة، وليس شويخًا يريد الدينار والدرهم.

٩٦٠ الشبيلي حاتم عصره

قال الأخ الأستاذ تركي السديري في جريدة (الرياض) يوم ١٤٠٩/٣/٢٠هـ: الرجل في سخائه ورجولة مواقفه تجاوز الواقع إلى حدود الخرافة والأسطورة، فأقصى مراحل الكرم العربي عند الخلفاء والقادة والولاة هي تلك التي يطيب فيها أن (يتقي الله سائله) أي إن جزالة العطاء في الكرم إنما تأتي جوابًا لمن يبذلون السؤال من المحتاجين، أو تدفعهم ظروف التعامل ليكونوا في رعاية الكرم. الشبيلي رجل مختلف تمامًا، فهو لا ينتظر السؤال من المحتاج، ولكنه يذهب بكرمه إلى كل الناس معتبرًا أنهم ضيوفه، وظروف المسؤولية أو المكانة الاجتماعية ليس هو ما يملي عليه تقدير الآخرين، ولكنه في كرمه وتقديره ورجولة مواقفه يفعل ذلك مع كل الناس، حتى أصبح كل سعودي يحل في بلد هو سفير فيه يُعدّ ضيفًا عليه، وذهب الرجل إلى حد تقصي الفنادق؛ لئلا يوجد بها من يتلهف على استضافته، ولكنه لا يدري عنه، كرمه لم يقف عند حدود أن (يتقي الله سائله)، ولكنه تجاوز ذلك إلى أن يتقي الله معارفه والسامعون عنه بإراحته من عناء ضيافتهم ورعايتهم، فما كانوا يطلعونه على وجودهم في بلد يعمل فيه إلا حين يقترب موعد الذهاب للمطار عائدين، فيذهبون للسلام عليه، إنه نبل نادر في هذا العصر، رجل من مثاليات فريدة، يروى تدليلًا على سعة صلاته وشمول علاقاته أن السفير الكوبي في الهند في أثناء عمله هناك كان يعتمد عليه في اختيار يليق بحفلاته الشرقية، وبقدر ما يعني هذا شمول علاقاته الدبلوماسية، فإنه يعني أيضًا صلته الاجتماعية الوثيقة بالمجتمع الهندي، وإذا كان من يبذلون جهودًا محدودة في أي عمل جيد يعدونها مناسبة للإعلان عن أنفسهم، أو يجمعون الأموال والمناصب لفعل الظهور الإعلاني، فقد كان الشبيلي وثيق الصلات

والتبرعـات والجهود مع الجمعيـات والشخصيات الإسلاميـة والأخرى الوطنية في مواقعهـا دون أن يعلـن ذلك لأحد، يروون حكاية في مثـل سحر الأساطير عن إنسانيته وكرمه من أن رجلًا من أسرته كان يبتاع في أحد أسواق لندن المركزية، وحـين أراد توقيع شيك بالمبلغ لمحاسب المكان لاحـظ البائع الاسم، فرفض تسلم الشيـك؛ مؤكدًا أنه ليس في حاجـة لتسديد الفاتورة، ودخلا في جدال طويل أنهاه البائـع بقولـه: لقد دفع حسابك الشيخ محمد الشبيلي! فـردّ المشتري: لكن فكرة الشـراء هـذه لم تخامرني إلا منـذ ساعة، فكيـف عرف الشيخ محمـد الشبيلي بذلـك وهو علـى بعد آلاف الأميال ليدفع حسابي؟ وكيف دفعه وهو على مثل ذلك البعـد؟ وعادا إلـى الجدل، فاضطر البائع الهندي الأصـل إلى أن يروي له قصة مثـيرة حدثـت قبل أعوام طويلة، ودفعته لأن يقول لـه: إن حسابه قد دفعه الشيخ محمـد الشبيلـي، وموجزها أنه قبل أعوام عدة كان شـاب فقير يسكن في دلهي، وقبيل الفجر داهمت الولادة زوجته، فقد كانت الأعراض تتطلب تدخلًا جراحيًّا، وأسقط في يده! فهو على أطراف مدينة معظم سكانها من الفقراء ومعظم بيوتها من القش، كيف سيذهب إلى المستشفى، وكيف سيدفع تكاليف العلاج؟ ويضيف: لقـد وجدت غير بعيد مـن منزلي أضواء تأتي من منزل كبـير، فتوقعت أن يكون لأحـد القادريـن على مساعدتي بأي شـكل، وإن كان ذلك شبـه مستحيل في مثل تلك الساعة من الليل، ذهبت إلى هناك، فقرعت الباب، وشرحت الأمر للحارس الـذي فوجئت بأنه لم ينهـرني أو يطردني، بل اختفى دقائـق، ثم عاد ومعه رجل آخر قال: إنه سائق سيأخذني إلى المستشفى، وفعلًا امتطيت أنا وزوجتي السيارة إلى المستشفى الذي كان مفاجأتي كبيرة أن أجد عند بابه من موظفيه من هو في انتظارنـا، لم يسألني أحد عن أي شـيء؟ أخذوا الزوجة، وأجريت لها الفحوص، ثـم عمليـة ولادة قيصرية، ثم غرفة أنيقـة. وفي الصباح فوجئـت بحقيبة تصل إلى غرفـة زوجتي وبداخلها ملابـس للطفل ومستلزمات أخـرى لرعايته، ورجل يقول: يرجو محمـد الشبيلي أن تقبل هديته لطفلـك واستضافتكم في المستشفى على نفقته، إذ دفع فعلًا أجرة العملية والغرفة وكل مصروفات العلاج حتى تاريخ

الخروج. ويواصل الهندي: لقد عرفت أن ذلك المنزل كان بيت السفير السعودي، وأن سيارته هي التي أقلت زوجتي إلى المستشفى، وأنه هو الذي دفع كل التكاليف التـي كنت عاجزًا عن القيام بهـا. فأقسمت ألا ألتقي أحدًا يمتّ إليه بأي صلة إلا كان ضيفـي. إنها حكايـة أسطورة وخرافة، لكنها شيء قليل، قليل جدًّا من سيرة رجل نادر اسمه محمد الحمد الشبيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

نقول:

هذا والله من العجب، وهو نموذج يشرف كل عربي ومسلم. أُخبرت أن أحد الأقـارب من قريتنا الربيعيـة كان يقول لجلسائه: الحمـد لله أن الله لم يخلقني امـرأة، قيـل له: ولمـاذا؟ قـال: أخشـى أن أزني! والله ما سئلت شيئًـا قط في كل حياتي، وقلت: لا.

رحمه الله رحمة واسعة، كنت أتحدث مع العم الكريم الداعية الموفق الشيخ يوسف المطلق، وأقول له: يا ليتني التقيت هذا الرجل النبيل لأقبل جبينه، كيف لا نعـرف هؤلاء إلا بعد موتهم، ووالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يمـزح مع الشيخ علي المطلق رحمهما الله ويقـول لـه: يا شيـخ، إذا رأيتك فرحت أنـك ابن عمي شمـري، وكان الشيخ علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مثل أخلاق الشبيلي وكذلك يوسف حفظه الله.

٩٦١ من الغرب السلاح ومن الشرق الرجال

قالـت جريدة (القبس) الكويتية يوم ١٤٠٩/٣/٢٠هـ: ما هو موقف الاتحاد السوفييتـي مـن الانتفاضـة الفلسطينية؟ جـاءت الإجابـة عن هـذا السؤال في (القبـس): جسر جوي ينقل اليهود السوفييت إلى تـل أبيب، حيث كشف مصدر دبلوماسـي عربـي لمراسـل (القبـس) في بروكسـل أن صديـق العـرب الرئيس شاوشيسكـو زار الاتحـاد السوفييتـي أخـيرًا، وأشرف بنفسه علـى ترتيب جسر جـوي من ٥ إلى ٨ طائـرات تنقل آلافًا من اليهود السوفييـت يوميًّا إلى تل أبيب،

ويسعى شاوشيسكو لتهدئة الانتفاضة الفلسطينية، وقد حاول بعض السفراء العرب في بوخارست عاصمة رومانيا الاستفسار عن هذه الهجرة إلى فلسطين المحتلة ودور نيكولاي شاوشيسكو، فجاءهم الرد جافًّا، وأن هذا شأن روماني لا دخل للعرب فيه، وطلبوا عدم تكرار طرح الأسئلة، ولم يشمل الرد طلب تفسير دور زيارة شمعون بيريز الأخيرة في هذا الجسر الجوي، علمًا أن بيريز أجنبي، وليس رومانيًّا. علّق المصدر الدبلوماسي على عملية الجسر الجوي بأنها جزء من استحقاقات يدفعها الرئيس غورباتشوف لتطبيع علاقات موسكو بالغرب، التي بدأت نتائجها في الظهور، حيث حصل الاتحاد السوفييتي على قرض من بريطانيا بألف مليون جنيه إسترليني، مع وعد من المستثمرين الألمان الغربيين بالإسهام في تنشيط الاقتصاد السوفييتي.

يقول الدبلوماسي العربي: تجاوز سلبية الاتحاد السوفييتي وموقفه من الانتفاضة الصمت الرسمي إلى الدعم العلني والعملي للسياسة الإسرائيلية عبر هذا الجسر الجوي، الذي ينقل ما معدله ألف يهودي في اليوم، يتقاطرون من أطراف الأرض لمواجهة الانتفاضة. إن الأخطر من الدعم الأمريكي لإسرائيل بسلاح يقتل شعبنا الأعزل هو تلك الأيدي التي تطلق النيران، وتصفع الكرامة التي هي أثمن عند إسرائيل من السلاح، وأن أي صمت من جانب أصدقاء الاتحاد السوفييتي في الكويت والعالم العربي يُعدّ رضًا وإقرارًا بهذا الجسر الفتاك الذي تجرأت عليه موسكو لأسباب عدة، منها اطمئنانها إلى ردّ الفعل الناعم من أصدقائها في الخليج والوطن العربي كله. وإذا كنا نردد عبارة لا نستطيع مساعدة الفلسطينيين في انتفاضتهم وهم وراء الحدود، فهل نعجز عن استنكار ورفض إمداد إسرائيل بالطاقات البشرية والاستنكار؟ يا قوم، هو أضعف الإيمان، وليس وراءه حبة خردل من إحساس بالانتفاضة.

هذا ما كتبه الأستاذ فيصل الزامل جزاه الله كل خير.

أقول:

مـن شكك في عـداوة الغرب النصراني أو الشـرق الملحد للعرب وللمسلمين فهـو إمـا جاهل مغرور أو خبيث مأجـور، ولا عليك أيها الكاتـب الكريم، فاجتماع اليهـود في بيـت المقدس في آخر الزمـان لأمر يريده الله، وقد أشـار الله سبحانه في سـورة الإسـراء في قوله تعالـى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤-٧] ومـن أراد الزيادة فليراجع ما كتبه المفسر الجليل الإمام ابن كثير في تفسيره لسورة الإسراء، وكذلك ما كتبه الشهيد سيد قطب في (ظلال القرآن) حول هذا الموضوع العجيب.

٩٦٢ ظلم الإنسان لأخيه الإنسان

اكتشـف تلاميذ إحدى المدارس في ضاحية مدينة (مينسك) السوفييتية في جمهوريـة روسيـا البيضاء مقـبرة جماعية ربما يكون في جوفهـا رفات نحو ٢٥٠ ألـف شخص، وتحمل اسم مقبرة (كوراباتي) وليـس الرقم المذكور أعلاه رقما تحريفيًّـا تـورده المعارضة؛ لأنه جاء في نشـرة الشبيبة الشيوعيـة في الجمهورية طبقًا للمصادر المعنية أن نحو ربع مليون رجل وامرأة قد دفنوا في هذه المقبرة ما بـين ١٩٣٧و١٩٤١م بعد إعدامهم رميًـا بالرصاص على يد عناصر الاستخبارات السوفييتيـة قبل أن تحمل هذه الاستخبارات اسم (كي. جي. بي)، ولم يكن عدد سـكان جمهورية روسيـا البيضـاء في تلـك الآونة أكثر من ثمانيـة ملايين نسمة، وبحسـب نشرة سوفياتسكـي مولودج الصادرة في ليتوانيا، فـإن مقبرة كوراباتي تضـم ٥١٠ حفـر جماعية بطـول ١٠ أمتار للحفـرة الواحدة، وعمـق ثلاثة أمتار

فوق مساحة من الأرض تزيد على ١٥ هكتارًا، ثم لم تلبث أن ظهرت ٤٠٠ مقبرة جماعية جديدة خلال عمليات الحفر لبناء خط لنقل الغاز في الغابة التي يتنزه فيها أبناء مدينة مينسك عادة في نقطة غير بعيدة عن الحفر الأولى. يقول الكاتب السوفييتي (أليس آدامو فيتشي) وهو من روسيا البيضاء: كان يتم تجميع الضحايا في صفوف، ثم يلقون مصرعهم بإطلاق النار عليهم في الرأس وجهًا لوجه، وكان مطلقو النار يحرصون على قتل اثنين من المتهمين برصاصة واحدة، وعندما كانت الحفرة تمتلئ بالجثث يهيل الجنود الرمل فوقها، ويسوون بها الأرض، أفراد الحرس ومجموعات الإعدام كانوا يلبسون ثياب الاستخبارات التي كان اسمها (كي. في. دي) وبسبب هول المسألة شكلت الحكومة المحلية لجنة تحقيق رسمية في الموضوع، فآثار الجثث كانت تظهر من وقت لآخر بسبب تحلل الأجسام وانخفاض مستوى الأرض في حفر الإعدام.

وفي إحدى المرات انكشف بسهولة خمسون جثة مصفوفة صفًّا واحدًا، وقد أضيفت صور هذه الجثث إلى الملف الذي تعده اللجنة الحكومية المكلفة بالتحقيق، والسؤال المطروح هو: هل كل هذه الجثث ترجع إلى مرحلة القمع الداخلي التي قام بها جوزيف ستالين؟ عن جريدة (الوطن الكويتية) في ١٤٠٦/٣/٢١هـ.

إنه والله الظلم كل الظلم من الإنسان لأخيه الإنسان.

٩٦٣ دار الظالمين

كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين مرّ بالحجر بديار ثمود قال: «**لا تشربوا من مائها، ولا تتوضؤا منها، وما كان من عجين فاعلفوه الإبل، ولا يخرجنّ أحد منكم إلا ومعه صاحب له**» ففعلوا إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعيره، فخنق الذي خرج لحاجته على مذهبه، وحملت الريح طالب البعير، حتى ألفته في جبلي طيء، فقال رسول

اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألم أنهكم**»[1]، ثم دعا للذي خنق فشفي، وأهدت الآخر طيء لرسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قدم المدينة. قال الزهري: لما مرّ بالحجر سجى ثوبه على وجهه، واستحثّ راحلته، ثم قال: «**لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون؛ خوفًا أن يصيبكم ما أصابهم**»[2]. هذا ما جاء في مختصر زاد المعاد للإمام ابن القيم تأليف الإمام محمد بن عبد الوهاب، وتعليقنا هو لسياح المسلمين ألّا يدخلوها، وإن دخلوا فليكونوا باكين حزينين، وعلى العلماء أن يبينوا ذلك للناس.

٩٦٤ سبحان من قتل الأمير وفكّ الأسير!

لما وجّه سليمانُ بن عبد الملك محمدَ بن يزيد إلى العراق ليطلق أهل السجون، ويقسم الأموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم، فلما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولّى يزيد بن أبي مسلم إفريقية، وكان محمد بن يزيد واليًا عليها، فاستخفى محمد بن يزيد، فطلبه يزيد بن أبي مسلم، وشدّد في طلبه، فأُتي به إليه في شهر رمضان عند المغرب، وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب، فقال لمحمد بن يزيد حين رآه: يا محمد بن يزيد، قال: نعم، قال: طالما سألت الله أن يمكنني منك، فقال: وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك، فقال: والله ما أجارك، ولا أعاذك، وإن سبقني ملك الموت إلى قبض روحك سبقته، والله لا آكل هذه الحبة من العنب حتى أقتلك، ثم أمر به، فكتف، ووضع في النطع، وقام السياف، فأقيمت الصلاة، فوضع العنقود من يده، وتقدم ليصلي، وكان أهل إفريقية قد أجمعوا على قتله، فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله، وقيل لمحمد بن يزيد: اذهب حيث شئت، فسبحان من قتل الأمير، وفكّ الأسير!

---

(١) ذكر هذه القصة ابن كثير في البداية والنهاية (٥/١٥-١٦)، والنويري في نهاية الأرب في فنون الأدب (١٧/٢٥٣-٢٥٤).

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون (٢/٢٣)، ونهاية الأرب (١٧/٢٥٣-٢٥٤).

٩٦٥ لله في خلقه شؤون

قــال عبدالله باجبــير في جريدة (الشرق الأوسط) يــوم (١٤٠٩/٤/١هـ): آخــر خبر مثير، أن رجلًا هنديًا اسمــه رام سنج استطاع بعد تدريب استمر أربع سنــوات كاملة التحكــم في جسده حتى أمكــن كما يقول التعبــير العلمي (تخطي المراكز الفكرية) وقد أعلن الرجل أنه في إمكانه البقاء أربعة أسابيع في قبر تحت الأرض والخروج حيًّــا بعد ذلك، وقد طلــب أن يجلس عدد مــن الأشخاص فوق القبر العميق؛ حتــى لا يكون هناك أي احتمال للخداع، وقد تمت التجربة، ووضع رام سنج في صندوق مصمت من الخشب، ثم أنزل في قبر على مسافة أربعة أمتار مــن سطح الأرض، وقام بالتناوب لمدة الأسابيــع الأربعة، وأمام عدسات التلفاز، قــام العلماء، ورفعوا الزهور عن القبر، ثم أزاحوا التراب، ثم حفروا حتى وصلوا إلــى الصندوق، وأخرجوه، ثم نزعــوا المسامير، ورفعوا ألواح الخشب، وخرج رام سنج حيًّا وهو يبتسم أمام العلماء المدهوشين وأمام عدسات التلفاز!

٩٦٦ تطيّبـوا

قــال بعض العلماء: إن في الطيب من الخاصة أن الملائكة تحبه، والشياطين تفر منــه، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة، والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها، والخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، والطيبــات للطيبين والطيبــون للطيبات، وهذا وإن كان في الرجــال والنساء فإنه يتناول الأعمال والأقوال والمطاعم والمشارب والملابس والروائح، إما بعموم لفظه، وإما بعموم معناه.

٩٦٧ اللباس الحسن

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[١]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تعمموا تزدادوا جمالا**»[٢]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**العمائم تيجان العرب**»[٣]، وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء، فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها، وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل، فتخلف عن الجيش، وأتى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه عمامة سوداء من خز، فنقضها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمّمه بيده، وأسدلها بين كتفيه قدر شبر، وقال: هكذا اعتم يا ابن عوف. وبعث ملك الروم إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبة ديباج، فلبسها، ثم كساها عثمان. وكان سعيد بن المسيب سيد التابعين يلبس الحلة بألف درهم، ويدخل المسجد، فقيل له في ذلك؟ فقال: إني أجالس ربي. وقيل: المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة.

نقول: ما رأي إخواننا الذين يحضرون صلاة الجمعة في بعض الأحيان والجماعة في كثير من الأحيان بملابس النوم ألا يخافون من مخالفة أمر الله في كتابه الكريم؟ وكذلك بعض أصحاب الملايين الذين يرتدون الخلاقين، وينتعلون الشبشب أبو ريالين، ويركبون سيارة خردة.

٩٦٨ مؤمن غني شجاع

قال القاضي أبوعلي الحسن بن علي التنوخي في كتاب (الفرج بعد الشدة): إن منارة صاحب الخلفاء قال: رُفع إلى هارون الرشيد أن رجلًا بدمشق من بقايا

(١) أخرجه أحمد (١٣/٤٦٨ رقم٨١٠٧)، والترمذي (٥/١٢٣ رقم٢٨١٩)، وحسنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم١٧١٢).

(٢) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٢/٥٥ رقم٣٢١٣)، وضعفه العجلوني في كشف الخفاء (٢/٧٢).

(٣) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٢/٥٥ رقم٣٢١٣)، وضعفه العجلوني في كشف الخفاء (٢/٧٢).

بنــي أمية عظيم المال كثير الجــاه مطاع، له في البلدان جماعــة وأولاد ومماليك ومــوالٍ يركبون الخيول، ويحملون السلاح، ويغزون الــروم، وأنه سمح جواد كثير البــذل والضيافة، وأنــه لا يؤمن منه. قال منارة: وكان وقــوف الرشيد على هذا، وهــو بالكوفــة في بعض حججــه في سنة مئة وست وثمانين، وقــد عاد من الموسم، وبايــع للأمين المأمون والمؤتمــن أولاده، فدعاني وهو خالٍ، وقال: إني دعوتك لأمر يهمنــي، وقد منعنــي النوم، فانظر كيف تعمل، ثم قص علــي خبر الأموي، وقال: اخــرج الساعة، فقد أعددت لك الجائــزة والنفقة والآلة، ويُضم إليك مئة غلام، واسلــك البريّة، وهــذا كتابي إلى أمير دمشق، وهذه قيــود فادخل فابدأ بالرجل، فــإن سمع وأطاع فقيــده، وجئني به، وإن عصى فتوكل به أنــت ومن معك، وانفذ هــذا الكتاب إلــى نائب الشام ليركــب في جيشه، ويقبضوا عليــه وجئني به، وقد أجلتــك لذهابك ستًّا ولمجيئك ستًّا، وهذا محمل تجعله في شقه إذا قيدته، وتقعد أنــت في الشــق الآخر، ولا تكلْ حفظــه إلى غيرك حتى تأتيني بــه في اليوم الثالث عشر من خروجك، فإذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها وأهله وولده وحشمه وغلمانه، وقــدر النعمة والحال والمحل، واحفظ ما يقوله الرجل حرفًا بحرف من ألفاظه من حين وقوع طرفك عليه إلى أن تأتيني به، وإياك أن يشذ عنك شيء من أمــره، انطلق. قال منارة: فودعته، وخرجــت، وركبت الإبل، وسرت أطوي المنازل أسير الليل والنهار، ولا أنزل إلا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس النفس قليلًا إلــى أن وصلت دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة، فكرهت الدخول ليــلًا، فنمت بظاهــر البلد إلى أن فُتح الباب، فدخلت علــى هيئتي حتى أتيت دار الرجــل وعليها صف عظيم وحاشية كثيرة، فلم أستــأذن ودخلت بغير إذن، فلما رأى القــوم ذلــك سألوا بعض غلماني؟ فقالــوا: هذا منارة رســول أمير المؤمنين إلــى صاحبكم، فلما صرت في صحن الدار أُنزلت، ودخلت مجلسًا رأيت فيه قومًا جلوسًا، فظننت أن الرجــل فيهم، فقاموا، ورحبوا بي، فقلت: فيكم فلان؟ قالوا: لا، نحــن أولاده وهو في الحمام، فقلت: استعجلوه، فمضى بعضهم يستعجله، وأنا أتفقد الــدار والأحوال والحاشية، فوجدتها قد ماجــت بأهلها موجًا شديدًا، فلم

أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن أطال، واستربت به، واشتد قلقي وخوفي من أن يتوارى، إلى أن رأيت شيخًا بزيّ الحمام يمشي في الصحن وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه، فعلمت أنه الرجل، فجاء حتى جلس، فسلم علي سلامًا خفيًّا، وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته؟ فأخبرته كما وجب، وما قضى كلامه حتى جاؤوا بأطباق فاكهة، فقال: تقدم يا منارة، فكلْ معنا، فقلت: ما لي إلى ذلك من حاجة، فلم يعاودني، وأقبل يأكل هو ومن عنده، ثم غسل يديه، ودعا بالطعام، فجاؤوا بمائدة عظيمة لم أرَ مثلها إلا للخليفة، فقال: تقدمْ يا منارة، فساعدنا على الأكل، لا يزيدني على أن يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة، فامتنعت عليه فما عاودني، وأكل هو ومن عنده، وكانوا تسعة من أولاده، فتأملت أكله في نفسه، فوجدته أكل الملوك، ووجدت جأشة رابطًا، وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن، وقد كان غلمانه أخذوا لما نزلت الدار جمالي وجميع غلماني بالمنع من الدخول، فما أطاقوا ممانعتهم، وبقيت وحدي ليس بين يدي إلا خمسة غلمان أو ستة وقوف على رأسي، فقلت في نفسي: هذا جبار عنيد، وإن امتنع علي من الشخوص لم أطق إشخاصه بنفسي ولا بمن معي، ولا أطيق حفظه إلى أن يلحقني أمير البلد، فجزعت جزعًا شديدًا، ورابني منه استخفافه في الأكل، ولا يسألني عما جئت به، ويأكل مطمئنًا، وأنا مفكر في ذلك، فلما فرغ من أكله، وغسل يديه دعا ببخور، فتبخر، وقام إلى الصلاة، فصلى الظهر، وأكثر من الدعاء والابتهال، فرأيت صلاته حسنة، فلما انتقل من المحراب أقبل عليَّ، وقال: ما أقدمك يا منارة؟ فقلت: أمر لك من أمير المؤمنين. وأخرجت الكتاب، ودفعته إليه فقرأه، فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته، فاجتمع منهم خلق كثير، فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي، فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيمانًا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج، وأمرهم أن ينصرفوا، ويدخلوا منازلهم، ولا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد، ولا يظهروا إلى أن يظهر لهم أمر يعملون عليه، وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالتوجه إليه، ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة، فاستوصوا بمن ورائي من الحرم خيرًا، وما

بــي حاجة من أن يصحبني غلام. هات قيــودك يا منارة، فدعوت بها، وكانت ـ في سفــط، فأحضر حــدادًا فمد ساقيه، فقيدته، وأمرت غلمــاني بحمله ـ في المحمل، وركــب ـ في الشــق الآخــر، وسرت من وقتــي، ولم ألقَ أمير البلــد ولا غيره، فسرت بالرجل ليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق، فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن ـ في الغوطة، فقال لي: ترى هذا؟ قلت: نعم، قال: إنه لي، وقال: إن فيه من غرائب الأشجار كيت وكيت، ثم انتهى إلى آخر، فقال مثل ذلك، ثــم انتهــى إلى مزارع حسان وقرى، وقال: هــذه لي، واشتد غيظي منه، فقلت له: اعلــم أني شديــد العجب! قال: ولمَ تعجب؟ قلت: أليســ تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى أرسل إليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك، وأخرجك فريــدًا مقيدًا ما تدري ما يصنع بــك وأنت فارغ القلب من هذا تصف بساتينك؟ فقــال لي مجيبًــا: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخطــأت فراستي فيك، ظننتك رجلًا كامل العقل، وأنك ما حللت من الخلفاء هذا المحل إلا بعد أن عرفوك بذلك، فأنا والله رأيــت عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهــم والله المستعان، أما قولك ـ في أمير المؤمنــين وإزعاجه وإخراجه إياي وإلى بابه على صورتي هذه، فإني على ثقــة من الله عَزَّوَجَلَّ الذي بيــده ناصيتي، ولا يملك أمير المؤمنــين لنفسه ولا لغيره نفعًــا ولا ضــرًّا إلا بإذن الله ومشيئته، ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه، وبعد فإذا عرف أمري، وعلم سلامتــي وصلاحي وبعد ناحيتي، وأن الحسدة والأعداء رموني عنده بمــا ليس ـ فيّ، وتقوّلوا عليَّ الأباطيل الكاذبة، لم يستحل دمي، وتحلل مــن أذاي وإزعاجي، فردّني مكرمًا، وأقامني ببابه معظمًا، وإن كان سبق ـ في علم الله عَزَّوَجَلَّ أنــه يبدر إلي منه بادرة سوء، وقد حضــر أجلي، وكان سفك دمي على يــده، فلو اجتمعت الإنس والجــن والملائكة وأهل الأرض وأهل السماء على صرف ذلــك عني ما استطاعــوه، فلِمَ أتعجل الغم، وأتلف الفكــر فيما قد فرغ الله منه؟ وإني حســن الظــن بالله عَزَّوَجَلَّ الذي خلــق ورزق، وأحيا وأمــات، وأحسن وأجمل، وإن الصــبر والرضا والتفويض والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة أولى، وقد كنــت أحسب أنك تعرف هذا، فإذا قد عرفت مبلــغ فهمك، فإني لا أكلمك بكلمة

واحدة حتى تفرق حضرة أمير المؤمنين بيننا إن شاء الله تعالى. قال: ثم أعرض عني، فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو حاجة أو ما يجري مجراها، حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري، فحين رأوني رجعوا عني بالخبر إلى أمير المؤمنين، فانتهينا إلى الباب في آخر النهار، فحططت، ودخلت على الرشيد، فقبلت الأرض بين يديه، ووقفت، فقال: هات ما عندك يا منارة، وإياك أن تغفل منه لفظة واحدة، فسقت الحديث من أوله إلى آخرة حتى انتهيت إلى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة، وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجه الرشيد، ويتزايد حتى انتهيت إلى فراغ الأموي ودفعي الكتاب إليه ومبادرته إلى إحضار ولده وأهله، وحلفه عليهم ألا يتبعه أحد منهم، وصرفه إياهم، ومد رجليه حتى قيدته، فما زال وجه الرشيد يسفر حتى انتهيت إلى ما خاطبني به عند توبيخه إياي لما ركبنا المحمل، قال: صدق الله ما هذا إلا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه، ولعمري لقد أزعجناه، وآذيناه، وروعنا أهله، فبادرْ بنزع قيوده عنه، وائتني به، قال: فخرجت فنزعت قيوده، وأدخلته إلى الرشيد، فما هو إلا أن رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد، فسأله عن حاله، ثم قال: بلغنا عن فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك، ونسمع كلامك، ونحسن إليك فاذكر حاجتك، فأجاب الأموي جوابًا جميلًا شكر ودعا، فقال: ما لي إلا حاجة واحدة، قال: مقضية ما هي؟ قال: يا أمير المؤمنين، تردني إلى بلدي وأهلي وولدي، قال: نحن نفعل ذلك إن شاء الله تعالى، ولكن سل ما تحتاج إليه في مصالح جاهك ومعاشك، فإن مثلك لا يخلو أن يحتاج إلى شيء من هذا، فقال: عمال أمير المؤمنين منصفون، وقد استغنيت بعدله عن مسألته، فأموري منتظمة وأحوالي مستقيمة وكذلك أمور أهل بلدي بالعدل الشامل في ظل أمير المؤمنين، فقال الرشيد: انصرف محفوظًا إلى بلدك، واكتب إلينا بأمر إن عرض لك، فودعه، فلما ولى خارجًا قال الرشيد: يا منارة، احمله من وقتك، وسر به راجعًا إلى أهله كما جئت به.

أقول:

حـدث ما يشبه هذه القصة مع المرحوم الشيـخ محمد سرور الصبان، فقد حدثني الشيـخ علي المطلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قال: حين دخل الإخوان الطائف، وحصل منهـم مـا حصل مما هو مسجـل في التاريخ، قام المرحوم محمـد سرور الصبان خطيبًـا في أحـد الجوامع، وأنكـر بعض الأعمـال، وقال كلمة الحـق، ولكن بعض الأشرار نقل للملك غير الذي قال الشيخ، وزادوا عليه، وغضب عليه الملك، وأرسل له سرية، وأمرهم بأسره وإركابه معهم إلى الرياض ومراقبته وحفظ كل ما يصدر عنـه، وإذا هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ رابط الجأش منبسـط الأسارير كأنه ذاهب إلى رحلة قنص لا إلى سلطان حازم، وقال له المرافق: عجب أمرك يا محمد! كيف انبساطك معنا وأنت لا تدري ماذا يفعل بك الملك؟ قال: إنني ما قمت إلا لله لا أنكر شيئًا إلا أعلم أن ابـن سعود ينكـره ولا يقبله، وناصيتي وناصية الملك بيـد الله. فلما وصل الملك أخبروه بما كان منه، فردَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مكرمًا، وجعل منه الرجل المقدم في الحجاز.

٩٦٩ أهمية صلاة الجماعة

قـال حـاتم الأصـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالـى: فاتتنـي صـلاة الجماعة مـرة، فعزاني أبو إسحـاق البخـاري وحده، ولو مـات لي ولد لعزاني أكثر من عشـرة آلاف؛ لأن مصيبـة الديـن عندهم أهون من مصيبـة الدنيـا، وكان السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يعزون أنفسهـم ثلاثـة أيام إذا فاتتهـم التكبيرة الأولـى، وسبعًـا إذا فاتتهم الجماعة. وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساهٍ»[1]، وأنشد بعضهم:

خسرَ الذي تركَ الصلاةَ وخابا ... وأَبـى معـادًا صـالحًا ومـآبا

إنْ كانَ يجحدُها فحسبُك أنَّه ... أضحَى بربِّك كافرًا مُرتـابا

---

(١) ذكر هذا الأثر أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين (١/ ٢٩٤) (٧/ ٨٩).

أو كـانَ يـتركُـها لـنـوعِ تكاسلٍ غطَّى علَى وجهِ الصوابِ حِجابا
فـالـشـافـعـيُّ ومـالـكٌ رَأيـا لـه إنْ لم يـتبْ حـدُّ الـحسامِ عِقـابا
والـرأيُ عِـنـدي لـلإمـامِ عذابُه بـجـمـيـعِ تـأديـبٍ يـراهُ صَـوابـا

نقول:

الله يرحم حال المسلمين اليوم، وهؤلاء هم والله الرجال المذكورون في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧].

٩٧٠ حتى صاحب الدواة والقلم

قال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراد أن يوليه القضاء: ما كنت لألي هذا بعدما حدثني إبراهيم، قال: ما حدثك إبراهيم؟ قال: حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الظلمة، وأعوان الظلمة، وأشياع الظلمة حتى من برى لهم قلمًا أو لاق لهم دواة، فيجمعون في تابوت من حديد، ثم يرمى بهم في نار جهنم**»[1].

أقول:

أصحاب الدواة والقلم في هذا العصر كثيرون جدًّا، مثل الصحفي المنافق والمذيع المنافع، ومن يقلبون الحق باطلًا في كل عصر وفي كل مصر.

٩٧١ رؤية ابن عمر لجهنم

في الصحيحين -واللفظ للبخاري- عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: رأيت في المنام جاءني ملكان، في يد كل واحد منهما مقمعة من حديد، قالوا: لن تراع، نعم الرجل

(١) ضعفه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/٢٨ رقم٩٣٤).

أنت لو تكثر الصلاة في الليل، فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، لها قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، وإذا فيها رجال معلقون بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم، وعرفت رجالًا من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إن عبدالله رجل صالح**»[1].

٩٧٢ أصغر أم في العالم

طفلة كولومبية تدعى مارتا، تبلغ من العمر تسع سنوات، أنجبت طفلة تزن خمسة أرطال على إثر إجراء عملية قيصرية لها، وقال الأطباء: إن الأم الطفلة جاءها الحيض في سن الثالثة، واضطر الأطباء إلى تقديم لعبة للأم عندما كانت تبكي قبل الولادة، وقالت الممرضة إن الأم الصغيرة تنام واللعبة بيدها جريدة (القبس) الكويتية ١٩٨٩/٥/٢٦م.

نقول:

هذا أمر عجيب جدًّا، ولدينا في جنوب المملكة تتزوج البنات في سن الحادية عشرة والثانية عشرة، وكذلك في مناطق اليمن، أما الولادة دون العاشرة فأمر نادر جدًّا.

٩٧٣ الأمير الشهم

أدرك لبيد بن ربيعة الجاهلية والإسلام، وكان ألزم نفسه في الجاهلية بإطعام الناس إذا هبت ريح الصبا، ثم أدام ذلك في الإسلام، ونزل لبيد الكوفة وأميرها الوليد بن عقبة، وخطب الأمير يوم الجمعة، وهبت الصبا، فقال في خطبته وهو على المنبر: أيها الناس، قد علمتم حال أخيكم أبي عقيل لبيد، وهذا يوم من أيام إطعامه فأعينوه، وأنا أول من يفعل. وبعد الصلاة أرسل بمجموعة من الإبل، ومعها هذه الأبيات:

---

(١) أخرجه البخاري (٩/٤٠ رقم٧٠٢٨،٧٠٢٩). وانظر: التخويف من النار، لابن رجب (ص١٨).

أرى الجــزارَ يشحذُ شفرتَيْه ... إذا هـبَّـتْ ريــاحُ أبــي عقــيلِ
أشــمُّ الأنــفِ أصــيدُ عـامـريٌّ ... طويلُ الباعِ كالسيفِ الصقيلِ

فلمـا وصلت الهديـة إلى لبيد، وكان طاعنًا في السن قـال لابنته: إني تركت الشعر منذ قرأت القرآن، فأجيبيه، فقالت:

إذا هـبَّـتْ ريــاحُ أبــي عقيلٍ ... دَعونا عندَ هبَّتِها الوَليـدا
أشــمُّ الأنــفِ أصــيدُ عَبشميًّا ... أعــانَ على مـروءتـه لَبيــدا
أبــا وهــبٍ جــزاكَ اللهُ خـيرًا ... وظنِّي بابنِ أروَى أنْ يَعـُودا

قـال لها أبوها: أحسنت لولا أنـك سألت في شعرك، فقالت: هو أمير، وليس بسوقة، ولا بأس بسؤاله، ولو كان غيره ما سألناه.

أقول:

هؤلاء الكرام لا يزال في عصرنا الحاضر أمثال لهم، ولو أنهم قلة، والناس أقـل حاجة لوجـود المطاعم والفنادق، ولكـن ما يلفت النظر في هـذه النادرة أن الحاكـم الإداري يناقشـ أمـور المجتمع الاجتماعيـة بهذه الصـورة الجميلة من التعـاون على الكـرم والنبـل والشهامة، وهذا مـا حصل في القـرن الأول أفضل القـرون بلا شك، وهذا من التلاحم بـين المواطن والمسؤول ومكانة المرأة الرفيعة عند سلفنا الصالح، وكيف ورثت عن أبيها الأدب والشعر، وكيف ردت على انتقاد أبيها لبيتها الأخير بقولها بجواز سؤال الأمير ومن في حكمه؛ لأن سؤاله شيئًا من المـال ليس من مال أبيـه أو أمه، وإنما من بيت المال العـام، وفي هذا بعض الآثار الدالـة على جواز ذلك بحـدوده المعروفة. مـا أجمل أن يتبـادل المواطن والأمير أبيـات المحبة والشهامة والنبل، وأن يكون الأمير أو المسؤول هو الذي يبدأ بالبذل والسخـاء والعطـاء بغير منـة ولا أذى، فيحفظ على المسلمـين كرامتهم، ويجلب مودتهـم واحترامهم، وإلا فما الفائدة مـن المال إذا كان بيد ممسكة وبقلب قاسٍ

لا يهمه إلا عدّه وخزنه، فهذا الصنف يملكهم المال، ولا يملكونه. ويقول جاري الأستاذ علي بن سعد بن علي بن سرحان السرحان، وهو يراجع الكتاب، وكتب تعليقًا على هذه النادرة: هذا يا الزمام من بني عامر بن صعصعة بن هوازن من أجدادنا؛ يعني عتيبي، قلت: أشكرك على جهدك الطيب معي في الكتاب والنعم بالعتبان ذكرناهم في نوادر سابقة. وكل القبائل والنعم كما يقول والدي: «انتبه لا تنتقص حق أحد، فكلٌّ آخذ نصيبه بالمراجل والناس كالإبل بها رأس وسنام وذنب».

٩٧٤ الرجل الأول في التاريخ كله

ألف عالم الفضاء الأمريكي الدكتور مايكل هارت كتابًا سماه (المئة الأوائل في التاريخ) من عظماء العالم وعباقرته، وتاركي أعظم الأثر في هذا العالم، ورأى بمقاييسه العقلية المجردة أن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي الإسلام هو طليعة هؤلاء المئة وقمتهم الشامخة، وأنه يستحيل أن يتقدمه أحد.

وجاء في الكتاب أسماء أنبياء الله إبراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام، وجاء اسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب،وجاء اسم الخليفة العثماني محمد الفاتح، وجاء اسم المخترع أديسون، وعالم النسبية إينشتاين، ونحن نقول صدق الله العظيم، إذ يقول له ربه في سورة الانشراح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤]. هل جعل هذا العالم الأمريكي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مقدمة رجال البشرية كلهم محض مصادفة؟ لا، وألف لا، بل هو تصديق لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] نعم، هو صفوة الله من خلقه أجمعين!

٩٧٥ أسماء أولاد إبليس

قال عبدالله بن محمد بن عبيد: حدثنا بشر بن الوليد الكندي، حدثنا محمد ابن طلحة، عن زيد عن مجاهد قال: لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد

منهـم على شيء مـن أمره، ثم سماهم، فذكر: ثبر، والأعـور، ومسؤط، ودامس، وزلبنور. فأما ثبر: فهو صاحب المصيبات الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب، ولطم الخـدود ودعوى الجاهلية. وأما الأعور، فهو صاحب الزنا الذي يأمر به، ويزينه. وأمـا مسؤط فهـو صاحب الكذب الذي يسمـع، فيلقى الرجـل، فيخبره بالخبر، فيذهـب الرجل إلى القوم، فيقـول لهم: قد رأيت رجلًا أعـرف وجهه، وما أدري ما اسمه حدثني بكذا وكذا، وأما داسم فهو الذي يدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم، ويغضبه عليهم.

وأما زلنبور فهو صاحب السوق الذي يركز رايته في السوق، والله أعلم.

نقول: نسمع العامة تطلق أسماء أخرى مثل المدحور وقريح، وأبزنة.

٩٧٦ أمير داهية

ورد في كتاب (الأذكياء) لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: إن تاجرًا من أهل المشرق كان في بغـداد، وأراد الحـج زمن الخليفـة عضد الدولة، وكان معـه ألفا دينار لا يحتـاج إليها، فقال: إن حملتها إلى الحج خاطـرت بها، وإن أودعتها خفت جحد المـودع. فمضى إلى الصحراء، ورأى شجـرة خروع كبيرة، فحفر تحتها، ودفنها، ولم يرَه أحد.

وبعـد عودته من الحج بحث عنهـا، فلم يجدها، فأخذ يلطم خديه، ويولول، فقيل له: اذهب إلى عضد الدولة، فإن عنده لمثلك حلولًا، فقال: أيعلم الغيب؟

فمـا زالـوا يلحون عليـه حتى قصـده، فقصّ عليـه قصته وطمأنـه، وجمع الأطباء، وسأل عمّن داوى منهم مريضًا بعروق الخروع؟ فقال أحدهم: نعم، قال: من جاءك به؟

قال: فلان، قال عضد الدولة: علي به؟

فسأله: من أي شجرة أخذت تلك العروق؟

فدلهم على الشجرة، فإذا هي شجرة صاحب الدنانير، فدعاه عضد الدولة لإخراج المال، وأنكر وجوده، فتوعده، فأخرجه بعد إلحاح.

نقول: المسؤول في الإسلام يجب عليه أن يلم بطرف من كل علم، فهذا الخليفة لم يمنعه كثرة المشاغل من معرفة أن شجرة الخروع تصلح للعلاج، ونقول أيضًا: إن من يوكل إليهم مباشرة أمور الناس من الأمراء والقضاء يجب عليهم أن يتحققوا ممن يأتي إليهم بشكوى، وألّا يصرفوه، ويعتذروا عن مساعدته، وكثير من المسؤولين الكبار لا يقصرون في حثّ المسؤولين الصغر على مضاعفة الجهد، ولكن هذه الأوامر كثيرًا ما تتبخر بسبب الروتين، أرأيت كيف اشتهر هذا المسؤول الكبير عند العامة بأنه سيجد للرجل حلًّا، وفعلًا حاول، ونجح؛ لكن بعد السؤال والمتابعة والاستنتاج؟

وروى لي والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عامل الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على المدينة المنورة عبدالعزيز بن إبراهيم دخل عليه أعرابي يشتكي من سرقة إبل له، وكان ابن إبراهيم يرى المارة من شباك في مجلسه يطل على الشارع، فقال للأعرابي: انتظر حتى ننظر في أمرك. ثم أنهى بعض الأعمال، والتفت إلى الشارع، وإذا رجل معه إبل يسوقها، فصاح ابن إبراهيم ببعض الخويا من حوله: اطلبوا لي صاحب الإبل الذي بالشارع يسوقهن. فطلبوه، وأمر الرجل الآخر بالنظر إلى الإبل، وإذا هي إبل الشاكي، فقيل لابن إبراهيم ما هذا؟ أهي المصادفة؟ قال: لا، قيل له: ما الأمر؟ قال: رأيت الإبل من النوع الطيب جدًّا الذي يستبعد أن يبيعها من يملكها إلا للضرورة لندرة نوعها، وقلت: ربما يكون هذا هو السارق، فكان هو كما توسمت.

٩٧٧ أعرابي لا يقرأ ولكنه جيولوجي

قالت إذاعة (دبي) بالإمارات العربية المتحدة يوم (١٤٠٩/٥/٢١هـ) في برنامج (عالم الغد): إن العالم عائض بن سعيد بن عبيد أمي لا يقرأ ولا يكتب، ومولده في مدينة العلا في المملكة العربية السعودية.

هذا الرجل استطاع بما حباه الله من ذكاء خارق تحدي علماء الجيولوجيا في أرقى جامعات العالم، ويُعدّه العلماء الأوربيون عالمًا بلا منازع، فقد استطاع أن يحدد ثلاثة آلاف بئر للماء في المنطقة الجنوبية لم يخطئ مرة واحدة، حيث شهد له الجميع بذلك، وقد اختلف هو وعلماء غربيون على تحديد بعض آبار المياه في الجنوب من المملكة، في النهاية اتضح أنه على حق، وهم على خطأ.

ومنذ ذلك اليوم وهو حديث الصحافة الأوروبية.

أقول:

لو كان هذا الرجل إنتاجه في قدمه، وليس في فكره ورأسه لرأيت إخواننا في الصحافة يقيمون له الدنيا، ويقعدونها، ولو كان إنتاجه في حنجرته لرأيت مثل ذلك، ولسمعت الألقاب الكبيرة، مثل بطل ونجم، وتجد الصبي لم يتجاوز عمره ثماني سنوات يعرف عن اللاعبين حركاتهم وأسماءهم وتاريخهم، ونحن لسنا ضد الرياضة ولا ضد اللعب، ولكن يجب إنزال الناس منازلهم، ويجب ألّا يقدم المهم على الأهم، نسأل الله الهداية للجميع.

وأحب الإشارة إلى أنني قرأت بعد كتابة هذه النادرة بنحو شهر كلمة جيدة في جريدة (الجزيرة) يوم (١٤٠٩/٧/٩هـ) بقلم الأخت الشاعرة والأديبة الأستاذة سلطانة عبدالعزيز السديري حول هذا الموضوع. فجزاها الله خيرًا.

٩٧٨ أنواع البكاء عشرة

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (زاد المعاد) ج١ ص٨٤-٨٦ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وكان يبكي أحيانًا في صلاة الليل، والبكاء أنواع: أحدها بكاء الرحمة والرقة، والثاني بكاء الخوف والخشية، والثالث بكاء المحبة والشوق، والرابع بكاء الفرح والسرور، والخامس بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله، والسادس بكاء الحزن.

والفرق بين بكاء الحزن وبكاء الخوف، أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب، وبكاء الخوف يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك، ودمعة السرور باردة والقلب فرحان، ودمعة الحزن حارة والقلب حزين، ولهذا يقال لما يُفرح به: هو قرة عين، وأقر الله به عينه، ولما يُحزن: هو سخينة العين، وأسخن الله عينه به.

والسابع بكاء الخور والضعف، والثامن بكاء النفاق، وهو أن تدمع العين والقلب قاسٍ، فيظن الخشوع وصاحبه من أقسى الناس قلبًا، والتاسع البكاء المستعار والمستأجر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة، فإنه كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «تبيع عيونها، وتبكي شجون غيرها»، والعاشر بكاء الموافقة، وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لسبب لا يعلمه، فيبكي.

٩٧٩ كشف الخليفة الأمر

يروى عن الخليفة المنصور وفطنته أنه كان جالسًا ذات يوم في إحدى قباب المدينة، ورأى رجلاً ملهوفًا يجول في الطرقات على غير هدى، هائمًا على وجهه لا يكاد يدري بما حوله، فطلبه، فأتاه وسأله، فأخبره أنه خرج مسافرًا في تجارة وعاد، وقد أفاد منها رزقًا وفيرًا، واستودع المال زوجته، وذهب لشأن من شؤونه،

ولما رجع لم يجد المال، وأخبرته زوجته أن المال قد سرق، وعاين المنزل، فلم يجد به نقبًا ولا مسلقًا، فحار في أمره، وسأله المنصور عن هيئة ماله وصفته؟ فأوضح لـه ذلك، ثم سألـه: أتزوجتها بكـرًا أم ثيبًا؟ قال: ثيبًا، فسألـه: شابة أم مسنة؟ قـال: بل هي شابة في ريعان الصبا، فأضمر المنصور أمرًا، وهدأ من روع الرجل، وأهداه قارورة من طيب نادر لا يتطيب به في المدينة أحد غير الخليفة نفسه، وقال لـه: تطيب بهذا الطيب، فإنه يذهب همك إن شاء الله. أما الرجل فقد ذهب إلى بيته، ودفع الطيب إلى زوجته قائلًا: هذا طيب أهدانيه أمير المؤمنين، ففرحت به أيَّما فرح! وأما المنصور فقد أرسل لصاحب شرطتـه ونقبائه كي يقعدوا بأبواب المدينـة وأسواقهـا يتشممون الرائح والغادي، وأمرهم باقتيـاد من يتشممون فيه طيـب أمير المؤمنين، وإن هي إلا سويعات حتـى اقتاد أحد النقباء شابًّا تفوح منه رائحة الطيب، فسأله المنصور عن مصدر الطيب، فتلعثم وتلجلج، فأمر المنصور صاحـب الشرطـة أن ينزع عن الشـاب ملابسه، ويضربه ألف سـوط، أو يحضر الشـاب مالًا وصفه المنصور حسبما وصفـه له الرجل من قبل، وارتعدت فرائص الشـاب خوفًا من الألف سوط، فأحضر من فوره المال كهيئته التي وصفها الرجل للمنصور، ولما عُرض المال على صاحبه عرفه، فقال له المنصور: إن رددت عليك مالك أتحكمني من امرأتك؟ قال: نعم، فقال له المنصور: هاك مالك فخذه، وقد طلقت امرأتك منك؛ لأنها كانت على علاقة بشاب أعطته مالك، وطيبته بطيبنا، فكشفنا أمرهما.

٩٨٠ الجبهة الشعبية

قـال الأستـاذ فيصـل الزامـل في جريـدة (القبـس) الكويتيـة يـوم (١٩/٨/١٤٠٩هـ): خافـت الأم الأريتريـة علـى ولدهـا خليفة، عندمـا أحست بالسيـارات تدخـل القريـة، فقالـت: «اجرِ يا خليفـة، اجرِ يا بنـي، اهرب منهم سيأخذونـك، ويعلمونك كيف تقتل أخاك». يقـول خليفة: جريت، وكنت ألهث من

التعـب، وعندما اقتربـت من مدينة (كسلا) قـررت العـودة لأرى أمي، فوصلت البيـت، وناديتهـا: أمـي، أنا خليفة، قومـي افتحي! لم ترد علـي، ذهبت إلى بيت خالتي، فناداني زوج خالتي قائلًا: تعالَ يا خليفة، ربنا معك، لقد خطفوا أمك.

في أريتريـا تخطـف النساء، وتبقى مـدة تسعة أشهر في خطـة لتكوين جيل جديـد يتم إنجابـه سفاحًا من المخطوفات، وقد تم حتـى الآن إنجاب (١٢٠٠٠) طفل، وذلك بعد اختطاف (٦) آلاف فتاة أريترية مسلمة كشف الصحفي العربي شريـف قنديـل هذه الحقيقة المُـرَّة بعد أن تجول مدة سبعة أيـام بين تلك القرى المنكوبة المحيطة بمدينة (كسلا) الأريترية، فقد قررت (الجبهة الشعبية) هناك أن تشـكل قوات (الكوكب الأحمر)، حيث تجلب الأمهات والفتيات القادرات على الإنجـاب لمجموعـة من الجنود الذيـن وصفتهم إحـدى العائدات مـن قرية عد مجـادري، وهي ترتجف قائلة: هؤلاء يشربون الخمـر، وتخرج من أفواههم رغاءٍ تشبه ما يصدر عن الجمل، ثم يهجمون على الفتيات المسلمات و... و... وبعد أن تحمل الفتـاة، وتنجب وهي تعرف مصير ما ستنتجه يتركونها ترضع المولود نحو شهرين، ثم يأخذونه إلى معسكر (بذور الثورة)، حيث توجد مرضعات وخادمات ودادات، وفي سن الرابعة يبدأ تعليمه كل شيء ليكون من أبناء الثورة. لقد تابعت التحقيـق الصحفي المنشور في إحدى الصحف العربية بألم لما وصلت إليه أحوال الإنسـان، حيث انتشر خطف الأمهات بمعدل (٢٥) فتاة أو امرأة في الشهر، وقد تضمـن التحقيـق أسماء فتيات التقـى الصحفي العربي أسرهـن من قرية عرا، وقرية هـبردا، وقرية حبيب دامر، وقرية رقة، وقريـة هارون، وقرية دلك جنوب أغـوردات... ولك أن تتخيل الدمار النفسي لأم تعـود إلى أبنائها وزوجها بعد أن تترك مولود السفاح، بأي وجه تلقاهم. محمد إبراهيم لا يترك زوجته، تخرج من البيت، ويعود من طلب الرزق كل يوم وهو يتوقع ألّا يجدها، فقد سمعت زوجته أحد رجال (الجبهة الشعبية) يقول لها: الدور عليك، وبالفعل رجع ذات يوم، فلم يجد ليلى، فاتجه إليهم يركض، ويصرخ، فلم تمهله رشاشاتهم، فتناثرت أشلاؤه، ولم

يستطع رجال القريـة أن يعرفوا وجهه؛ لكثرة الرصاص، إنهـا مأساة أن يحدث كل هــذا، ومــن بيننا من له كلمة مسموعة عند هــذه الشعبية، وألا تخرج من فمه كلمــة تنقذ فتيات أريتريا من هذه البهيمية. إذا كانــت هذه الكلمة والاستنكار لا يستحقــه شعبنــا العربي الأريتري فلن نطلب أكثر من عــدم مباركة هذه الأعمال أيها الإخوة.

نقول:

لا نطلــب أكــثر من هــذا، نطلــب ألّا ينســوا حديث رســول الله ﷺ وتشبيهه ﷺ المجتمع الإسلامي بركاب السفينة الذين في أسفلها يقولون: «**لو خرقنا خرقًا وأخذنا الماء، ولم نؤذِ من فوقنا، فإن تركوهم يخرقونها هلكوا جميعًا، وإن أخـذوا علـى أيديهم نجوا جميعًـا**»[1]، أو كما قال ﷺ يجب علــى الــدول الإسلامية الكبيرة أن تقف موقفًا شجاعًــا، ويكون لوجه الله، وتردع الــدول الصغيرة التي يندســ في محيطها كل كافر ومنافق مــن أذناب الصليبية الغربية والشيوعية الشرقية، ولو حدث مثل هذا في الغرب النصراني لأقام الرأي العــام الدنيــا، وأقعدها، ولكــن المسلمين كغثاء السيل. ونقــول: بارك الله في هذا الكاتــب الأخ الزامل الذي يتابع أمــورًا ذات بال في كتاباته القيمة التي هي واجب كل قــادر على الكتابة، فهذا جهاد بالقلم، وإن شاء الله سيكتب له ولأمثاله الأجر إذا حسنت النية، وهذا هو الظن به وبكل مسلم.

٩٨١ قدوة لكل رجل أمن

روى المؤرخــون أن صاحــب الشرطة في زمــن الرشيد ببغداد يقــال له: ابن النســوي، كانت لــه سطوة وهيبة، دخل عليــه أحد العلماء وبــين يديه صحن فيه قطائــف، فدعــاه أن يأكل معه، فامتنــع، فقال له ابن النســوي: كأنك تقول: ومن

(١) أخرجه البخاري (١٣٩/٣ رقم٢٤٩٣).

أيـن لابن النسوي شيء حلال، ولكن كلّ، فما أكلت شيئًا أحل من هذا! فلما تردد العـالم قال ابن النسـوي: اسمع، كنت جالسًـا منذ أيام، فدخلت امـرأة، وأكبّت على يـدي تقبلها، وهي تبكي، فسألتها عن حاجتها؟ فقالت: لي زوج وابنتان، وله زوجـة أخرى وقد هجرنا وابنتاي تطلبانه، فيضيق صدري من أجلهما، وأريده أن يعـدل، فسألتها: مـا صناعته؟ فقالت: صبار، قلت: وأيـن دكانه؟ قالت: بالكرخ، واسمه فلان ابن فلان، فسألتها عن اسمها وأسماء بناتها؟ ثم قلت: أنا أرده إليك إن شـاء الله، فأعطتني شقة غزلتها مع بناتهـا- قطعة من صوف دافئ- فقلت: خـذي شقتـك، ثم بعثـتُ إليه اثنين، فأحضـراه، فجاء وقد طـار صوابه، وارتعد خوفًـا، فقلت: لا بأس عليك، إنما استدعيتك لأعطيك كيل طعام تصنعه للرحالة الجنود، فما عمالتك؛ أي أجرتك؟ فقال: ما أريد عمالة، قلت: بلى، صديق مخسر عـدو مبين، أنت مني وإلي، كيف هي زوجتك فلانة؟ تلك بنت عمي، وكيف بناتها فلانة وفلانة؟ فقال: بخير. قلت: الله الله، لا أحتاج إلى أن أوصيك بها، لا تضيق صدرهـا، فقبل يدي، فقلت: امضِ إلى دكانك، فإن كانت لك حاجة فإنك تعرف مـكاني، فلمـا كان الأمس جاءت المرأة ومعها هذا الصحـن وفيه هذه القطائف، وأقسمـت ألّا أردّها، وقالت: قد جمعـت شملي وشمل أولادي، وهذا والله من ثمن غـزلي، فبالله لا تردّه، فقبلتـه، فلما فرغ ابن النسوي من حديثه سأل العالم رأيه عـن هـذا الطعام: هل هو حلال؟ فقـال العالم: والله ما في الدنيـا أحلّ من هذا، فقال: كلْ إذن، فأكل.

نقـول: يا ليـت إخواننـا المسؤولين عن الأمـن من رجـال الشرطة وغيرهم يتحلـون بهـذه الأخلاق، ولا شـك أن الكثير منهم على خلق وديـن وهم مؤتمنون على أسرار كثيرة من إخوانهم المواطنين، والكلام هنا ليس لرجال الأمن في بلاد الأمـن والأمان، بـلاد الحرمين الشريفين، ولكن الكلام موجـه لكل رجل أمن في ديـار العرب والمسلمين، فكثير من المشكلات يمكـن حلها بكثير من الحكمة وبعد النظـر وخوف الله أولًا وآخرًا، وأن يجعـل العسكري نفسه في مكان أخيه المواطن

ويعامله معاملــة الطبيب للمريض، ومعاملة الأخ الشقيــق، ويكون له بهذه الحالة أجــر المرابــط والمجاهــد في سبيــل الله، وإذا كان عكس ذلك يأخــذه بالجبروت والظلــم فعقابه ورد في القــرآن الكريم، حيث ذكر مصــير فرعون وجنوده بنص القرآن في أكثر من موضع، والعياذ بالله.

٩٨٢ الصراع بين الحق والباطل

سألت مجلة (المجتمــع) يوم (١٤٠٩/٩/١٣هـ) الشيخ عمر بن عبدالرحمن أحد علماء المسلمين المجاهدين في مصر الذي سبق له العمل في التعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية السؤال الآتي: قصة الصراع بين الجماعات الإسلامية والأنظمة قصة مريرة ومؤلمة، ترى هل لهذا الصراع من نهاية وإلى متى؟

فقــال الدكتــور عمر: مــا دام هناك حــق وباطل وعلى امتــداد الزمان وجد الصراع بين الحق والباطل، وسؤال كهذا يريد أن يوقف هذا الصراع، إن الصراع جــاء منذ جاء آدم الأرض، ومنــذ اختلف ولداه جاء الصــراع، وسيستمر إلى أن يــرث الله الأرض ومن عليها، ومحاولة إيقافــه مخالفة لسنة الله، والصراع هذا بــاقٍ مهما اختلف الأسلــوب، وتنوعت الأشكال، فالصــراع قائم، والحركات التي تضــرب لا يكون ذلــك إجهاضًا لها، فالصراع وما يجره مــن ذيول سلبية ظاهرة علــى تلك الحركات لا يُعدّ كذلــك، إن ذلك مرحلة تمحيص ومرحلة بناء لقواعد التضحية والإخلاص، وبمفهومي فإن أي عمل إسلامي لا يمكن أن يجهض مطلقًا استمر العمل أو توقف؛ لأن لكل مرحلة فوائدها وآثارها التي يحسها الجميع، من يقول مثلًا: إن سيد قطب قد أدى إعدامه إلى إجهاض الحركة؟ لو بقي سيد على حياتــه لما عرفه الناس إلا قليلًا، ولكنه لمــا أوذي في الله دخل تاريخ الأمة المسلمة مــن أوسع الأبواب، وانتشرت أفكاره وكتبه. إن استشهاد الحسين أعظم ألف مرة من بقائه على قيد الحياة.

ثـم استطرد قائـلًا: إن أهـل الباطل يفقـدون العشرات والمئـات في الدفاع عـن باطلهـم، أفلا يكـون جديـرًا بأهل الحـق أن يستمروا في الدفـاع عن الحق، وإن سقطـت منهـم الضحايا؟! لماذا لا نُعِدُّ الضحايا جسـرًا لانتصار الحق؟! إننا مقصـرون، وكان يجب أن يتضاعف جهدنا وعددنا، وليكن منا الضحايا والقتلى، أعـرف شيوعيًّا سجن لشيوعيته ١٣ مرة، وهو يستقبـل السجن بصدر رحب على الرغـم مـن أنه يدافع عن عقيدة باطلة؛ فلماذا لا يدافع أهل الحق عن حقهم وإن سجنوا أو قتلوا؟! إن الدعوة إلى الحق تقتضي تكاليف ومتاعب، وهذا طريق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرسـل من قبله الذيـن قتلوا في سبيل دعوتهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

أقول:

القـرآن الكـريم يؤيد ما ذهب إليـه هذا الفقيه الذي سجـن وعذب في الله وصـبر، وقصة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومـه أكبر الشواهد، حيث لبـث معهم ألف سنة إلا خمسـين عامًـا بنصـ القـرآن الكـريم، ولم يسلم معـه إلا القليـل، هل يقال عنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إنه لم ينجح؟! وحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الإسراء والمعراج، حيث ذكـر أن رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى النبي ومعه الرجـل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي وليس معه أحد، وموقف أسماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مع الحجاج حين صلب ابنها البطل عبدالله بن الزبير، وقول الحجاج لها: إن الله نصرني على ولدك، هذا دليل على أني خير منه، قالت: لو أن نصر الله في الدنيا دليل على حبه لما شربت الخمر بغي من بني إسرائيل في قحف نبي الله يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أما قتل سيدنا الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فإنه له شهادة وهو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة، وقتله شر وليس خيرًا، ومصيبـة جرّت المصائـب، وما فعله شقيقه الحسن هـو الأولى وهو ترك القتال، ورسول الله خيّره الله بين الدنيا والآخرة، واختار الآخرة وهما جزء منه.

أجاب صلاح خلف الرجل الثاني في (فتح) في مقابلة مع مجلة (الوطن العربي) يوم ١٤٠٩/٩/١٧هـ على السؤال الآتي:

س/ نحن البعيدون عن الانتفاضة نتساءل: كيف استمرت كل هذا الوقت؟ ونساءل بتخوف: كيف يمكن أن تستمروا وإلى متى؟

ج/ إذا حللنا الانتفاضة تاريخيًّا نجد أن صراع الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة ضد قوات الاحتلال كان صراعًا يدوم أحيانًا أسبوعين أو ثلاثة، وذلك منذ عام ١٩٦٦م وإلى عام ١٩٨٨م تاريخ أول يوم في الانتفاضة. في هذه الفترة نشأ جيل جديد هو في الحقيقة لا يعرف الخوف، وليس عنده العقد التي عشناها في العالم العربي، ولم يمر على المخدرات، هذا الجيل عاش في ظل احتلال وفي كنف الثورة، وتعلم التنظيم الدقيق من الاحتلال نفسه، هذا ربما ما كان ينقصنا نحن. لقد اعتقل الإسرائيليون ألوف القيادات أو من كانوا يتصورون أنهم القيادات، ومع ذلك الانتفاضة مستمرة والقيادات الموحدة كذلك، على الرغم من وجود ما بين ٢٠ و٣٠ ألف معتقل لم يتوصل الإسرائيليون حتى الآن إلى قائد واحد حقيقي من قيادات الانتفاضة، ونقول هذا بفخر، لماذا؟! لأن القيادات هذه المرة ليست أفرادًا، بل تنظيمات بكاملها، مثلًا الجبهة الشعبية لم تضع لها ممثلًا واحدًا في القيادة الموحدة، وكذلك (فتح)، بل إن (فتح) كلها بتسلسلها التنظيمي في القيادة الموحدة، وكذلك مهما اعتقلوا من الوسط أو من تحت أو من فوق يبقى التسلسل ماشيًا مستمرًّا، لم تعد القيادة قضية أفراد، وهذا يعني لو أنهم أمسكوا بخمسة مثلًا، أي بأبوعمار، وأبوإياد وأبواللطف، وجورج حبش، وغيرهم، فذلك لا يعني أنهم أمسكوا بالانتفاضة.

روى لي أحدهم مرة هذه الحادثة الواقعية، وهي شديدة الإيحاء، فقد حضر أحدهم إلى منزل شخصية فلسطينية بارزة في نابلس، وطلب مقابلتها، ولاحظت

الشخصيــة الفلسطينيــة أن طالب المقابلة فتى لا يتجاوز عمــره ١٣ سنة، فسأله: مــن أنت؟ وماذا تريد؟ قال الفتى: أنا قائد تنظيم (فتح) في مخيم بلاطة، فقال لــه: أين الآخرون؟ كان يأتيني قبلك خالد ومحمد عثمان أين هما؟ أجابه: هؤلاء اعتقلوا ونحن نتحمل المسؤولية بالتسلسل، وإذا اعتقلت أنا، فهناك آخرون بعدي، وسيحضرون إليك دون تأخير.

أقول:

هــذه هي البدايــة الحقيقية لتحريــر فلسطين، كل فلسطــين، قبلة الإسلام الأولــى وثالث الحرمين الشريفين من أولاد القردة والخنازير اليهود والنصارى، هــؤلاء الصغار أعمارًا وأجسامًا والكبار عقــولًا وإرادة، نعم، هؤلاء جيل التحرير بــإذن الله، جيل الجهاد بــإذن الله، هؤلاء ولدوا بعد حــرب ١٩٦٧م التي سماها هيكل نكسة، وهي والله فاجعة لا تقل عن خروج الإسلام من الأندلس، وهزيمة لا يمحــو أثرها إلا الجهاد في سبيل الله، وإنه قادم بإذن الله على يد هؤلاء الأبطال الصغار أعمارًا والكبار أعمالًا.

٩٨٤ ما قيل في التعزية

تعزيــة المصاب في موت حبيب من السنة، والموت من أعظم المصائب، حيث ثبت ذلــك في قولــه تعالــى: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المائدة: ١٠٦].

فسمــى الله سبحانه وتعالى المــوت مصيبة، وثبت أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كان يعزي أصحابه عندما يموت لهم ميت، حيث جاء في حديث أم سلمة يوم موت أبــي سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما من مســلم يموت له ميت أو يصــاب بمصــيبة فيقول: اللهم، أجرني في مصــيبتي واخلفني خيرًا منها إلا أخلفه الله خيرًا منها**»[1] أو كما قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ تقول أم سلمة:

---

(١) أخرجه مسلم (٢/٦٣١ رقم٩١٨).

قلت في نفسي: من خير من أبي سلمة؟! ولكن حين قلت ذلك أخلفني الله خيرًا من أبي سلمة، رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال أبوبكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ليس العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة، الموت أهون ما قبله، وأشد ما بعده، اذكروا فقط رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تصغر مصيبتكم، وعظم الله أجركم، وكان علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا عزى قال: إن تجزع فأهل الرحم (الميت يستحق الحزن) وإن تصبر ففي الله عوض من كل فائت، وصلى الله على محمد، وعظّم الله أجركم. وقال أبوبكر بن عبدالله لقوم عادوه، فأطالوا البقاء عنده: «المريض يعاد، والصحيح يزار». وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول إذا ودع رجلًا: «**استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وآخر عمرك**»[1] قال عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ثلاثة من قريش أحسنها أخلاقًا وأصبحها وجوهًا وأشدها حياء، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم بحق أو باطل لم يكذبوك: أبوبكر الصديق، وأبوعبيدة بن الجراح، وعثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

ويقول المتنبي في وفاة جدته:

هَبيني أخذتُ الثأرَ فيكِ منَ العدى ... فكيفَ بأخذِ الثأرِ فيكِ منَ الحمى

ويقول في استصغار شأن الحياة:

كثيرُ حياةِ المرءِ مثلُ قليلِها ... يزولُ وباقي عيشِه مثلُ ذاهبِ

وقال أبوالدرداء: معاتبة الأخ خير من فقده. وقال أحد الصالحين لولده: يا بني، إن صبرت جرى عليك القدر، وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر، وأنت مأزور.

---

(١) أخرجه أحمد (١١٩/٨ رقم٤٥٢٤)، وأبو داود (٣٣٩/٣ رقم٢٦٠٢)، والترمذي (٤٩٩/٥ رقم٣٤٤٣)، وقال: حسن صحيح غريب.

٩٨٥ يقول: ما فائدة الكويت؟

رجـل من بلدتنا الربيعية ذهبت كلمته مثلًا عند كل من بلغته، وهي باللهجة العاميـة: «ويش خانت الكويت» ومعـروف أن ارتباط أهل نجد والقصيم بالكويت ارتبـاط قـوي جدًّا منذ عشـرات السنين، وأهـل القصيم كثيرو الـتردد للتجارة والتنقـل وطلب الرزق في البلـد الذي استقر الكثير منهم فيـه، وسكنه. صاحبنا هذا شاب ذهب لطلب الرزق مع رفقة صالحة، وكانوا يحرصون على أداء الصلاة في وقتهـا في البلدة وحـين السفر، وهذا الشاب صابر، ولم يقـل لهم شيئًا، وعند وصولهـم الكويت كان متعبًا، ونـام، وقاموا لأداء صلاة الفجـر، وقالوا له: قم يا فلان، للصلاة فلم يقم، وألح عليه أحدهم بقوله: قم للصلاة، فرفع رأسه قائلًا: «ويش خانت الكويت». يعني أنهم لا يتشددون بألا يكرهوا أحدًا على الصلاة.

٩٨٦ يريد حماره فقط

للدراويشـ نوادر مليحة وللمغفلين مثل ذلك قديمًا وحديثًا. حدثني صديقنا الشيخ عبدالله السليمان المطلق عن أحد هؤلاء قال: في السنة التي يسمونها (سنة الرحمـة)، وهـي التي مات فيها خلـق كثير من بلاد نجد بسبـب الطاعون، وهي تقارب عام ١٣٣٧هـ كثر في بريدة الموت، وتضرع الناس إلى الله، ولزموا المساجد يبكـون، ويدعون الله أن يرفع عنهم ما بهم، وفي أحد المساجد دخل مغفل، ووجد النـاسـ يرفعون أصواتهم: يا ألله، يا ألله، سلم سلم، يا ألله، احفظ علينا أنفسنا وأولادنا وأهلنا وذرارينا، فصاح المغفل من خلف الصفوف قائلًا بلهجته العامية: «وأنـا يا رب، أبي حماري، ضاع حماري يا رب، احفـظ حماري». فضحك الناس وهم في أشد البلاء. وشر البلية ما يضحك!!

أقول:

تســاءل بعض الكتاب عندما يذكرون (عام الرحمة) ولماذا سمي هذا العام أو هذه السنة بسنة الرحمة، وفيها وقع الطاعون والموت؟! وأذكر من هؤلاء الكتّاب المرحـوم فهد المـارك في كتابه (من شيم العـرب) والأستاذ محمد حسين زيدان في جريـدة (الرياض)، وخطر ببالي تفسير لهذه التسمية وأنا أكتب هذه النادرة أرجو أن أكون قد أصبت في هذا، وهو أن الموت بالطاعون شهادة للمسلم، كما ورد في الحديث، والشهادة تُعدّ ميتة شريفة ورحمة من الله؛ لذا سموا هذه السنة سنة الرحمة، والله أعلم.

٩٨٧ تيس أبي زيد

أبوزيد هو محمد الطيــار صديق والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو رجل خفيف الظل سريع النكتــة جهوري الصوت، يقول أخي فهد- مــدّ الله في عمره-: حلّ في ضيافة أبي زيد قبل عشرين سنة رجل ذو هيبة وملبس وكبير السن، ورحب به أبوزيد، وصاح بزيـد: يــا زيد، الحق براعي الغنــم، واجلب لنا منه خروفًــا، وكان لأبي زيد غنم مــع راعي الغنم بالبلدة، ثم أخذ أبوزيــد يحادث الرجل، وتبين له أن مخبره دون منظــره، فقال لابنه: يا زيد، اترك الخروف ولا تذبحه، اذبح التيس وفيه البركة، وأرجــع زيد الخــروف، وأخذ التيس، وفي أثناء الحديث تبــين لأبي زيد أن الرجل دون ذلــك، وربمــا كان شحاذًا، فخــرج ينادي علــى ابنه: يا زيد، يــا زيد، اترك التيســ، مرقوق وفيــه البركة، ثم ضرب على ظهر التيس، وقــال: ارعِ يا ربيشان، كدت أتخذك عند ربي فرطًا، ومات أبوزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان بارًّا بأهله وقرابته، يقول ابنــه عبدالعزيز: كنت معــه في المستشفى، فقال لي: يــا عبدالعزيز، قلت: لبيك، قال: لا تروح عني اليوم، قلت: أبشر، قال: سأموت اليوم وتولَّ أنت تغسيلي، قلت: بعــد عمر طويل، قال: واحرص علــى كذا وكذا، وبعد ساعتــين يقول عبدالعزيز: مات، وهو رافع سبابته بالتشهد.

٩٨٨ زعيم قريش لا يكذب

عــن عبدالله بن عباسـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: حدثنـــي أبوسفيان، من فيــه إلى فيَّ، قــال: انطلقــت في المدة التي كانت بيني وبين رســول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: فبينما أنــا بالشــام، إذ جيء بكتــاب من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى هرقل. قــال: وكان دحية الكلبــي جاء به، فدفعــه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم كسرى إلى هرقل. قال: فقال هرقل: هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: نعم، قــال: فدعيت في نفر مــن قريش، فدخلنا على هرقــل، فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكــم أقرب نسبًا من هذا الرجــل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبوسفيان: قلت أنا. فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي. ثم دعا بترجمانه، فقال: قل لهم: إني سائــل هــذا عن هــذا الرجل الذي يزعم أنــه نبي، فإن كذبنــي فكذبوه. قال أبوسفيــان وايم الله! لــولا أن يؤثروا عليَّ الكذب لكذبت. ثــم قال لترجمانه: سلْه كيــف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حســب. قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قــال: قلــت: لا. قال: فهــل كنتم تتهمونه بالكــذب قبل أن يقول ما قــال؟ قلت: لا. قال: أيتبعــه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلــت: ضعفاؤهم. قال: يزيدون أم ينقصــون؟ قــال: قلت: لا، بل يزيدون. قال: هل يرتــد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخــل فيه سخطة له؟ قال: قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت: نعم. قال: فكيــف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت: تكون الحــرب بيننا وبينه سجالًا يصيب منا، ونصيــب منه. قال: فهل يغــدر؟ قال: قلت: لا، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هــو صانع فيها. قال: فهل قال هذا القول أحــد قبله؟ قلت: لا. ثم قال لترجمانه: قــل له: إني سألتك عن حسبه فيكم؟ فزعمــت أنه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعــث من أحساب قومها، وسألتك هل كان من آبائه ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لــو كان من آبائه ملك قلت: يطلب ملك آبائــه. وسألتك عن أتباعه ضعفاؤهم أم أشرافهــم؟ فقلت: بــل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرســل، وسألتك هل كنتم تتهمونه

بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب، فيكذب على الله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، فكذلك الإيمان متى يتم، وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالًا، ينال منكم، وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت رجل أثم يقول بقول من قبله، قال: ثم قال بمَ يأمركم؟ قال: قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلاة والعفاف. قال: إن يكُ ما تقول فيه حقًّا فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم. ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلته عن قدميه، وليبلغنّ ملكه ما تحت قدمي، قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]».

فما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط، وأمر بنا، فأخرجنا. قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد بلغ أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقنًا بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام[1]. (أخرجه البخاري) والحديث مدون في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

---

(١) أخرجه البخاري (١/٨-١٠ رقم٧)، ومسلم (٣/١٣٩٣-١٣٩٦ رقم١٧٧٣).

أقول:

الحديث في أعلى درجات الصحة، وهو في الصحيحين، وإن المرء ليعجب من زعيم قريش أبوسفيان كيف شمخ بنفسه عن الكذب حقًّا، إنه زعيم كفء للقيادة والزعامة. نعم، لا يكذب وهو في الجاهلية، فما أحوج الشعوب إلى زعماء لا يكذبون، فالكذب من أسوأ الخصال: وما الهزائم والخسائر على الأفراد والدول إلا بالكذب.

٩٨٩ نصف الأدوية السويسرية غير صالحة

أشارت دراسة أجراها الطبيب الألماني العامل في الولايات المتحدة (روبرت هارتوج) إلى أن قرابة نصف الأدوية التي تنتجها المصانع السويسرية ثالث مصدر للأدوية في العالم، وتباع في العالم الثالث لا تستوفي المواصفات الطبية والصيدلية، وبعضها خطر في حين أن بعضها غير مفيد، وأكد (هارتوج) الذي أذاع دراسته في برن أن (٤٨) في المئة من الأدوية السويسرية المصدرة إلى (٥١) بلدًا من العالم لا تستوفي المواصفات الطبية التي تسمح ببيعها في الأسواق، إضافة إلى أن (٣١) في المئة منها ليست أو لم تعد مسجلة من قبل المكتب الفيدرالي لمراقبة الأدوية السويسرية، وأشار الطبيب إلى أن بعض أدوية الفئة الأخيرة خطر، وإلى أن (١٧) في المئة فقط من الأدوية السويسرية المصدرة إلى العالم الثالث واردة على لائحة الأدوية الأساسية التي وضعتها منظمة الصحة العالمية، وأضاف أن فاعلية هذه الأدوية غير مثبتة، وأن بعضها يؤدي إلى تفاعلات ثانوية مهمة. هذا ما ورد في جريدة (الشرق الأوسط) يوم ١٣/٢/١٤١٠هـ.

أقول:

ما حكَّ جلدَك مثلُ ظفرِك ... فتولَّ أنتَ جميعَ أمرِك

نعم، هو المتوقع من دول الغرب والشرق.

وعلى المسؤولين عندنا والمسؤولين في وزارة الصحة خاصة أن يقرؤوا هذا الكلام، ويعينوا رجالًا مؤتمنين ليتقصوا الحقائق، ويمنعوا مثل هذه الحرب الخفية، فالمواطن من الناحية الصحية أمانة في رقبة ولاة الأمور في وزارة الصحة، وأمانة في جميع أموره الأخرى في رقبة ولاة الأمور، فمطلوب منهم شرعًا المحافظة عليه كما يحافظ الراعي على رعيته من الذئاب، ولولاة الأمور حق على الرعية في الطاعة بالمعروف والنصح لهم وتبيين الخطأ بطريق مهذب ومؤدب؛ لأنهم مواطنون ومسلمون، والرفق واللين مطلوب مع الكافر، وجاء الأمر بالكريم من الرب الكريم إلى الرسول الكريم: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

نعم! إذا رأيت الخطأ من الملك أو الرئيس أو الوزير أو الأمير أو أي مسؤول ممن ولّاه الله أمرك، فبين له الخطأ بالطريقة الإسلامية الكريمة، بكل أدب واحترام؛ لأن المسلمين كلهم مسؤولون، لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلكم راعٍ وكلكم ومسؤول عن رعيته**»(١).

٩٩٠ شجاعة عالم

سأل محرر (الأنباء الكويتية) يوم ١٤٠٩/١٢/٢٧هـ الشيخ عبد الحميد كشك رَحِمَهُ ٱللَّهُ السؤال الآتي:

المعروف عنك ابتعادك عن السلطة وصدامك الدائم معها، ولكن عبد الناصر منحك جائزة في عيد العلم، فماذا يعني ذلك؟ ولماذا رفضت دعوة السادات لمقابلته في الإسماعيلية؟ فأجاب الشيخ: صلة العالم بالحاكم صلة إرشاد وتوجيه ونصح مع الابتعاد عن الانغماس في المناصب، فإذا رأيتم العالم يتردد على باب الأمير فاتهموه في دينه، ولقد أعطاني عبد الناصر جائزة التفوق في عيد العلم في

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٥ رقم٨٩٣)، ومسلم (٣/١٤٥٩ رقم١٨٢٩).

ديسمبر (١٩٦١م) ثم كان بيني وبينه موقف! عندما أرسل المشير عبدالحكيم عامر بعض رجاله يقولون لي: إن المشير يأمرك بأن تكون خطبة الجمعة غدًا حول تحليل دم سيد قطب، وكان ذلك قبل أن يشنق بعام واحد، وقالوا لي: إنك إذا نفذت فستفتح أمامك أبواب الترقيات والمناصب والحياة الرغدة. قلت: وإذا لم أنفذ، قالوا: أنت تعلم أن السجون قد فغرت أفواهها تلقف كل شيء. فلم أنفذ الأمر. وفي الأسبوع المقبل شددوا الأمر، فلم أنفذ؛ لأنني أعلم أنني إذا نفذت كنت من أصحاب الجحيم، و«**من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيس من** رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[1].

أقول:

الشيخ صادق في قوله، ولا يلحق به الشك، وهذه مواقف تشرف علماء العصر الحاضر، وتذكرنا بسلفنا الصالح، فنسأل الله ألا يخلي الأرض منهم، وختم الله له بخير، حيث مات وهو ساجد لله تعالى.

٩٩١ الإسلام قبل الثورة الفرنسية

سئلت رئيسة الوزراء البريطانية تاتشر في التلفاز الفرنسي، وهي قادمة لحضور احتفالات فرنسا بثورتها ومرور مئتي عام عليها، وذلك عام ١٤٠٩هـ، فقالت لمذيع التلفاز الفرنسي: رأيي في الثورة أنها بدأت بعصر الإرهاب، وانتهت بنابليون الذي غزا أوروبا كلها، وحاول الاستيلاء عليها، وقال لها المذيع: إن الثورة قدمت أول وثيقة لحقوق الإنسان، فردّت بقولها: إنجلترا عندها أقدم وثيقة وهي (الماجنا كارتا) التي عقدت بين الشعب والملك. وردّ عليها: وفكرة الديمقراطية في الحكم؟ قالت: الإغريق بدؤوا ذلك في اليونان منذ آلاف السنين.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/٨٧٤ رقم٢٦٢٠)، ضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/١٢٢)، والألباني في ضعيف الجامع (رقم٥٤٤٦).

أقول:

هـي امرأة شجاعـة، ويسمونها المـرأة الحديدية، وهذا رأي شجـاع، ولكن مع أنهـا أشهر امـرأة في العالم المعاصر، حيـث تولت الوزارة البريطانيـة للمرة الثالثة علـى التوالي، فهي لا تعـرف أن الإسلام نـادى بحقوق الإنسان قبل ثـورة الماسونية واليهـود في فرنسا، وهل حقـوق الإنسان محترمة من قِبَلهـم؟ نعم، ربما في ديارهم وحدهم يحترمون حقوق الإنسان، ولكن لماذا لا يحترمون حقوق الإنسان خارج أوروبا وأمريكا؟ وهل حورب الإنسان، وأوذي في كثير من بلاد العرب والمسلمين في فلسطين والجزائر ولبنان إلا على أيدي هؤلاء القوم، ومن تربى في أحضانهم من أولاد العرب والمسلمـين؟ والغريب أن هذا السؤال لو وُجّه إلى أحـد وفود العرب أو دراويشهم من الذين حضروا الاحتفال لأشاد بالثورة ومدحها، ولو كانت فرنسا وثورتها جاثمة على بلدانهم قرونًا من الزمان، كما في بلاد المغرب العربي وبلاد الشام.

٩٩٢ نصيحة ابن تيمية لتلميذه ابن القيم

لا تجعـل قلبك للإيـرادات والشبهات مثل السفنجـة، فيتشربها فلا ينضح إلا بهـا، ولكـن اجعله كالزجاجـة المصمتة تمر الشبهـات بظاهرهـا، ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليه صار ممـرًّا للشبهـات، واعلم أن من قواعد الشرع والحكمـة أيضًا أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث.

أقول:

ابـن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فحـل من فحـول الرجال، وإمـام من أعظـم الفقهاء في الإسـلام، هـو والعز بـن عبد السـلام، وأسد بن الفـرات. هؤلاء جمـع الله لهم

شجاعة اللسان وشجاعة الجنان، فجاهدوا أعداء الإسلام بالقلم والسيف، ودخلوا المعارك، وركبوا الخيول، وتقدموا الناس بالفعل قبل القول. نسأل الله أن ييسر للخلف مثل هؤلاء السلف.

٩٩٣ منتهى الوفاء

روى المؤرخون أن للمنذر بن ماء السماء يومين في العام: يوم مسرة، ويوم بؤس، فمن جاءه في يوم مسرته أسعده، ومن جاء في يوم بؤسه كان له بؤسًا. وقد شاء الله أن يفد حنظلة على المنذر بن ماء السماء يوم بؤسه، ولم يعلم بذلك حتى كان بين يديه، فقال له المنذر: إنه يوم بؤسك أيضًا، وإني لقاتلك. قال حنظلة وقد علم أنه مقتول: لقد جئتك زائرًا، ولأهلي من بحرك مائرًا، فلا تجعل آمالهم تخيب بقتلي. أمهلني عامًا واحدًا أدبر لهم فيه حاجتهم، وأعود إليك. قال المنذر: من يكفلك عندي؟ فالتفت حنظلة، وأخذ ينظر في وجوه القوم، فعرف شريك بن عمرو، فناشده أن يكفله. فوثب شريك، وقال للمنذر: يدي بيده، ودمي بدمه إن لم يعد بعد عام. قالوا: فأطلق سراحه المنذر ليعود بعد عام، وحلّ بعد عام يوم بؤس المنذر، وجلسوا ينظرون قدوم حنظلة، حتى إذا انتصف النهار أمر المنذر بإحضار شريك ليحل محله، وإذا هم يدبرون لذلك طلع عليهم حنظلة، وقال لهم: فكوا وثاق الرجل، فها أنذا أتيت. قال المنذر، وقد تعجب من وفائه: ما حملك على ذلك؟ قال حنظلة: وفاء دين هذا الرجل وردًّا لجميل نجدته، وإني لا أغدر بكفيل. قيل: فعفا المنذر عنهما.

أقول:

كم حنظلة يوجد اليوم؟ إنهم قليل، وكم كفيل مال، لا كفيل دم وضع في السجن، والمكفول يسرح ويمرح، وكأن شيئًا لم يكن.

٩٩٤ القتل أنفى للقتل

«القتل أنفى للقتل» هذا مثل عربي سائر بين الناس قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام، وأقر قتل القاتل حدًّا، وقتل المفسد في الأرض تعزيرًا، وثبوت ذلك قطعيًّا من القرآن الكريم والحديث الشريف، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [المائدة: ٣٣] سجلت هذه النادرة بعد تنفيذ الحكم الشرعي من قِبَل وزارة الداخلية على المجرمين الذين روعوا الحجاج في تفجيراتهم في حج عام ١٤٠٩هـ وقد أثلج هذا البيان صدر كل مسلم، وقد دخل علي جاري عبدالله آل محمود، وأنا جالس في حديقة منزلي بالرياض مع الأخ الصديق عبدالرحمن العلي السعيد، ثم بدأ الحديث عن قتل هؤلاء، وأن في قتلهم صلاحًا وراحة للناس في الداخل والحجاج في الخارج، وقال الأخ عبدالله آل محمود: والله إنني اليوم صافحت من أخبرني، وشددت على يديه مباركًا هذا العمل الحازم من ولاة الأمر، وذلك بشكل لا شعوري بل وعفوي، وذلك من شدة الفرح، ثم قال الأخ عبدالرحمن: أيحسبون أن قومي هنا سيحيلونهم إلى القانون الإنجليزي أو الفرنسي المطبق مع الأسف في بعض بلاد العرب والمسلمين، ويحكم على مثل هؤلاء بالسجن ليعلفوهم كما تعلف الدواب؟ كلا، كلا!

٩٩٥ الله!

قال أنيس منصور: تجربتي هي تجربة شخص درس مذاهب فلسفية كثيرة، درسها وتعرض لما تعرض له الذين مرغوا بين النظريات الفلسفية المختلفة بين الحيرة والشك، فهو لا يدري ما هو الصحيح، وما هو الخطأ، وما هو المنهج، وما هو الطريق، وفي الوقت نفسه أحسست أن عقلي لا يزيد على كفي؛ أي لا يزيد على

شبر، وأنني أحاول أن أقيس السماء بهذا الشبر، فعقلي المحدود يحاول أن يحيط بما ليس محدودًا، فأنا أريد، وصعب أن أبدي رأيي في قضية كما لو أحضرت طفلًا صغيرًا، وأجلسته على مقعد السكرتير العام للأمم المتحدة، وتطلب منه أن يفصل في قضايا الشعوب. أول شيء يجب أن يفعله إن كان عنده وعي أن ينحي نفسه عن النظر في هذه القضية أو تنحيه الناس؛ لأنه غير مؤهل للحكم فيها لصغره ولقلة معلوماته ولعجزه ولقصر الوسائل التي يستطيع أن يعبّر بها، كما لو أردت أن تعبئ البحر في زجاجة كوكاكولا، أنا عقلي في حجم الزجاجة، وما لا أعرفه في حجم البحر، فهذه الحياة وهذا الخوف والعجز عن الفهم وعدم القدرة على الاستيعاب والتعرض لقضايا أنت غير مؤهل للنظر فيها، فمن أنت حتى تتساءل من هو الله؟ كيف؟ أو ما هو البعث؟ أو ما هو النشور؟ أو ما هي الحياة بعد الموت؟ من حكمك أو من أعطاك هذا الحق لكي تفصل في قضية يعجز عنها العقل؟ كيف تحسبها أنت؟ فهذا الشعور بالعجز جعلني أحس أن العقل غير قادر على أن يفصل في قضية بهذا الحجم، وهنا فقط لا بد أن تلجأ إلى شيء غير محتاج إلى منطق، وهو الحس المباشر والوجدان، وعندما وقفت أمام الكعبة لم يكن لي سلطان على نفسي، فتساقطت الدموع وأنا لا أستطيع أن أعرف لماذا، فلا أنا حزين، ولا أنا مصدوم، من أين هذا البكاء؟ وماذا يبكي داخلي؟ وعلى أي شيء يبكي؟ هل عقلي يبكي على قلبي؟ لا أدري، كل ما أحسست به هو شعور بالضآلة أمام حسن مباشر، وهو الله، فأنا قد اهتديت، إيماني صحيح تمامًا عن طريق القلب أو الوجدان أو الحدس بالمعنى الفرنسي، أو الشعور المباشر أو على الأصح بتجربة ومعاناة صفية، ولا تسألني كيف! لأنني كنت أعلم الطلاب كيف أكتشف أن هذا ليس له معنى، ليس له نظير. عن جريدة (الهدف الكويتية) ١٢/٥/١٤١٠هـ.

أقول:

كلام أنيس منصور جيد، ولكن يكفي عن هذا كله إذا قرأت سورة الإخلاص، ففيها الجواب: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١- ٤]، ونسأل الله الهداية لكل الناس، خاصة لهذا الرجل الذي يدرس الفلسفة في الجامعة، واشتهر باعتناقه المذهب الوجودي، وضلل الكثير من شباب العرب والمسلمين بكثرة كتبه، فهو يجيد سبع لغات: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والعربية، واللاتينية، وهو من بطانة السادات الخسيسة، مع زميله النصراني الخبيث موسى صبري، وهم الذين كانوا يقولون له: لو دخلت الانتخابات الأمريكية لفزت على المرشح الأمريكي. وأنيس هو الذي يقول: حصول نجيب محفوظ على نوبل يشبه حرب أكتوبر. ونوبل وجائزته، ومحفوظ وخرافاته وكذباته، لا تساوي نقطة من دم شهيد مصري واحد في حرب أكتوبر، ومنح الجائزة كما قال أصحابه: لقصته (أولاد حارتنا) وهذه القصة منعها الأزهر من الصدور؛ لكفره الصريح فيها باستهزائه برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والفضل بعد الله في كشف زيفها ومنعها لفضيلة الداعية الجليل محمد الغزالي. نرجع إلى أنيس، ونقول: لم ننقل كلامه إلا من باب خذ الحكمة من أي وعاء خرجت، فالحكمة ضالة المؤمن، ولسنا من قرائه، ولا من المحبين له ولكتاباته، ولدينا ولله الحمد من المصادر الإسلامية الشريفة ما يغنينا ويزيد، ونسجله هنا لعله يُقرأ من قبل الشباب المعجب بهذا الرجل، وخاصة من الفئة التي أفسد عقولها هو وأمثاله، ونقول: لعل الله يهديه، ويرجع إلى الحق، فيرجع معه خلق كثير من قرائه. هدانا الله وإياهم وجميع الناس إلى الحق وإلى طريقه المستقيم.

٩٩٦ إياك والدم الحرام

روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «قاتل العمد لا توبة له» وروي أن سفيان قال: سكان أهل العلم إذا سئلوا عن القاتل المتعمد قالوا: لا توبة له، ولكن روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا أنه كان إذا جاء إليه رجل لم يقترف جريمة القتل، وهو

ينويهـا، وسأله هل للقاتـل توبة؟ أجابه: لا توبة له تخويفًـا وتحذيرًا، وإذا جاءه من اقترف جريمة القتل نادمًا خائفًا: هل للقاتل توبة؟ أجابه: لك توبة تيسيرًا وتخفيفًا.

أقـول: لـو أن حـكام العالم الثالـث ومعظمهم مـن المسلمين يقـرؤون هذا الوعيـد، لما هُدمت المدن على رؤوسـ أصحابها كما حصل في (حماة)، ولما ملئت السجـون من الأبرياء، ولكن الله يمهل ولا يهمل، فالظلم ظلمات يوم القيامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٩٧ أحسنوا عرض الإسلام على الناس

قـال فضيلـة الشيـخ عبدالعزيـز المسنـد لجريـدة (المسلمـون) يـوم ١٤١٠/٥/٢٤هـ: من الأمور الطريفـة، أن من عادة الوفد الذي كنا معه أنهم إذا صلـوا الصبح يبدأ سماحة الشيخ محمد الحـركان بدرس، ويترك لبعض الإخوة أن يتمـوا الحديث وعلى حسب كثرة المجتمعين ونشاطهم، ففي يوم من الأيام كنا مجتمعين، وعندما انتهى الشيخ محمد من الصلاة قام رجل من المسلمين، وكان الحضـور يضم رجالًا ونساءً، فسأله: ما ترى في مصافحة المرأة؟ فتحدث الشيخ بأسلوبـه الهادئ واللطيف والمقبول، وقـال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يصافح امـرأة قـط، وبدأ يتكلم عـن سر ذلك، وبدأ يعـرج على بعض الأمـور التي تتعلق بالنساء والرجـال، ثم قال بعد ذلك: إنني أترك إكمال الحديث للأخ عبدالعزيز المسنـد، فأنا عرفت ما يعنيـه، ثم بدأت أتحدث والشيخ جالسـ، والإخوان كلهم يسمعون، فقلت بعد مقدمة طويلة: إن مصافحة المرأة إذا أمنت الفتنة ليس فيها شيء، وهي جائزة، ولا إشكال فيها، فقام خطيب منهم، وقال: الله أكبر، والله لو قلت: إن مصافحة المرأة حرام لحرجنا جميعًا رجالًا ونساءً، ودليل ذلك أنني من بلجيكا نمارس ديننا بكل رغبة لا أحد يلزمنا، ولكن الرغبة فيما عند الله وفي دين محمد صلوات الله وسلامه عليه، أسلمت امرأة بلجيكية، وحسن إسلامها، فرأى

الإخـوة من المسلمين هنــاك أن يبحثوا لها عن زوج صالح حتــى يبقى دينها؛ لأن أهلهــا أبعدوها، فوُجد راغب فيها، واتفقت المــرأة وإياه على الزواج، وذهبنا إلى المسجد، وكانت إحدى الدول العربية قد بعثت شابًّا حنفيًّا ليكون إمامًا للمسجد، وكان هــو الــذي يعقد الأنكحة، ذهبنا إليه، وسلم الرجــال، وتقدمت المرأة ومعها نساء من نسائنا لتسلم، فكفّ الرجل يده، ولم يسلم عليها، فوقفت مبهوتة، وكانت متعلمة، وقالت: ما له؟ فسأله أحد الحاضرين؟ فأجابه بقوله: إن مصافحة المرأة حــرام، يبــدو أن المترجم لم يقدر الوضــع؛ لأن البلاغة مطابقــة الكلام لمقتضى الحال، فترجم ذلك حرفيًّا، ولم يلطفه، فقامت المرأة، وقالت: إن دينًا يهين المرأة إلى هذه الدرجة لا أقبله أن يكون دينًا لي، وارتدت عن الإسلام، ورفضت الزواج، ولــو أن هذا الرجل الــذي يتزعم المسلمين في تلك المنطقة، وهــو إمام لهم عرف الإســلام حقيقةً لاقتدى بنبيه ﷺ فإنه كمــا تعلمون صلوات الله وسلامه عليــه بقــي ١٣ عامًــا في مكة لم يــدعُ الناس إلا إلــى العقيــدة، ولم يفرض عليهم إلا الصــلاة، وعندما أُذن لــه بالهجرة إلى المدينة تنزلــت الفروض والتشريعات منجمــة بسهولة ويسر تعالج النفوس، وتجعلها مقبولة للنــاس حتى قبلوا الدين الإسلامي، وتعرفون أمثال ذلك، وكان الرسول ﷺ ألطف الناس، وأطيب النــاس، وأكثر الناس رأفة ورحمة بهم، فلم يُؤْتَ الإسلام إلا من جهل أهله، ومن جهل المنتسبين إليه بكل أسف، وإلا فإن الإسلام دين اليسر ودين السهولة.

أقول:

إن الإسلام يحتاج إلى دعاة على مستوى رفيع يحسنون عرضه على الناس، وهــذه المرأة التي ارتــدت لم يتمكن الإسلام من قلبها، وتشــدد إمام المسجد زاد الطــين بلّة، ويجب علــى الداعية أن يكون كما كان أبطــال الإسلام الذين اهتدوا برسالة محمد ﷺ وأضاؤوا الدنيا صلاحًا وعلمًا.

٩٩٨ عظمة ملكوت الله

سُئل الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قول الله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ [الرحمن: ٣٣] هل هذه الآية الكريمة تحمل معنى احتمال أن ينفذ الجن والإنس من أقطار السماوات والأرض؟

فأجاب: لا، فإنه بعد ذلك قال سبحانه: ﴿ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٣] لقد تصور الناس عندما وصلوا إلى القمر، أو اقتربوا من المريخ أنهم قد وصلوا.

ونقول لهم: أين القمر والمريخ من أقطار السموات والأرض، وما هو القطر أولًا؟ القطر: هو الخط الواصل بين نقطتين على المحيط مارًّا بالمركز، إذن: فأقطار السماوات والأرض كرة، فإن لها محيطات لا تنتهي، ولو كانت سطحًا مستديرًا لكان للأرض محيط واحد، وكذلك فإن الكرة الأرضية تحيطها السماء من كل جانب، إذن فالأرض محاطة بدائرة من السماء، فعندما يقف الإنسان على سطح الأرض، ويمد بصره إلى آخره، يجد حوله دائرة تلتقي في نهايتها الأرض بالسماء، وهو ما نسميه الأفق، إذن فالكون كله عبارة عن دوائر متداخلة، ويحيط الكون كله سماء، ثم سماء ثانية في دائرة أوسع وهكذا، وبذلك فهناك أقطار لهذه الدوائر، وهنا يقول الحق سبحانه: إنكم لن تستطيعوا أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض، ولنترجم ذلك إلى أرقام، فلقد أمضى من وصل إلى القمر في ستة أيام عدد ثانيتين ضوئيتين، وهي المسافة بيننا وبين القمر في مئة وستة وثمانين ألف ميل، وهي قيمة الثانية الضوئية، إذن: فقد استغرقت الثانية الضوئية مدة ثلاثة أيام، وبيننا وبين الشمس ثماني دقائق ضوئية في ستين ثانية، في ثلاثة أيام، فنكون محتاجين إلى ثلاث سنوات وخمسة وأربعين يومًا لنصل إلى الشمس، ثم إذا انتقلنا إلى كوكب المشترى الذي يبعد عنا بمسافة أربع عشرة سنة

ضوئيـة في ثلاث مئة وخمسة وستين يومًا في أربع وعشرين ساعة في ستين دقيقة في ستـين ثانية في ثلاثة أيام، فإذا أردنا أن نصل إلى هناك فما هو عدد الأجيال التـي تستغرقها الرحلة؟ ملايين الأجيـال، ثم أي سفينة فضاء هذه التي تستطيع أن تحمـل مـا يكفيها من وقود وطعام لهذه المدة حتـى تصل بعد ملايين السنين؟ وبعـد المشتري نجد (المجرة المسلسلة) التي تبعد عنا مئة سنة ضوئية، ثم طريق اللبنـي يبعد عنا بمليون سنة ضوئية، وبـه مليون مجموعة شمسية، هذا ما يقوله علمـاء الفلك غير المسلمـين، وهؤلاء العلماء يقولون: اذهـب إلى شواطئ العالم، واجمـع رمالها، ثـم أحصِها فستجد كواكـب بعدد الرمال، وبذلـك نجد أنه من المستحيـل حسابيًّا أن تصل إلـى السماء الدنيا، هذا إلى جانب النيازك الموجودة في الفضـاء، ثم نتساءل: لماذا جاء الحق سبحانه وتعالى بالاستثناء في الآية، وهو ما يحمل معنى إخراج من الممنوع؟ نقول: إن ذلك الاستثناء جاء في الآية لاستثناء معـراج الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فعندما يقول الحق: إلا بسلطان، فليس ذلك سلطان العلم لاستحالته كما رأينا، ولكنه سلطان العلي القدير بأن نتجاوز، أو لا نتجاوز.

أقول:

الـكل أخذ يفسر وصولهم إلى القمر بأنهـم استطاعوا أن ينفذوا من أقطار السمـاوات، وهـذا بعيد وفـوق إمكانات ابـن آدم الذي لم يؤتِه الله مـن العلم إلا قليلًا.

٩٩٩ أشد ما يؤلم النفس

لعـل من أشد مـا يؤلم النفـس أن تعقـد المقارنات في الصحافـة بين نظام شاوشيسكو وأكثر من نظام عربي، وأنها مثله في البطش والإرهاب والإذلال، وأن ينصـح أحد شامير بالمرونة في ظل النظام العالمي الجديد الجانح إلى الحريات، فيقـول: اطمئنوا، فمـا زالت رياح الحريـة والديموقراطية بعيـدة عن خصومنا

بعـدًا كافيًا، ويكتب أحدهم، فيقول عن شعوب منـا: إنها لو حاولت التخلص من جلادهـا، فستكـون النتيجة ما حدث في الصين لها، لا ما حدث في رومانيا، بل لو أن الجلاد قدّم استقالته فقد تقوم المظاهرات تطالب باستمراره في الحكم، هذا بعض ما يقال، فمن الصالح أن يكون على دراية به، والجـواب عليه ليس اللعن والسب، وليس اليأس والتخاذل، ولكـن أن نتحرك كما يتحـرك الناس، فيرون حركاتنـا، ونتكلم كما يتكلمـون، فيسمعون كلامنا، فنحن الذيـن نصنع صورتنا بأنفسنـا، والصورة التـي نرسمها لأنفسنا اليوم هي التـي تحدد موقعنا في عالم الغـد، إن الزمان يتغـير، والذين لا يعيشون زمانهم فليس لهـم فيه دور، بل ليس لهم فيه مكان.

أقول:

هذا ما كتبه الأخ الدكتور حسان حتحوت في (القبس) يوم ١٦/٦/١٤١٠هـ، وحسـان هذا خـيرة رجال مصر، وهـو أستاذ في الطب، وأستـاذ في الكلمة، وذو قلـم إسلامي مشرف، ودرّس الطب في جامعة الكويـت سنين عددًا، ثم استقال، وتفـرغ للدعوة إلى الله في العالم الجديد أمريـكا، نسأل الله له القبول والتوفيق، ونقرر هنا أن التاريخ العربي الحديث شهد صدق قوله بخروج تظاهرات يوم قدّم الجلاد العربي استقالته عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ.

١٠٠٠ فضل الإقامة في المدينة المنورة

قال بعض الفقهاء:

الإقامـة في المدينة المنورة أحب مـن الإقامة في غيرها، ولو كانت مكة؛ لأنها مهاجر المسلمين، يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تفتح اليمن فيأتي قوم يُبسُون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم، ولو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يُبسُون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم،**

وإن كانـوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قوم يُبسُـون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهـم، والمدينة خير لهـم، ولو كانوا يعلمـون»[1] أخرجه البخاري في فضائل المدينة، ومسلم في الحج باب الترغيب في المدينة المنورة، ومالك في الموطأ.

١٠٠١ من تلبيس إبليس على السلاطين

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد لبّس إبليس عليهم من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها: فالوجـه الأول أنـه يريهم أن الله عَزَّوَجَلَّ يحبهم، ولـولا ذلك ما ولاهم سلطانه، ولا جعلهـم نوابًا عنه في عبـاده، وينكشف هذا التلبيس بأنهـم إن كانوا نوابًا عنه في الحقيقـة، فليحكموا بشرعه، وليتبعـوا مراضيه، فحينئذ يحبهـم لطاعته، فأما صـورة الملـك والسلطنة، فإنه قد أعطاهـا خلقًا ممن يبغضه، وقـد بسط الدنيا لكثـير ممن لا ينظـر إليه. وسلط جماعة مـن أولئك على الأوليـاء والصالحين، فقتلوهم، وقهروهم، فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم.

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه يحسن لهم الانبساط في الأموال ظانين أنها بحكمهم، وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحجر على المفرط في مال نفسه، فكيف بالمستأجر في حفظ مال غيره؟ وإنما له من المال بقدر عمله، فلا وجه للانبساط. قال ابن عقيل: وقد روي عن حماد الراوية، أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتًا، فأعطاه خمسين ألفًا وجاريتين. قال: وهذا مما يروى على وجه المدح لهم، وهو غاية القدح فيهم؛ لأنه تبذير في بيت مال المسلمين.

وقد يزيـن لبعضهم منع المستحقين، وهو نظير التبذير. والسابع أنه يحسن لهـم الانبساط في المعاصي، ويلبس عليهـم أن حفظكم للسبيل، وأمن البلاد بكم يمنـع عنكـم العقاب. وجواب هذا أن يقـال: إنما وليتم لتحفظـوا البلاد وتؤمنوا

(١) أخرجه البخاري (٣/٢١ رقم١٨٧٥)، ومسلم (٢/١٠٠٩ رقم١٣٨٨).

السبـل، وهذا واجب عليهم، وما انبسطـوا فيه من المعاصي منهي عنه، فلا يرفع هـذا ذلك، والثامـن: أنه يلبس على أكثرهـم بأنه قد قام بما يجـب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة. ولو حقق النظر لرأى اختلالًا كثيرًا.

أقول:

إن ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتب وصنف في الإسلام ما لم يستطع أحد من علماء العصـر الحاضر أن يأتي بعشـر مصنفات هذا العالم، وهو مـن علماء الإسلام المبـارك لهم في أوقاتهـم وأعمارهم، وإلا كيف يتسنى لهم هـذا الكم الهائل من التأليف والبحث والإنتاج والإمكانات الطباعية والمالية بدائية؟

١٠٠٢ الشيطان والأبوان الكريمان

قال ابـن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأول كيده ومكره أنه كاد الأبوين بالأيمان الكاذبة أنـه ناصـح لهما، وأنه إنمـا يردّ خلودهمـا في الجنة، قال تعالـى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢٠-٢٢].

فالوسوسة: حديث النفس، والصوت الخفي، وبه سمي صوت الحلي وسواسًا، ورجـل موسوس بكسر الواو، ولا يفتـح، وإنما قيل له: موسوس؛ لأن نفسه توسوس إليه، قال تعالـى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] وعلـم عـدو الله أنهما إذا أكلا من الشجـرة بدت لهما عوراتهما، فإنهـا معصيـة، والمعصية تهتك ستر ما بين الله وبين العبـد، فلما عصيا انتهك ذلـك الستر، فبدت لهما سوءاتهما، فالمعصية تبـدي السوأة الباطنة والظاهرة، ولهـذا رأى النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رؤيـاه الزناة والـزواني عراة باديـةً سوءاتُهم،

وهكذا إذا رُئِي الرجل أو المرأة في منامه مكشوف السوأة، فإنه يدل على فساد في دينه، قال الشاعر:

إنّي كأنّي أَرى مَنْ لا حياءَ له ولا أمانةَ وسطَ الناسِ عِريانا

فإن الله سبحانه وتعالى أنزل لباسين: لباسًا ظاهرًا يواري العورة ويسترها، ولباسًا باطنًا من التقوى، يجمل العبد ويستره، فإذا أزال عنه هذا اللباس انكشفت عورته الباطنية، كما تنكشف عورته الظاهرة بنزع ما يسترها.

ثم قال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ [الأعراف:٢٠] أي: إلا كراهة أن تكونا ملكين، وكراهة أن تخلدا في الجنة، ومن ههنا دخل عليهما لما عرف أنهما يريدان الخلود فيها، وهذا باب كيده الأعظم يدخل منه على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم حتى يصادف نفسه، ويخالطها، ويسألها عما تحبه ويصادف نفسه، ويخالطها، ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها على العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وذلك علم إخوانه وأوليائه من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه، ويهوونه، فإنه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مصدود.

فشام عدو الله الأبوين، فأحس منهما إيناسًا وركونًا إلى الخلد في تلك الدار في النعيم المقيم، فعلم أنه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب، فقاسمهما بالله إنه لهما من الناصحين، وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو من الخالدين.

وكان عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقرؤها ملكين بكسر اللام، ويقول: لم يطمعا أن يكونا من الملائكة، ولكن استشرفا أن يكونا ملكين فأتاهما من جهة الملك، ويدل على هذه القراءة قوله في الآية الأخرى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه:١٢٠].

وأما على القراءة المشهورة فيقال: كيف أطمع عدو الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يكون بأكله من الشجرة من الملائكة، وهو يرى الملائكة لا تأكل، ولا تشرب، وكان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أعلم بالله وبنفسه وبالملائكة من أن يطمع أن يكون منهم بأكله، ولا سيما مما نهاه الله عَزَّوَجَلَّ عنه؟

فالجواب: إن آدم وحواء عليهما السلام لم يطمعا في ذلك أصلًا، وإنما كذبهما عدو الله، وغرّهما، وخدعهما بأن تلك الشجرة شجرة الخلد، فهذا أول المكر والكيد، ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بأسماء تحب النفوس مسمياتها، فسموا الخمر: أم الأفراح وسموا أخاها لقيحة الراحة، وسموا المكوس الحقوق السلطانية، وسموا الربا المعاملة، وسموا أقبح الظلم وأفحشه شرع الديوان، وسموا أبلغ الكفر، وهو هجر صفات الرب، تنزيهًا، وسموا مجالس الفسوق مجالس الطيبة، فلما سماها شجرة الخلد قال: ما نهاكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تأكلا منها، فتخلدا في الجنة، ولا تموتا، فتكونان مثل الملائكة الذين لا يموتون، ولم يكن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد علم أنه يموت بعد، واشتهى الخلود في الجنة، وحصلت الشبهة من قول العدو وإقسامه بالله جهد أيمانه، إنه ناصح لهما، فاجتمعت الشبهة والشهرة، وساعد القدر، فأخذتهما سِنَة الغفوة، واستيقظ لهما العدو، كما قيل:

واستيقظوا وأرادَ اللهُ غفلتَهم ... ليَنْفُذَ الْقدرَ الْمحتُومَ في الأَزَلِ

أقول:

تغيرت الأسماء في هذا العصر، المكوس: جمارك، والربا: فوائد، والخمر: مشروبات روحية، ثم العلمانية... إلخ. الأسماء الشيطانية.

١٠٠٣ القَدَر

سأل بعض الناس الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن القضاء والقدر وصلته بالجزاء؟ فأجابه علي بما يزيل الشبهة من غير خوض، ثم ختم كلامه بقوله: إن الله أمر تخييرًا، ونهى تحذيرًا، وكلف تيسيرًا، ولم يُعص مغلوبًا، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثًا ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلًا، ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

أقول:

هذا والله هو الدر المنثور الذي لا يعلو عليه إلا كلام الله ورسوله.

١٠٠٤ سراب المكاسب الاشتراكية

قال الدكتور حسين شوقي في كتابه (سوبر باشوات) ص٢٠٣: العامل المصري الذي يتمسك بما يسميه المكاسب الاشتراكية في مصر، هو العامل نفسه الذي يهرب منها إلى بلد هو قمة الرأسمالية مثل السعودية أو الكويت، ويعمل هناك، ويكسب؛ لأن صاحب العمل هناك إذا كان في حاجة إلى خمسة عمال فليس هناك قانون يلزمه بأن يأخذ خمسين، وليس هناك قانون يلزمه بأن يدفع أجر العامل المتمارض، أو عامل يترك العمل ليزور أخته، والمصنع الكبير هناك يُدار بعشرة عمال مصريين يبدؤون في الثامنة صباحًا لا يفرغون منه إلا في السادسة مساءً، والعامل الواحد هناك يأخذ أجر عشرة عمال في مصر، ولهذا فهو يتفانى في عمله، ويستغني عن سراب المكاسب الاشتراكية.

أقول:

الطريق هو الإسلام، ليست الاشتراكية الشرقية، والرأسمالية الغربية، والإسلام نظام مُنزّل من اللطيف الخبير، صانع الإنسان، والصانع أدرى بحاجة المصنوع.

١٠٠٥ رجال وأي رجال!

نشرت الصحف المصرية يوم ١٤١٠/٦/٦هـ تقول: رفض العقيد محمد حسام الدين بديوي قائد مخابرات حرس الحدود بالقناة وشمال سيناء مليون جنيه رشوة من تجار المخدرات، مقابل تسهيله دخول شحنة مخدرات لمصر حجمها (٣) أطنان، وقد أبى عليه ضميره أن يقبل هذه الرشوة؛ لذلكساير العصابة حتى قُبِض عليهم، يوم ٢٥ مارس الماضي، ورفض الرائد محمد الباسل قائد مكتب المخابرات وأمن حرس الحدود، في رشيد رشوة مقدارها ٦٠٠ ألف جنيه وسيارة بيجو جديدة، بسلسلة مفاتيح ذهب مقابل تسهيل دخول شحنة مخدرات مقدارها ١١٤ طردًا، وفي الموعد المحدد لتنفيذ العملية قُبِض على العصابة، وعندما سئل الضابط الشاب عن شعوره بعد القبض على العصابة؟ قال: لقد وضعني الله في لحظة اختبار، ونجحت، فالمال لا يصنع السعادة، وشرف الإنسان لا يتجزأ.

أقول:

نعم، في مصر (رجال وأي رجال!) ولا تُحفظ الأوطان إلا بمثل هؤلاء الرجال الصادقين، ويجب ذكرهم وشكرهم ورفع مراتبهم، فالناس وخاصة في مصر العزيزة يعرفون عن (شريهان) و(عدوية) أكثر مما يعرفون عن هؤلاء، وهذا مما يؤسف له! وإن كاتبًا مصريًّا طلب أن يكافؤوا بنصف الكمية التي ضبطوها، وهم أهل لهذا الإكرام، تعففوا وهم في بلد فقير ماديًّا، وغني معنويًّا بإذن الله، وأذكر وأشكر لموظفين عندنا بالرياض تعففا عن الرشوة، وأمر ولاة الأمور بإعطائهما كل المبالغ التي رفضوها حرامًا، وأراد الله أن تصلهم حلالًا، وهذا دليل على حسن نيتهم، فالرجل الأول هو الأخ محمود طيبة محافظ المؤسسة العامة للكهرباء، والمبلغ مليون ريال، والرجل الثاني الأخ المهندس محمد القويحص مدير

عام المشروعـات بوزارة الصحة، والمبلغ ٣٠٠،٠٠٠ ثلاث مئة ألف ريال، ونحن هنا نذكرهـم، ونشكرهم، ونرجـو الله أن يكون هذا من عاجل بشـرى المؤمن للحديث الشريـف: «**الذكر الحسـن عاجل بشـرى المؤمـن**»[1] أو كما قال ﷺ وكما جاء في الآية الكريمة: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس:٦٤].

١٠٠٦ الأعرابي وثوبه

عن أبي عثمان المازني أنه قال: قدم أعرابي على بعض أقاربه بالبصرة، فدفعوا له ثوبًا ليقطع منه قميصًا، فدفع الثوب إلى الخياط، فقدر عليه، ثم خرق منه، فقال: لمَ خرقـت ثوبي؟ قـال: لا يجوز خياطتـه إلا بتخريقه، وكان مـع الأعرابي هراوة من أَرزن، فشجّ بها الخياط، فرمى بالثوب، وهرب، فتبعه الأعرابي، وأنشد يقول:

ما إنْ رأيـتُ ولا سمعتُ بمثلِه ... فيما مضَى مِنْ سالفِ الأَحقابِ

مِنْ فعلِ علجٍ جئتُه ليخيطَ لي ... ثـوبًـا فـخـرَّقـه كفعـلِ مُـصـابِ

فـعـلـوتُـه بـهـراوةٍ كـانـتْ مَعي ... فَسعَى وأدبـرَ هـاربًـا للبـابِ

أيـشـقُّ ثـوبـي ثـمَّ يـقـعـد آمـنًـا ... كـلَّا ومـنـزِلِ سـورةِ الأحـزابِ

١٠٠٧ الشيطان والإنسان

يقـول شقيق البلخـي (أحد العلماء الأعـلام)، مبينًا بعضـ الشبهات التي يقذفهـا الشيطـان في نفس الإنسان: ما من صباح إلا قعـد لي شيطان على أربعة مراصـد: مـن بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعـن شمالي، فيقول: لا تخف، فـإن الله غفور رحيم، فأقـرأ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢] وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على من أخلفه، فأقرأ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٣٤ رقم٢٦٤٢).

﴿ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦] ومن قِبَل يميني، يأتيني من قِبَل النساء، فأقرأ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

١٠٠٨ اشتغال علماء الدين بالسياسة

سأل محرر المجتمع الكويتية يوم ١٤١٠/٦/٢٦هـ فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبوغدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: هناك من قال: إن علماء الدين يجب أن يبقوا مرشدين عامّين للأمة، وألّا يدخلوا معترك العمل السياسي؛ لئلا ينشغل عالم الدين عن مهمته الأساسية، هل يمكن أن يوجد نموذج يقحم كل علماء الأمة في السياسة؟

قال الشيخ: الأصل في هذه المسألة أن سياسة الأمة تتعلق بمسؤولها الأول، رئيسًا، ملكًا، سلطانًا، أميرًا، كيفما سميناه أو سماه أصحابه، فهي تتعلق به، فإذا كان يرعى أمور الناس وسياسة المسلمين، فلا حاجة للعلماء أن يشتغلوا بالسياسة، وهم بلا شك يرسمون الحلال والحرام بهدي الشارع، فعليهم أن يبينوا وعليه أن يستنير بهم فيما يحل ويحرم، والأصل في الحاكم في نظر الإسلام أن يكون من المجتهدين في الشرع، فعمر بن عبد العزيز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُعدّ من الخلفاء الراشدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كان مجتهدًا من المجتهدين، فحينما يحتاج الأمر إلى معرفة حكم الشارع، وليس عنده اجتهاد فيه أو لم تتضح له الرؤية يستشير أهل العلم، ويشاورهم، ويذاكرهم بما عنده حتى تظهر القضية، وتنكشف الحقيقة بأجلى ما يمكن، أما إذا تخلى الحاكم عن سياسة المسلمين بهذه الروح الإسلامية، وكان فوضويًّا، أو لم يكن قائمًا بشريعة الله عَزَّ وَجَلَّ فعلى العلماء أن يبينوا وينصحوا بالحكمة والموعظة الحسنة دون إثارة أو فتنة. فكل حالة من أحوال الناس في نظر الشرع لها لغة خطاب، فالصغير له لغة يخاطب بها غير لغة خطاب الكبير، والمرأة لغة الخطاب لها غير لغة خطاب الرجل، والمتعلم غير العالم، وخطاب الحاكم ليس كسائر الناس، وهذا ما أرشدنا إليه الشارع الكريم، فالله عَزَّ وَجَلَّ قال في فرعون لما أمر سيدنا موسى وسيدنا هارون أن يذهبا إليه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا

﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه:٤٤] فمن هذه الزاوية هناك لغة يخاطب بها الحاكم دون تزلـف أو تملق، ولكن فيها الأدب والإبـلاغ، فإذا لم يجيبوا حينئذ تكون المسؤولية عليهم، فالعالم يراقب المسؤولين عن سياسة الأمة، ديننا هذا موقعه من السياسة، هـو موجّه ليقود السفينة حينمـا ينصرف عنها ربانها المسؤول، فلو كنا نمشي في سفينـة، وغفل أو مرضـ أو ضعف أو كفّ بصره، فنقول له: قف! وينبغي أن يأخذ السفينـة منه بصير عليم خبير، ويقودها حتـى تحافظ على وجودها وسلامتها، فما شأن العلماء إذا لم يأخذوا على يد الظالمين.

ومَـنْ يُثني الأصـاغرَ عن مـرادٍ إذا جلسَ الأكَـابـرُ في الـزَّوايـا
إذا اسـتوتِ الأَسـافلُ والأعـالي فـقـدْ طـابـتْ مُـنـادمـةُ المَنـايـا

هـذان البيتـان حضراني في هـذا الموضـوع، فالأصـل في العـالم أنه معلم ومتعلـم، ولكـن إذا انحرف أهل الحـق عن الحق أو المسؤولـون عن الحق فهناك موضع التنبيـه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كان يسمى سياسة فنعم السياسة. هذه هي السياسة التي فيها صلاح الراعي والرعية.

أقول:

التفرقـة بين الدين والسياسة وردت من فرنسـا، بعد الخلاف بين الكنيسة ورجـال الحكـم؛ لأن رجال الدين بالكنيسـة وقفوا ضد كل إصـلاح، وحرموا كل شيء، وهو خطأ من الرجال، وليس من الدين المسيحي.

أمـا في الإسـلام فالأمر يختلـف، فالإسلام نظام حياة كامـل من المهد إلى اللحـد يبـين كيف يستقبـل المولود، وكيف يدفـن الميت، وكل حـركات المسلم بين الـولادة والوفـاة منظمة في الإسلام، ففـي القرآن الكريم والسنـة الشريفة بيان كيف يصنع بالمولود، وكيـف يسمى؟ وفي الإسلام تتعلم كيف سلوكك وأنت تدخل الحمـام، وتقضي حاجتك؟ وفي الإسلام تتعلم كيف تعبـد ربك؟ وفي الإسلام كيف

تعامل والدك وخادمك؟ بل دابتك. نعم، لا حياء في الدين، وفي الإسلام يبايع ولي الأمر في المسجد البيعة العظمى للخلافة الكبرى، ومن المسجد تجيش الجيوش، ومن المسجد يتلى البيان العام في كل جمعة، وفي الإسلام لا تفريق بين دنيا ودين، في الدنيا الزرع وهناك الحصاد، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاؤه الراشدون تولّوا أمور الناس السياسية، والدينية والدنيوية، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رئيس الدولة، والمرجع الأول في السياسة والدين، ولا ينكر هذا إلا اثنان لا ثالث لهما: إما جاهل أو منافق.

١٠٠٩ حماية المدينة ومكة من الدجال

يقصد الدجال المدينة، فلا يستطيع دخولها، ذلك أن الله حمى مكة والمدينة من الدجال والطاعون، ووكّل حفظها إلى ملائكته، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»[١]، وروى البخاري أيضًا عن أنس يرفعه: «**لا يدخل المدينة رعب المسيح، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان**»[٢].

أقول:

لعظمتها كثرت أسماؤها، فهي المدينة، وهي طيبة الطيبة، وهي دار الهجرة، ومن يتهيأ له الإقامة فيها فهو ذو حظ عظيم، رزقنا الله جواره في الدنيا والآخرة.

١٠١٠ أهل الجنة

يدخل أهل الجنة على أكمل صورة وأجملها، على صورة أبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فلا أكمل ولا أتم من تلك الصورة والخلقة التي خلق الله عليها أبا البشر آدم، فقد خلقه الله تعالى بيده فأتم خلقه، وأحسن تصويره، وكل من يدخل الجنة

(١) أخرجه البخاري (٣/٢٢ رقم١٨٨٠)، ومسلم (٢/١٠٠٥ رقم١٣٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣/٢٢ رقم١٨٧٩).

يكـون علـى صـورة آدم وخلقته، وقـد خلقه الله طـوالًا كالنخلة السحـوق، طوله في السمـاء سـتـون ذراعًا، ففـي صحيح مسلم عن أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خلق الله عَزَّ وَجَلَّ آدم على صـورته، طوله سـتون ذراعًا، فكل مـن يدخل الجنة على صـورة آدم، وطوله سـتون ذراعًا، فلم يزل الخلق ينقص بعده**»[1]، رواه الإمام مسلم.

أقول:

نسـأل الله أن يجعلنـا وإخواننـا المسلمين منهـم، فهذه هي السلعـة الغالية والصيد الثمين.

١٠١١ تفسير آية من كتاب الله

دخـل رجل على عـالم، فوجده مأخـوذًا بنشـوة الفرح والسـرور، فقال: ما هـذا؟ فقال العالم: قرأت آية من كتـاب الله تبارك وتعالى، ووجدت فيها خبرين ونهيين وأمريـن وبشارتين، فقال الرجل: ما هـي؟ قال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧] فالخـبران: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ و﴿خِفْتِ﴾ والأمـران: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ و﴿فَأَلْقِيهِ﴾ والنهيـان: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ والبشارتان: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

١٠١٢ ابن آدم والملائكة

ذكـر الحـافظ ابـن عساكر في تاريخـه في ترجمة أمية بن عمـرو بن سعيد ابن العاص: أنه حضر مجلسًا لعمر بن عبدالعزيز وعنده جماعة، فقال عمر: ما

---

(١) أخرجه البخاري (٨/٥٠ رقم٦٢٢٧)، ومسلم (٤/٢١٨٣ رقم٢٨٤١).

أحـد أكرم على الله من كريم بنـي آدم، واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٧] ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيـد، فقـال عرام بن مالـك: ما أحد أكـرم على الله من ملائكتـه، هم خدمة داريـه، ورسله إلى أنبيائه، واستدل بقوله تعالى: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف:٢٠] فقال عمـر بن عبدالعزيز لمحمد ابـن كعـب القرظي: ما تقول أنـت يا أبا حمزة؟ فقال: قد أكـرم الله آدم، فخلقه بيـده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وجعل من ذريته الأنبياء، والرسل ومن يزوره الملائكة، فوافق عمر بن عبدالعزيز في الحكم، واستدل بغير دليله.

أقول:

إن آدم حمّلـه الأمانـه، كما نص علـى ذلك القرآن الكـريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب:٧٢] فهـو مخيّر والملائكة مسيرون يفعلـون ما يؤمرون، فالناجـح في الامتحان أفضل حتى من الكعبة المشرفة، كما في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

١٠١٣ من عجائب النحل

أول مـا يبنـى في الخليـة، مقعد الملكـة وبيتهـا، فيبنى لها بيـت مربع يشبه السريـر والتخـت فتجلس عليه، ويستديـر حوله طائفة من النحـل تشبه الأمراء والخدم والخواص لا يفارقنها، ويجعل النحل بين يديه شيئًا يشبه الحوض يصبّ فيـه من العسـل أصفى ما يقدر عليه، ويُملأ من الحوض يكون ذلك طعامًا للملك وخواصـه، ثم يأخذن في ابتناء البيوت على خطوط متساوية كأنها سكك ومحالّ، لا يدخـل بين بيوته رؤوس الإبر، فتبارك الذي ألهمهـا أن تبني بيوتها من أشكال موصوفـة بصفتين: إحداها إلا تكون زواياها ضيقـة حتى لا يبقى الموضع الضيق

معطلًا، والثانية أن تكون تلك البيوت مشكلة بأشكال إذا انضم بعضها إلى بعض، وامتلأت العرصة منها فلا يبقى منها ضائعًا، ثم إنها علمت أن الشكل الموصوف بهاتين الصفتين هو المسدس فقط، فإن المثلثات والمربعات، وإن أمكن امتلأ العرصة منها، بل يبقى فيما بينها مروج خالية ضائعة، وأما المسدس فهو موصوف بهاتين الصفتين، فهداها سبحانه إلى بناء بيوتها على هذا الشكل من غير مسطرة ولا آلة ولا مثال يحتذى عليه، وأصنع بني آدم لا يقدر على بناء البيت المسدس إلا بالآلات الكبيرة، فتبارك الذي هداها سبحانه أن تسلك سبل مراعيها على قوتها وتأتيها ذللًا لا تستعصي عليها، ولا تضل عنها، وأن تجتني أطيب ما في المرعى وألطفه، وأن تعود إلى بيوتها الخالية، فتصب فيها شرابًا، مختلفًا ألوانه فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.

أقول:

النحل خصها الله بسورة من القرآن هي (سورة النحل).



١٠١٤ الموتتان

النوم شبه الموت، ولذلك يسميه علماؤنا الوفاة الصغرى، فالنوم وفاة، والقيام من النوم بعث ونشور: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ [الأنعام:٦٠] وفي النوم تقبض أرواح العباد، ومن شاء بقاءها ردها الأجل الذي حدده الحق، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِى لَمۡ تَمُتۡ فِى مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ [الزمر:٤٢] فقد أخبر الحق أن كلًّا من النفسين الممسكة والمرسلة توفيتا وفاة النوم، وأما التي توفيت وفاة الموت فتلك قسم ثالث، وهي التي قدمها بقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزمر:٤٢] فإن الله ذكر توفيتين: توفي الموت، وتوفي النوم، وذكر إمساك المتوفاة، وإرسال الأخرى.

ومعلـوم أنـه يمسك كل ميتة، سواء ماتت في النـوم أو قبل ذلك، ويرسل من لم تمـت، وقولـه: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر:٤٢] يتنـاول مـا ماتت في اليقظـة، وما ماتـت في النوم، فلما ذكر المتوفيتين ذكـر أنه يمسكها في إحدى المتوفيتين، ويرسلها في الأخرى، وهذا ظاهر اللفظ بلا تكلف.

١٠١٥ حرب النمل

يقول العـالم البريطاني (جيمس جربـي): النمل والإنسـان هما المخلوقان الوحيـدان اللذان يمارسـان الحرب المنظمـة، ففي عالم النمـل تجري الحروب الإقليمية والعالمية بأساليب قد تفوق ما يستخدمه أرقى المخلوقات، وهو الإنسان، ويصـف عـالم أمريكي معركة (خليـة) شاهدها بنفسه، وقـدّم تقريرًا مثيرًا في الاجتماع السنوي للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم.

يقول البروفيسور (برتلون) في تقريره: «لقد كانت الحرب ضارية، الجيشان المتقاتلان يستريحان ليـلاً، ويستأنفان الحرب عند الشروق، لم يستطع أحدهما هزيمـة الآخر، ثم اتفقا في النهاية على إقامـة منطقة محايدة بينهما، لا يقترب منها أي فرد من الجماعتين المتقاتلين.

وهـذه الحرب كانت تدور بين جماعتين من النمـل الإفريقي، ويرسم العالم الأمريكـي صـورة دقيقة لخطط الحـرب وأساليبهـا، فيقول: لقـد استطاع أحد أنـواع النمل أن يستخدم الجسور في أثناء الحرب، وهي جسور تتكون من أجسام النمـل، وتمتد عبر غصـون الأشجار الغنيـة بالغذاء؛ أي احتـلال منطقة حيوية تحقـق إمداد للجيشـ، ثم يعلن الحرب الخاطفة ضد النمـل الذي يستوطن هذه الأشجار الجسور مـن أجسام النمل تتفق فوقها الجيوش الغازية لتحتل المناطق، وتدمـر قلاع خصومها، ومن غرائب اكتشاف جماعات مسالمة تعتمد على عرقها في الحصول على الغذاء، واكتشاف جماعات عدوانية تعتمد على الغزو الخاطف والتوسع والعدوان.

أقول:

النمـل من الأمم، كما في الحديث الشريف، وخصّها الله في القرآن بصورة النمل، وأخبر عنها جل جلاله أنها تتكلم آخذًا من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:١٨] وسمّع الله نبيه كلامها، وأفهمـه إياه، والدليل قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل:١٩] ولكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا ربه دعاء الشاكر، وردّ الفضل لربه بقوله: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [النمل:١٩] فهذا واجب كل حاكم مسلم في رد كل شيء إلى الله، وليس للمخلوق شيء في فعل السبب فقط.

١٠١٦ الدجال في خبر تميم الداري

روى مسلـم في صحيحه عن فاطمة بنت قيس، أخت الضحاك بن قيس أنها سمعـت منادي رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينادي: «**الصلاة جامعة**»، فخرجت إلى المسجد، قالت: فصليت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: «**ليلزم كل إنسـان مصلاه**»، ثم فقال: «**أتدرون لم جمعتكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلـم، قال: «**إني والله جمعتكم لا لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأن تميمًا الداري، كان رجلًا نصرانيًا فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال**».

حدثنـي: «**أنـه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلًا مـن لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيهم دابة أهلب كثيرة الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك! ما**

أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم، انظروا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سمت لنا رجلًا فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعًا، حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقًا، وأشده وثاقًا، مجموعةٌ يده إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويل! ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهرًا، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر، لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك! ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعًا، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة، قال: فأخبروني عن نخل بيسان، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا: نعم، قال: أما إنه يوشك ألا يثمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية؟ قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: ما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر؟ قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل العين فيها ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قلنا: قد خرج من مكة، ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطاعوه، قال لهم: كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطها في أربعين ليلة، إلا مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحد منهما، استقبلني ملك بيده السيف صلتًا، يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطعن بمخصرته في المنبر: «**هذه طيبة، هذه طيبة**» يعني المدينة، «**ألا هل حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق**»[1] وأومأ بيده إلى المشرق، قالت: فحفظت هذا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أقول:

هذا الحديث ورد في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ، وصحيح مسلم أصح كتاب في الحديث بعد البخاري، والدجّال لغة: هو الكذاب، ودجاجلة هذا العصر الحديث كثيرون جدًّا، فالصحيفة الكاذبة دجّال، والمجلة الفاجرة دجال، والإذاعة المرئية والمسموعة إذا استعملت في معصية الله فهي دجال.

١٠١٧ الرويبضة

أخبرنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المقاييس التي يقوم بها الدجال تختل قبل قيام الساعة، فيقول الكذبة ويصدق، ويرد الصادق خبره، ويؤتمن الخونة على الأموال والأعراض، ويخوّن الأمناء ويتهمون، ويتكلم التافهون من الرجال في القضايا التي تهم عامة الناس، فلا يقدمون إلا الآراء الفجّة، ولا يهدون إلا للأمور المعوجة، فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة**» قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافه، يتكلم في أمور العامة**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٢٦١-٢٢٦٣ رقم٢٩٤٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/١٣٣٩ رقم٤٠٣٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٥٠٨ رقم١٨٨٧).

أقول:

مــا أكــثر رويبضات هذا العصر! وهــو الرجل الجاهل في الأحــكام الفقهية والإسلامية بوجه عام، ومع ذلك يفتي بغير علم، فيُضِل ويَضِل، ومع الأسف أن كل علم له أهله لا يدخل فيه غير المتخصص، مثل الطبيب لا يسمح له بمزاولة العمل دون شهــادة، والهندسة كذلك، وفي جميــع التخصصات، إلا الفقه الإسلامي فهو مفتوح لمن هبّ ودّب، وخاصة في خارج هذه البلاد المقدسة شرّفها الله.

١٠١٨ كنِ الرجل الثاني

قــال العالم المجاهد سيد قطــب رَحِمَهُ اللَّهُ: أردت أن أكون الرجل الثاني المسلم الملتــزم، وأراد الله أن يمتحننــي: هــل أنا صادق فيما اتجهــت إليه، أم هو مجرد خاطرة؟

كان ابتــلاء الله له، بعد دقائق من اختيــاره، طريق الإسلام، إذ ما إن دخل غرفتــه حتى كان الباب يقرع، وفتحــت، فإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة فارعة الطول شبه عارية يبدو من مفاتن جسمها كل ما يغري، وبدأتني بالإنجليزية: هل يسمح لي سيــدي بأن أكون ضيفة عليه هذه الليلة؟ فاعتــذرت؛ لأن الغرفة معدة لسرير واحــد، وكذا السريــر لشخص واحــد! فقالت: وكثــيرًا ما يتســع السرير الواحد لشخصين!! واضطررت أمام وقاحتها، ومحاولة الدخول عنوة إلى أن أدفع الباب في وجهها لتصبــح خارج الغرفة، وسمعت صوت ارتطامهــا بالأرض الخشبية في الممر، فقد كانت مخمورة.

بعــد نجاحــه في الابتلاء الأول قــال: الحمد لله هــذا أول ابتــلاء، وشعرت باعتــزاز ونشــوة، إذ انتصرت على نفسي، وبدأت تســير في الطريق الذي رسمته لهــا. عــن كتاب (أمريكا مــن الداخل بمنظار سيــد قطب) للدكتــور عبد الفتاح الخالدي.

أقول:

لقد نجح الرجل المجاهد، وأعاد لعصره صورة الجيل الأول من رجالات الإسلام من الصحابة والتابعين، بموقفه الشامخ من الحاكم الفاجر، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ولا أخلى البلاد من أمثاله.

١٠١٩ الفنجان بيد الحسناء

اجتمع مرة في منزل إحدى نساء آل معلوف بالبرازيل أربعة شعراء من آل معلوف، هم: فوزي معلوف، وأخوه شفيق، وخالاهما ميشال وشاهين معلوف، وبينما كانت ربة الدار تحتسي القهوة معهم سقط الفنجان من يدها، فأرادت تسجيل هذا الموقف بين أفراد أسرتها الشعراء الأربعة، وجعلت جائزة للمبرز بينهم، فقال شاهين:

ثَمِلَ الفنجانُ لمّا لامسَ ... شفتاه شفَتيها فاسْتعرْ

فتلظتْ من لظاه يدُها ... وهوَ لو يَدْري بما يَجني اعتذَرْ

وضعَتْه عندَ ذا منْ كفِّها ... يتلوَّى قلقًا أنّى استقرْ

وارتمَى من وجدِه مُستعطفًا ... قَدَميها وهوَ يبكي ما انْكسرْ

ثم تلاه أخوه ميشال، فقال:

عاشَ يهواها ولكنْ ... في هَواها يتكتَّمْ

كلّما أدنَتْه منها ... لازمَ الثغر وتمتَمْ

دأبُه التقبيلُ لا ... ينفكُ حتى يتحطمْ

وجاء دور شفيق، فقال:

إن هوى الفنجانُ لا تعجبْ وقد ظفرَ الحزنُ على مبسمِها
كلُّ جزءٍ طارَ من فنجانِها كانَ ذكرى قبلةٍ منْ فمِها

وهؤلاء الثلاثة جعلوا الفنجان يتحطم، وعندما جاء دور فوزي أبقاه سليمًا، فقال:

ما هوى الفنجانُ مختارًا ولو خيَّروه لم يفارقْ شفتَيها
هي ألقتْه وذا حظُّ الذي يَعْتدي يومًا بتقبيلٍ عَليها
لا ولا حطمَه اليأسُ فها هوَ يَبكي شاكيًا منها إليها
والذي أبقاه حيًّا سالمًا أملُ العودة يومًا ليَديها

وهذا الشاعر هو الذي فاز بالجائزة.

أقول:

ما أجمل هذا الشعر! فيه وصف وتشبيب، ولكن بشكل مؤدب لا يجرح الحياء، ولا كرامة المرأة والرجل، وهذا هو الغزل العفيف، وفي الأدب العربي، والأدب الشعبي بالذات الكثير من أمثال ذلك.

١٠٢٠ قذف الله بالحق على الباطل فدمغه

قال الطنطاوي: دخلت أحد مساجد حلب بسوريا، فوجدت شابًّا يصلي، فقلت: سبحان الله! إن هذا الشاب من أكثر الناس فسادًا، يشرب الخمر، ويفعل الزنا، ويأكل الربا، وهو عاقّ لوالديه، وقد طرداه من البيت، فما الذي جاء به إلى المسجد؟ فاقتربت منه، وسألته: أنت فلان؟! قال: نعم، قلت: الحمد لله على هدايتك، أخبرني كيف هداك الله؟ قال: هدايتي كانت على يد شيخ وعظنا في مرقص، فقلت مستغربًا: في مرقص؟! قال: نعم، في مرقص، قلت: كيف ذلك؟ قال: هذه القصة؟ فأخذ يرويها، فقال:

كان في حارتنـا مسجد صغير يؤم الناس شيخ كبير السن، وذات يوم التفت الشيـخ إلى المصلين، وقال لهم: أين الناس؟ ما بال أكثر الناس، وخاصة الشباب لا يقربـون المسجـد، ولا يعرفونه؟ فأجابه المصلون: إنهـم في المراقص والملاهي، قـال الشيخ: وما هـي المراقص والملاهي؟ رد عليه أحـد المصلين: المرقص صالة كبيرة في خشبة مرتفعة تصعد عليها الفتيات العاريات يرقصن، والناس حولهن ينظـرون إليهن، فقـال الشيخ: والذين ينظرون إليهن مـن المسلمين؟ قالوا: نعم، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، هيا بنا إلى تلك المراقص ننصح الناس، قالوا له: يا شيـخ، أين أنت؟ تعظ الناس، وتنصحهم في المرقص؟ قال: نعم، حاولوا أن يثنوه عن عزمه، وأخبروه بأنهم سيُواجَهـون بالسخرية والاستهزاء، وسينالهم الأذى، فقـال: هل نكـون خيرًا من محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وأمسك الشيـخ بيد أحد المصلين ليدلـه على المرقص، وعندما وصلوا إليه سألهم صاحب المرقص: ماذا تريدون؟ قال الشيخ: نريد أن ننصح من في المرقص، تعجب صاحب المرقص، وأخذ يمعن النظـر فيهم، ورفض السماح لهـم، فأخذوا يساومونه ليـأذن لهم حتى دفعوا له مبلغًا من المال يعادل دخله اليومي.

وافـق صاحب المرقص، وطلب منهم أن يحضـروا في الغد عند بدء العرض اليومـي، فقال الشـاب: فلما كان الغد كنـت موجودًا في المرقـص، فبدأ الرقص مـن إحدى الفتيات، ولمـا انتهى أسدل الستـار، ثم فتح، فإذا بشيـخ وقور يجلس علـى كرسـي، فبـدأ بالبسملـة، وحمـد الله، وأثنـى عليـه، وصلـى علـى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم بدأ في وعظ النـاس الذين أخذتهم الدهشة، وتملكهم العجب، وظنـوا أن ما يرونه فقـرة فكاهية، فلما عرفوا أنه شيـخ يعظهم أخذوا يسخرون منه، حتى قام أحد الحضور، وأمرهم بالسكوت حتى يسمعوا ما يقوله الشيخ.

قال الشاب: فبدأ السكوت والهدوء يخيم على أنحاء المرقص، حتى أصبحنا لا نسمـع إلا صـوت الشيخ، فقال كلامًا مـا سمعناه من قبل، تـلا علينا آيات من القرآن الكريم، وأحاديث نبوية شريفة وقصصًا لتوبة بعض الصالحين.

قــال الشاب: فبكى الناس جميعًا، وخرج الشيخ من المرقص، وخرج الجميع وراءه، وكانت توبتهم على يده، حتى صاحب المرقص ندم، وتاب على ما كان منه.

أقول:

هــذا الداعيــة ذهب إلى النـاســ يدعوهم إلــى الهداية والحــق، ولم ينتظر الناس حتــى يأتوا إليه ليسمعوا منه، فواجب الدعاة أن يذهبوا إلى النـاس، وهذه سبيل كل داعية مخلص لله ولرسوله وللمسلمين.

١٠٢١ يا سلام سلّم العالم على كف عفريت!

قــال خبير عسكري غربي كبــير: الحرب النووية في حــال نشوبها ستختلف اختلافًــا جذريًّا عن كل الحروب التي عرفتها البشريــة منذ فجر تاريخها؛ لأنها ستكون سريعة وخاطفة ومدمرة بشكل مرعب، ولن تدوم سوى ساعات محدودة، ومــا يقــرّب إلــى أذهاننا مقدار الدمــار النووي الــذي أحدثته قنبلــة هيروشيما النووية! فقد تجاوز عدد ضحايا اللحظة الأولى لهذه القنبلة ٨٥ ألف نسمة، ووصل عــدد الجرحــى من أثرها ١٧٥ ألــف شخص مات معظمهم فيمــا بعد، وما علينا إلا أن نقــارن القوة التدميريــة لقنبلة هيروشيما النووية التــي تبلغ ٢٠ كيلو طنًّا، بالقــوة التدميريــة لصاروخ (إم إكس) الحامل لعشــرة رؤوس نووية قوتها ٧٠٠٠ كيلــو طن، مــع العلم أن هذا الصــاروخ يبلغ مداه ٨٠٠٠ كيلو مــتر، لندرك حجم الكارثــة لإطلاق صاروخ واحد من هــذه الصواريخ العابرة للقارات، فكيف لنا أن نتصور ما يحدثه انفجار رؤوس نووية بعدد كبير من هذه الصواريخ؟ وإذا عرفنا أن مخــزون الأسلحة النووية في العالم يحتوي على أكثر من ١٥٠٠ رأس نووي، وأن هــذا العدد في ازديــاد مستمر، وأن ٢٦٠٠ مليــار دولار ينفقها العــالم سنويًّا على التسلــح، وأن الإنتــاج اليومي مــن القنابل الذرية يتجاوز خمســ قنابل في مختلف أنحــاء العالم، فإنه ليس من الغريب أن نسمــع علماء معروفين بدقتهم في التعبير

وعدم إلقاء الكلام جزافًا يتحدثون عن احتمال كبير لفناء البشرية كلها من جراء مواجهة نووية، ومن ثمَّ لن يكون هناك منتصر ومهزوم في هذه المواجهة، بل حتى الذين ليس لهم ناقة أو جمل فيها سيطولهم شرها ودمارها، ويقول هؤلاء العلماء: إن كل الدلائل المستقرأة من التفجيرات النووية تشير إلى أن أي حرب نووية لن تبقي أي أثر للحياة البشرية والحيوانية والنباتية على سطح الكرة الأرضية.

تنافس القوى العظمى على تطور الصواريخ العابرة للقارات والطائرات العملاقة والسريعة، وبذلك فإن اللحظات الأولى لأي مواجهة نووية هي لحظات مصيرية بالنسبة إليها، ولكن كيف يكون الحديث على مصير هذه القوى، ومصير البشرية قاطبة على كف عفريت؟ لا شك أن الدول الكبرى ستكون في مقدمة الضحايا لأي حرب نووية؛ لأنها ستتلقى الضربات الأولى، ولكن من لم يمت خارج هذه الدول من أثر الضربة الأولى، سيقضي نحبه في لحظات من جراء الإصابة بأمراض خبيثة متأتية من الانفجارات النووية، وبسبب القضاء على الحياة النباتية والحيوانية، يقول مسؤولون في الأمم المتحدة: «إن أي حرب نووية شاملة سوف تقضي في لحظات على مئات الملايين من الناس والحيوانات، ويذهب بعض الخبراء إلى القول: إن ملياري نسمة ستقضي عليهم الضربات النووية الأولى» ويقول خبراء إستراتيجيون: إن صاروخًا واحدًا من طراز (إم إكس) ذي العشرة رؤوس نووية كافٍ للقضاء الشامل على مدينة تضم عشرين مليون نسمة، ويقولون: إن قنبلة نووية بقوة ميغا طن، إذا ألقيت فوق باريس، فإن وهج ضوئها يبدو بشكل واضح في مدينة مرسيليا الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، وإن درجة الحرارة في مركز انفجار هذه القنبلة يصل إلى عشرة ملايين درجة، وعندئذ يتحول كل شيء إلى بخار في دائرة شعاعها خمسة كيلومترات، ويُسبّب هذا الانفجار تلوثًا قاتلًا، إذ تحمل الرياح القوية كميات كبيرة من الملوثات التي تظل تتساقط على مدى أيام وعلى بعد مئات الكيلومترات لتصيب الإنسان والحيوان والنبات بأمراض قاتلة.

وفي ديسمبر عـام ١٩٨٣م أعلن أول تقرير عالمي رسمـي عن نظرية الشتاء النووي قدمه لفيف من العلماء الروس والأمريكان بعد بحوث دامت ثلاث سنوات، وقـد تعززت هذه النظرية اليوم بكثير مـن البحوث العلمية الأخرى، ما جعلها في حكـم المؤكدة، وآخر ما جدد تعزيز هـذه النظرية، دراسة للأمم المتحدة قام بها خبراء مـن دول العالم، حذرت من الآثار المناخية والفيزيائية المحتملة لأي حرب نوويـة، وهو مـا اصطلح على تسميته بالشتاء النووي، ومـن يقول: (شتاء) يقول: نـزول درجة الحرارة، فالعلماء والخـبراء في شؤون الذرة يؤكدون أنه سيعقب أي حـرب نووية انخفاض في درجة الحرارة عند خـط الاستواء إلى ما دون التجمد، وهـذا يعني أن الصقيـع سيلف الأرض كلهـا، وهكذا ينعدم أثر الحيـاة النباتية والحيوانية والبشرية، ويرافقه الفترة الجليدية التي ستدوم بحسب افتراضاتهم نحـو سنة، ونقص كبير في الأمطـار، ونزول أمطار حمضية وزيـادة الأشعة فوق البنفسجية وتآكل طبقة الأوزون، ما سيحدث خللًا كبيرًا في توازن البيئة والمناخ، ولا يمكـن أن تستمـر الحيـاة الطبيعيـة للإنسان، ويفسـر خبراء الـذرة الشتاء النووي بأن الحرائق الكبرى الناتجة عن الانفجارات النووية ستنبعث منها سحب ضخمـة من الدخان الأسود، تحتوي جزيئات من المـواد المشعة السامة، وأن هذه السحـب الضخمة، ستمتص الضوء، وتحجـب الشمس، فتغرق الكرة الأرضية في ظـلام، وبانقطاع ضـوء الشمس عن الأرض تحدث تبـدلات جيولوجية ومناخية، ومهمـا كانت بحوث هـؤلاء الخبراء والعلماء دقيقة، فإنهـا لا تعبر عن حقيقة ما سيحـدث نتيجـة أي حرب نوويـة؛ لأن التصـور والخيال يبقيـان دون الواقع؛ ولا سيمـا إذا عرفنـا أن تفجير ١٠٪ فقط من مخـزون القنابل الذرية كافٍ لإحداث الشتاء النووي.

إن خطـر الأسلحـة النووية هو حقًّا لعنـة هذا العصر، وهـو هاجس الجيل الحـالي؛ لأن الإنسـان صار أسير ما صنع مـن أدوات الدمـار، وأحاط بهواجس الرعـب والدمار التي لا يمكـن أن تفارقه ما دام يجلس على مخزون ذري رهيب،

إذا تحدثنـا بإعجاب عن التقـدم العلمي وعن الحضـارة الإنسانية فلا يجب أن ننسـى الجانب القاتم من هـذه الحضارة، فبموازاة الـذكاء الإنساني، والبراعة الإنسانيـة، والسمو الإنساني، هناك الجنون الإنسـاني والحمق الإنساني، فكيف تقبـل هذه الإنسانيـة أن تستنزف الطاقات البشرية والمـوارد المادية على التسلح وتكديـس وسائل الدمار الشامـل في حين يعاني مئات الملايين مـن البشر الفاقة والعوز والمرض والجهل؟ لقد قال أحد رواد الفضاء الذين كانوا في مركبة أبولو في أثناء رحلتهـم التاريخية إلى القمر عام ١٩٦٩م: «إن الكون على اتساعه الرهيب لا يوجـد فيـه مكان صغير يمكن أن يلجـأ إليه الإنسان، ويعيشـ فيه سوى كوكبنا الصغير، ومن الجنون أننا نسعى لتدميره».

لا بد أن يعي سكان العالم، ولا سيما سكان الدول النووية أنهم معنيون مباشرة بالحـرب النوويـة، لكن مـا يؤسف له حقًّا، ومـا يبعث على الخـوف، أن مليارات البشـر لا يدركون خطورة ما يقوم به أباطرة الصناعات العسكرية الذرية الذين يجنون الفوائد المادية بأنانية مفرطة وحمق، وفي الوقت نفسه إن الأسلحة الذرية الفتاكة هي اليوم أخطر وأبشع إفرازات الحضارة البشرية العلمية والتكنولوجية، ويخشـى أن يكـون في هذه الإفرازات نقض هذه الحضـارة نفسها، ولكن الأخطر مـن هذا كله استسلام مليارات البشر وعـدم تحريك ساكن لوقف هذا الجنون، وكأن هـذه المليارات غير قادرة على تغيـير مجريات الأحداث أو التأثير فيها، مع أنها ستكون وقود هذه الحرب في صورة اندلاعها.

والسـؤال الذي لا بـد أن نطرحه هو: هل يكفي أن نعلـق الأمل على اتفاقات نزع السلاح؟ طبعًا هذه الاتفاقات تمثل نجاحًا نسبيًّا على طريق السلام العالمي، ولكـن هاجس الحرب الذرية المفاجـئ يظل قائمًا ما دام الوضـع العالمي مهتزًّا، والأنانية مسيطـرة، والعدالة الاجتماعية لجميع سكان الأرض مفقودة، فالتعاون الدولي اسم بلا مسمى، والعنصرية سائدة، فكيف نطمئن وأمم العالم غارقة في هذه التناقضات؟ انتهى قول الخبراء العسكريين.

أقول:

يـا سـلام، سلّـم مـا أردت بنقـل هـذا الحديـث تكديـر الخواطـر، ولكن عندمـا قرأتـه سجلته لأعلـق عليه بما يسر إن شـاء الله، وهو أنـه فيما حفظناه مـن كتـاب الله وحديث رسوله إشـارات أن البشرية لن تهلـك بساعات أو دقائق كمـا هو قولهم عندما يحـدث التفجير النووي الرهيب، ونهايـة العالم سيسبقها أحـداث جسام، مثل: خروج يأجـوج ومأجوج، وخروج الدابة، وهذا بنص قرآني، وبقيـة الأحداث العظـام: طلـوع الشمس من المغـرب، والدجال، والنـار، ونزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ذكرت وتواترت في السنة النبوية الشريفة.

مَنـح الله للناسـ هذا العلم البشري في تفجير الـذرة، وهل سيكون هذا العلم سببًـا لهلاكهم؟ الله أعلـم.. أو يفتح الله للناس من رحمته علمًا يضاد هذه العلوم، وينهـي شرهـا ووبالها، أو يهلـك النـاس ويأتـي بآخرين، وإن كانـوا يقولون: ما بعد الشتاء النووي حياة، ونحن نقول: هذا أمره إلى الله، نسأله أن يلطف بعباده، ويحفظ الإسلام والمسلمين، ويجنب الإنسانية هذه الأهوال وهو قيوم السماوات والأرض.

١٠٢٢ الخوارج وبطل القادسية

روى ابـن مردويه أن رجلًا من الخوارج نظر إلى سعد بن أبي وقاص، وقال: هـذا مـن أئمة الكفر، فقال له سعد: كذبت أنا قاتلت أئمة الكفر، وإذا آخر يقول: هـذا مـن الأخسرين أعمـالًا، قال له سعـد: كذبـت، أولئك الذين كفـروا بآيات ربهم ولقائه.

أقول:

صدقـت يا صاحب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذبـوا، وصدقت يا خال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذبـوا، وصدقـت يا من رمى بأول سهم في سبيل الله، وكذبوا.

وصدقت يا بطل القادسية، وكذبوا، وأشهد أنهم آذوك، وآذوا أقرانك من الصحابة، ومن آذاكم آذى الله ورسوله والمؤمنين، والغريب أن هذه العينات لم تنقطع منذ ذلك العصر وإلى يوم الناس هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله أن يردهم إلى الحق، وإن كان في سابق علمه ضلالهم أن يجعلهم تحت الأقدام أبدًا.

١٠٢٣ ما أحسن ذا إذا تم ذا!

قال العالم الفاضل الفضيل بن عياض للعالم الفاضل عبدالله بن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام كيف ذا؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي، إنما أفعل ذا لأصون به وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، ولا أرى لله حقًّا إلا سارعت إليه حتى أقوم به، فقال له الفضيل: ما أحسن ذا إذا تم ذا!

وأقول:

هذان العالمان طبقت شهرتهما الآفاق، وهما من أفقه خلق الله في دين الإسلام، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعمرو بن العاص في الصحيح: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[1]، فهذا القول النبوي الكريم أبلغ من قول الفضيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومصيبة المسلمين اليوم في بعض الدراويش المتبطلين، وهم يحسبون الزهد والعبادة بترك العمل لدنياهم.

١٠٢٤ فلسطين والجيران

قال الشيخ عبدالحميد السائح رئيس المجلس الفلسطيني لمجلة (المجتمع) يوم ١٤١٠/٩/٨هـ:

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٤٦/٢ رقم١١٩٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٥٥/٢ رقم٣٧٥٦).

دعنـي أذكر لك هذه الحادثة: كارتر الرئيـس الأمريكي الأسبق حينما كان في الحكـم، وكانوا يراجعونه في دولة فلسطينية كان يقـول: أنا قابلت بعض القادة، ولم يقـل لي أحـد أن أعطـي الفلسطينيين دولة، فلمـا خرج من الحكم جـاء إلى عمان، واجتمع ببعض الشخصيات، وأنا لست منهم، وإنما حكى لي ذلك بعض الشخصيات الفلسطينيـة، قال لهم هذا، وقال لهم أكثر من هذا قال لهم: أنا أقول لكم: إن بعض القادة العرب والدول العربية طلبوا مني صراحة ألا أوافق على دولة فلسطينية، ماذا يعني هذا؟ يعني هذا أن بعض الدول العربية يشعرون بأن بقاءهم ونظامهم مضمون في ظل حكومة إسرائيل أكثر من وجود دولة فلسطينية أليس كذلك؟! هذا تحليله.

١٠٢٥ صفيح لا صواريخ

قـال الفريق حسـن التهامي في (الشـرق الأوسط) يـوم ١٤١٠/١٠/٢٠هـ: وقـف عبدالناصـر يخطب في الجماهير في ذكـرى ثورة ٢٣ يوليـو، ويعلن قائلًا: «إننـا نجحنا في مصـر في تصنيع كل ما نريده من الإبرة إلـى الصاروخ»، وهذه المقولـة مشهـورة ومعروفة لـدى الجميـع، وكان يقصد بذلك طمأنـة المصريين إزاء إسرائيـل إذا حاولـت تهديد مصر، وظهر في العرض سيارات كبيرة تحمل صواريـخ، ولعل المصريين من كبار السن يتذكرون أن هذه السيارات كانت تحمل نوعين من الصواريخ: الظاهر، والقاهر. وكلاهما كان بإمكانه الوصول إلى عمق إسرائيـل، وقد اتضح فيما بعد أن هذه الصواريـخ، التي كانت تحملها السيارات كانـت مـن الصفيح المدهون بالطلاء الملون، ولم تكـن صواريخ حقيقية، ولم يكن لمصـر في ذلك الوقـت صاروخ يصـل مداه إلى خمسـة كيلو مـترات، إنما كانت المسألة كلها عملية إعلامية ودعائية زائفة، وبعد اكتشاف تلك الخدعة بعام، ثار الرأي العام على مستوى عالٍ من المسؤولين في الدولة؛ ما أدى إلى ضرورة تصفية مجموعة الخبراء الألمان، وكل ما فعله هؤلاء الخبراء لا يخرج عن إطار البحوث، واستنفدوا ميزانيات ضخمة، ولم يصلوا إلى نتائج محددة ومفيدة (انتهى).

أقول:

الفريــق التهامــي متهم بالكــذب، إلا في هــذا الموضوع ربما يكــون صادقًا، وأمــره عجيب، وكان أحد ضباط الثورة المصريــين، وكان محل ثقة عبدالناصر، والســادات، وعمل أمينًا عامًّا للمؤتمر الإسلامي، ثــم تبين فيما بعد أنه هو الذي رتب لزيارة السادات المشؤومة إلى القدس، التي كان يجتمع فيها التهامي وديّان، يجتمعــان في المغرب سرًّا، ومن كذبــه أنه ادعى في إحدى مقابلاته الصحفية أنه قال لديّــان وزير العدو الصهيــوني: سأفقأ عينك الأخرى. ونســوق هذه النادرة للتفكــه والتنــدر على ما وصلت إليــه أوضاعنا نحن العــرب، ونحمد الله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

١٠٢٦ الدريهمات إلى أين؟!

قــال الدكتور عبدالله الناصر الفوزان في اليمامة يوم ١٤/١٠/١٤١٠هـ: من المؤكــد أن تعليمات (مؤسســة النقد العربي السعودي) تجيــز للبنوك والشركات المصرفيــة المحلية ترحيل كامل موجوداتها خارج المملكة، ولو لم يكن الأمر كذلك لمــا سمحت المؤسسة لـ (شركة الراجحي) بإخراج (١٣,٨٤٦,١١٧,٠٠٠) مليار عشــر ألــف مليون ريــال وثمانمئة وستــة وأربعين مليــون، وهو ما يمثــل ٨٣٪ من موجوداتها البالغة ١٦,٧٠٠ ستة عشر مليونًا وسبع مئة ألف تقريبًا.

صحيح أن ما سلكته (شركة الراجحي) ليس أمرًا جديدًا، وأن جميع بنوكنا المحلية ترحل بعض موجوداتها من النقود للخارج لاستثمارها هناك، وصحيح أن الشركــة ليست هي الجهة الوحيدة التي تغطي مصروفاتها من الداخل بأرباحها مــن الخارج، وأن جميع البنوك المحلية تفعل هــذا، ولكن من جهة أولى، فإن تلك البنــوك لا ترحــل موجوداتهــا بكثافــة كبيرة، كما تفعــل (شركــة الراجحي)، فـ (البنــك العربي) لم يرحــل للخارج في العام الماضــي إلا ٧,٨٧٨,٠٠٠ مليار من الموجودات البالغة ١٥,٢٣٧,٠٠٠ مليار ريال.

و(السعـودي الأمريكـي) رحّـل ١٢,٣٤٧,٧٦١,٠٠٠ مليار مـن موجوداته البالغـة ٢٦,٥٤٤,٧٨٣,٠٠٠ مليـار، و(البنـك السعـودي الفرنسـي) رحّـل ٩ مليـارات تقريبًـا مـن موجوداته البالغـة ١٨ مليـارًا تقريبًا، و(البنـك السعودي الهولنـدي) رحّل ٥ مليـارات ريال من موجوداته البالغـة ١٠ مليارات تقريبًا؛ أي النسبة التقريبية للمبالغ التي ترحلها البنوك من كامل موجوداتها في حدود ٥٠٪ وليس ٨٣٪ كما فعلـت الشركة، ومن جهة أخرى فإن المبادئ والمنطلقات الكريمة التي قامت عليها (شركة الراجحي) تجعلنا نتشره عليها أكثر من غيرها، وتجعل نظرتنا لها أكثر فاعلية من نظرنا لغيرها. انتـهى.

أقول:

عسـى ألا يكون مؤكـدًا أن نظام (مؤسسة النقد) يجيـز هذا الترحيل كله، هذا ما نقوله لخبراء الاقتصاد بوزارة الاقتصاد، ولو كانوا أعلم بمثل هذه الأمور منـا، وأمـا ما نقولـه للكاتب فجزاك الله خـيرًا وأكثر من أمثالـك، فالمواطن في حاجة إلـى من يتلمس مواجعه وأحاسيسه، ويـداوي علله، ومثل هذه الموضوعات يجب أن تأخذ نسبة ٢٠٪ على الأقل من الموضوعات المشغولة في الصحف بأخبار الفـن والرياضة، وقـال اللاعب فلان، وقـال المغني علان، وقـال الشاعر فلان، والمتشاعـر فـلان، وقال نزار قباني، وقال أدونيس، وأمـا قولنا لتجارنا جميعًا في هذه الشركة، ولا سيما أن أصحابها من أهل الخير، وغيرها، ف: اتقوا الله، اتقوا الله، اتقـوا الله، ولا تقولوا ما لا تفعلـون، أديروا أموال المسلمين في بلاد المسلمين الفقيرة في الزراعة والصناعة، واكتفوا بربح ١٠٪ سنويًّا حلال بدل ٩٠٪ أو ٥٠٪ مشبـوه، ولا يعجبكم كثرة الخبيث، فمصيره إلـى النار والعار، وفي الماضي عبرة لمن اعتبر، والغريب يا (مؤسسة النقد)، أنني يوم الأحد ١٤٣٥/١٠/٢١هـ طلبت كشف حساب من (شركة الراجحي) ولم يسلموني الكشف إلا بعد شرطهم حسم ٢٥ ريـالًا، علمًـا أنني من يضع عندهم مئـات الآلاف، وقطعًا هم ونحن لا نرابي، فلمـاذا لا يقدمـون هذه الخدمة الواجبة واللازمة التي لا تتم إلا بأجر؟ إني والله مشفق على هذه الشركة من هذا البخل المعيب!

١٠٢٧ هل الوحوش والبهائم تدفن نفسها؟!

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب (مفتاح دار السعادة): تأمل حكمة عجيبة، جعلت البهائم والوحوش والسباع والدواب على كثرتها لا يُرى منها شيء، وليست شيئًا قليلًا، فتخفى لقلتها، بل قد قيل: إنها أكثر من الناس، واعتبر ذلك بما تراه من الصحاري من أسراب الظباء والبقر والوعول والذئاب والنمور، وضروب الهوام على اختلافها، وسائر دواب الأرض، وأنواع الطيور التي هي أضعاف أضعاف بني آدم، لا تكاد ترى منها شيئًا ميتًا لا في كناسة، ولا في أوكاره ولا في مساقطه ولا في مراعيه بطرقه وموارده ومناهله ومعاقله ومعاصمه إلا ما عدا عليه عادٍ، إما افترسه سبع، أو رماه صائد، أو عدا عليه عادٍ أشغله، وأشغل بني جنسه عن إحراز جسمه وإخفاء جيفته، فدل ذلك على أنها إذا أحست بالموت، ولم تغلب على أنفسها، كمنت حيث لا يوصل إلى أجسامها، وقبرت جيفها قبل نزول البين بها، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري بجيفها، وأفسدت الهواء بروائحها، فعاد ضرر ذلك بالناس، وكان سبيلًا إلى وقوع الوباء، وقد دل على هذا قول الله تبارك وتعالى في قصة ابني آدم: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٣١].

أقول:

نعم، إن هذا من أعجب العجب، ولله في خلقه شؤون.

١٠٢٨ حتى النمل يعاقب على الكذب

أخبر بعض العارفين أنه شاهد من النمل يومًا عجبًا، قال: رأيت نملة جاءت إلى شقّ جرادة (جزْء من جرادة ميتة) فزاولته (حاولت رفعه) فلم تُطق حمله

من الأرض، فذهبت غير بعيد، ثم جاءت معها بجماعة من النمل... قال: فرفعتُ ذلك الشق من الأرض (أخفاه عن النمل)، فلما وصلت النملة برفقتها النمل إلى مكانه دارت حوله، ودُرن معها فلم يجدن شيئًا، فرجعن، فوضعتُه (أعاده مرة أخرى)، ثم جاءت فصادفته فلم تطق رفعه، فذهبت غير بعيد، ثم جاءت بهن.... فَرَفَعْتُهُ (أخفاه للمرة الثانية) فدرن حول مكانه فلم يجدن شيئًا، فذهبن..... فوضعتُه (أعاده للمرة الثانية) فعادت فجاءت بهن فَرَفَعْتُهُ (أخفاه للمرة الثالثة)، فدُرْن حول المكان فلمّا لم يجدْنَ شيئًا تحلّقْنَ حلقةً، وجعلْنَ تلك النملة في وسطها، ثم تحاملن عليها فقطّعْنَها عضوًا عضوًا...[1] إنها نهاية نملة كذّابة... سبحان الله الخالق!

أقول:

هذا لا يستبعد وقوعه؛ لثبوت كلام النمل في القرآن، وثبوت أنه من الأمم في الحديث الشريف.

١٠٢٩ اللغة العربية

سأل محرر جريدة (المسلمون) الدكتور غازي القصيبي:

هل أنتم راضون عن وضع اللغة العربية، وأن هناك شكوى مستمرة من قواعد اللغة العربية، وهناك ضعف شامل في هذا المجال؟ فأجاب الدكتور: عندما أقرأ كتابًا مثل فقه اللغة للثعالبي، وأرى عشرات المصطلحات الدقيقة في كل موضوع تحدث عنه أسلافنا، وأرى فقر لغتنا اليوم أكاد أشرق بالدموع، عندما قرر الصهاينة اليوم إنشاء دولة لهم كانت اللغة العبرية لغة ميتة بعثوها بعثًا من المناجم، واستخدموا مفرداتها، حتى أصبحت لغة حية، أما نحن فقد ورثنا أكثر اللغات حياة، فبذلنا أعظم الجهد لقتلها، هل من المعقول أن يتخرج طالب في

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية (١/٢٤٣).

الجامعة دون أن يفتح المعجم مرة واحدة في حياته؟! أنا أعرف أناسًا حصلوا على درجة الدكتوراه في الأدب دون أن يكون في بيوتهم معجم واحد، والخطوة الأولى إذن هي أن نضع في يد كل طالب قاموسًا يبدأ صغيرًا مع المرحلة الابتدائية، ويتدرج مع تقدم الطالب، وأن تخصص ضمن مواد اللغة العربية مادة المعجم، ليكتشف كل طالب غنى لغته المذهل، الخطوة الثانية: هي تغيير طريقة تدريس القواعد، ولا أقول القواعد نفسها، نحن ندرس المهم مع غير المهم، فتختلط الأمور، ويختلط الحابل بالنابل، ولقد وجدت من تجربتي الخاصة أن بوسع المرء أن يكتب بلغة صحيحة وسليمة إذا أتقن عددًا محدودًا من قواعد اللغة العربية، الفاعل، والمفعول به، والمبتدأ والخبر، وإن وكان وأخواتهما، والجار والمجرور. هذه القواعد! تكفي لأن أكتب كتابة صحيحة بنسبة ٩٠٪ فماذا نفعل الآن في تدريس القواعد؟ ندرس المفعول معه، والمفعول من أجله، وحتى التي مات جدنا اللغوي العظيم وفي نفسه شيء منها، فيضيع الطالب بين الأساسيات والفروع، لو كنت المسؤول عن تدريس القواعد لاكتفيت بهذه الأسس التي أشرت إليها، وخصصت سنة كاملة للمبتدأ والخبر، ولا شيء غيرهما، وسنة أخرى للجار والمجرور، وسنة ثالثة للفاعل والمفعول، وهكذا أفعل هذا، وأضمن لك أنك لن تجد كما تجد اليوم بين خريجي الجامعات من يقول لك: «انقسم الناس إلى فئتان» أو «جاء الرجال المسلمين»، حبذا لو جربت مدرسة واحدة، واحدة فقط هذه التجربة، يقيني أنها ستجد النتائج الرائعة، هذا لا يعني بطبيعة الحال إهمال بقية القواعد، كل ما يعنيه هو تحويل دراستها من فرض عين واجبة على الجميع، إلى فرض كفاية للمتخصص في اللغة العربية.

أقول:

القصيبي كان مسؤولًا وإداريًّا ناجحًا ولا شك، وضعف الطلبة ليس في اللغة وحدها، بل في علوم كثيرة، وبعضهم- أي حاملي الشهادة الجامعية- لا يستطيع إعداد خطاب (يعني المعروض) يكتبه له من يفترش الرصيف ليكتب للعجائز.

١٠٣٠ العطسة زلزلة للجسم

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (زاد المعاد):

ولما كان العاطس قد حصلت له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواء عسرة، شرع له حمد الله على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على التئامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة الأرض لها، ولهذا يقال: سمّت، وشمّت بالسين والشين، فقيل: هما بمعنى واحد، قاله أبوعبيدة وغيره قال: وكل داعٍ بخير فهو مشمّت ومسمّت، وقيل: بالمهملة دعاء له بحسن السمت وبعودة إلى حالته من السكون والدعة، فإن العطاس يحدث في الأعضاء حركة وانزعاجًا، وبالمعجمة: دعاء له بأن يصرف الله عنه ما يُشمت به أعداءه، فشمّته: إذا أزال عنه الشماتة كقَرَد البعير: إذا أزال قراده عنه، وقيل: هو دعاء له بثباته على قوائمه في طاعة الله مأخوذ من الشوامت، وهي القوائم[1].

أقول:

ما أعظم دين الإسلام وما أشمله! حتى العطاس علمنا حكمه والقول فيه، حيث لم يترك محمد بن عبدالله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طائرًا يطير بجناحيه إلا أعطانا منه علمًا، كما روي عن حبر الأمة ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وتقول العامة: «من عطس ما فطس».

١٠٣١ الخليفة وزوجته

لقد وقع بين المنصور وزوجه الحرّة شقاق بسبب ميله عنها، وطلبت العدل منه، فقال لها: بمن ترضين في الحكومة بيني وبينك؟ قالت: بأبي حنيفة، فرضي

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (٢/٤٣٨-٤٣٩).

هـو به أيضًا، أحضره وقال لـه: يا أبا حنيفة، الحرة تخاصمني، فأنصفني منها، قال أبوحنيفة: ليتكلم أمير المؤمنين، قال: يا أبا حنيفة، كم يحل للرجل أن يتزوج مـن الناسـ، فيجمع بينهن؟ قـال: أربع. قال: وكـم يحل له من الإمـاء؟ قال: ما شـاء ليسـ لهن من عدد، قـال: هل يجوز لأحـد أن يقول خلاف ذلـك؟ قال: لا. فقال أبوجعفر: قد سمعت، فقال أبوحنيفة: قد أحل الله هذا لأهل العدل، فإن لم يعـدل أو خاف ألا يعدل فينبغـي ألا يجاوز الواحدة، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء:٣] فينبغي لنا أن نتأدب بـأدب الله، ونتعظ بمواعظه، فسكت أبوجعفر، وطال سكوته، فقام أبوحنيفة وخرج، فلما بلغ منزله أرسلت إليه خادمًا ومعـه مال وثياب وجارية وحمار مصـري، فردّها، وقال للخادم: أقرئها سلامي، وقـل لها: إنما ناضلـت عن ديني، وقمت ذلك المقـام لله، لم أرد بذلك تقربًا إلى أحد، ولا التمست به دنيا.

أقول:

بعضـ الرجال تكفيه واحدة، وعساه يتحملهـا، وبعضهم لا بد له من التعدد لعدله وقوة شخصيته ومقدرته الجسمية والمالية، وفي الصحابة الكرام له قدوة.

١٠٣٢ إياك وشتم الصحابة

محمـد الباقر من أئمة الشيعـة الإمامية، اتفق على إمامتـه الإثنا عشرية، والإسماعيليـة، وهما أشهر فـرق الإمامية، وقد لقب بالباقر لأنه بقر بالعلم، وقد كان – مع أنه من آل البيت- لا يذكر الخلفاء الثلاثة بسوء، يروى أنه ذكر بحضرته أبوبكـر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مـن بعض أهل العراق بسوء، فغضب، وقال مؤنبًا: أنتم من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم؟ قالوا: لا، قال: أنتم من الذيـن تبوّؤُوا الدار والإيمـان؟ قالوا: لا، قال: ولستم من الذين جاؤوا من بعدهم

يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] قوموا عني لا قرب الله داركم تقرّون بالإسلام، ولستم من أهله!

أقول:

لعل شيعة هذا العصر الذين يطلبون الحق أن يقرؤوا مثل هذا الحق، فيكفّون عن سب الأخيار من السلف والخلف.

١٠٣٣ أقسام العلم

قال الفقهاء: العلم طبقات: الأولى، الكتاب والسنة، والثانية، الإجماع فيما ليس كتابًا ولا سنة، والثالثة، أن يقول الصحابي فلا يعلم له مخالف، والرابعة، اختلاف الصحابة، والخامسة، القياس.

١٠٣٤ هذا هو الدهاء

كان المهلب بن أبي صفرة الذي كان في العصر الأموي ترسًا للجماعة الإسلامية يقيها مِمَّن، يتخذ الخلاف بينهم ذريعة لتفريقهم، وخضد شوكتهم والفلّ من حدتهم، وإذا لم يجدهم مختلفين دفع إليهم من يثير الاختلاف بينهم، يحكي ابن أبي الحديد أن حدادًا من الأزارقة كان يصنع نصالًا مسمومة، فيرمي بها أصحاب المهلب، فرفع ذلك إلى المهلب، فقال: أنا أكفيكموه إن شاء الله، فوجه رجلًا من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطري بن الفجاءة قائد الخوارج، فقال له: ألقِ هذا الكتاب في العسكر والدراهم، واحذر على نفسك، فمضى الرجل، وكان في الكتاب: أما بعد، فإن نصالك قد وصلت إلي، وقد وجهت إليك بألف درهم، فاقبضها، وزدنا من النصال، فرفع الكتاب إلى قطري، فدعا الحداد، فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: لا أدري، قال: وهذه الدراهم؟ قال: لا أعلم

بها، فأمر به فقتل، فجاء عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة، فقال: قتلت رجلًا على غير ثقة وتبيُّن! قال قطري: إن قتل رجل في صلاح الناس غير منكر، وللإمام أن يحكم بما يراه صالحًا، وليس للرعية أن تعترض عليه، فتنكر له عبد ربه في جماعة معه، ولم يفارقوه، وبلغ ذلك المهلب، فدسّ إليهم رجلًا نصرانيًّا جعل له جعلًا يرغب في مثله، وقال: إذا رأيت قطريًّا فاسجد له، فإذا نهاك، فقل: إنما سجدت لك، ففعل ذلك النصراني، فقال قطري: إنما السجود لله تعالى، فقال ما سجدت إلا لك، فقال رجل من الخوارج: إنه عبدك من دون الله، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨]. فقال قطري: إن النصارى قد عبدوا عيسى ابن مريم، فما ضر عيسى ذلك شيئًا، فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله، فأنكر قطري ذلك عليه، وأنكر قوم من الخوارج إنكاره، وبلغ المهلب ذلك، فوجه إليهم رجلًا يسألهم، فأتاهم الرجل، فقال: أرأيتم رجلين مهاجرين إليكم، فمات أحدهما في الطريق، وبلغ الآخر إليكم، فامتحنتموه، فلم يجز المحنة، ما تقولون فيهما؟ فقال بعضهم: أما الميت فمن أهل الجنة، وأما الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيز المحنة، وقال قوم آخرون: هما كافران، فكثر الخلاف واشتد، وخرج قطري بن الفجاءة إلى حدود إصطخر، فأقام شهرًا القوم ما زالوا في خلافهم!

١٠٣٥ الجنس اللطيف والحرب

قال الفريق يوسف عفيفي في مذكراته وهو أحد أبطال حرب رمضان ١٩٧٣م: في إحدى المرات زارت الفرقة مجموعة من نساء المجتمع لرفع الروح المعنوية للجند، بصراحة خفت من هذه الزيارة؛ لأنه من المفترض أن يذهبن إلى القرى لزيارة أهالي المقاتلين، وأردت أن ألقنهن درسًا، فقمت بإعداد بيان عملي لهن يوضح تعاون الدبابات مع المشاة، وأجلستهن في مهب الريح (تحت الريح)

وبـدأ تحرك الدبابات، وفوقها جنـود المشاة أمامهن، وبدأ قفز أفراد المشاة أمام الدبابـات المثيرة للغبار والدخان الكثيف مع صوت المتفجرات والطلقات لتصوير جـو المعركة، ففسدت ملابسهن ووجوههن، واختلطـت كل الألوان، وقام بعضهن بالصـراخ، فقال: هـل جئتن إلى هنا لرفع معنويات الجنـود، أو لتصرخن لمجرد وجـود دخان وتراب وأصـوات الانفجارات؟ هل جئتن لرفـع معنويات الجنود، أم لخفضها؟ إن مكانكن هناك عند أهالي المقاتلين، ومن يومها لم يزرن المعسكرات مرة ثانية.

أقول:

عفيفـي هذا، ذكر أنه يصيبـه النعاس في الحـرب، وفي الحديث الشريف: النعاسـ في الحرب رحمه مـن الله بنص الآية الكريمة في سـورة الأنفال: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ [الأنفال:١١]، وفي الصـلاة مـن الشيطان، وقد أحسن هذا العسكري الحـازم صنعًا مع جيهان وحزبهـا المترجل، وأعلمها أن مكان المرأة وجهادها في بيتها ومحيطها، وهو عمل لا يقـل شرفًا عن عمل الرجـل، وفي الوقت نفسه لا يستطيع الرجل القيام به، ولم يهيئه الله له، ولا يمط أحد شفتيه، ويقول: الزمام رجعي، فأقول له: جرب، واجلس مع الأطفال ساعة، وسترى ما أقول، هذا عدا الحمل والولادة، فالنساء فيما يسّره الله لهن بطلات مثل بطولة الرجال، وإياك أن ترفع صوتك، وتحك فروة رأسك، وتذكـر بعض نساء الإسلام، وأنهن شاركن الرجال في بعض المعارك، كعائشة أم المؤمنـين، والمازنية، وبنت الأزور، وشجرة الدر، ومـن غير الإسلاميات: غاندي، ومائـير، وتاتشر. ونردّ عليـك بأن هذا نادر، والنادر لا حكـم له، فالإسلام حدد مكان المرأة ومجال عملها، وهو البيت وشؤونه، وتدريس بنات جنسها وتطبيبهن، ومن خالف ذلك فهو ظالم لنفسه وظالم للمرأة.

١٠٣٦ البيت الطائر

هي طائــرة رئيس أمريكا أمر بتجهيزها ريجان عــام ١٤٠٨هـ، ركبها خلفه بوش ١٤١٠هـ بوينج ٧٤٧، بها غرفة نوم بسريرين، وحمام بدش خاص بالرئيس، ومكتب به كرسي دوار وطاولة، ومزودة بوحدة طبية كاملة يستطيع أطباء الرئيس إجــراء جراحــة عاجلة، وبهــا ٨٥ تليفونًــا، وسبعة حمامات غير حمــام الرئيس، وتلفزيونــات عدة ملونة، وتستطيع حمــل ٢٠٠٠ وجبة طعام والطيران مدة أسبوع في الجــو دون الحاجــة إلــى الوقود، بل تــزود بالوقود من الجــو، وهي صممت في الأســاس ليستخدمها الرئيــس في إدارة البلد من الجــو إذا تعذر عليه النزول في الأرض بسبب حرب عالمية لا قدرها الله. عن وكالة رويتر يوم ١٤١١/٣/٢٣هـ.

أقول:

أتعلم أيها القارئ الكريم، أن هذا آخر ما وصل إليه علم النقل في يوم الناس هــذا؟ ولو قلت لك: إن الإنسان حصل على أعظم من ذلك قبل الميلاد! نعم، قبل ميلاد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ! ربمــا رفعت حاجبيك مستنكرًا هذه المعلومات، وتقول: هل الإنســان وصــل في العلم قبل الميلاد إلى هذا؟ وأقول لــك: نعم، إنه ملك نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ثبت بنص القرآن الكريم أنه لن يحصل على مثله أحد من بعده، إذ يقول الله تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص:٣٥-٣٦] ويقــول المفســرون: إن مركــز سليمــان عَلَيْهِ السَّلَامُ يتسع لستين ألف راكب مــع ما يلزمهم في الفضاء، ولولا الإطالة عليك لزودناك من هذه المعلومات التي تثبت أن الله تعالى أعطى للأمم السابقة من العلم والقوة أعظم من الأمم اللاحقة.

١٠٣٧ الناس على ثلاث منازل

قال بعض الفقهاء: الناس عندنا على ثلاث منازل (الأنبياء) من أهل الجنة، ومن قال الأنبياء: إنهم من أهل الجنة، فهو من أهل الجنة، والمنزلة الأخرى: (المشركون) تشهد عليهم أنهم من أهل النار، والمنزلة الثالثة: (المؤمنون) نقف عنهم، ولا نشهد على واحد منهم أنه من أهل الجنة، ولا من أهل النار، ولكنا نرجو لهم، ونخاف عليهم.

أقول:

كما قال الله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ١٠٢] حتى يكون الله عَزَّوَجَلَّ يقضي بينهم، وإنما نرجو لهم؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] ونخاف عليهم بذنوبهم وخطاياهم، وليس أحد من الناس أوجب له الجنة، ولو كان صوامًا قوامًا غير الأنبياء، ومن شهدت له الأنبياء أنه من أهل الجنة.

١٠٣٨ بين حرفين

جاء في تاريخ بغداد عن أبي يوسف:

«سمعت أبا حنيفة يقول: وإذا كلمت القدري فإنما هو حرفان إما أن يسكت، وإما أن يكفر، يقال له: هل علم الله في سابق علمه أن تكون هذه الأشياء كما هي؟ فإن قال: لا، فقد كفر، وإن قال: نعم، أفأراد أن تكون كما علم، أو أراد أن تكون بخلاف ما علم، فإن قال: أراد أن تكون كما علم، فقد أقر أنه أراد من المؤمن الإيمان، ومن الكافر الكفر، وإن قال: أراد أن تكون بخلاف ما علم، فقد جعل ربه

متمنيًا متحسرًا؛ لأن من أراد أن يكون ما علم أنه لا يكون، أو لا يكون ما علم أنه يكون فإنه متمنٍّ متحسر، ومن جعل ربه متمنيًا متحسرًا فهو كافر[1].

١٠٣٩ صحة سعد

سعد زغلول زعيم مصري شهير، زاره مراسل جريدة (الديلي ميل) البريطانية، وروى الصحفي لسعد أن جورج لويد المندوب السامي البريطاني قال له: الغريب إن صحة سعد زغلول تتحسن في الأزمات، فأجابه سعد: إذن الله يديم لنا وجوده، ثم أردف الصحفي: إنك يا باشا، تدخن كثيرًا، فنهره سعد قائلًا: وما دخلك في ذلك؟ قال: سألت الناس أين ألقاك؟ قالوا: تجده في بيت الأمة. وسألت ما يعني هذا الاسم؟ قالوا: سعد زعيم الأمة، وبيته بيت الأمة، ومعنى هذا كله أن كل ضرر يصيبك يصيب أمتك. فحملق به سعد، وشفط السيجارة شفطة طويلة، وأطفأها قائلًا: هذا فراق بيني وبينك، ولم يدخن بعدها.

أقول:

سعد زغلول من أرجح الناس عقلًا، وكل مدخن يضر نفسه، ويضر أهله، والعاقل الحصيف يجب أن يقلع عن التدخين فورًا وبجدية، ولا يلتفت إلا إلى المصلحة الدينية والدنيوية، فهو شر كله، وليس فيه منفعة لا قليلة ولا كثيرة، بل كله خبيث، وإذا كنت ممن يتعاطاه فاحزم أمرك، وانبذه تحصينًا لدينك وصحة لبدنك وحفظًا لمالك، وقل لنفسك:

والنفسُ كالطفلِ إن تهملْه شبَّ على ... حبِّ الرضاعِ وإنْ تفطمْه ينفطمِ

أي والله، إن النفس كالطفل، فاحزم أمرك، وتوكل على ربك، واسأل الله أن يعينك عليها.

---

(١) انظر: تاريخ بغداد (١٣/٣٨٢-٣٨٣).

١٠٤٠ شيطان

جاء رجـل إلى مسجد الكوفة يوم الجمعة يسألهم عن القرآن: أهو مخلوق؟ وأبوحنيفـة غائـب بمكة، فاختلـف الناس في ذلـك، والله ما أحسبـه إلا شيطانًا تصور في صورة الإنس حتى انتهى إلى حلقتنا، فسألنا عنها، وسأل بعضنا بعضًا، وأمسكنـا عن الجواب، وقلنا: ليس شيخنا حاضرًا، أو نكره أن نتقدم بكلام حتى يكـون هو المبتدئ، فلما قـدم أبوحنيفة قلنا له بعد: إنه وقعـت مسألة، فما قولك فيهـا؟ فكأنـه كان في قلوبنا، وأنكرنا وجهـه، وظن أنه وقعت مسألـة معينة، وأنّا قـد تكلمنـا فيها بشيء، فقـال: ما هي؟ قلنا: كـذا وكذا. فأمسـك ساكنًا ساعة، ثـم قـال: فما كان جوابكـم فيها؟ قلنا: لم نتكلـم فيها بشيء، وخشينـا أن نتكلم بشـيء، فتنكره، فسُـرِّي عنه، وقال: جزاكم الله خيرًا، احفظـوا عني وصيتي: لا تكلمـوا فيهـا، ولا تسألوا عنها أبدًا انتهوا إلى أنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ بلا زيادة حرف واحـد، ما أحسـب هذه المسألة تنتهي حتى توقع أهـل الإسلام في أمر لا يقومون، ولا يقعدون معه.

أقول:

هي من أعظم الفتن، التي اُبتلي بها الإسلام والمسلمون.

١٠٤١ جامعة أمريكية تنصح بالزواج

تقدم دراسـة أجرتها جامعة متشيجان الأمريكيـة نصيحة جديدة للرجال الأعـزاب الذيـن يطمحـون في ازديـاد دخولهم في الترقـي على درجـات السلم الوظيفـي والمهني، تقول الدراسة: تزوجوا، فإن الرجال المتزوجين يكسبون أجورًا أعلـى بنسبـة ٦, ٣٠٪ من الأعزاب، وقال روبرت شوينـي وهو طالب يحضر لنيل

الدكتـوراه في مركز الدراسات السكانية في الجامعة: إن المتزوجين تزيد دخولهم علـى الأعـزاب في دول أخرى عـدة غير الولايـات المتحدة، وأضـاف شويني: إن متوسـط عائدات المتزوجين من الرجال أعلى بصورة ثابتة من عائدات نظرائهم غـير المتزوجين في كل الدول التـي تناولناها بالدراسة، وهـذه الظاهرة موجودة حتى مع أخذ التعليم والعمر أو الخبرة والأصل العرقي في الحسبان، وقدم شويني ثلاثـة تفسـيرات محتملـة لذلك (أولهـا): إن أصحـاب العمل يميلـون أكثر إلى توظيف الرجال المتزوجين وترقيتهم؛ لأنهم يعدّونهم أكثر استقرارًا وأكثر تعاملًا مـع المجتمـع، و(ثانيها): إن النساء يملـن إلى الزواج من رجـال ناجحين ماليًّا، و(ثالثهـا): إن الرجـال المتزوجين يشعـرون بمسؤولية تجاه الزوجـة والأطفال، ويصبحون أكثر إنتاجية.

وقـال الباحـث: إن المعلومات المتوافرة لا توضح مـا التفسير الصحيح، وإن كانت التفسيرات الثلاثة تؤدي دورًا.

هذا ما ذكرته صحيفة (الرياض) في يوم ١٤١١/٦/١٦هـ.

وأقول:

التفسـير صحيـح ١٠٠٪ ودليلنا من ديننا الإسلامي قبـل ١٤١١هـ سنة من اكتشـاف الخواجات لذلـك، وهذا الصحابي الجليل ابـن مسعود رضي الله عنه يقـول عن الآيـة الكريمة: ﴿**إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ**﴾ [النور: ٣٢]: إن هذه الآيـة هي وعد مـن الله بالغنى لمن تزوج، ولكن هذه النـادرة نهديها لمن يؤخرون الـزواج، ويدعـون إلـى تأخره بحجـج واهية وأدلـة غربية، ونقـول: القوم هناك اعترفـوا بالحق، وشبابنا وشاباتنا أولى من هـؤلاء بالاعتراف، فهيا إلى الزواج، فبلدكم بحجم قارة، فيها خير الدنيا والآخرة: (الأول) في الشرق، وهو البترول. (الثـاني) في غربها وهي مكة والمدينة، والذئاب تحاول نهشها، ولا عاصم لها إلا الله، ثـم قوة أهلها وكثرتهم، فهيا يا رجال، املؤوها بالرجال، وعلموهم الرجولة والبطولة، وليست النعومة والكورة.

١٠٤٢ الماء الماء

قال العلماء: إن نحو ٧٠٪ من وزن الجسم من الماء، وإن متوسط وزن الماء في جسم الرجل البالغ يصل إلى ٤٥ كيلوجرامًا، وإن ٢٠٪ من وزن العظام ماء، وإن بلازما الدم ٩٥٪ منها ماء، ولا يستطيع الجسم أن يعيش دون ماء، وإن الماء يحمي المخ من الصدمات، وعظامنا ومفاصلنا يحميها من الهزات التي يتعرض لها الجسم بسبب احتكاكها بالأشياء الصلبة من حولنا، ويقول العلماء: إن الانسان العادي يشرب يوميًّا لترًا إلى لترين، مع العلم أن الجسم يحتاج إلى عشرة لترات، ولكن الله مدّه بالتعويض من الغدد اللعابية لترطيب الفم ولعملية الهضم، والمعدة تنتج مثل ذلك عن طريق العصارات التي تفرزها، وينتج البنكرياس والكبد والأمعاء مثل ذلك.

باختصار من تقرير لأحد خبراء (منظمة الصحة العالمية) يوم ١٠/١٠/١٤١١هـ.

أقول:

كل يوم يزيد إيمان المسلم بالله وبرسوله وبكتابه؛ لأن أهمية الماء جاء النص عليها في القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠] وتشديد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونهيه عن منع الماء عن ابن السبيل، وأن سقي الماء من أفضل القربات عند الله، والله إن المسلم حين يقرأ مثل هذه البحوث والتقارير، وهي تصدر في الغالب من علماء غير مسلمين يرجو من كل قلبه أن يطلع هؤلاء العقلاء على كتاب الله وسنة رسوله الكريم، فسيجرّهم علمهم إلى الإيمان والإسلام؛ لأن غالبيتهم من أولي الألباب، وصدق الله العظيم، إذ يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنبياء:٥٣] الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

١٠٤٣ رد على الغضبان بالحلم

قال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤] هو الرجل الذي يشتمه أخوه، فيقول: إن كنت كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنت صادقًا فغفر الله لي. وعن علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سبّه رجل، فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعده من الله عَزَّوَجَلَّ، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذم، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير.

أقول:

نسأل الله أن يوفقنا وجميع المسلمين إلى تذكر مثل هذه المواقف النبيلة عند الغضب، وخاصة إذا كان الغضب صادرًا من صديق أو قريب أو على صديق أو قريب؛ لأنه سيندم، وتندم عندما ترد إليه السيئة بمثلها أو الصاع صاعين، كما تقول العامة. ويروى عن حكيم بريدة ورئيسها في وقته فهد العلي ا لرشودي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: إذا غاضبك أحد، فلا تردّ عليه واترك المجلس، وبعد يومين ستعود إلى الرشد أنت وهو.

١٠٤٤ الإنسان في خدمة الحيوان

لا تستغرب هذا العنوان، فهو حقيقة واقعة وفي أرقى الدول حضارة في عصرنا الحاضر. أمريكا، نعم إنها حضارة المادة فقط، في صحف يوم ١٤١١/١١/٢١هـ جاء هذا الخبر: (د. شارك ماكاري) طبيب في مدينة بوسطن الأمريكية وضع لافتة في عيادته تحمل عبارة (صديق الكلاب) فهو يحتفظ بأكثر من مئة كلب

وقـط! وصف الرجل بالجنون، وسخر منه جيرانه، ولكـن رد عليهم بقوله: إن له ابنة تبلغ ١٦ عامًا ذهبت إلى السوبر ماركت لشراء متطلبات البيت، وعند عودتها هاجمهـا شابـان يحاولان خطفهـا، وطبعًا تم الاعتـداء عليهـا، وصرخت تطلب النجـدة من المـارّة، ولم ينجدها أحد؛ ليس لأنه لا يوجد أحد، بـل وُجِد الناس، ولكـن عناية الله، ثم مجموعة من الكلاب والقطط دخلت في معركة مع الشابين، وأنقذت المسكينة، يقول الدكتور: لذا رأيت من واجبي رد الجميل للحيوان الوفي.

أقول:

قرأت قبل ذلك مقالة للدكتور غازي القصيبي، ذكر أنه كان يطل من شباك منزله أيام الدراسة في أمريكا، ورأى شابًّا يعتدي على شابة، وهي تصرخ والناس ينظـرون، ولا يحرك أحد ساكنًا، ويقول: إن أحدهـم أوصل والده في سيارته إلى مـكان ما، وطلب من والـده الأجرة، ولا ننسى أن القـرآن وصف الإنسان الخالي مـن الإيمـان بـالله والإسلام كالأنعـام أو أضل سبيـلًا، ووصف قلبـه بالحجارة أو أشـد قسـوة، ومن يكذب بهـذا أو يشكك فليقرأ ما فعلـه الطغاة والجبابرة في بنـي جنسهـم، وفي لندن تعرضت فتاتـان بريطانيتان اختطفا مـن أمام مطاعم ماكدونالـد لحادث اغتصـاب جماعي على مرأى وحشد مـن الناس. وقد شاهد الحـادث نحو ٢٠ شخصًا، حيث قام ستـة شباب باغتصابها في أحد الأزقة، وقد صرح أحد الضباط البريطانيين حول الحادث، فقال: مع الأسف صادفت حوادث مثـل هذا من قبل، ولكن عدد المتفرجـين في هذه المرة غير عادي! هذا ما تناقلته الصحف اليومية يوم ١٣ رجب، ١٤١٤هـ.

إنَّ ذلك والله يترفع عن فعله أقسى الحيوانات وأخسها.

١٠٤٥ أكل عيش

قـال الكاتـب الإسلامـي محمـد السمـان في صحيفـة (اليمامـة) يـوم ١٤١١/١٢/٢١هـ: في حياتنا المعاصرة حملـة أقلام لا يحتملون أمانة الكلمة، ولا

تجمعهم ضمائرهم على اعتبارها، والكلمة لا تقدر بفصاحتها، ولا بلاغتها، وإنما تقدر بما تتضمنه من صدق وأمانة، وأكثر النماذج في الصحافة والإعلام.

ومن هذا النوع كاتب عرفته طالبًا في (جامعة الأزهر)، فبعد تخرجه أجاد فن التسلق، إذ يلبس لكل موجة سياسية لبوسها ما دامت في الحكم، فقد رأيت له في السوق كتابًا يحمل عنوان (خالد بن الوليد) وصدره بهذه العبارة: «لقد أوصاني أبي قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى أن أقتدي في حياتي باثنين: خالد بن الوليد، وجمال عبد الناصر» ولقيته، وقلت له: ألا تخجل؟! لقد توفي والدك قبل مولد عبد الناصر؟ فابتسم، وقال: كم غيرك يعلم ذلك، دعنا يا أخي، نأكل عيشًا.

أقول:

هؤلاء في عصرنا كثير، نسأل الله أن يكونوا قليلًا، وأحدهم قال في ندوة تلفازية عقدت عن موضوع تحديد النسل، وأصغى المذيع، وقال: هل تريدون أدلة الإباحة وأدلة المنع؟ لهذا شدد الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون المسلم شجاعًا، وأن يوطن نفسه على أن يتبع الحق، ولا يكون إمعة. يقول: «**إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم: إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا**»[1] ويقول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يعجبني الرجل إذا سيم خطّة لا يريدها أن يقول بملء فيه، وكل هذه الأمور مرجعها إلى التربية الإسلامية الصحيحة.

١٠٤٦ تنقية ثورية

أعلنت وزارة الصناعة في اليابان عن رصد مبلغ ١٧٠ مليون دولار لصناعة علاج أشبه بالسفينة يدخل جسم الإنسان، ويدور بالشرايين يشبه المضادات

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٦٤ رقم ٢٠٠٧)، وقال: حديث حسن غريب. بينما ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٦٢٧١).

الحيويــة، والوزارة جادة في صناعة هذه المحــركات المصغرة إلى أقصى الحدود الممكنــة، وهذه المحــركات ستعتمد على شطائــر دقيقة لا تُــرى بالعين المجردة، ومعهــا إمكانــات ترميــم وإصلاح لا يمكن تصورهــا حاليًّا، ويقــول نائب الوزارة اليابانية: إنها تقنية ثورية، وستسخدم تجاريًّا في العشر سنوات القادمة، وستدور هــذه الآلة مبرمجة وقادرة على التجوال بجسمك حاملة معها وسائل العلاج، وما علــى الأطباء إلا الوقوف أمــام شاشات التلفاز لمتابعــة نشاطها دون الحاجة إلى مشرط طبيب.

أقول:

هــذا الكلام اختصرته من مقال مطول من مجلة طبية متخصصة في تاريخ ١٠/١/١٤١٤هــ، وهو فتح من الله لعباده، والقــوم أدلجوا، ونمنا، وشبابهم يعمل في اليــوم ١٥ ساعة، وفي الأسبــوع ستة أيام، وبعض شباب العــرب والمسلمين يلهو ستــة أيــام، ويعمل يومًا، وهنــاك مــن المخترعات الحديثة لو حدثــت بها من عاش قبــل خمسين سنــة؛ أي في النصف الأول من القرن الرابــع عشر الهجري لاتهمك بالجنــون، بمعنى لو قال الرجل: إنك تتنفس في مصر، ويسمع نفسك من في نجد والحجاز، مثل مذيع الراديو، ولو قلت لآخر: إنك ستجلس في منزلك، وتشاهد من يلعب الكرة بالمشرق أو المغرب من داخل صندوق حديدي لاتهمك بالجنون، وصدق الله، إذ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

١٠٤٧ معجون أسنان الرئيس

عن جريدة (الرياض) يوم ٢٥/١٢/١٤١١هـ:

جــاء في مذكــرات زوجة الرئيســ الأمريكي ريجــان ما يلي: بعــد شهر من إقامتنا بالبيت الأبيض شعرت بالدهشة عندما بعث إلينا مكتب الحاجب بفاتورة طعامنــا، ولم أكــن أدري أن الرئيس وزوجته يتعين عليهمــا دفع ثمن كل وجبة في

البيت الأبيض، علاوة على دفع ثمن الكواء ومعجون الأسنان، ويتعين على الرئيس وزوجته دفع ثمن وجبات ضيوفهما ما لم يكن هؤلاء ضيوف في مهمة رسمية، ومن حسن الحظ، فإن مآدب العشاء الرسمية تتحمل وزارة الخارجية الأمريكية تكلفتها.

أقول:

هذا هو الذي جعل الشيخ الغزالي في إحدى محاضراته ينهر أحد الحضور حين لام الشيخ على مدحه الإدارة الغربية بقوله: اسمع يا هذا، أنا لا أمدح فجورهم ولهوهم وكفرهم، ولكن أمدح نظامهم الإداري والمالي، فهو يشبه إلى حد كبير نظام الخلافة الراشدة الصارم، فلا يُعيّن المسؤول إلا إذا كان كفئًا، ولا يصرف المال العام إلا في وجهه، وماذا تقول في رفض الجمعية الوطنية الفرنسية طلب زيادة راتب زوجة الرئيس ديغول وهو منقذها بعد الله في الحرب العالمية الثانية، واضطرت زوجته إلى بيع أثاث بيتها عام ١٩٨١م، وما نقول في الوزير السويدي فلان الذي استقال بسبب ظهور الثراء الفجائي على أحد أقاربه؟ أما عندنا فزوجة السادات خصص لها قصر تسكنه، ولا تستعمله، بل إن أكثر وقتها في أمريكا تحاضر بجامعاتها.

أقول:

مرة أخرى: الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها إن وجدها عند الغرب أو الشرق.

١٠٤٨ الصلاة علاج للظهر

أكدت دراسة طبية، أجراها العالم المصري الدكتور شفيق الزيات الأستاذ بجامعة نيفادا الأمريكية، أن الصلاة علاج طبيعي لآلام الانزلاق الغضروفي، وأوضح العالم المصري الزيات أن الحركات التي يؤديها المصلي تعمل على تحريك الفقرات وثنيها، وتحريك أربطة الركبة الداخلية، وتبيّن أن الصلاة تخفف

الآلام التي تحدث في الفقرات القطنية الموجودة أسفل العمود الفقري، وتقوي عضلات البطن.

أقول:

حينما قرأت هذا التقرير الذي نشر يوم العاشر من محرم ١٤١٢هـ ذكرت قول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]. الشاهد على صدق ذلك أن المواظبين على الصلاة في أوقاتها لا يشكون من مثل هذه الأمراض على الإطلاق، فهيّا اعقد العزم على طاعة النعمة المسداة والرحمة المهداة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأدِّ الصلاة خاشعًا لله متمًّا ركوعها وسجودها، واركع مع الراكعين؛ لكي يحييك الله حياة طيبة في الدنيا وفي الآخرة.

١٠٤٩ ثور النائب الإنجليزي

كتب الصحفي اللبناني الساخر (جهاد الخازن) في (الحياة ١٤١١/١٢/٣٠هـ) يقول: كان هناك مؤتمر عن الخدمات التي تقدمها الحكومة البريطانية إلى مواطنيها، وتعاقب الخطباء على المنصة، وكل واحد يشرح الخدمات في مجال اختصاصه، فواحد تحدث عن الخدمة الصحية، وآخر عن التعليمية... إلخ.

وقام النائب المحلي، وقال للحاضرين: كلما سمعت كلامكم عن هذه الخدمات التي تقدمها الحكومة للمواطنين تذكرت ثورًا كانت أسرتي تملكه، وأنا صغير، قال: أنا من أسرة مزارعين شمال يوركشير، وكانت الأسرة تملك ثورًا هائل الحجم، وفاز في الجوائز المحلية، واشتهر الثور في المنطقة وكل يزورنا يطلب خدمات البطل لبقراتهم، يقول: وكانت العادة أن يأخذ أبي الثور لمزرعة طالب الخدمة ليقوم الثور بذلك، وطلبت من الوالد أن أذهب معه، فنهرني بقوله: إنك صغير، وطلب أحد الجيران الثور، وقال الوالد: جر الثور لمزرعة

الجـار. يقـول النائب: ذهبت بالثـور، وطلبت من جارنا أن يسمـح لي بأن أتفرج علـى الخدمة التي يقدمها الثور للبقرة، فنهرني، وقال: أنت صغير، يقول: تركت الثـور، وعدت كسيف البال، وأريد أن أعرف الخدمة التي اشتهر بها الثور، يقول: واحتلـت، وذهبت إلى المزرعة مـن الخلف أنظر من بين خشبـات السور لأرى ما الخدمـات التـي يقدمها هذا الثور للبلـدة..! ذهلت عندما رأيـت الخدمات التي يقدمهـا الثور، وبقيت في ذهني كلمة خدمات حتى دخولي البرلمان، ولتعظيم أهل مقاطعتنا الزراعية لأمر خدمـات ثورنا، والآن كلما سمعت كلمة (خدمات) التي تقدمها الحكومة لنا، أتذكر ثورنا وخدماته لبقرات منطقة شمال يوركشير.

أقول:

إن رضا الناس غاية لا تدرك، هذا كلام إنجليزي لديه الخدمات منذ مئات السنـين، ويستطيع أن يحصل على جميع حقوقه، حيث يستطيع أن يقول مثل هذا الـكلام في البرلمان. ولم يرضَ عـن حكومته، فكيف في الدول النامية التي تزحف الخدمات إليها؟ بعضها في أول السلم، وبعضها في وسطه، وبعضها لم تبدأه!

١٠٥٠ مستقبل الطب

أكـد خبير في جامعة طوكيو اليابانية ورئيـس فريق البحوث الياباني، الذي يضـم الآلاف من العلماء والباحثين في الجامعـة البروفيسور (إيواو نوعيماسا)، أن التكنولوجيـا المجهريـة ستسهم خـلال السنوات العشر المقبلـة في تغيير وجه الحيـاة على الأرض بشكل جذري، وقال: إن هذه التكنولوجيا ستسهم في القضاء بشـكل فاعـل على كثير مـن الأمراض التي تفتـك بالإنسـان: مثـل السرطان، وأمراض القلب، وتصلب الشرايين، وغيرها. وأضاف أنه يقوم منذ ثلاث سنوات بتصميـم روبوت مجهـري يتم حقنه في مجـرى الدم بالجسم، ثـم يقوم بتنفيذ الأوامـر الصادرة إليه من الخـارج، وقد وضع مركز بحوث جامعة طوكيو للتقدم

العلمـي والتكنولوجيا جميع إمكاناته لتنفيذ هذا المشروع الذي تسانده المؤسسات الإلكترونية العملاقة في اليابان.

أقول:

هـذا ما يفعله شباب اليابـان، أما معظم شباب العرب والمسلمين فبين اللهو أو الكرة.

١٠٥١ سلّط الله الظالمين على الظالمين

كتب الدكتور هاني الراهـب في (صوت الكويت) يوم ١٤١٢/١٢/٥هـ يقول: الذيـن يزورون الكويت منذ إجلاء الجيش العراقي عن أراضيها سيسمعون دون شـك تسمية جديدة هناك نبتت من قلب الحرب، هذه التسمية هي (ميل الموت) إنها تسمية سينمائية إلى حد كبير، فالذي يسمعها للوهلة الأولى لن يجد في نفسه اهتمامًا كبيرًا بها، لكن إذ تصادف وزرت (ميل الموت) هذا فسيبقى في ذاكرتك مـترًا مترًا، وأحيانًـا بالسنتيمتر، إنه يقـع إلى الشمال من مدينـة الجهراء عند نقطـة تكون المساكن والعمارات قد اختفت منهـا، ولم يبقَ سوى الأرض الشاحبة المتجهة شمالًا إلى العراق.

بوسعـك بـدءًا من تلـك النقطة أن تـرى متحفًا حربيًّـا كئيبًا علـى جانبي الطريـق العريض المنطلق نحـو العبدلي، إنه متحف كئيـب؛ لأن الآليات الحربية فيه مدمـرة تمامًا، ولأن أنفاس الحرائق التي أذابت الحديد نفسه ما زالت حتى ذلك اليوم تنبعث من الصفائح المعدنية الصدئة، في البداية كانت كثافة الآليات أكـثر بكثـير مما سيراه الناظـر في هذه الأيـام، لقد كانت متداخلـة إحداها في الأخـرى تداخل أصابع اليدين عند اشتباكهـا، ودون شك لم يكفِ جانبا الطريق لاستيعابهـا، فقد هوت على الرمال المجـاورة وبالكثافة نفسها إلى مسافة تبلغ في حدهـا الأوسط مئة متر عرضًـا، وكذلك تتابعت ممسكة بتلابيـب بعضها بعضًا

مـن أول مـتر في (ميـل الموت) إلـى آخر متر. تسـأل؟ فيجيبونك: هـذا الميل هو مـا تمـت المحافظة عليـه في مشهد مروع رهيب يبلـغ طوله خمسـة وسبعين كيلو مترًا. المسافة بين شمال الجهـراء وجنوب العبدلي يخترقها طريق دولي عريض هـو الذي عبرته قوات الرئيسـ صدام حسين يوم أغارت علـى الكويت في الثاني مـن أغسطسـ (آب) ١٩٩٠م، وهو نفسه الذي عادت منـه تلك القوات في الثاني والعشرين من فبراير (شبـاط) ١٩٩١م. الثاني والعشرون من فبراير (شباط) أجل، وليس السادس والعشرين الذي أعلنت فيه إذاعة بغداد بدء الانسحاب، لقد بدأت القوات العراقيـة انسحابها مساء يوم الجمعة ذاك، وليس صباح الثلاثاء، مـاذا حدث إذن؟ الـذي حدث هو أن هؤلاء المنسحبين قد هوجموا بعد أن غادروا مدن الكويت تمامًا، وصاروا كتلًا مكشوفة في العراء، وإذا كان صحيحًا أن تعداد الجيشـ العراقي الذي احتـل الكويت يبلغ نصف مليون من بنـي آدم، فكم قتلت الطائـرات من هذا الجمهـور الضخم، وهـو في طريقه من شمـال الجهراء إلى جنـوب العبدلي؟ بوسعك أن تقـوم بعملية حسابية بسيطة فيمـا عيناك تتأملان النظر الفاجـع للآليات العسكرية المحترقة المتعنقدة علـى جانبي الطريق، ليس بـين هذه الآليات فراغـات على الإطلاق، فبـين كل آلية وآلية، آليـة أخرى، وإذا كانت هذه هي الصورة بالنسبة للكيلومترات الخمسة والسبعين، فليس بوسع أحد أبـدًا أن يؤكـد أن واحدًا من نصف المليون ذاك قد نجـا، نصف مليون يا للهول!! هذا كثير هذا معقول لنقل: إذن إنهم ربع مليون أجل، ربع مليون منسحب، أغارت الطائرات عليهم يومي الإثنين والثلاثاء الخامس والعشرين والسادس والعشرين مـن فبراير (شبـاط) بينما الحكومـة العراقية تعلن أنها قبلـت الانسحاب على أساسـ قرار مجلس الأمـن ذي الرقم ٧٦٠، العدد إذن كان كبـيرًا. هذه الآليات التـي احتشـد فيها الجنـود العراقيون في طريـق عودتهم أُحبطـت أو دُمرت عن بكـرة أبيها، لم تسلم آليـة واحدة، فيمكن بذلك القـول: إن عددًا من الجنود قد سلـم، فكيف كان المشهد الرهيب في الأيام الأخـيرة من فبراير (شباط) والأول مـن مارسـ (آذار)؟ أحد المقاومين الكويتين التقط فيلمًا كاملًا لـ (ميل الموت)

إنــه شاب في نحو الثلاثين من العمر متخصـص في الأجهزة الدقيقة، لكنه وجد نفسـه عـبر تلك الفـترة المظلمة يتخصص في القتـل. كويتي يقتـل عراقيًّا احتل بيتـه، لا أظن أن هذا المقاوم الكويتي الصديق سيسمح بنشر اسمه على صفحات (صـوت الكويـت) لكننا نستطيع أن نقول: إن رعبه مـن انفجار العنف والدم بين كويتـي وعراقي هو الذي أملى عليه فكرة حمل الكاميرا أو الذهاب بها إلى (ميل المـوت). دون شك كانت المسافة كلها في تلك الأيام أميالًا وأميالًا من الموت، وبعد أن عايـن المقاوم الكويتي الطريق بـين الجهراء والعبدلي، وشاهد كتل الموت التي غصـ بها ذلـك الطريـق رأى أن أي بقعة منـه ستعطي للكاميرا مـا تحتاج إليه من مشاهـد الفجيعة الوجيعة، لماذا سجلت الكامـيرا مشاهد الجثث؟ بالتأكيد، الكثافة أولًا، فكما تراكبـت الآليات إحداها فوق الأخرى، كذلك تراكبت الجثث، ولأن الآليـات هي وسائط نقل جماعي، فلم تعد أمام الكاميرا فرصة لنقل صورة فريـدة سوى صورة الموت الجماعي. منظر الموت منظر كريه ولا شك، ولكن كيف تكـون الحال إذا اقـترن الموت بالتشوه، مـاذا ستقول لنفسـك إذا رأيت جثة بلا رأسـ مثلًا؟ ومـا المشاعر التي ستعتمـل في نفسك إذا رأيت جثـة بلا ذراع يمنى وبـلا كتف أيمن وبلا صدر أيمن؟ وقس على ذلك: الساق المبتورة بالكامل، الكبد المشـوه، والعين المقلوعة، والجثة المقطوعة نصفين بينهما مسافة مترين، والذراع المرميـة في الرمـل، وأصابعها لا تزال ممسكة بمقبض مسجلـة يابانية، والأمعاء المندلقة على الأرض وبجوارها علبة كلينكس غير مفتوحة، لماذا مات الذين ماتوا بهـذه الكثافة؟ الجواب الأول بطبيعة الحال هـو أن الطائرات القاصفة لم تترك لهـم مجالًا للنجـاة، لكن هذا ليس كل شيء، إنه الجواب المباشر لحالة كانت هي نفسها نتيجة لأسباب وعوامل أخطر بكثير وأكثر جوهرية، وحتى الجانب المباشر نفسـه يقـدم أجوبة أخـرى. ساعة ونيفًا كان طـول الفيلم لم يبـقَ شيء في ذلك المشهد الجنائزي إلا وسجلته عين الكاميرا، ومن بين آلاف الحاجيات والأغراض لم تكن ثمة صورة لمدفع مضاد للطائرات، لم تكن ثمة صورة لآلية يمكنها أن ترد

علـى قصف جوي، ولا نعرف كيف تم هذا الانسحاب مـن وجهة نظر عسكرية؟، ومرة أخرى إذا كان عدد الجنود المنسحبين ربع مليون بني آدم، فبأي ذنب حكم عليهـم أن ينسحبوا هذا الانسحـاب الرهيب؟ كان الاستسـلام حقيقة معلنة في إذاعـات العـالم وتلفازاتـه، وفي إذاعة بغـداد وتلفازها، فلماذا صـدرت الأوامر للجنود العراقيين بالانسحاب نحو الموت المحتم بدلًا من الاستسلام لفرصة نجاة مؤكـدة؟! أليس هذا رميًـا بالنفس إلى التهلكة؟ ربع مليون جندي يعني ربع مليون عائلة، ويعني نيفًا ومليون إنسان في الحد الأدنى، ماذا حل بهؤلاء؟ أي صنف من الناس هم؟! إلى أي طبقة اجتماعية ينتمون؟، مرة أخرى نعود إلى الصور، ونعود كذلـك إلى (ميل الموت) في الأسابيع الأولى التي تلت الانسحاب، ماذا كانت تلك الآليـات تحمل إلى جانب الجنـود المهزومين؟ باختصار كانـت تحمل ما التقطه الجنـود من دكاكـين الكويت ومن بيوتهـا، تلفـازات، غسـالات، وأدوات مطبخ، وأغذيـة معلبة، وأكياس الأرز والسكر، وغيرها، وحتى علب الكلينكس وجدت من يراهـا غنيمة جديرة بالنقل من الكويـت إلى العراق في أثناء حرب أوقفت العالم على أنفاسه، وماذا أيضًا في (ميل الموت)؟ كان هنـاك شيء واحد فقط يدل على الحياة، ذلك هو الجانب الأمريكي المنتصر الذي سجّل هو وجوده بطريقة فريدة مـن نوعها. فعلـى المساحات المستوية في تلـك الآليات المحترقة يمكنـك أن تقرأ المئات والمئات من رسائل الحب الوجيزة التي كتبها الجنود الأمريكيون، وخاطبوا بها ليس زعيمهم وقائدهم جورج بوش، وإنما حبيباتهم في طول الولايات المتحدة.

أقول:

إنـا لله وإنـا إليه راجعون، هـذا والله هو البلاء بعينه، وهـؤلاء العساكر على فئتـين: (الأولى) فئة فاجرة متعاونة على الإثـم والعدوان، فما أصابها يكون جزاءً وفاقًـا، وأمـا (الثانية) فمكرهة لا بطلـة ولا تريد لإخوانها إلا الخـير، فهذه الفئة نرجو لها المغفرة، وأن يكون ما أصابها تكفيرًا لذنوبها، وكلٌّ سيبعث على نيته.

١٠٥٢ كلام محنك

مـن حق الكويتي الذي يشاهد العربي يصفق لمن يريد اغتصاب عرضه، ألّا يثـق في الضمانات التي يقدمها النظـام العربي لأمنه، ومن حقه كذلك ألّا يرهن مستقبلـه وأمنـه في نظام عربي يشـارك في اعتلاء قمته من تآمـر على حرماته كلها، فالأزمة التي يعيشها النظام العربي اليوم هي أزمة قيم، إذ جردته العلمنة المعاصـرة بقصـد أو دون قصد من قيم الإسلام، وعـاد جاهليًّا، يغير فيه القوي علـى الضعيف، وصار جزء من العرب غنيمـة وسببًا، وجزء آخر سيفًا ومتراسًا، ولا أحـد يقوى علـى جبر الثقة المكسـورة بالضمانـات العربية، ولكـن من حقنا كذلـك أن نقـول له: إن الغرب الذي يقـدم ضماناته لأمننا يقدمهـا مادام أمننا لا يتعارض مـع مصالحه، ويوم أن يتعارض فلن يلتفت إلينا كمـا يلتفت في يوم من الأيام إلى الشعب المجري والدبابات السوفياتية تدكه، ولم يلتفت إلى الشعب التشيكوسلوفاكـي والآلة العسكريـة السوفياتية تطحن عظامـه، فالغرب تحكمه بعض القيم، ولكـن لا تطغى على مصالحه، وكلنا يذكـر رفض تاتشر لاعتراض المسلمـين على كتاب سلمان رشدي (آيات شيطانية)؛ لأن هذا الاعتراض يصدم قيـم المجتمـع البريطاني الـذي يؤمن بحرية النشـر والتعبير، ولكـن هذه القيم دفعتهـا تاتشر إلى البالوعة يوم اعترض صاحب كتاب (صائد الجواسيس) على عـدم نشر كتابه في بريطانيا؛ بحجة أنـه يتعارض مع المصالح البريطانية، فقيم المجتمع البريطاني يجب أن تتقـدم المصالـح البريطانية، والبراغماتيون يفهمون ذلك جيدًا. إن كل الكويتيين يجمعون أن الولايات المتحدة الأمريكية حررت الكويت ليس حبًّا فينا ومن أجل عيوننا..! وإنما فعلته لأن هذا التحرير يتفق مع مصالحها وإرادتها وهيبتها الدولية، وهكذا فعلت بريطانيا، وهكذا فعلت فرنسا. إنهم كانوا يصححـون خطأ ارتكبـوه عندما ربوا وحشًـا مهمته إنهاك الآلـة العسكرية التي صنعهـا مبدأ نيكسـون لشرطي الخليج، وإذا بهذا الوحش يكبر، ويصبح كاسرًا

متمـردًا، ويحدد جائزته بنفسه. لذلك كان لا بد مـن تحجيم الوحش أو القضاء عليـه. إن الغـرب يفكـر في مصالحــه أولًا قبل التفكـير في مصائرنـا، وفي أثناء الاحتلال العراقي اختلف الغربيون في حل أزمة الكويت بشكل شاهدناه على هيئة مقترحـات تتقدم بها فرنسا، وتمتعض منهـا أمريكا، وأتذكر حينها أنني ناقشت مسؤولًا فرنسيًّا كانت مهمته توضيح الأمر لحكومة الكويت في الطائف، فأخبرني بـأن فرنسا ملتزمـة بقرارات مجلس الأمن كلها، وأهمهـا الانسحاب من الكويت دون قيـد أو شرط، لكنها لا تريد حل الأزمـة بأسلوب يخل بالتوازن العسكري في المنطقة، ويجعل من إيران ذات الأربعين مليون نسمة سيدة الموقف في الخليج، إذ تسيّد إيران للمنطقة يصب في النهاية في مصلحة الأمريكيين، سواء لبست إيران العمامة أم التاج، وهذا ما تعترض عليه فرنسا.

أقول:

هــذا كلام محنك صدر من رجل من رموز الإسـلام في الكويت هو الدكتور إسماعيـل الشطـي في جريدة (الحياة) يـوم ١٤١٢/٣/١٩هـ، وهـو حاصل على الدكتـوراه في الفيزياء التطبيقيـة، يعني أنه ليس درويشًـا..! حفظ بعض العلوم دون رؤية ولا فقه، كلا، بل هو عالم دين ودنيا، يعني ذيبًا وخطيبًا.

١٠٥٣ الصدر الأعظم

كتـب حسن العلـوي في (الشـرق الأوسط) يـوم ١٤١٢/٣/١٣هــ: أحصى محمـد جميل بيهم في كتابه (الحكم العثماني) ثلاثة وعشرين صدرًا أعظم؛ أي رئيـس وزراء كانت مهمته السابقة بين جندي وسياسي وحامل دورة وساعي بريد وبستاني وحارس ليلي.

وعلـى غراره أحصيت واحـدًا وأربعين قياديًّا ووزيرًا وسفـيرًا منذ أن تسلم السلطة الحزب الحاكم في العراق كانت مهنته السابقة بين نائب ضابط وجندي

وشرطي وحارس وعاطل في المقهى ومأمور سجن وجانٍ في باصات الركاب ومستخدم في المستشفى وعامل تليفونات وبائع ثلج.

أقول:

أن يتدرج المسؤول في الوظيفة من أول السلم إلى آخره بطريقة شريفة، مثل أن يرفع مستوى تعليمه بالشهادات والخبرة، وأن يكون الصعود متاحًا له مع غيره، فسبق هو غيره بجده واجتهاده وجدارته فهذا حسن جميل، وقد تابعت ما نشرته جريدة (الجزيرة) من مقابلات مع بعض الشخصيات الناجحة، وإذا منهم الأخ عبدالله النعيم أمين مدينة الرياض السابق يقول: بدأت العمل عامل محطة بنزين في الخمسينيات عند قيام خط أنابيب التابلين، والتاجر الراجحي يقول: بدأت حمالًا، والتاجر الجميح يقول: بدأت أبيع عصي الخيزران. هذه عصامية تحمد لهم ولأمثالهم، وأما من ذكرهم العلوي، فالحقيقة أنهم إلى العصابات أقرب منهم إلى الحكام.

١٠٥٤ من مخازي الغرب

قالت صحيفة (الشرق الأوسط) يوم ١٤١٢/٤/٦هـ:

بدأت من مدينة كارديف البريطانية الأسبوع الماضي محاكمة قاتل مضطرب العقل (سيكوبات) اسمه (أدريان هاول) استدرج ضحيته من خلال المراسلة على صفحة إحدى المجلات، إذ كان القتيل آلن هيكس الذي كان يبيع الأفلام الإباحية قد نشر إعلانًا فاتصل به القاتل، واتفقا على أن يلتقيا في بيت الأخير لعقد صفقة بيع، لكن القاتل (هاول) أبقاه داخل منزله، حيث ضربه على رأسه، فأغمي عليه، ثم أخذه إلى منطقة مهجورة، وأطلق عليه النار، فقتله، وألقت الشرطة القبض على (هاول) بعد أن عثرت على اسمه في أوراق منزل القتيل، واعترف القاتل بأن فكرة قتل صديقته وطفلتها راودته؛ لذا اختار شخصًا لا يمت إليه بصلة لينفس عن هاجس القتل الذي انتابه.

أقول:

هــذا الفاجر يعــرف أن العقوبة سجن وأكل فراخ، ولو كان يعرف أن العقوبة هــي القصاص ودحرجة رأسه في ميدان عام لما أقدم على فعلته الخبيثة، وصدق الله، إذ يقــول: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة:١٧٩]. ويــا ليــت العرب والمسلمين يأخذون قوانينهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم فينفذون الحدود، ويــا ليت من ينفذ الحدود منهــم يستكمل الباقــي إذن لأراح واستراح، وأذكر أن أحــد الصحفيين اليهــود أراد إحراج الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهــو في زيارة لأمريكا، وقــال لــه: كيف تقطعون يد الســارق ألا تكونوا تسببتم في جعلــه عالة على غيره؟ فــردَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه تعاليــم الإسلام يضحي بيد شخص؛ لكــي يصلح ويردع أيادي آلاف الأشخاص التي تفكر في أن تمتد لتهتك حرمات الآخرين.

واستطــرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائلًا: وقرأت البارحة نشرة مــن بلادك تقول: إن جرائم السطــو بلغت في شيكاغو عشــر حوادث في الساعة الواحــدة، وأسقط في يد هذا اليهــودي، وتمنى لــو أنه لم يدخل في هــذا الحوار مع أرطبون العــرب في العصر الحديــث الملك فيصــل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث إن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصف عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بأرطبون العرب.

والأرطبون: الداهية المحنك.

١٠٥٥ اطلب حقك بشجاعة وأدب

قال هارون بن محمد بن عبد الملك: جلس أبي يومًا فلما انقضى المجلس رأى رجلًا جالسًا، فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، تدنيني إليك، فإني مظلوم، فأدناه، فقــال: إني مظلوم، وقد أعوزني الإنصاف، قال: ومــن ظلمك؟ قال: أنت، ولست أصــل إليك، فأذكر حاجتي، قال: ومن يحجبــك عني، وقد ترى مجلسي مبذولًا؟

قال: يحجبني عنك هيبتـي منك وطول لسانك وفصاحتك وإطراء حجتك. قال: ففيـمَ ظلمتك؟ قال: ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصبًا بغير ثمن، فإذا وجب عليهـا خراج أديته باسمي؛ لئـلا يثبت لك اسم في ملكها، فيظـل ملكي، فوكيلك يأخـذ غلتها، وأنا أؤدي خراجها، وهذا لم يُسمَع بمثله في الظلم، فقال له محمد: هـذا قول تحتاج فيـه إلى بينة وشهود وأشياء، فقال له الرجل: أيؤمنني الوزير في غضبـه حتى أجيب، قال: قد أمّنتك، قـال: البينة هم الشهود، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شيء، فما معنى قولك: بينة وشهود وأشياء؟ أين هذه الأشياء إلا الغي والتغطرس؟ فضحك، وقال: صدقت والبلاء موكل بالمنطق، وإني لأرى فيك مصطنعًا، ثم وقّع بردّ ضيعته.

أقول:

إذا ظُلِمت فلا تيأس، وطالب بحقك، وكن شجاع القلب حسن الكلام وعفيف اللسان، فمثل حال هذا الرجل يتكرر في كل زمان ومكان.

١٠٥٦ خطبها وهو رضيع وتزوجها في الثانية عشرة

جاء في صحيفة مصرية يوم ١٤١٢/١٠/٨هـ:

حملت الزوجة زوجها الطفل الذي لم يتَعدَّ عمره الثانية عشرة على صدرها، وأخذت تربت عليه في حنان بالغ عندما أجهش بالبكاء أمام أحد ضباط قسم برج العـرب في محافظة الإسكندرية في أثنـاء التحقيق معه في واقعة زواجه، فاضطر ضابطـا القسـم المقدم أحمد عبدالغفـار رئيس مباحث ومعاونـه الرائد محمود خلاف إلـى محايلة الزوج بقطعة من الشيكولاتة؛ ليتوقـف عن البكاء والاستماع إلـى قصة زواجـه التي بدأت قبـل أن يكمل عامه الأول. قال الـزوج الطفل سعد محمـد: إن والده خطب له زوجته آمـال عبدالعال شعبان (١٨ عامًا) عندما كان

عمره ١٢ عامًا، وذلك كعادة أهل صعيد مصر، إذ إن العروسين من أسيوط، وقبل عـام تجدد الموضوع مرة أخرى، واتفق والدا العروسـين على تزويجهما، وبالفعل تم الزواج، وقالت الزوجة أمام الضابط: إن زوجها مثالي، وكامل الرجولة، وإنها سعيدة معه تمامًـا، وأحال ضابط قسم برج العرب العروسين إلى نيابة الداخلية في الإسكندرية ليقفا أمام خالد شلبي وكيل النيابة ليحقق معهما في هذه الواقعة، خاصـة أن الزوجـين لا يحملان وثيقـة زواج أو هوية تحقيـق الشخصية؛ لصغر سنهما، واضطر وكيل النيابة إلى الإفراج عن الزوجين اللذين ظلا طوال التحقيق الذي استمر ثلاث ساعات يمسحان دموعهما.

أقول:

لمـاذا يذهبـون بهمـا إلـى التحقيـق؟ هـذه تعليمـات القوانـين الفرنسيـة والبريطانيـة الكافرة، وهذه السن في الزواج كانت معتادة في العصور الإسلامية المشرقـة، ويقول المؤرخون: إن فارق السن بين عمرو بن العاص وابنه عبدالله ١٢ سنـة فقط، يعني تزوج في سـن أصغر من سن هذا الشاب، وفي عصرنا الحاضر الملـك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مواليـد ١٣٢٤هـ وابنه عبدالله من مواليـد ١٣٣٩هـ؛ أي بينهمـا ١٥ سنـة؛ يعنـي أن الملـك تزوج في سـن ١٤ سنة، ويا ليـت شباب العرب والمسلمـين يتزوجون في سن الـ ١٥ سنة أو ١٦ أو ١٧ سنة، فبلاد العرب والمسلمين في حاجة إلى الرجال، واليهود في فلسطين يدفعون جوائز ومغريات لمن يكثر نسله من أولاد القردة والخنازير وعبدة الطاغوت، ويا ليت ولاة الأمر لدينا يخصصون مكافـآت لمن ينجب البنـين والبنات، والمملكة بحمد الله واسعـة، وتحتاج إلى من يملؤها كمًّا وكيفًا، وما أخالهم إلا صانعين ذلك إن شاء الله.

١٠٥٧ مقابلة ملكية

قيل عن أبي حامد الغزالي: لما أحس بدنو أجله، قال لبعض أصحابه: ائتني بثوب جديد، فقال له: ما تريد به؟ قال أبوحامد: سألقى به الملك، فجاؤوه بالثوب،

فطلـع به إلى بيته، وأبطأ على أصحابه، فلم يعد، فذهب إليه أصحابه يستطلعون نبأه، فإذا هو ميت، وإذا عند رأسه ورقة كتب فيها هذه الأبيات:

قـلْ لإخـــوانٍ رأوني ميتًا	فـــرثَـــوني وبـكَـــوني حُـزنـا
أتـظـنـوني بــأنّي ميـتُكم	لـيـسَ هــذا المـيـتُ والله أنـا
أنـا في الـصـورِ وهــذا جسدي	كــانَ بـيـتـي وقـمـيـصـي زمـنـا
أنـا عـصـفـورٌ وهــذا قفصي	طـــرتُ عـنـه وبـقـى مُـرتـهـنـا
أنـا درٌّ قـد حــواه صـدفٌ	لامـتـحـاني فـنـفـيـتُ المـحـنـا
أحـمـدُ الله الـذي خلَّصَني	وبـنـى لي في المـعـالي سَكـنـا
كنتُ قبلَ اليومِ ميتًا بينكمْ	فـحـيـيـتُ وخـلـعـتُ الـكـفـنـا
قـد تـرحـلـتُ وخـفـلـتكمو	لستُ أرضَـى داركـمْ لي وَطنا
لا تـظـنـوا المـوتَ موتًا إنـه	كـحـيـاةٍ وهــو غـايـاتُ المُنـى
لا تـرعْـكمْ هـجـمـةُ المـوتِ فما	هــيَ إلاّ نـقـلـةٌ مــنْ هَـهـنـا

أقول:

الإمـام الغـزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الأئمـة العظـام في الإسلام وفي البيـت السابع يصـف نفسـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه ميت بـين قومه، وهـذا من تواضـع العلمـاء، وإلا فهو سـراج بينهم منير، ومـن كان مثله فليس يوصف بالميت، بـل الميت صفة للجاهل بـين العلمـاء؛ لقولـه تعالـى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢].

١٠٥٨ الله أكبر

عـن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: إذا أتيت سلطانًا مهيبًا تخاف أن يسطو عليك، فقل: الله أكبر. الله أعز من خلقه جميعًا، الله أعز مما أخاف وأحذر، أعوذ بالله

الــذي لا إلــه إلا هو الممسك السماوات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر عبــدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه مــن الجن والإنس اللهم، كن لي جارًا من شرهــم، جل ثناؤك وعز جــارك، وتبارك اسمك، ولا إله غــيرك ثلاث مرات[1]. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه. ورواه ابن مردويه في كتاب (الأدعية) له، وزاد بعد قوله: والأنس اللهم، إنا نعوذ بك أن يفرط علينا أحد منهم، أو أن يطغى.

أقول:

نعــم، السلطان إنسان مثلك إن كان الله في نفســك كبيرًا ومعظمًا أكبر من السلطان، فسيحميك منه.

١٠٥٩ ابن بليهد وعجوز السوء

هــو الشيــخ عبدالله بــن سليمان بن بليهــد قاضي مدينة حائــل، وكان حاد الــذكاء، وكثير الفقــه والفراسة، من فراستــه أن عجوزًا ذهبــت إلى دار قوم في وقته كان عندهــم عشاء، فتقدمت العجوز عند فراغها تطرق الباب كأنها رسول سلطــان كعــادة الثقلاء، ومــن قل حياؤه مــن الطفيليــة والأغبياء، فجــاءت ربة البيــت، وعنفت الكلام لهــذه المرأة، فأجابت عجوز السوء للمــرأة تشفيًا بقولها: لم أجئ نحوكم للطعام، وإنما أمانة في عنقي كلفت أداءها بأن زوجك أخوك من الرضاعة والسلام، وذهبت كالريح العاصفة، فلما ألقت هذه المقالة، كان جوابها إرســال العبرات من المرأة المسكينة، واجتمع عليها بثها وحزنها وترك الطعام في المواعــين وأهان الداعي المدعوين، فمــا كان ليلة أطول من ليلتهما، وانبعث الزوج مسارعًــا لما طلع الفجر إلى الشيخ سليمان ليكشــف هذه الغمة، فلما جاءه وقص عليه القصص قال: ائتني بها إن كنت تعرفها، فدعا الرجل العجوز، وأجلسها بين

---

(١) أخرجــه ابن أبي شيبة (١٠/٢٠٣ رقــم٢٩٧٨٧)، والبخاري في الأدب المفرد (رقم٧٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢/٢٦٧ رقم٢٢٣٨).

يـدي الحاكم ليأخذ المسألة من فيها، وكلمها مخاطبًـا: نريد يا أمة الله، الفراق بـين هذا وزوجه، فإن كنت على يقين فتكلمـي وإلا فحققي، فأجابت العجوز: أيها الشيخ، إني لست بأمير ولا قاضٍ إنما أخبر عن الواقع، ومن اهتدى فلنفسه ومن أسـاء فعليها، وما لدي سلطة على أحد، فقال لها: يا هذه، اتقي الله، فبين يديك هول المطلع شديد، وإن هذا النبأ يقتضي أمورًا منها أنك قد فرقت بين مجتمعين طالمـا اجتمعا، وثانيًا له أولاد، ويلحقهـم بذلك خجل، وثالثًا يفارقها بغير طلاق، فيكـون عار زواجها وإثمه عليـك وكل هذا في ميزانك غدًا والناقد بصير، فكوني على يقين لتنالي السلامة في الدنيا والآخرة، فارتعدت هذه العجوز بعدما خجلت، وأخبرتـه بحقيقـة الأمر؛ بأنها لمـا عنفت عليها بالكلام لم تجـد عقوبة أنكى من هذه الدعوى، فقام عليها بالعصا، وطفق يضربها ضربًا شديدًا، وطردها خاسئة حسـيرة، وأمر الرجل أن يذهـب إلى أهله. عن تاريـخ إبراهيم بن عبيد، الجزء الأول، ص١٥٤.

أقول:

نهدي هذه النادرة إلى الإخوة القضاة؛ لكي لا يتسرعوا في الحكم، وإلى بقية القراء ليداروا الناس، ويحذروا من كيد الضعيف.



١٠٦٠ الخشوع

كان الصحابـي الجليـل حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «إياكم وخشـوع النفاق» فقيل لـه: وما خشوع النفـاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعًا والقلـب ليس بخاشع، ورأى عمـر ابـن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رجـلًا طأطـأ رقبته في الصـلاة، فقال: يـا صاحب الرقبـة، ارفـع رقبتك ليس الخشـوع في الرقاب، إنما الخشـوع في القلوب. ورأت عائشـة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا شبابًا يمشـون، ويتماوتـون في مشيتهم، فقالـت لأصحابها: من هـؤلاء؟ فقالـوا: نساك، فقالـت: كان عمر بن الخطـاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع، وإذا أطعم أشبع. وكان هو الناسك حقًّا، وقال

الفضيل بن عياض: كان يكره أن يرى الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه. وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، وربّ مصلٍّ لا خير فيه، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعًا». وقال سهل: من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان.

أقول:

بعض الناس في هذا العصر تركوا أعمالهم بحجه الزهد، وركبوا الحمير والإبل، ومنعوا أولادهم وبناتهم من التعليم الحكومي، وكل هذا ليس من الزهد، وليس من تعاليم الإسلام في شيء، وإنما من دروشة وضعف.

١٠٦١ اذهب فقد أفتيت نفسك

جاء في كتاب (إغاثة اللهفان) لابن القيم: قال رجل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما تقول في الغناء أحلال هذا أم حرام؟ فقال: لا أقول حرامًا إلا ما في كتاب الله. فقال: أفحلال هو؟ فقال: ولا أقول ذلك. ثم قال له: أريت الحق والباطل إذا جاء يوم القيامة: فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل، فقال له ابن عباس: اذهب، فقد أفتيت نفسك، فهذا جواب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن غناء الأعراب الذي ليس فيه مدح الخمر والزنا واللواط والتشبيب بالأجنبيات وأصوات المعازف والآلات المطربات، فإن غناء القوم لم يكن فيه شيء من ذلك، ولو شاهدوا هذا الغناء لقالوا فيه أعظم قول، فإن مضرته وفتنته فوق مضرة شرب الخمر بكثير وأعظم من فتنته.

أقول:

وماذا يقولون فيما يحدث من المغنيين والمغنيات، وممن يسمونهم الفنانين والفنانات؟ والحقيقة أنهم الفتانون والفتانات!

١٠٦٢ اعمل المعروف لله فقط

مـن الجزاء أن يطلـب الدعاء. قـال تعالى عمن أثنـى عليهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩]. والدعـاء جزاء، كما في الحديث: «**من أسـدى إليكـم معروفًا فكافئـوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه بـه فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه**»[١].

وكانـت عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذا أرسلت إلـى قوم بصدقة تقـول للرسول: اسمع مـا يدعون به لنا؛ حتى ندعو لهـم بمثل ما دعوا لنا، ويبقى أجرنا على الله. وقال بعضـ السلف: إذا قال لك السائل: بـارك الله فيك، فقل: وفيك بارك الله. فمن عمل خيرًا من المخلوقين سواء كان المخلوق نبيًّا أو رجلًا صالحًا أو ملكًا من الملوك أو غنيًّـا من الأغنياء، فهذا العامل للخير مأمور بأن يفعل ذلك خالصًا لله يبتغي بـه وجـه الله، لا يطلب بـه من المخلوق جـزاءً ولا دعاءً ولا غـيره، لا نبي ولا رجل صالح ولا من الملائكة، فإن الله أمر العباد كلهم أن يعبدوه مخلصين له الدين.

١٠٦٣ عقوبات ورحمات

قال الإمام ابن تيمية: فالذنوب لها عقوبات: السر بالسر والعلانية بالعلانية، وروي عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا قالت: سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هـذه الآيـة: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] فقال: «**يا عائشـة، هذه مبايعة الله العبد مما يصـيبه من النكبة والحمى، حتى الشـوكة والبضـاعة يضـعها في كمـه، فيفقدها، فيفـزع لها، فيجدهـا في جيبه، حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير**»[٢].

---

(١) أخرجـه أحمـد (٢٦٦/٩ رقم٥٣٦٥)، وأبو داود (٥٢/٢ رقـم١٦٧٤)، وصححه العجلوني في كشف الخفاء (٢٢٥/٢ رقم٢٣٦٨)، والألباني في إرواء الغليل (٦٠/٦ رقم١٦١٧).

(٢) أخرجـه احمد (٢٩/٤٣ رقـم٢٥٨٣٥)، والترمذي (٢٢١/٥ رقم٢٩٩١)، وقـال: هذا حديث حسن غريب. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم٦٠٨٦).

١٠٦٤ ثبّت المذياع على القرآن الكريم

قــال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن الكريم، فإن كان يحب القرآن الكريم فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن الكريم فهو يبغض الله ورسوله»، وقال عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ» وقــال ابــن مسعود: «الذكر ينبــت الإيمان في القلوب، كمــا ينبت الماء البقل، والغنا ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل».

أقول:

تيســر في هذا العصر سماع القــرآن وعلومه من الإذاعة المسموعة والمرئية، وماذا على المسلم إذا ثبت مؤشر مذياع السيارة والمنزل على إذاعة القرآن الكريم وعلومــه، ونرجــو من الإخــوان في برنامج (نــور على الــدرب) أن يرفعوا مستوى الأسئلــة فــلا يذيعوا إلا الأسئلــة الوجيهة، ونأمل في الله ثم وكيــل الوزارة لشؤون الإذاعــة الأخ الأستاذ الدكتور علــي عبدالعزيز الخضيري وزملائه كل خير، وهو في العقــل والرزانة بمكان رفيــع. نسأل الله له ولكل مخلــص القبول والتوفيق في العاجلة والآجلة.

١٠٦٥ البدعة أحب إلى إبليس

قــال أئمة الإسلام، كسفيان الثوري وغــيره: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يُتاب منها، والمصية يُتاب منها، ومعنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زُيّن له سوء عملــه، فــرآه حسنًا، فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًــا؛ لأن أول التوبة العلم أن فعله سيئ ليتوب منه، فما دام يرى فعله حسنًا وهو سيئ في الأمر نفسه، فإنه لا يتوب.

١٠٦٦ العالم بين الله وبين خلقه

روى ابـن عيينة عن محمد بن المنكدر قـال: «إن العالم بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم». وقال سهل بن عبد الله: «من أراد أن ينظر إلى محاسن الأنبياء فلينظر إلى محاسن العلماء يجيء الرجل، فيقول: يا فلان، ماذا تقول في رجل حلـف على امرأته بكذا وكذا؟ فيقول: طلقت امرأتـه، وهذا مقام للأنبياء، فاعرفـوا لهـم ذلك». قال عبد الرحمن بـن أبي ليلى: «أدركـت عشرين ومئة من الأنصـار من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل أحدهم المسألة، فيردها هذا إلـى هذا وهـذا على هذا حتى ترجع إلـى الأول ما منهم من أحـد إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا». وقال ابن مسعود: «من أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون»، وعـن ابـن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نحـوه. وقـال حصين الأسـدي: «إن أحدكـم ليفتي في المسألـة لو وردت على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لجمع لها أهل بدر». وعن الحسن والشعبـي مثله، وقال الحاكم: «سمعت أبا عبد الله الصفار يقول: سمعت عبد الله بـن أحمد يقول: سمعـت مالك بن أنـس يقول: سمعت محمد بـن عجلان يقول: إذا أخطـأ العـالم (لا أدري) أصيبت مقاتلـه». وروي ذلك بنحوه عن ابن عباس، وذكـر أبوعمر عَن القاسم بن محمد أنه جـاءه، فسأله عن شيء؟ فقال القاسم: لا أحسنه، فجعل الرجل يقول: إني دفعت إليك لا أعرف غيرك. فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي، والله لا أحسنه، فقال شيخ من قريش جالـس إلى جنبه: يا ابن أخي، الزمها فوالله ما رأيت في مجلس أبيك مثل اليوم، فقال القاسم: والله لئن يقطع لساني أحب إليَّ من أن أتكلم بما لا أعلم.

أقول:

ليت إخواننـا طلبة العلم يدركون هذا الكلام وعظيم مسؤولية الإفتاء، فقد كثر الإفتاء في الصحف والمجلات وقليلًا ما نسمع من يقول: لا أدري، إلا الشيخ الطنطاوي، فقد سمعته أكثر من مرة يقول: لا أدري، اسألوا غيري، فهذا هو أدب العلماء.

١٠٦٧ أكله كلب من كلاب الله

كان أبولهب له ولدان: عتيبة، وعتبة قبل أن يعلن رسول الله ﷺ دعوته، وكان الرسول له بنتان: رقية وأم كلثوم، فخطب بنتي رسول الله لابنيه، فلما جهر رسول الله بدعوته، ووقف منه أبولهب ذلك الموقف قال لابنيه: لستما مني إن لم تطلقا بنتي محمد، فعتبة كان مؤدبًا، وطلق رقية. لكن عتيبة قال: والله لا أطلقها حتى أوذيه. فمر على رسول الله ﷺ وقال: إنني رددت عليك بنتك، وطلقتها، ثم تفل في الجهة التي فيها رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ وكان عمه أبوطالب موجودًا: «أكلك كلب من كلاب الله»، في هذه الأثناء كانت هناك رحلة لقريش ذاهبة إلى الشام، وكان فيها أبولهب وابنه، فلما وصلوا إلى مكان أرادوا أن ينيخوا فيه، فقال أصحاب ذلك المكان: إنه مكان سبعة- يعني مكان ظهور السباع- فتنبه أبولهب، وقال: يا معشر قريش، أغيثوني في دعوة محمد، فما كان منهم إلا أن جاؤوا بإبلهم، وأناخوها كالدائرة، وجعلوا المبيت في وسط الدائرة، وبعد ذلك جاء سبع، فظل يتشمم إلى أن وصل إلى عتبة، فأكله[1].

١٠٦٨ كيف تصرف الأموال؟

روى زيد بن أسلم عن أبيه أن بني عدي جاؤوا إلى عمر رضي الله عنه فقالوا: إنك خليفة رسول الله ﷺ وخليفة أبي بكر، وأبوبكر خليفة رسول الله ﷺ فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا، فقال: بخ بخ يا بني عدي، أردتم الأكل على ظهري، وأن أهب حسناتي لكم، لا والله، حتى تأتيكم الدعوة، وإن انطبق عليكم الدفتر يعني لو أن تكتبوا آخر الناس، إن لي

(١) ذكر القصة قريبا من هذا إسماعيل الأصفهاني في دلائل النبوة (ص٢١٩).

صاحبين سلكا طريقًا، فإن خالفتهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا، ولا نرجو الثواب في الآخرة على عملنا إلا بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب بالأقرب، فوالله لئن جاءت الأعاجم بعمل، وجئنا بغير عمل لهم أولى برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منا يوم القيامة، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه[١].

أقول:

الله المستعان في عصورنا الأخيرة استأثر ببيت المال ليس قريب السلطان فقط، بل كل من له ناب ومخلب، فزاد الغني غنى، ونُسي الفقير، وأقترح هنا، وأرجو الله أن يطلع على اقتراحي هذا من سلاطين وولاة أمور المسلمين من يأخذ به، وأن يكون في موازين من ينفذه أولًا، ثم في موازيني، وهذا الاقتراح يتلخص في البحث عن المحتاجين في أماكن وجودهم، بواسطة أهل الثقة مثل أئمة المساجد وعقلاء الأحياء السكنية ليبحثوا عن الأرملة والشيخ الطاعن في السن والمعوّق والأمي، وأغلبهم لا يعرف طريقة الوصول إلى إدارة الضمان الاجتماعي أو جمعيات البر التي لها جهد مشكور في هذا المجال، وهذا ليس صعبًا، فبهذا يقل الحسد، وتقل البغضاء، ويكثر الدعاء الصالح للسلطان وولاة الأمور، وأذكر قصة لرجل رُفِع أمره للملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه يشتمه، واستشار الملك بعض رجاله، فقال أحدهم: اقتله، قال: كلا، هذا ليس برأي، قالت له بطانة الخير: هذا يا عبد العزيز، من شيبان المسلمين أرسل له بخرجية واعتذار، قال الملك: أحسنت هذا هو الرأي، وحين وصلته الهدية خرج في الصباح، ورفع صوته، وقال: والله الذي لا إله غيره ما أحد يقول في الإمام شيء إلا فلقت هامته بهذا السوط، أرأيت كيف فعل السخاء والعطاء؟ وهذه قصة تاجر آخر، وهو إبراهيم الجربوع مع وكيل تجارته إلى بلاد الشام محمد العليان من قريتنا الربيعية قال ذات يوم

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخ الرسل والملوك (٢/ ٥٧٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٩٥-٢٩٦).

وهـو في الميـدان بدمشق: يـا ليت هذه البنايـة الكبيرة لعمـي إبراهيم الجربوع، قالـوا: لمَ لا تطلبها لنفسك يا أبوعليان، قال: أنـا أعرف أتعامل مع الفقر، ولكن عمي إبراهيم ما يعرف للفقر، وسبب إيثار عمه ابن الجربوع على نفسه؛ لأن ابن جربـوع لم يبخل عليه قط، بل جعل له كامل الصلاحيـة، وسمح له بأن يصرف، ويهدي، وكأن المال ماله هو، وليس مال الجربوع، وهذا هو سر الحب بدل البغض، وما أحدث العداوات على جميع المستويات إلا الشح المطاع، والهوى المتبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

١٠٦٩ لماذا يطبع في فرنسا؟

قالـت جريـدة (الشرق الأوسـط) يـوم ١٤١٣/١٠/٢٧هـ: إن الشيخ حمد الجاسـر عضو المجمع اللغوي بمصر انتقد بشدة المعجـم العربي الأساسي الذي أصدرتـه المنظمـة العربية للتربية والثقافيـة والعلوم (أليسكـو) التابعة لجامعة الدول العربيـة، ووصفه بأنه يسيء إلى اللغة العربية؛ لاحتوائه على أخطاء لغوية مذهلة، وحتى أخطاء في آيات القرآن الكريم، وقال: إن الإنسان يستغرب أن تعهد هيئـة ثقافية رسمية تابعة لمنظمة إقليمية بهـذا العمل إلى فئات غير متخصصة وغـير معروفـة في المجامع اللغويـة المشهورة، بـل تعهد بنشـره في مؤسسة لاوس الفرنسية.

أقول للشيخ:

إذا كنت تستغرب فنحن نستنكر، ولكن نذكر للشيخ أن لغة العرب محفوظة بالقـرآن الكـريم، وليست بمعاجم تطبع في فرنسا، ولـن يقرأها أحد؛ لأن العرب لا يقـرؤون كما يقول ذلك الأعداء، وهم وإن كانوا كاذبين إلا أنهم في هذه التهمة صادقون.

١٠٧٠ فضيلة حسن الخلق

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيًا عليه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلقه القرآن، وسأل رجل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن حسن الخلق، فتلا قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩] ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك**»[١] وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[٢]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق**»[٣]، وجاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين يديه، فقال: يا رسول الله، ما الدين؟ قال: «**حسن الخلق**» فأتاه من قبل يمينه، فقال: يا رسول الله، ما الدين؟ قال: «**حسن الخلق**» ثم أتاه من قبل شماله، فقال: ما الدين؟ فقال: «**حسن الخلق**» ثم أتاه من ورائه، فقال: يا رسول الله، ما الدين؟ فالتفت إليه، وقال: «**أما تفقه؟! هو ألا تغضب**»، وقيل: يا رسول الله، ما الشؤم؟ قال: «**سوء الخلق**»[٤] وقال رجل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أوصني، فقال: «**اتقِ الله حيثما كنت**» قال: زدني، قال: «**أتبع السيئة الحسنة تمحُها**» قال: زدني، قال: «**خالق الناس بخلق حسن**»[٥]، وسئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**خلق**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤/٣٨٣ رقم١٥٦١٨)، والطبراني في الكبير (١٧/٢٦٩ رقم٧٣٩)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٦/١١٣ رقم٢٦٠٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٤/٥١٢ رقم٨٩٥٢)، والبخاري في الأدب المفرد (رقم٢٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٢٣٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي بلفظ قريب (٤/٣٦٣ رقم٢٠٠٤)، وقال: هذا حديث صحيح غريب. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٢/١٤٨ رقم١٧٢٣).

(٤) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (رقم٣٤٠)، بلفظ قريب، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٤/١١٣٥ رقم٧٠٣٢).

(٥) أخرجه الترمذي (٤/٣٥٥ رقم١٩٨٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

حسن»[1]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما حسّن الله خَلْق عبد وخُلُقه، فيطعمه النار**»[2] وقال الفضيل: قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال: «**لا خير فيها هي من أهل النار**»[3]، وقال أبوالدرداء: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الإيمان قال: اللهم، قوّني، فقواه بحسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الكفر قال: اللهم، قوني، فقواه بالبخل وسوء الخلق**»[4]، وقيل: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل إيمانًا؟ قال: «**أحسنهم خلقًا**»[5]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق**»[6]، وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**»[7].

وعن جرير بن عبدالله قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنك امرؤ قد حسن الله خَلْقك، فحسن خُلُقك**»[8]، وعن البراء بن عازب قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا**»[9].

---

(١) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه (١/١٨٠ رقم٤٦٨)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (رقم٣٤٠)

(٢) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (رقم٢٠٣٠)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (رقم١٠)، والديلمي في مسند الفردوس (٤/٣٥٥ رقم٧٠٢٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (٢/١٠٢ رقم١٦٠٠).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٢/٩٤ رقم٩٠٩٨)، والبخاري في الأدب المفرد (رقم١١٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/١٨٩ رقم١٩٠).

(٤) ذكر الحديث أبو حامد الغزالي في إحيائه (٤/٦٣)، وقال العراقي: وحديث أبي الدرداء "أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق» الحديث لم أقف له على أصل.

(٥) أخرجه أبو داود (٤/٣٥٤ رقم٤٦٨٤)، والترمذي (٣/٤٦٦ رقم١١٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) أخرجه أبو يعلى (١١/٤٢٨ رقم٦٥٥٠)، والبزار (٢/٤٤٢ رقم٨٥٤٤)، وقال المنذري في الترغيب (٣/٩ رقم٢٦٦١): رواه أبو يعلى والبزار من طرق أحدها حسن جيد. وقال الألباني: حسن لغيره.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم١٧٦).

(٨) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٥/٤٠٩ رقم٨٥٧٧)، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٤/٦٤): فيه ضعف.

(٩) أخرجه البخاري (٤/١٨٨ رقم٣٥٤٩)، ومسلم (٤/١٨١٩ رقم٢٣٣٧).

١٠٧١ ورطة هدى مع عيدي أمين

هدى الحسيني هي الصحفية اللبنانية الشهيرة بالمقابلات الصحفية الساخنة، سألها محرر مجلة (المجلة) (١٤١٢/١١/٢٤هـ) عن أغرب موقف مرَّ عليها مع من قابلتهم؟ فقالت: قابلت عيدي أمين في القاهرة في أثناء مؤتمر قمة عربي إفريقي كان يقيم في فندق المريديان في الطابق (١٢) ذهبت إليه لأجد في انتظاري مسؤول البروتوكول، فأدخلني إلى غرفة يجلس فيها نحو ستة أشخاص، وأمام كل منهم مجموعة كتب عن أعمال الرئيس وإنجازاته، قالوا لي: خذيها ووزعيها ردًّا على الحملة التي يشنها أعداء الرئيس طبعًا، وتناسيتها بعد انتهاء المقابلة، أشار إلي مسؤول البروتوكول أن أتبعه، فأدخلني غرفة مظلمة والستائر مسدلة، وأجلسني قرب الباب، وخرج، وساورني قلق كبير، ولمت نفسي على هذه الورطة، وفجأة سمعت صوت باب يُفتح، ووقع خطوات وتكتيت آلات التصوير وصوت كاميرا تلفزيونية، ثم أضيء ضوء في وسط الغرفة، لقد كان المصورون الأوغنديون على الجانب الآخر من الغرفة دون حركة، ونظرت فإذا عيدي أمين يقف أمامي ضخمًا كالجبل، وحول وسطه مسدس، وعلى الرغم من خروج صورتي معه بالأبيض والأسود إلا أن علامات الخوف بدت في صورتي، فأدرت آلة التسجيل، وبدأت الحوار، وتلاشى الخوف مني، وكانت أكثر مرة في حياتي ضحكت وأنا أجري مقابلة مع مسؤول، وكنت كلما سألته سؤالًا سياسيًّا يصر على الحديث عن المرأة في حياته، وقال: سأطلب من ملكة بريطانيا التنازل عن رئاسة مجموعة الكومنولث ليحل محلها، وسألته إذا رفضت أي أوغندية أن تتزوجه؟ فكان جوابه زئيرًا مثل زئير الأسد، وقال: هذا مستحيل، وقال: كل امرأة تزوجتها أنجبت منها، حتى ولو كانت عاقرًا بشهادة من الطبيب.

أقول:

ما أشجع بنت الحسيني، وما أقوى أعصابها! وكثير من زعماء العالم الثالث بهذا المستوى من التفكير والسذاجة؛ لأنهم أتوا إلى الحكم بالمصادفة، والانقلابات العسكرية.

١٠٧٢ وصية إلى أهل الفتوى

جـاء في الموافقـات للشاطبي أن الشعبي أوصى بعض مـن تلقوا عنه، فقال: احفظ عني ثلاثًا: إذا سئلت في مسألة، فأجبت فيها، فلا تتبع مسألتك، أرأيت أن الله تعالـى قال في كتابـه الكريم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]، والثانية إذا سئلت عن مسألة فلا تقس شيئًا بشيء، فربما حرّمت حلالًا أو أحللت حرامًا، والثالثة إذا سئلت عما لا تعلم فقل: لا أعلم.

أقول:

مـا أحسن هـذا التوجيه! الـذي استمده الشعبي مما جـاء في سياق حديث المغـيرة ابن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الـذي يقول فيه: نهى رسول الله صلـى الله علية وسلم عـن قيل وقال، وكثرة السـؤال، وإضاعة المال[١]. الشاهد هنـا كله كثرة السؤال، فعلـى طلبة العلـم المتصدين للفتوى ألّا ينسوا هذا، وكذلـك على المسلم ألّا يسأل عن شيء في المعفوّ عنه، أو المسكوت عنه.

١٠٧٣ وصية عالم لتلميذه

أوصـى عالم تلميـذه. قال: اعلم أنك متـى أسأت عشـرة الناس صاروا لك أعـداء، ولـو كانوا لـك أمهات وآبـاء، وأنك متـى أحسنت عشرة قـوم ليسوا لك بأقرباء صاروا لك أمهات وآباء، كأني بك وقد دخلت المدينة وأقبلت على المخالفة بهـا، ورفعت نفسك عليهم، وتطاولت بعلمك لديهـم، وانقبضت عن معاشرتهم، وخالطتهـم، وهجرتهـم وهجـروك، وشتمتهـم وشتمـوك، وضللتهـم وضللوك، وبدّعتهـم وبدّعوك، واتصل ذلك الشين بـك وبنا، واحتجت إلى الهرب والانتقال

(١) عـن المغيرة بـن شعبة عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إن الله حرم عليكم عقـوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنـات. وكره لكم: قيل وقال، وكـثرة السؤال، وإضاعة المال»، أخرجه البخاري (٨/٤ رقم٥٩٧٥)، ومسلم (١٣٤١/٣ رقم٥٩٣).

عنهــم. وليس هذا بــرأي، إنه ليس بعاقل من لم يدارِ من ليس له من مداراته بدّ. حتــى يجعل الله لــه مخرجًا إذا دخلت المدينة استقبلــك النـاس وزاروك، وعرفوا حقــك، فأنــزل كل رجل منزلتــه، وأكرم أهل الشــرف، وعظّم أهــل العلم، ووقّر الشيــوخ، ولاطف الأحــداث، وتقرّب من العامة، ودارِ الفجــار، واصحب الأخيار، ولا تتهاون بسلطان، ولا تحقرنّ أحدًا، ولا تقصرنّ في مروءتك، ولا تخرجنّ سرك إلــى أحــد، ولا تثق بصحبة أحد حتى تمتحنه، ولا تخــادن خسيسًا ولا وضيعًا، ولا تألفنّ ما ينكــر عليك في ظاهره، وإياك والانبساط إلى السفهاء، وعليك بالمدارة والصبر والاحتمال وحسن الخلق وسعة الصدر، واستجد ثياب كسوتك، واستفره دابتك، وأكثر استعمال الطيب، وابذل طعامك، فإنه ما ساد بخيل قط. ولتكن لك بطانــة تعرفك أخبار النـاس، فمتى عرفت بفساد بادرت إلى صلاح، ومتى عرفت بصــلاح ازددت فيــه رغبة وعنايــة، واعمل في زيادة من يــزورك ومن لا يزورك، والإحســان إلى من يحسن إليك أو يسيء، وخذ العفو وأمر بالمعروف، وتغافل عمَّا لا يعنيك، واترك كل ما يؤذيك، وبادر في إقامة الحقوق، ومن مرض من إخوانك فعُدّه بنفسك، وتعاهده برسلك، ومن غاب منهم افتقدت أحواله، ومن قعد منهم عنــك فلا تقعد أنــت عنه. وأظهر تــوددًا للناس ما استطعت، وأفشِ السلام ولو علــى قــوم لئام، ومتى جمــع بينك وبين غيرك مجلــس أو ضمــك وإياهم مسجد وجــرت المسائــل وخاضوا فيها بخــلاف ما عندك، لم تبدِ لهــم خلافًا فإن سئلت عنهــا أخبرت بما يعرفه القوم، ثم تقول: فيها قول آخر وهو كذا وكذا والحجة له كذا، فإن سمعوه منه عرفوا مقدار ذلك ومقدارك، فإن قالوا: هذا قول من؟ قل: بعض الفقهــاء، وإذا استمروا على ذلك وألفوه عرفــوا مقدارك وعظموا محلك، وأعطِ كل من يختلف إليك نوعًا من العلم ينظرون فيه، وآنسهم ومازحهم أحيانًا وحادثهم، فإن المودة تستــديم مواظبة العلم، وأطعمهم أحيانًا واقضِ حوائجهم، واعــرف مقدارهم، وتغافل عن زلاتهم، وارفق بهم وسامحهم ولا تبدِ لأحد منهم ضيــق صــدر أو ضجرًا، وكــن كواحد منهــم، واستعن على نفســك بالصيانة لها

والمراقبة لأحوالها، ولا تكلف الناس ما لا يطيقونه وارضِ لهم ما رضوا لأنفسهم، وقدِّم إليهم حسن النية، واستعمل الصدق، واطرح الكبر جانبًا، وإياك والغدر وإن غدروا بك، وأدِّ الأمانة، وإن خانوك، وتمسك بالوفاء، واعتصم بالتقوى.

١٠٧٤ تفريغ الفتوى بحسب الطلب

قال الداعية الإسلامي يوسف القرضاوي في كتابه (أين الخلل؟) ص (٢٢): لا عجب أن يُهزم ألف مليون من غثاء السيل أمام ثلاثة ملايين من اليهود. ذلك هو حال أمتنا من الشتات والضياع والغيبة عن الوجود، فمن المسؤول عنه؟ ونحن لا نريد تحديد المسؤولية هنا عن ضياع أمتنا وتعطيل طاقاتها لنحاكم المسؤولين عنه محاكمة ثورية أو شعبية، فمهمتنا مهمة الدعاة لا مهمة القضاء، وما نريد إلا أن نعرف من أين أُتينا حتى نسد مواقع الخلل، ونعالج مواضع الداء، ونتقي مكامن الخطر. وهل تقع المسؤولية على الحكام وأصحاب السلطان؟ إن الأكثرية تميل إلى تحميل الحكام وزر ما نحن فيه؛ وذلك لجملة أسباب: الأول أن الناس عادة يحبون أن يبرئوا أنفسهم، ويحملوا المسؤولية لغيرهم، ولهذا تحب الشعوب أن تحمل عبء تبعتها على عاتق حكامها. والثاني أن شعوبنا نحن المسلمين خاصة عانت من حكامها الكثير، فهي تنفس عن نفسها حين تحملهم إثم ما أصابهم. والثالث أن المسؤولية بقدر المكانة، والسلطة والحكام قد مكنوا وسلطوا، ولكنهم لم يكونوا عند حسن الظن بهم، لم يكونوا كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج:٤١]، ولا ريب أن الحكام يحملون قسطًا كبيرًا، وربما القسط الأكبر مما نحن فيه، ولكن من المؤكد أيضًا أن الحكام في الغالب أشبه بشعوبهم، وهم إفراز مجتمعاتهم، حتى الحكام الذين يفرضون على شعوبهم إنما يستمر حكمهم بممالأتها لهم أو على الأقل سكوتها عنهم، فقد ورد: «**كما**

تكونوا يولى عليكم»[1]. وهل تقع المسؤولية على العلماء؛ لأنهم ورثة الأنبياء ودعاة الحق وهداة الخلق الذين أخذ الله عليهم الميثاق ليبينّنّ دين الله للناس، ولا يكتمونه. بيد أن من العلماء من قصر في واجب البيان والبلاغ، ومنهم من مشى في ركاب السلطان، وجعل العلم خادمًا للسياسة، وجعل من نفسه جاهزًا لتفريخ (الفتوى بحسب الطلب).

والحقيقة أن علماء اليوم لم يعودوا وحدهم في الميدان كما كانوا في العصور الماضية، فقد غدا الذين يملكون الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية في أجهزة الإعلام أشد تأثيرًا في الجماهير من أصحاب المنابر، وإن كان لكلمة الدين من القوة ما ليس لغيرها، وإن مشكلة علماء اليوم أنهم أصبحوا موظفين لدى الحكام، فهم الذين يملكون توليتهم وعزلهم، وليسوا كعلماء السلف الذين اشتغلوا بالحرف والتجارة وغيرها ليكفوا أنفسهم بأنفسهم، ولقد سئل أحد الولاة عن سر قوة الإمام الحسن البصري وشموخه؟ فقال الوالي في صراحة: احتجنا إلى دينه، واستغنى عن دنيانا. فماذا يكون الحال إذا احتاج العلماء إلى ما عند الحكام من دنيا، واستغنى الحكام عما عند العلماء من دين؟ على أن من العلماء من أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ولقي في سبيلها من العذاب ما لقي، بل منهم من قدّم رقبته في سبيل الله.

أقول:

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدّد المسؤولية في الحديث الشريف الشهير: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[2] ولكن من وجهة نظري الشخصية أن المسؤولية العظمى والكبرى تقع على العلماء والحكام، فإذا صلح هذان الصنفان من الناس فالبقية تتبعهم قطعًا، هل يريد أحد أن نضرب الأمثلة؟ هل نذكر بعهد الرسول الكريم أو بعهد خلفائه الراشدين أو هذا محال الوصول إلى مستواه في الصلاح؟ كلا، كلا، فالخير باقٍ في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قيام الساعة.

---

(١) ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٤٩٠ رقم٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥ رقم٨٩٣)، ومسلم (٣/ ١٤٥٩ رقم١٨٢٩).

١٠٧٥ العلم وتقدمه

دخل الكمبيوتر في استخدام جديد للبوليس في الولايات المتحدة الأمريكية، هذا هو كمبيوتر الطوارئ، وهو مربوط برقم التليفون (٩١١)، وإذا وقعت في مأزق من أي نوع، فاطلب هذا الرقم، إذ يكفي أن تذكر اسمك ليعرف الكمبيوتر على الفور من أنت وفي أي عنوان، وربما يستنتج من صوتك نوع المشكلة التي تعانيها، فهو يعرف الحالة النفسية لكل نوع من الطلبات بنسبة كبيرة حتى قبل أن ينطلق بها المتحدث، وقد أفادت هذه الخدمة كثيرًا في مساعدة الأطفال التائهين الذين قد يطاردهم المجرمون من أي نوع، وساعد هذا الكمبيوتر العجيب على نجدة الزوجات اللواتي يتعرضن لإيذاء أزواجهن، فبمجرد أن تطلب الزوجة الرقم يحدد الكمبيوتر العنوان، ويتجه أقرب رجال البوليس إلى البيت، وأهم ما يقوم به هذا الكمبيوتر المنجد أنه في حالة انقطاع المكالمة كما يحدث في هجوم اللصوص على البيوت وتهديد أصحابها، بحيث لا يستطيعون إكمال المكالة، فإن مجرد ذكر الاسم يكفي ليحدد الكمبيوتر لرجال البوليس مكان المنزل. أكثر من هذا، فإن الكمبيوتر مزود بخرائط إلكترونية تقوم بتحديد المواقع بكفاءة ودقة، ويمكنه هذا من متابعة السيارات المسروقة، وأفضل الأماكن التي يجب أن تقف فيها سيارات البوليس لضبط السيارة المسروقة، ويستطيع الكمبيوتر أن ينذر الذين يصابون بالأزمات القلبية بمجرد الاتصال به، فهو يقوم تلقائيًّا بالاتصال بسيارة الإسعاف أو بأقرب طبيب، ويستطيع التدخل بسرعة لإطفاء الحرائق بالاتصال بالجهات المسؤولة وتحديد مكان الحريق ونوعه وأفضل الطرق لمقاومته، وآخر حادث تدخل فيه الكمبيوتر، ونشرته الصحف أن طالبًا هدد مدرسته بنسفها بقنبلة كان يحملها بيده، واتصل ناظر المدرسة بالرقم السحري، وفي دقائق كان الطالب الذي أدهشته المفاجأة قد سلم القنبلة لرجال البوليس.

أقول:

هــذا ما فتــح الله على عبــاده الكافريــن؛ وذلك لأنهــم أخــذوا بالأسباب، ولم يجلســوا على الأرضـ يلعبون البلــوت أو في المقاهي لشــرب الشيشة وكزكزة الفصفصـ، نعـم، تقدمــوا وتأخرنا والسبب هــو جدهم وهزلنــا، والله لا يضيع أجــر من أحسن عملًا، نسأل الله أن يهديهم للإسلام، ويهدي المسلمين لمثل هذه العلوم؛ لتعيش البشرية على أحسن وجه.

١٠٧٦ القيام بالشهادة

قــال تعالــى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٣٣] فســر العلامــة والداعيــة الإسلامي الشهير محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآية السابقة بما يلي: إن الإنسان المسلم يجــب أن يكــون مستعدًّا دائمًــا لأداء الشهادة علــى وجهها ليحــق الحق، ويبطل الباطــل، ويدعم العدالة، والقيام بالشهادة يتطلب صراحة لا تخاف في الله لومة لائــم؛ ذلك أن الحق يختنــق في هذه الدنيا وسط دخان الشهــوات المتصاعد من هنــا ومن هناك، والمرء ينكل عــن الإدلاء بالرأي الصحيح والقول الصحيح؛ لأنه يخشــى علــى مستقبله مثــلًا، أو يريد محاباة قريــب أو يطمع في مــال، أو يتطلع إلــى منصب، إنه لا يستبــين وجه الله من غلظ الحجب علــى بصيرته، والمجتمع الإسلامي يسقط مع اختفاء الذيــن هم بشهاداتهم قائمون. لا، هؤلاء المؤمنون- كمــا يزعمون- ليسوا بشهاداتهــم قائمين، ربما سكتوا أو قالــوا فلم يعدلوا، وكم رأينــا من أناس قُدمــوا وحقهم التأخير، أو أُخروا وحقهــم التقديم، ولقد عرفت لمــاذا سبقت بعض المجتمعات سبقًا بعيدًا عندما قــرأت أن زوجًا في هولندا عُزل وجُــرّد من أوسمته لما كشفت صلته بقضية رشــوة، وأن رئيس وزراء اليابان عزل ورمي به في السجن للتهمة نفسها. إن القيام بالشهادة يعني ألّا نترك صاحب حق مستوحشًا في هذه الدنيا لا صديق له ولا ظهير.

أقول:

ما أحسن هذا التخريج والاستدلال! فجزاه الله خيرًا.

١٠٧٧ هذا بذلهم لباطلهم، فما بذلنا لحقنا؟

أصدرت الهيئة الدولية لبحوث الإرساليات المسيحية نشرة إحصائية عن التنصير وأنشطته في العالم عام (١٩٩١م) جاء فيها أن عدد المؤسسات التنصيرية ووكالات الخدمات المسيحية بلغ (١٢٠٨٨٠) وكالة ومؤسسة، وبلغ دخل الكنائس العاملة في مجال التنصير (٩٣٢٠) بليون دولار، وأنفقت (١٦٣) بليون دولار لخدمة المشروعات، وحققت الإرساليات الأجنبية دخلًا مقداره (٨,٩) بليون دولار، وذكرت أنه يعمل في مجال خدمة التنصير (٨٢) مليون جهاز كمبيوتر لحفظ المعلومات ونشرها، وأنه صدر (٨٨٦١٠) كتب و(٢٤٩٠٠) مجلة أسبوعية للدعوة، وبلغ عدد الأناجيل الموزعة مجانًا (٥٣) مليون نسخة، أما محطات الإذاعة والتلفزيون المعنية بالتنصير فتبلغ (٢٣٤٠) محطة، وإذا جمعت الأرقام المنفقة في أغراض التنصير للسنة (١٩٩١م) بلغت (١٨١) مليار دولار.

أقول:

لا حول ولا قوة إلا بالله، ماذا ينفق المسلمون؟ فقد عجزوا عن تأمين ما طلبته هيئة الإغاثة الإسلامية، مليار واحد فقط، وليس (١٨١) نسوق هذه النادرة إلى التجار من الدول والأفراد لعلهم يعون، وينفقون على الحق عشر ما ينفق أعداؤهم على الباطل.

١٠٧٨ أربعة يُستشهَد عليهم بأربعة

جاء في كتاب (يوم الفزع الأكبر): أنه يُنادى بالأغنياء وأهل الغبطة، فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله؟ فيقولون: أعطانا الله ملكًا وغبطة شغلنا عن

القيام بحقه في دار الدنيا، فيقال لهم: من أعظم ملكًا أنتم أم سليمان؟ فيقولون: بل سليمان. فيقال: ما شغله ذلك عن القيام بحق الله والدأب في ذكره. ثم يقال: أيـن أهل البلاء، فيؤتى بهم أنواعًا؟ فيقال لهـم: أي شيء شغلكم عن عبادة الله تعالـى؟ فيقولـون: ابتلانـا الله في دار الدنيا بأنواع من الآفـات والعاهات شغلتنا عـن ذكـره والقيـام بحقه، فيقال لهـم: من أشد بـلاء أنتم أم أيـوب؟ فيقولون: بـل أيوب، فيقال لهـم: ما شغله ذلك عـن حقنا والدأب لذكرنا، ثـم ينادى: أين الشبـاب العطـرة والمماليك؟ فتقول الشباب: أعطانا الله جمـالًا وحسنًا فتنّا به، فكنا مشغولين عن القيام بحقه وكذلك المماليك، فيقولون: شغلنا رق العبودية في الدنيـا، فيقال لهم: أنتم أكثر جمالًا أم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلقد كان في رق العبودية ما شغله ذلك عن القيام بحقنا ولا الدأب لذكرنا؟ ثم ينادى: أين الفقراء؟ فيؤتي بهـم أنواعًـا، فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله تعالـى؟ فيقولون: ابتلانا الله في دار الدنيـا بفقـر شغلنا، فيقال لهـم: من أشد فقرًا أنتـم أم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فيقولون: بل عيسى، فيقول لهم: ما شغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب لذكرنا، فمن بلي بشيء من هذه الأربعة، فليذكر صاحبه.

١٠٧٩ العاصي جاهل

قـال أبوالعاليـة: سألت أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هـذه الآية: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء:١٧] فقالـوا: كل من عصى الله فهو جاهل، ومـن تاب قبيل الموت فقد تاب من قريب. وعـن قتادة قال: «أجمـع أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علـى أن كل من عصى ربه فهو في جهالة، عمدًا كان أو لم يكن، وكل من عصى الله فهو جاهل»، وكذلك قال التابعون ومن بعدهم. قال مجاهد: «من عمل ذنبًا من شيخ أو شاب فهو بجهالة»، وقـال: «مـن عصى ربه فهـو جاهل، حتى ينزع مـن معصيته»، وقـال أيضًا: «هو

إعطـاء الجهالـة العمد» وقال مجاهد أيضًا: «من عمل سـوءًا خطأ أو إثمًا عمدًا: فهو جاهل حتى ينزع منه».

أقول:

كن عاقلًا بالطاعة لربك.

١٠٨٠ عظمة الفقه

سئـل الإمام أبوحنيفة: كيـف وفقت إلى الفقة؟ فقال أخـبرك: أما التوفيق فـكان من الله، وله الحمد كما هو أهله ومستحقه، إني لما أردت تعلم العلم جعلت العلـوم كلها نصب عيني، فقرأتهـا فنًّا فنًّا، وتفكرت عاقبته وموضع نفعه، فقلت: آخـذ في الـكلام، ثم نظرت، فـإذا عاقبتـه عاقبة سـوء ونفعه قليـل، وإذا أكمل الإنسـان فيـه لا يستطيع أن يتكلم جهارًا، ورمي بكل سـوء، ويقال: صاحب هوى، ثـم تتبعـت أمر الأدب، ثم تتبعت أمر الشعر، فوجـدت عاقبة أمره المدح والهجاء وقولي الكذب وتمزيق الدين، ثم تفكرت في أمر القراءات، فقلت: إذا بلغت الغاية منـه اجتمع إلي أحداث يقـرؤون علي والكلام في القـرآن ومعانيه صعب، فقلت: أطلـب الحديث، فقلت: إذا جمعت منه الكثـير احتاج إلى عمر طويل حتى يحتاج الناس إليَّ، وإذا احتيج إلي لا يجتمع إلا الأحداث، ولعلهم يرمونني بالكذب وسوء الحفـظ، فيلزمنـي ذلك إلى يوم الديـن، ثم قلبت الفقه، فكلمـا قلبته وأدرته لم يـزدد إلا جلالة، ولم أجد فيه عيبًا، ورأيت الجلوس مع العلماء والفقهاء والمشايخ والبصراء والتخلق بأخلاقهم، ورأيت أنه لا يستقيم أداء الفرائض وإقامة الدين والتعبد إلا بمعرفته وطلب الدنيا والآخرة إلا به، ومن أراد أن يطلب به الدنيا طلب بـه أمرًا جسيمًا، وصار إلى رفعة منها، ومن أراد العبادة والتخلي لم يستطع أحد أن يقول: نعبد بغير علم، وقيل: إنه فقه وعمل بعلم.

أقول:

صدق الإمام وصدق قبله سيد الأنام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[1].

١٠٨١ الأمر بالمعروف

جاء في كتاب (دعاة لا قضاة) لفضيلة المرحوم حسن الهضيبي ص١٨٧: قد اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم للأحاديث الثابتة ولقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١٠٤] ثم اختلفوا في كيفيته، فذهب بعض أهل السنة من القدماء من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فمن بعدهم، وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وهو قول سعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى أن الغرض من ذلك إنما هو بالقلب فقط ولا بد أو باللسان إن قدر على ذلك، ولا يكون باليد ولا بسل السيوف أصلاً إلا أن يخرج الناطق، فإذا خرج وجب سل السيوف حينئذ معه إلا أن جميع القائلين بهذه المقالة من أهل السنة إنما رأوا ذلك إذا لم يكن الإمام عادلاً، فإن كان عادلاً، وقام عليه فاسق وجب عندهم بلا خلاف سل السيوف مع الإمام العادل، وذهبت طوائف من أهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية إلى أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إذا لم يكن دفع المنكر إلا بذلك، وقالوا: إذا كان أهل الحق في عصابة يمكنهم الدفع، ولا ييأسون من الظفر ففرض عليهم ذلك.

(١) أخرجه البخاري (١/٢٥ رقم٧١)، ومسلم (٢/٧١٨ رقم١٠٣٧).

١٠٨٢ أهل البدع

ذكر المؤرخون أن ثمامة بن أشرس سعى إلى الواثق بن أحمد بن نصر المروزي، وذكر له أن يكفر من ينكر رؤية الله تعالى، ومن يقول بخلق القرآن، فاعتصم من بدعة القدرية، فقتله، ثم ندم على قتله، وعاتب ثمامة وابن داود وابن الزيات في ذلك، وكانوا قد أشاروا عليه بقتله، فقال له ابن الزيات: وإن لم يكن قتله صوابًا فقتلني الله تعالى بين الماء والنار، وقال ابن أبي داود: حبسني الله تعالى في جلدي إن لم يكن قتله صوابًا، وقال ثمامة: سلّط الله تعالى عليّ السيوف إن لم تكن أنت مصيبًا في قتله، فاستجاب الله تعالى دعاء كل واحد منهم في نفسه، أما ابن الزيات فإنه قُتل في الحمام، وسقط في أثوابه، فمات بين الماء والنار، وأما ابن أبي داود فإن المتوكل رَحِمَهُ ٱللَّهُ حبسه، فأصابه في حبسه الفالج، فبقي محبوسًا بالفالج إلى أن مات، وأما ثمامة فإنه خرج إلى مكة، فرآه الخزاعيون بين الصفا والمروة، فنادى رجل منهم، فقال: يا آل خزاعة، هذا الذي سعى بصاحبكم أحمد بن فهر، وسعى في دمه، فاجتمع عليه بنو خزاعة بسيوفهم حتى قتلوه، ثم أخرجوا جيفته من الحرم، فأكلته السباع.

أقول:

إياك والبغي، فإن صاحبه معجل له العقاب في الدنيا قبل الآخرة.

١٠٨٣ الدراسات الفقهية المعاصرة

قال فضيلة الشيخ سلمان العودة: من المآخذ على الدراسات الفقهية المعاصرة جانب الضعف العلمي، وعدم هضم التراث الفقهي والحديثي الذي يُعدّ قاعدة للانطلاق في الدراسة والفتوى والتأليف، ومن العجيب أن الدراسات الشرعية أصبحت حمى مستباحًا لكل من شاء، سواء في كبر الأمور أو صغيرها، وليس فيها

صغير حتى أصبحت القضايا الخطيرة في الإسلام في متناول أي باحث مهما كان، ولذلك فلا غرو أن يخالف ما أجمع عليه المسلمون خلفًا عن سلف أو يؤيد رأيًا شاذًّا منبوذًا تجاوزه الزمن، أو ينقب في فقه الرافضة أو من شاكلهم على بعض الآراء التي تروق له، ويقدمها للمسلمين على أنها فقه الإسلام ورأي علماء الإسلام، وكم رأينا من الصحفيين أو صغار الطلبة من يجازف في القول، ولا يتورع عن الخوض فيما لا يحسن، ويكتب، وينشر، ويناقش، ومن ذا يحاسبه أو يعاتبه وهذا مصداق حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا، وأضلّوا**»[1] رواه البخاري.

١٠٨٤ سعة الكون

قال عالم فلك: لا جدال أن العلم يكشف لنا يومًا بعد يوم أن الإنسان يجابه تحديات كون ليس له فقط أربعة أبعاد، بل إن له كما يقول بعض العلماء: أحد عشر بعدًا، وإن (جريمي برنشتين) يقول مؤكدًا: إن لكوننا هذا عشرة أبعاد، فهناك علماء آخرون يقولون: إن ثمة عددًا آخر من الأكوان، ولكي أقدم مثلًا على ضخامة هذا الكون سأتحدث قليلًا عن العناقيد الضخمة من المجرات التي يتألف الواحد منها من عشرة آلاف مجرة أو أكثر، فهناك مثلًا عنقود العذراء الذي يبعد عنا قرابة ثلاثين مليون سنة ضوئية، وإن هناك تكتلًا من المجرات يمتد من عنقود العذراء في اتجاه الدب الأكبر، وقد دعا العالم الفلكي (كبرتس) هذا التكتل من المجرات من سرادق المجرات، وقد أظهر البحث أن ثمة نظامًا له شكل القرص، ومركزه عنقود العذراء، وقطره يبلغ ما يقارب مئة مليون سنة ضوئية، وتقع مجرتنا على طرف هذا النظام، كوقوع شمسنا مع طرف مجرتنا، ويحتوي هذا النظام على عشرة آلاف مجرة، وهناك من يقول: إن نظام العذراء

---

(١) أخرجه البخاري (١/٣١-٣٢ رقم١٠٠).

هو مركز الكون، وإننـا نحن موجودون في عنقود العذراء المميز، وتظهر العناقيد الأخرى من المجرات، مثل عنقود الذؤابة أقزامًا بالنسبة إلى نظام العذراء، ومن ثـم هناك عناقيـد عليا أخرى فضلًا علـى عنقودنا؛ عنقود العـذراء، ويبلغ قطر الواحـد من هذه العناقيـد العليا مئة مليـون سنة ضوئية، وتبلـغ السنة الضوئية ستة ملايين مليون ميل، ويضم العنقود من هذه العناقيد عشرة آلاف مجرة، وفي وسعنا أن نلتقط صورًا لعشرة آلاف مليون أو مئة ألف مليون مجرة لو أزيل الغبار مـن درب التبانـة (مجرتنا) وقد يكون مـن المفيد أن أستـدرك، فأقول: إن قطر مجرتنـا لا يتجاوز ثمانين ألف سنة ضوئيـة، وإن شمسنا هذه هي واحدة من مئة ألـف مليون نجم تتشـكل منها مجرتنا، وهي تدور حول نـواة المجرة دورة واحدة كل مئتي مليون سنـة، وإن التلسكوب الذي بلغ قطره مئتي بوصة يستطيع تصوير ألف مليون مجرة.

أقول:

أخـذت هذا الـكلام من العالم الفيزيائي (موراي جلمـان) ثم تذكرت قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات:٤٧] وتذكـرت قـول رسوله الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الحديث الشريف: «**أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دني مـن له عشـرة أضـعاف ملك الدنيـا**»[1] يعني لك بالجنة يـا مسلم، كبر القارات الست الأمريكتين وآسيا وإفريقيا وأوروبا وأستراليا. نعم، صدّق أن كل هذه الدنيا لا تسـاوي حجم ضب صغير بالنسبة إلـى ما ذكره هذا العالم، «ولا تزن عند الله

(١) ليس هذا لفظ الحديث، إنما لفظه: عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجـا منهـا، وآخـر أهل الجنة دخـولا، رجل يخرج مـن النار كبـوا، فيقول الله: اذهـب فادخل الجنة. فيأتيهـا فيخيـل إليـه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يـا رب وجدتها ملأى. فيقـول: اذهب فادخل الجنة. فيأتيهـا فيخيـل إليه أنهـا ملأى، فيرجع فيقول: يـا رب وجدتها ملأى. فيقول: اذهـب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشـرة أمثالها. أو إن لك مثل عشـرة أمثال الدنيا. فيقول: تسخر مني أو تضحك منـي، وأنـت الملك. فلقد رأيت رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ضـحك حتى بدت نواجـذه، وكان يقول: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة**»، أخرجه البخاري (١١٧/٨ رقم٦٥٧١)، ومسلم (١٧٣/١ رقم١٨٦).

جناح بعوضة»[1]، كما في الحديث الشريف. نعم، جناح بعوضة على الحقيقة، وليس على المجاز، فيا عبدالله، اتقِ الله في دنياك لتفرح في أخراك، في هذا الملك الواسع، وهو ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، سبحانك! يا رب، سبحانك! يا رب، ما أوسع وأعظم سلطانك!

١٠٨٥ ٦٢٠ بليون دولار

هذا الرقم الهائل الذي جعلناه عنوان هذه النادرة ليس ميزانية أغنى دولة في العالم، وهي أمريكا أو اليابان أو ألمانيا، كلا، بل هو ما خسره العالم العربي والإسلامي من جراء حماقة أحد زعماء العرب في العراق، فإلى التقرير الذي صدر في وسائل الإعلام يوم ١٤١٣/٣/١٠هـ يقول: أكّد التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٩٢م أن مجموع الخسائر المادية المباشرة التي لحقت بالاقتصاد العربي نتيجة الخليج بلغ ٦٢٠ بليون دولار، ووصف التقرير هذا المبلغ بأنه أكثر دقة من التقديرات السابقة للأضرار الناجمة عن الأزمة إبان العامين ١٩٩٠م و١٩٩١م، وأشار التقرير إلى أن مجموع الخسائر ناجمة عن الانخفاض الحاد في النمو الاقتصادي للكويت والعراق وبدرجات أقل في الدول العربية، والأخرى نجمت عنه خسائر بنحو ١٨٥ بليون دولار وزيادة الإنفاق الحكومي في عدد من الدول العربية لمواجهة متطلبات الأزمة، وتقدر هذه الزيادة بنحو ٨٥ بليون دولار إضافة إلى ٥١ بليون دولار خرجت من الدول العربية في شكل رسمي أو خاص ومظاهر الدمار الذي لحق بالمنشآت الاقتصادية والبيئية الأساسية في كلٍّ من الكويت والعراق، ويقدر حجمه بنحو ١٦٠ بليون دولار للكويت و٩٠ بليون دولار للعراق، وأضاف التقرير الذي وزعه صندوق النقد العربي بعدما اطلع عليه محافظو المصارف المركزية العربية في اجتماعهم الذي عُقد في أبوظبي أن هناك

---

(١) لفظه: عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا من شربة ماء**»، أخرجه الترمذي (٤/٥٦٠ رقم٢٣٢٠)، وقال: هذا حديث صحيح غريب.

مظاهــر أخرى للأضرار الجسيمــة التي نجمت عن الأزمــة يصعب وضع مقابل مادي لها، وفي مقدمتها الأضرار التي لحقت بالبيئة، وأكد التقرير الذي تعدّه إلى جانب صندوق النقد العربي ثلاث جهات عربية أخرى هي: الأمانة العامة لجامعة الـدول العربية، ومنظمة الأقطار العربية المصدّرة للبترول (أوابك)، والصندوق العربـي للإنماء الاقتصــادي والاجتماعي أن الاقتصاد العربي بـدأ يستعيد قواه بين عامي ١٩٨٦م و١٩٨٩م حيث حقق خلال ذلك نموًّا حقيقيًّا يقارب ٣٪ سنويًّا، وكان أداؤه جيدًا خصوصًا عام ١٩٨٩م حيث نما بنحو ٥٪ وقال: إن أزمة الخليج عادت بالاقتصاد العربي إلــى التراجع، وانخفض مجمل الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي للدول العربية بنحو ٢,١٪ عام ١٩٩٠م، ونحو ٧٪ عام ١٩٩١م، وارتفعت معـدلات التضخم في العالم العربي عامي ١٩٩٠م، و١٩٩١م إلى مستويات تقارب ما كان سائدًا في السبعينيات البالغة ٢٠٪.

أعود، فأقول:

لو صرف عشر معشار هذا المبلغ في وجهه الشرعي لما وجد في العالم العربي والإسلامي فقير أو محتاج؛ يعني يوفر ملايين فرص العمل، وآلاف المدارس، وآلاف المستشفيـات، ولكن وأضغط على كلمة لكـن هذه بقـولي: «يا حوفك يا الخرقاء، وكليــه» أو «على نفسها جنت براقش»، ولن يغير الله ما بنا حتى نغير ما بأنفسنا، والمسؤولية والكلام موّجه لنا جميعًــا أفرادًا وجماعات ورؤساء ومرؤوسين، وكلنا راعٍ، وكلنا مسؤول عن رعيته، كما في الحديث الشريف.

١٠٨٦ العملَ العملَ يا مسلمون

قال بعض العلماء: إن البعض يحاول أن يلصق بمنهج الله أنه ترك للدنيا، فما دامــت الحيــاة هي الآخرة، وما دامت هذه دنيا أغيار لهــا نهاية طالت أم قصرت، فلماذا العمل، ولماذا إجهاد النفس في شيء سيفنى؟! وفي شيء سيزول، وينتهي؟!

ونقــول لهؤلاء جميعًــا الذين يرددون هذا الكلام، ومــا أكثر ما يرددونه: إن هــذا غــير صحيح، ولو أن الله سبحانه وتعالى كان يريد من المؤمنين به ألا يعملوا لما فرض الزكاة، ولما أوجد الصدقة، ولما وضع في منهجه تشريعات التوريث فيما يتركــه الإنسان بعد وفاته، ولكن وجوب الزكاة وفضلها معناه أنه لا بد أن يتحرك كل مؤمــن في الحياة حركة تزيد على حاجته، وإلا فمن أين سيدفع الزكاة، وكلما زادت حركتــه زاد مقدار الزكاة الذي سيدفعــه، وكلما ازدادت حركة حياته أكثر استطــاع أن يتصدق بجزء من ماله، فزاد ثوابه عند الله، وزادت حسناته، وكلما تــرك لأولاده شيئًا يعينهم علــى حياتهم المقبلة كان ذلك أفضــل بشرط أن يكون مــالًا حلالًا، وزكّيت عنــه، ولو أن منهج الله حقيقةً لا يحــث على العمل والتحرك في الحيــاة بأقصى طاقة ممكنة، بحيث تزيــد حركة حياتك عما تحتاج إليه أنت وأسرتك، أنت وزوجك وأولادك ما فرضت الزكاة، وما وجبت الصدقة، إذن فكل مــن يقــول: إن منهج الله ترك للعمل لأن الدنيا فانيــة، نقول: إنه ترك للعمل غير الصالح، وحث على العمل الصالح؛ لأن مهمة الإنسان هي عمارة الأرض، ورسول الله ﷺ يقــول: «**مــا أكل أحدكم طعامًا قط خيرًا مــن أن يأكل من عمل يــده**»[1] ، ولــو أن منهج الله فعلًا كان يدعو إلى عدم العمل وترك الدنيا للكافرين لــكان أول من طبّقه هــم المسلمين الأوائل أصحــاب رسول الله ﷺ ولكن هــؤلاء رضي الله عنهم جميعًا فهموا المنهــج الفهم الصحيح، ولذلك عملــوا، وجاهدوا، وأنشــؤوا حضــارة مــن أعرق الحضــارات التي أخــذت الدنيا كلها عنهــا أساس الحضــارة الحديثة. ولذلــك، فإن الذين يمتنعون عن العمــل هم مخالفون لمنهج الله، والذين يريــدون أن يعيشوا على فتات المجتمع في حقيقتهم يسيئون للمنهج، ولا يطبقونــه، فمنهــج الله يريــد أمة قوية قــادرة أن تسود الأرض، ولا يريد أمة مــن الضعاف الجيــاع يسألون الصدقــة، ويعيشون مستضعفــين في الأرض، تلك هــي الحقيقة التي لا بد أن يعيها الجميــع، وأجر الإنسان العامل هو أجر المجاهد

---

(١) أخرجه البخاري (٣/٥٧ رقم٢٠٧٢).

مصداقًا لحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كان جالسًا مع أصحابه ذات يوم، فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكّر يسعى، فقالوا: ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله! فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تقولوا هذا، فإن كان يسعى على نفسه ليكُفّها عن المسألة، ويغنيها عن الناس، فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم، ويكفيهم فهو في سبيل الله**»[(١)].

أقول:

الإسلام يريد من المسلم أن يكون قويًّا، ولن يكون قويًّا إلا بالعمل، والعمل الذي لا يشغله عن حق الله وحق نفسه، وإذا لم يعمل المسلم افتقر هو وبلده ووطنه وأمنه، وكره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفقر، وقال عنه: «**كاد الفقر أن يكون كفرًا**»[(٢)].

١٠٨٧ البيهقي يشرح حسن الخلق

قال البيهقي: معنى حسن الخلق استقامة النفس نحو الأرفق والأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين الناس، وهو في ذات الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله تعالى ونواهيه يفعل ما فُرِض عليه طيّبَ النفس به، وينتهي عما حرّم عليه راضيًا غير متضجر، ويرغب في نوافل الخير، ويترك كثيرًا من المباح لوجهه تعالى وتقدس إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله مستبشرًا لذلك غير ضجر منه ولا متعسّرًا به، وهو في المعاملات بين الناس أن يكون سمحًا بحقوقه لا يطالب غيره بها، ولا يغضب

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الصغير (٥٤٦/٦ رقم٢٩٢٠)، وفي سننه الكبرى (٤٧٩/٧ رقم١٦١٥٨)، والطبراني في أوسط معاجمه (٥٦/٧ رقم٦٨٣٥)، وفي الصغير (١٤٨/٢ رقم٩٤٠)، وفي الكبير (١٢٩/١٩ رقم٢٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم١٤٢٨).

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٣٤٢/١ رقم٥٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/٩ رقم٦١٨٨)، والطبراني في الدعاء (رقم١٠٤٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم٤١٤٨).

الآخريــن عليهــا، فــإن مرض ولم يعد أو قــدم من سفر فلم يــزر أو سلّم فلم يرد عليــه، أو ضــاف فلم يكرم، أو شفّع فلم يجب، أو أحســن فلم يشكر، أو دخل على قــوم فلــم يمكن، وتكلم فلم ينصت إليه، أو استأذن علــى صديق فلم يؤذن له، أو خطــب فلم يزوج، أو استمهل الدائن فلم يمهل، أو استنقص منه فلم يُنقص وما أشبه ذلك، لم يغضب ولم يتفكر في سوء حاله، ولم يستشعر في نفسه أنه قد جُفي وأوحشــ وأنــه لا يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثلــه، بل إنه لا يعتد بشيء من ذلك، ويقابل كل مسيء بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلى البر والتقوى وأشبه بمــا يحمــد ويرضى، ثم يكون في إيفاء ما يكون عليــه فهو في حفظ ما يكون، فإذا مرضــ أخوه المسلم عــاده، وإن جاء في شفاعة شفّعه، وإن استمهله في قضاء دين أمهله، وإن احتاج منه إلى معونته أعانه، وإن استسمحه في بيع سمح له، ولا ينظر إلــى مــن يعامله الآن كيف كانت معاملته إياه فيما خــلا إنما يتخذ الأحسن إمامًا لنفسه، فينحو نحوه، ولا يخالفه.

أقول:

من يستطيع ذلك إلا أولو العزم من الرجال، وقليل ما هم؟

١٠٨٨ تمتع بقدرات الله

قــال بعضــ الفقهاء: عجبت مــن إنسان يحرم نفسه مــن بهجة الحياة مدة طويلة، ويظــل يذاكر، ويكدح حتى يحصل على حياة طيبة، ثم ينكر هذا الإنسان نفســه سنــة الله سبحانــه وتعالى التــي اتبعها هــو في الأمور الدنيويــة، فيقترف الآثــام، ويرتكب المعاصــي ناسيًا أو متناسيًــا أن ذلك مثل الــذي يلعب في صباه، ويفعــل ما تهــواه نفسه، فإذا كبر لم يجد عملًا يقتات منــه، بل إنه أكثر من ذلك بكثير، فالحياة الدنيا أيام معدودة والحياة الآخرة خلود، والحياة الدنيا أن يتمتع الإنسان بقدراته هو، والحياة الآخرة أن يتمتع الإنسان بقدرة الله سبحانه وتعالى

التي لا تحدها حدود، وفرق هائل بين قدرة المخلوق وقدرة الخالق، والحياة الدنيا فيهــا مباهج محدودة إذا أسرف فيها الإنســان هلكت صحته، ولم يستطع التمتع بهــا، فالذي يفرط في الطعام علاجه الحرمان مــن الطعام، والذي يفرط في أي لــذة أخرى دنيوية حرمــه الله منها، ويجعله غير قادر عليهــا، أما الحياة الآخرة ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

أقول:

هــذا والله هو القول الصدق، ولكن ينقصنــا العلم بذلك ثم العمل، والعمل سيحتاج إلى الصدق مع الله ومع الناس.

١٠٨٩ احذر كتب الجاحظ

قــال الإمام البغــدادي في كتابه (الفرق بــين الفرق) صــ١٦٠: وقد افتخر الكعبي بالجاحظ، وزعم أنه من شيوخ المعتزلة، وافتخر بتصانيفه الكثيرة، وزعم أنه كناني من بني كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فيقال له: إن كان كنانيًّا كما زعمت، فلِمَ صنّف كتاب (مفاخر القحطانية على الكنانية وسائر العدنانية)؟!

وإن كان عربيًّــا فلِمَ صنّف كتــاب (فضل الموالي على العرب)؟! وقد ذكر في كتابــه المسمى (مفاخر قحطان على عدنان) أشعارًا كثيرة من هجاء القحطانية للعدنانيــة، ومن رضي بهجو آبائــه كمن هجا أباه، وقد أحسن حظه في هجاء ابن بســام الــذي هجا أباه، فقال: من كان يهجو أباه فهجوه قد كفاه لو أنه من أبيه ما كان يهجــو أباه، وأما كتبه المزخرفــة فأصناف، منها كتاب في (حيل اللصوص)، وقــد علّم بهــا الفسقة وجــوه السرقة، ومنها كتابــه في (غشــ الصناعات) وقد أفســد به على التجار سلعهــم، ومنها كتابه في (النواميس) وهو ذريعة للمحتالين يجتلبــون بها ودائع النــاس وأموالهم بها، ومنها كتابــه في (الفتيا) وهو مشحون

بطعـن أساتـذه النّظّام على أعلام الصحابة، ومنهـا كتبه في (القحاب والكلاب واللاطة) وفي (حيل المكدين) ومعاني هذه الكتب لائقة به وبصفته وأسرته، ومنها كتـاب (طبائع الحيوان) وقد سلخ فيه معاني كتـاب (الحيوان) لأرسطاطاليس، وضـم إليه ما ذكـره المدائن من حكم العرب وأشعارها في منافع الحيوان، ثم إنه شحـن الكتاب بمناظرة بـين الكلب والديك والاشتغال بمثل هـذه المناظرة يضيع الوقـت بالغـثّ، ومن افتخر بالجاحـظ سلمنا إليه قول أهـل السنة في الجاحظ، كقول الشاعر فيه:

لو يُمسخُ الخنزيرُ مسخًا ثانيًا   ما كانَ إلا دونَ قبحِ الجاحظِ

رجلٌ ينوبُ عنِ الجحيمِ بنفسِه   وهو القَذى في كلِّ طرفٍ لاحظِ

أقول:

هـذا الكلام من كتاب (الفرق بين الفرق) للإمام البغدادي، وأعترف أنني في هـذه السلسلـة نقلت من كتب الجاحظ، وكنت من المعجبـين به، وأستغفر الله عمّا صنعت عن جهل بحقيقة الرجل، ولن آخذ من كلامه إلا ما يصلح نقله وفيه موافقة لكتاب الله وسنة رسوله، وما هو معفوّ عنه من أدب وحكمة، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها، ولن نترك الدّرة إن كانت وسط القمامة، والرجل من الناحيـة اللغوية والأدبية وسلامة الأسلوب في القمة، وأما طويته وخبثه فنبرأ إلى الله مما يقال فيه وفي أمثاله، وننبه المسؤولين في المعارف والبلديات بعدم تسمية الشوارع بأسماء مثل هؤلاء؛ لكي لا يرسخ في أذهان الناس أنهم قدوة.

١٠٩٠ عليك بالقول الحسن

روى الحافـظ أن ابـن أبـي الدنيـا قال: حدثنـا عبدالله، حدثنـا بشار ابن موسـى، حدثنا يزيد بـن المقدم بن شريح قال: حدثني أبـي المقدام عن أبيه عن

جـده هانئ بن شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلـت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أخبرني بشيء يوجب الجنة؟ قال: «**عليك بحسن الكلام، وبذل الطعام**»[1]. رواه ابن حبّان.

الحديث الثاني: حدثنا عبدالله، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان سمـع ابن المنكدر يقول: «**يمكنكم مـن الجنة إطعام الطعـام، وطيب الكلام**»[2]. رواه أبونعيم في (الحلية).

أقول:

مـا أسهل ذلك وما أصعبه! سهل لمن وفقه الله، ورزقه حسن الخلق، وصعب علـى من عصى الله، ولكن المطيـع سيُيسَّر لليسرى، والعاصـي سييُسَّر للعسرى، اللهم، يسِّرنا لليسرى.

١٠٩١ الرميكية وابن عباد

قـال البرقوقي في كتـاب (دولـة النساء...): تـزوج المعتمد بـن عباد ملك إشبيليـة امـرأة يقال لهـا (الرُّميكيـة) وعاشـا زمنًا من الدهر في سـرور متوالٍ وسعـادة يُغبَطـان عليها، وحـدث أن رأت النساء يومًا يمشـين في الطين لاعبات، فاشتهـت المشي فيه واللعب، فشقّ على المعتمـد أن تمشي هي في الطين، فأمر أن يصنـع لهـا طين من الطيـب، فسُحقت الطيـوب، وذُرّت في ساحـة القصر حتى ملأتها، ثم نصبت الغرابيل، وصُبّ فيها ماء الورد على الطيوب، وعجنت بالأيدي

(١) أخرجـه أبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (٣٢٠/٤ رقم٢٤٨٧)، والطبراني في أكبر معاجمه (١٨٠/٢٢ رقم٤٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٤٠٤٩).

(٢) أخرجـه الطـبراني في أوسط معاجمه (١٤٥/٢ رقـم١٥٢٤)، وهناد في الزهـد (٣٤٧/١ رقم٦٤٦)، وابن أبي الدنيا في الصمت (رقم٣٠٢)، وفي مداراة الناس (رقم١٠٣)، وأبو نعيم في الحلية (١٤٩/٣)، وجعله الألبـاني في السلسلـة الصحيحـة (٣٩/٤) من الشواهد التـي يتقوى بها الحديث (رقـم١٤٦٥)، ولفظه: «أطعموا الطعام، وأطيبوا الكلام».

حتى صارت كالطين، فخاضته مع جواريها، وكان يومًا مشهودًا، وغاضبها المعتمد يومًا، فأقسمت إنها لم تَرَ منه خيرًا قط، فقال لها: ولا يوم الطين؟ فاستحت.

أقول:

ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض طباع النساء، وأنهن يكفرن العشير، وخلقن من ضلع أعوج، وحث الرجال على حسن معاملتهن وتقدير ظروفهن النفسية والجسدية والعقلية، وهذا لا ينفي أن بعضهن أفضل من بعض الرجال، مثل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي كان يرجع إليها كبار الصحابة في الفتوى، واحتجت إحدى الأخوات في بعض المحاضرات على أحد العلماء قائلة: كيف تقولون يا شيخ: إننا ناقصات عقل ودين؟ فقال لها: لم نقل ذلك، ولكن قاله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة، أما أنت وأمثالك فليس نقص، بل لا يوجد عقل أبدًا! فارتج المكان من الضحك، وأما ما صنعه ابن عباد إذا صح فهو إسراف وتبذير وسفه ينكره الإسلام، وكثيرًا ما ابتلي الإسلام والمسلمون بولاة مثل صاحب الرُّميكية.

١٠٩٢ لا تنسَ هذه الكلمات

يروى أن بعض الصالحين قيل له: إن بيتك قد احترق، فقال: ما احترق؟ فقيل له: كل البيوت التي بجوار بيتك احترقت، فقال: ولكن بيتي لم يحترق، فلما ذهبوا تبينوا أن البيت فعلًا لم يحترق، فعادوا إليه ليتبينوا وجه هذه الثقة، فأخبرهم أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمهم كلمات من قالها صباحًا لم يمسه سوء حتى يمسي، ومن قالها مساءً لم يمسه سوء حتى يصبح، وهي: «**اللهم، أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن**

الله قد أحاط بكل شيء علمًا، اللهم، إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم»[1].

أقول:

هذا حديث شريف احفظه عن ظهر قلب، وثق بالخير، وثق بالمخبر، وثق بحصول الحصانة الإلهية.

١٠٩٣ الحسن البصري والفرزدق

عن عبيد بن عياش قال: لما ماتت النَّوار امرأة الفرزدق شهدها الحسن البصري، فلما سُوِّي عليها التراب وثب الفرزدق لينصرف، فقال للحسن: يا أبا سعيد، أما تسمع ما يقول الناس؟ قال: وما يقول الناس؟ قال: يقولون: اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس يعنونك ويعنونني، فقال الحسن: ما أنا بخيرهم، وما أنت بشرهم، ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: يا أبا سعيد، شهادة أن لا إله إلا الله، فبكى الحسن، ثم التزم الفرزدق، فقال: لقد كنت أبغض الناس إليّ، وإنك اليوم من أحب الناس إليّ.

أقول:

لا بد مع شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، من إقامة بقية أركان الإسلام الخمسة.

١٠٩٤ عالمة النساء

كان من أهم ما اختصت به السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الله عَزَّوَجَلَّ غار لها لما تكلم فيها أهل الإفك، فأنزل براءتها في عشر آيات تتلى على تعاقب الأزمان

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم٥٧)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٣/٩٣٩ رقم٦٤٢٠): ضعيف جدًا.

(الآيـات مـن ١١ إلى ٢٢ من سورة النور) حتى قال عـروة: لو لم يكن لعائشة من الفضائـل إلا قصـة الإفـك لكفاها ذلك فضـلًا وعلو مجد، فإنها نـزل فيها من القـرآن مـا يتلى إلى يـوم القيامة؛ لذا أجمـع العلماء على تكفير مـن قذفها بعد براءتهـا، وكانت أعلم نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل هي أعلم النساء على الإطلاق، قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواجه وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل، وقال عطاء: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة، وقال عروة: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه، لا بطب ولا شعر من عائشـة، ولم ترو امـرأة ولا رجل غير أبي هريرة عـن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحاديث بقدر روايتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقال أبوموسى الأشعري: ما أُشكل علينا أصحاب محمـد رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديـث قـط، فسألنا عائشـة إلا وجدنـا عندها منه علمًـا، وقال مسروق: رأيت مشيخة أصحـاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأكابر يسألونهـا عـن الفرائض، وقد تفـردت السيدة عائشة بمسائـل عن الصحابة لم توجـد إلا عندها، وما يلهج به بعضهم من أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خذوا شـطر دينكم عن هذه الحمـيراء**»[1] فإنه ليس له أصل ولا هو مثبت في شيء من أصـول الإسلام، وبعد أن يذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ هذا يقول: وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المـزي؟ فقال: لا أصل له، وروى الإمام أبوحنيفة في مسنده عن أم هانئ أخت علي بن أبي طالب مرفوعًا: يا عائشة، سيكون سوارك العلم والقرآن، وسمع الحسـن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رجلًا ينـال منها قال له: اسكـت مقبوحًا منبوذًا، والله إنها لزوجة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة.

أقول:

هـذه النادرة نهديها إلى بعضـ الإخوان الذين يمنعـون بناتهم من التعليم مـن غير اختلاط ولا ريبة، وإلـى الطائفة التي تسب الصحابـة، وتخص عائشة

---

(١) حكم عليه الألباني بالوضع في إرواء الغليل (١/ ١٠).

وأباها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهي حقًّا الصديقة بنت الصديق وزوجة حبيبنا وقدوتنا وسيدنا أشرف خلق الله محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نسأل الله أن يجعلنا معه في عليين.

١٠٩٥ الحذر من فتن الشيطان ومكائده

قال أبوالفرج بن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن الآدمي لما خلق رُكِّب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه، ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه، وأُعطي العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب، ويجتنب، وخلق الشيطان محرضًا له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عدوانه من زمن آدم، وقد بذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم، وقد أمر الله بالحذر منه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨] وقال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ﴾ [النساء:٦٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ [المائدة:٩١].

١٠٩٦ الله قريب.. قريب

قال الشاعر الإسلامي عمر بهاء الدين الأميري:

قريبٌ قريبٌ والدروبُ تطاولتْ ... إليكَ وما للقلبِ عنك محيدُ

قريبٌ كخفقِ النورِ في عينِ مبصرٍ ... ولكنَّ لمسَ النورِ عنْه بعيدُ

قريبٌ منَ السرِّ الخفيِّ وحدسِه ... قريبٌ منَ الكنهِ الجليِّ وطيدُ

وإنكَ نورٌ للسماواتِ والثّرى ... ومنْ خيرِك المعطاءِ دمتَ أفيدُ

فَفي رئِتي مِنْ وهجِ وحيكَ نسمةٌ ... شهيقٌ عميقٌ والزفيرُ مديدُ

ونورُك يسري في عِظامي وفي دَمي ... ولَحْمي فأَرنو والظلامُ عنيدُ

وأبصرُ بالقلبِ المنورِ مغمضًا ... دُنًا من سنًا ما الغمضُ زادَ تزيدُ

وأبصرُ بالروحِ التي منكَ نفخُها ... خفايا البرايا فالجنانُ شهيدُ

وألمحُ في أقدارِك الغُرِّ سرَّ ما ... جَرى وعَرى ما أَشْتكي وأعيدُ

فيدركُ بالتسليمِ قلبي صوابَه ... وأشعرُ أني بالشقاءِ سعيدُ

وإنّي لأستحي وعندي مِنْ ندًى ... ومن فيضِ آلاءٍ تزيدُ رصيدُ

من البثِّ أستحيي من طلب الذي ... إليه نزوعُ النفسِ وهو عديدُ

سأمسكُ عن ذكرِ الذي منكَ أرتجي ... أريدُ الذي يا ربِّ أنتَ تريدُ

قريبٌ قريبٌ والدروبُ تشعبتْ ... وحارتْ ودارتْ والصراطُ فريدُ

وإني لأواه منيبٌ بفطرتي ... ومأربُ نفسي والغَرورُ مَريدُ

أعيشُ صراعَ العمرِ بينَ سجيَّتي ... ودنيايَ فارحمني فأنتَ مجيدُ

وخذْ بيدي واجعلْ إليكَ توجُّهي ... سويًّا فقصدُ السالكينَ حميدُ

ولكن في اغترابي المرِّ مؤنس وَحشتي ... فَإني في لبِّ الزحامِ وحيدُ

وقلبي الذي أحسنتَ تقويمَ خلقِه ... رهيفٌ لهيفٌ بالجمالِ وَديدُ

وأنتَ الذي ماذا أقولُ؟ فإنَّه ... مقامٌ ولنْ يرقى إليكَ نَديدُ

ويعقدُ إجلالي هوايَ ومنطقي ... وجرأةَ ذنبي بلْ أكادُ أميدُ

إلهي وَجاهي وَاكْتناهي وَبارئي ... إليكَ التجائي والرجاءُ أكيدُ

أقولُ على علمٍ بسوءِ تأدُّبي ... إلهي ترفقْ بي ولستُ أزيدُ

أقول:

الأمـيري مـن أهل الشام، وهو صـادق النية والطويـة أحسبه كذلك، والله حسيبـه، ولا أزكي على الله أحدًا، ومن شعـراء الدعوة الإسلامية، ومن أصدقاء الإمـام البنا وسيـد قطب، وذكروه بخير، ودفن في طيبـة الطيبة بحسب وصيته، وكل شعره سخَّره في خدمة عقيدة الإسلام الصافية.

١٠٩٧ ويقولون

قـال الداعية محمد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (شبهات حول الإسلام) ص١٩٦: ويقولـون: إن نظـام الحكم في الإسلام دكتاتـوري بطبعـه؛ لأن الدولة فيه تملك سلطـة واسعة، وتزيد الأمر سوءًا أنها تملكها باسم الدين، باسم شيء مقدس له على نفوس الناس سلطان، فما أسهل ما تستنيم لها الدهماء، وبهذا تختنق حرية الـرأي، ويصبح الخارج على الحاكم عرضة للاتهـام بالخروج على الدين، فمن أين جاؤوا بهذا القول الغريب على الدين؟ أمن قول القرآن: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى:٣٨] وقولـه: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء:٥٨] أم من قول أبـي بكـر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «فإن عصيـت الله ورسوله فـلا طاعة لي عليكـم» أم من قول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «فإن وجدتم فيَّ اعوجاجًا فقوموه» فيقول له رجل من عامة المسلمين: «والله لو وجدنا فيك اعوجاجًا لقومناه بحد السيف»؟! نعم، وُجد الطاغون باسم الدين، ولا تزال أمثلة هذا الطغيان تقوم في بعض البلاد، ولكن من ذا الذي يقول: إن الدين وحده هو ستار الطغيان في الأرض؟، وهتلر هل كان يطغى باسم الدين؟! وستالـين لقد اعترفت الصحافة الروسية نفسها بديكتاتورية ستالين بعد موته!! وقالـت: إنه كان يحكم روسيا حكمًا بوليسيًّا فظًّا يجوز أن يتكرر، وفرانكو ومالان في جنـوب إفريقيا، وشان كي شـك في الصين الوطنية، وماوتسي تونج في الصين الشيوعيـة، كل هـؤلاء يطغون باسم الديـن! لقد رأى هذا القـرن (المتحرر) من

سلطـان الدين أبشع ديكتاتوريـات التاريخ بعنوانات أخرى لامعة لا تقل قداسة عن الدين في النفوس، وما يدافع أحد عن الدكتاتورية، وما يرضاها إنسان حر الفكر والضمير، ولكن استقامة الطبع والفكر تقتضي الإقرار بالحق الخالص دون ميل مع الهـوى والشهوات، والحق أن كل معنى جميل يمكن استغلاله والتستر وراءه لقضاء المآرب الشخصية، وقد ارتكبـت باسم الحرية أفظع الجرائم في الثورة الفرنسية، فهل سنلغي الدساتير؟، وباسم الدين قام الطغيان حقًّا في الأرض، فهل يبرر ذلك أن نلغـي الدين؟، كان هذا يكون مطلبًا معقولًا لو أن الدين في ذاته بتعاليمه ونظمه يـؤدي إلى الظلم والطغيان، فهل يصدق ذلـك على الإسلام الذي ضرب من أمثلة العـدل المطلق لا بين المسلمين وحدهم، بل بين المسلمين وأعدائهم المحاربين ما أقر به حتى أولئك الأعداء في أكثر من حادث وأكثر من حقبة على مدار التاريخ.

أقول:

جـزاك الله خـيرًا، أنـت وأخـوك سيد، فقـد كنتم رجـالًا والرجـال قليل، والإسلام هـو العلاج، ويلزم تبيانه للناس وأخطـاء المسلمين ومعاصي المسلمين، وعـدم تمسـك المسلمين بهـذا الديـن لا يُحمَل علـى الإسلام، بل علـى المسلمين بتقصيرهـم ونقصـ إيمانهـم وإخلاصهم، ولا بـد من سلوك قـويم على ما كان عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

١٠٩٨ ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١].

هـذا العنـوان هو آية كريمـة من كتـاب الله تذكرتها وأنا أقـرأ كلامًا كتبه الدكتور خالص جلبي، حيث قال في بحث في مجلة طبية: الدكتور خالص الجلبي يجـري مقارنة بين هضم الطعـام وهضم الأفكار، فيقول: إن الطعام الذي يدخل البدن بجميع أصنافه، ثم تحولاته الكبيرة داخل الجسم تتم تحت مراقبة صارمة، ولا تحـول الطعـام إلى سم، فالمـواد التي تدخـل معقدة التركيب مـن النشويات

والدهون واللحم والفواكه والخضراوات، ولا يمكن لهذه الأشكال أن تدخل البدن ما لم تتعرض لعملية تفتيت وبشكل مركز وسريع حتى تصل إلى أشكالها الأولية البسيطة التي يستطيع البدن امتصاصها، وهكذا فإن جميع النشويات يجب أن تصل في النهاية إلى سكر الجلوكوز؛ أي إن مليارات من ذرات العنب المتراصة بأشكال معقدة يجب أن تجري عليها عمليات التحويل حتى تصل في النهاية إلى هذا الشكل الوحيد القابل للامتصاص.

أقول:

معنى كلامه لو حقنت مادة اللحم أو الموز أو الأرز بالوريد مباشرة، لقتلت الإنسان، فسبحان الله حين نمسي، وحين نصبح، ونعود للآية الكريمة نتلوها، ونتدبرها بخشوع وهيبة ورهبة!

١٠٩٩ الخليفة الصالح يعظ ويتعظ

عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه بكى يومًا بين أصحابه، فسئل عن ذلك؟ فقال: فكرت في الدنيا وشهواتها، فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادّكر.

أقول:

هذا هو الرجل الفحل، الرجل الذي ملك الدنيا كلها، وتركها كلها، هذا هو الزهد الحقيقي، هذا الخليفة الصالح خامس الخلفاء الراشدين المهديين وأوسعهم ملكًا، كان يجلس في دمشق وأمره نافذ من فرنسا غربًا حتى الصين شرقًا، يعني ثلثي الكرة الأرضية، ومع ذلك يقول وينصح هذا النصح، إنه تلميذ نجيب من مدرسة الرجل الأول في التاريخ كله، مدرسة الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي عن أصحابه، وجمعنا بهم في مستقر رحمته، حيث نحبهم، والمرء مع من أحب.

١١٠٠ لعن الله من لعنه

انفردت السيدة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا برواية أحاديث عدة في فضائل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ من ذلك مثلًا: ما أخرجه مسلم في صحيحه من روايتها لقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إن عثمان رجل حيي**»[(١)] وحديث: «**ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة**»[(٢)] وما أخرجه أحمد والطبراني من أنها لما سمعت بعض الناس ينال من عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ غضبت غضبًا شديدًا، وقالت: لعن الله من لعنه، لعن الله من لعنه، لقد رأيت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هو مسند فخذه إلى عثمان، وإني لأمسح العرق عن جبين رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وإن الوحي ينزل عليه، ولقد زوّجه ابنتيه إحداهما بعد الأخرى، وإنه ليقول: «اكتب عثيم» قالت: ما كان الله لينزل عبدًا من نبيه بتلك المنزلة إلا وهو كريم[(٣)].

أقول:

صدقت الأم الكريمة، وإياك أن تصدق ما كتبه طه حسين في (الفتنة الكبرى) أو الشرقاوي في كتابه (علي إمام المتقين) وأمثالهما من الكتّاب المشبوهين الذين يكتبون، وينقلون ما يجدونه من سموم في كتب أعداء الله وأعداء رسوله، وغالب كتّاب السير من أمثال هؤلاء إما منافقين أو علمانيين لم يصلوا لله ركعة، فكل من قذف الصحابة، أو وقع في أعراضهم فاتهمه في دينه ولا كرامة له.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٦٦/٤ رقم٢٤٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٦٦/٤ رقم٢٤٠١).

(٣) أخرجه أحمد (٢٩٤/٤٣ رقم٢٦٢٤٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٨٣/٢ رقم١٣٠٠)، وانظر: البداية والنهاية (٢٣٣/٧-٢٣٤).

١١٠١ اللهم، احفظ الأولاد والأحفاد

نشرت وكالة (رويتر) في أول شهر ١٤١٤/٥هـ تقول:

يقـول العالم الفلكي الأسترالي (دنـكان سنيل) في أثناء مشاركته في مؤتمر فضائـي في أستراليا: إن مذنب يندفع إلـى الأرض من الفضاء الخارجي بسرعة هائلـة، وسيصل إلى الأرض يوم ١٤ أغسطس سنة ٢١١٦ ويتكون من كرة جليدية قطرهـا خمسـة كيلومـترات، وسيحدث انفجـارًا قوته ٢٠ مليـون ميقا طن، من القنابـل أقوى من انفجـار مليون قنبلة نووية، وسينهـي الأرض ومن عليها، يعني بعد ١٢٤ سنـة، ونقول:

اللهم، أخلفْ ظنـه وعلمـه، واحفظنـا، واحفظ الأولاد والأحفاد، واكفناه بما شئت يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١١٠٢ يعيش الرئيس

يظهـر من آنٍ لآخـر كلما نقصت سلعـة مهمة في السوق المصريـة أو ارتفع سعرهـا عدد مـن النكات، وأشهرها صاحـب السمكة، إذ تقـول النكتة: اصطاد صيـاد سمكة كبيرة، ففرح بها، وعندما دخل بها على زوجته لم تفرح مثله، بل لم تتحرك من مكانها، فقال لها: «ما لك مش مبسوطة»، قالت: «يا ما جاب الغراب لأمـه»، قال: «يا وليه، دي سمكة كبيرة»، قالت: «حانعمل بيها إيه يا حسرة»، قال: «حانقليها في الزيت»، قالـت: «مفيش زيت»، قال: «حانطبخها بالصلصة» قالت: «مفيش قوطة»، قال: «حانسلقها في المية»، قالت: «مفيش غاز ولا بوتجاز»، فحمل الصياد السمكة، وعاد إلى الشاطئ، وألقى بها إلى الماء، فهتفت السمكة: «يعيش جمال عبدالناصر».

أقول:

المصـري مرح بطبعه، ومطيع، وهادئ، وصبور على البلايا، ويوم الجد جد، واجتاح طوفان التتار ديار الإسلام ما صدّه ولا ردّه إلا مصر، وأهل مصر بقيادة الرجل الصالح قطز، نسـأل الله أن يعيد لهم هذا المجد، فالأمل معقود بالله ثم بهم، وبالمخلصين من المسلمين في المشرق والمغرب.

١١٠٣ عدد آيات كتاب الله الكريم وحروفه

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

فأمـا عدد آيـات القرآن العظيم فستـة آلاف آية، ثم اُختُلـف فيما زاد على ذلـك على أقوال، فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهـم من قال: ومئتي آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة آية، وقيل: ومئتان وتسع عشرة آية، وقيل: ومئتان وخمس وعشـرون آيـة، أو ست وعشـرون آية، وقيـل: ومئتان وست وثلاثـون، حكى ذلك أبوعمـر الداني في كتابه (البيـان) وأما كلماته فقال الفضل بن شاذن عن عطاء بـن يسار: سبـع وسبعون ألف كلمـة وأربع مئة وتسع وثلاثون كلمـة. وأما حروفه فقـال عبدالله بن كثير عن مجاهد: هذا مـا أحصينا من القرآن، وهو ثلاث مئة ألـف وواحد وعشرون ألف حرف ومئـة وثمانون حرفًا، وقال الفضل بن عطاء بن يسار: ثلاث مئة ألف حرف، وثلاثة وعشرون ألفًا وخمسة عشر حرفًا[1].

أقول:

إذا قـرأ المسلـم القـرآن في الشهـر مرة حصـل له من الحسنـات أكثر من ٣٠٠ × ١٠ يسـاوي ٣ ملايين حسنة بعشر أمثالها يعني ٣٠ مليون حسنة في شهر

---

(١) تفسـير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م (١/٩٨-٩٩).

واحـد، وبعض الأبطال يستطيع الحصول عليها في أسبوع واحد، أو ثلاثة أيام، أو في يـوم واحـد كما فعل السلف الصالح مثل الشيـخ الصالح والخليفة الراشد ذو النورين عثمان ابن عفان رَضِوَلِيَّهُعَنهُ عندما ختم القرآن في ركعة واحدة، هذا الشيخ الوقـور الذي قارب الثمانين من عمره وقف سبـع ساعات تقريبًا قانتًا لله، أشهد أنه بطل ومن ذوي العزم من الرجال، فهيّا شدّ حيلك يا أخي المسلم، وافعل بعض ما فعلوا تفزْ بمثل ما فازوا به من حياة طيبة في الدنيا وجزاء حسن في الآخرة.

١١٠٤ التخلف هو السبب

كتب جهاد الخازن في جريدة (الشرق الأوسط) في يوم ١٥/٥/١٤١٣هـ:

أصيـب أحـد الصحفيـين النرويجيـين بخيبـة كبـيرة، عندمـا ذهـب إلى جوهانسـبرج ليكتـب عن المؤتمر الوطنـي الإفريقي ومواقفه، فواجـه سلسلة من الإحباطـات والمطبـات في محاولته التقاء المسؤولين في مقـر الحزب، فكلما رتب موعـدًا للالتقاء بهـم لم يلتزموا بالموعـد، وكلما هاتفهم ظـل التليفون يرن دون أن يجيـب عليه أحد، هذا إذا رن التليفـون، فشكا ذلك على واحد من المسؤولين، فطمأنه هذا على أن كل هذه النواقص قد تم علاجها وإزالتها، فشكره الصحافي النرويجـي، وهـمّ الاثنان بالانصراف مـن المكتب، ولكنهمـا لم يستطيعا مغادرة الغرفة، فقد أقفل البوابون الأبواب، وانصرفوا، فقال المسؤول: لا تقلق يا صديق، سأكلـم السكرتارية ليأتـوا، ويفتحوا لنا الباب، وفتح التليفـون على السكرتارية، ولكنـه لم يحصل على أي جواب، فبقي الاثنـان محبوسين في الغرفة إلى أن جاء الكناسـون لينظفـوا المكاتـب، فأطلقوا سراحهمـا، والقصة تذكـرني تمامًا بما حدث في الجزائر بُعيـد نيلها الاستقلال، فعندما حضر القائم بالأعمال الهندي لمقابلة الوزير قـادوه إلى غرفة الانتظار، وتركوه هنـاك، مرت الدقائق والساعات

والرجـل ينتظـر حتى لاحـظ أن النهـار بدأ ينصـرم، وعن قريـب سيحل موعد العشـاء والنوم، فحاول الخروج من الغرفة، فوجـد الباب مغلقًا، حاول التليفون، فلـم يجب عليه أحـد، وأخيرًا لم يجد غير أن يفتح الشبـاك، وينادي على الناس في الشـارع: يا عـالم، الحقوني، خلصوني، سمع كلماته حرس الوزارة، فحسبوه جاسوسًا متسسلًا، فوجهوا بنادقهم تجاهه، وكادوا يطلقون النار عليه لولا رحمة رب العالميـن، أنزلوه من البنايـة وهم يكيلون له الضرب والإهانات، وهو يصرخ: «ارحموني يا ناس، أنا القائم بالأعمال الهندية، نحن ساعدناكم في ثورتكم ونيل استقلالكم، ضرب ضرب، وهات من يفهم اللغة الإنجليزية».

أقول:

مآسي الدول العربية والإسلامية مردّها إلى الجهل الديني والدنيوي، فهي مُعرضـة عن ربهـا، ومُعرضة عن إصـلاح دنياها وعلاجها في التربيـة والتعليم والجـد كل الجـد في إصلاح مناهجه، فلم يتقـدم القوم إلا بهـذا، ولم نتأخر إلا لتقصيرنا في ذلك.

١١٠٥ الذنوب مثل أكل السم

قـال الإمـام ابـن تيميـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجلد الثامن مـن الفتاوى صـ٢٤٠: إن الإنسـان إذا أصابته المصائب بذنوبه وخطاياه كان هو الظالم لنفسه، فإذا تاب، واستغفـر جعل الله له من كل هـم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسـب، والذنـوب مثل أكل السم، فهو إذا أكل السم مرض أو مات، فهو الذي يمرضـ، ويتـألم، ويتعذب، ويموت والله خالق ذلك كله، وإنمـا مرض بسبب أكله وهـو الذي ظلم نفسه بأكل السم، فـإن شرب الترياق النافع عافاه الله، فالذنوب كأكل السـم والترياق النافـع كالتوبة النافعة، والعبد فقير إلـى الله تعالى في كل حـال، فهو بفضله ورحمته يلهمـه التوبة، فإذا تاب تاب عليه، فـإذا سأله العبد،

ودعاه استجاب دعاءه كما قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦][(١)].

أقول:

ما أبلغ كلام هذا الإمام! ونسأل الله لنا جميعًا السلامة من السموم.

١١٠٦ زعماء الشرق

كتب الدكتور فهد الحارثي في (اليمامة) العدد ١٢٣١ سنة ١٤١٣هـ يقول: إن في الشرق زعماء نصف شعوبهم في السجون ومعاقل التعذيب والمصحات العقلية، والنصف الآخر يتلهى بتصريحات الزعيم النارية وبرامجه الفنتازية ونبوءاته الأقرب إلى الجنون والخبل، ومع هذا لم يسقطوا، إن في الشرق زعماء تموت شعوبهم كلها من الجوع والأمراض والأوبئة والفتن الأهلية، وهم منشغلون عن كل ذلك بالانسياق خلف مشعوذين ودجالين وكذبة (بفتح الكاف والذال المعجمة: جمع كذاب) ومع ذلك لم يسقطوا، إن في الشرق زعماء تتمزق أوصال شعوبهم، وتتفتت روابط انتماءاتهم، فيتقاتلون وتسيل دماؤهم في كل لحظة، أما الخطر المقبل المتربص فما زال أفظع وأشنع، وهم في هذه الأثناء ما يفتؤون يتلهون بأنماط كرتونية من دعاوى الديموقراطية والتعددية الحزبية، ومع ذلك فهم لم يسقطوا، إن في الشرق زعماء يذبحون شعوبهم ذبحًا لا هوادة فيه، وهذا يحدث أحيانًا بسيوفهم أنفسهم حين يغضبون، ويحدث أحيانًا أخرى بسيوف غيرهم حين يقذفون تلك الشعوب تحت سنابك خيول الأعداء لما تستبد بهم شهوة الحروب المجانية، أو حين يأخذ بتلاليب عقولهم الغرور والطيش والغطرسة البئيسة، ومع ذلك فهم لا يسقطون، إن في الشرق المسخرة كل هذه الأصناف من

---

(١) مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، المحقق: أنور الباز وعامر الجزار، الناشر دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م (٨/ ٢٤٠).

الحكام والزعماء، ومع هذا لم يسقط منهم، ولن يسقط إلا في إحدى حالتين: إما أن يأتي قدر العنزه، أو أن تعود الدبابة نفسها، فتمارس هوايتها القديمة في هدم سلطات وبناء سلطات أخرى جديدة في مكانها، وهي سلطات ستأتي غالبًا بالملامح نفسها والسحنات نفسها، والعياذ بالله.

أقول:

والكلام للدكتور، هذا جزء من التعجب لسقوط الرئيس الأمريكي بوش على الرغم مما قدمه لأمريكا من جهود، وما تم في ولايته من نجاحات، وكيف لم يفز الرئيس بالعرش مرة ثانية، ويقول الدكتور: إذا لم يفهم العالم الثالث السبب فالأمريكان يعرفون السبب، ولا يهمهم المزاج الشرقي في شيء.

أقول:

في الدول المتقدمة أي رؤساء الجمهورية ورئاسة الوزارة هناك عليهم التوقيع على القرارات المدروسة من الخبراء والمتخصصين في كل مجال، ويُعدّ بوش خبيرًا من الخبراء أو كبيرًا من الخبراء في أمريكا، وكذلك الحال مع تاتشر وميجر وميتران؛ لهذا وصلوا وحصلوا على المرتبة الأولى في دنيا الناس، وديننا الإسلامي لو اتبعنا تعاليمه لسبقناهم، فنسأل الله إصلاح أحوال المسلمين حتى يكونوا متبوعين لا تابعين، فالغرب تقدم في مجال واحد وهو المادة، وتأخر كثيرًا في المجال الآخر وهو الروح، والإسلام يدعو إلى التقدم في المادة والروح معًا.

١١٠٧ ابن بطوطة يصف الأهرام

الأهرام بناء بالحجر الصّلد المنحوت، متناهي السمو، مستدير متسع الأسفل، ضيق الأعلى، كالشكل المخروط، ولا أبواب لها، ولا تعلم كيفية بنائها، ومما يذكر في شأنها أن ملكًا من ملوك مصر قبل الطوفان رأى رؤيا هالته، وأوجب

عنده أنه بنى تلك الأهرام بالجانب الغربي من النيل لتكون مستودعًا للعلوم ولجثة الملوك، وأنه سأل المنجمين: هل يُفتح منها موضع؟، فأخبروه بأنها تفتح من الجانب الشمالي، وعينوا له الموضع الذي تفتح منه، ومبلغ الاتفاق في فتحه، فأمر أن يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه أنه ينفق في فتحه، واشتد في البناء، فأتمه في ستين سنة، وكتب عليها: بنينا هذه الأهرام في ستين سنة، فليهدمها من يريد ذلك في ست مئة سنة، فإن الهدم أيسر من البناء، ولما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها، فأشار عليه بعض مشايخ مصر ألا يفعل، فلجّ في ذلك، وأمر أن تفتح من الجانب الشمالي، فكانوا يوقدون عليها النار، ثم يرشونها بالخل، ويرمونها بالمنجنيق حتى فتحت الثلمة التي بها إلى اليوم، ووجدوا بإزاء النقب مالاً أمر أمير المؤمنين بوزنه، فحصر ما أنفق في النقب، فوجدهما سواء، فطال عجبه من ذلك، ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعًا.

أقول:

هذا الوصف للرحالة الشهير ابن بطوطة في رحلته ص٤٢، ولنا على ابن بطوطة ملاحظة، حيث وصف الإمام ابن تيمية بما يتنافى تمامًا مع ما عرف عن أعظم أبطال الإسلام في عصره، حيث قال في موضع من الكتاب: «رأى الشيخ ابن تيمية بدمشق يخطب الناس، وتعرض لموضوع نزول الخالق جل علاه فنزل من المنبر، وقال: ينزل ربنا كما أنزل الآن من هذا المنبر»، وهذا مستحيل حصوله من ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وربما يكون مدسوسًا على كتاب الرحالة ابن بطوطة، فهو عالم وفقيه، ومن أهل السنة، فيجب عليه احترام عظماء الإسلام، مثل ابن تيمية الذي جمع الله له من الفضائل والمكارم ما جعله من أولي العزم من الرجال، ومن مجددي الإسلام، ومن أهل الجهاد بالسيف والقلم، وبارك الله له في الأيام والساعات، فهو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والطبري والغزالي وابن الجوزي كتبوا بخط أيديهم طوال حياتهم، لو قام غيرهم بقراءته لم يستطع، وعلماء هذا العصر لم يكتبوا

عشر ما كتبه هؤلاء على الرغم مما يسّر الله لهم من اختراعات ومطابع وكهرباء وخلافه، فلا تفسير لهذا إلا الإعانة الإلهية والبركة في العمر، جمعنا الله وإياهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في مستقر رحمته.

١١٠٨ ميزان الله

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر رجل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لرجل عنده جالس: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: رجل من أشراف الناس هذا، والله حريّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفع، فسكت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريّ إن خطب ألا يُنكح، وإن شفع ألا يُشفع، وإن قال ألا يُسمع لقوله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هذا خير من ملء الأرض مثل هذا**»[١].

١١٠٩ حتى الذرة من الذرة

عن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لتُؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[٢] وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجمّاء من القرناء وحتى الذرة من الذرة**»[٣].

المقصود بالذرة صغار النمل، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/٧ رقم٥٠٩١).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٩٧/٤ رقم٢٥٨٢).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦٤/١٤ رقم٨٧٥٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٦٦/٤ رقم١٩٦٧).

١١١٠ نار الحجاز التي أضاء لها أعناق الإبل ببصرى

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى**»(١) رواه البخاري ومسلم، وهذه الآية العظيمة التي أخبر الصادق المصدوق بوقوعها في مقبل الزمان وقعت على الصورة التي أخبر بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد كان خروجها في سنة ٦٥٤ للهجرة النبوية، وقد تحدث العلامة المؤرخ ابن كثير في أحداث سنة ٦٥٤ عن هذه النار، فقال: فيها كان ظهور من أرض الحجاز التي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى، ما نطق بذلك الحديث المتفق عليه، وقد بسط القول في ذلك الشيخ الإمام العلامة الحافظ شهاب الدين أبوشامة المقدسي في كتابه (الذيل) وشرحه، واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهدت معاينة وكيفية خروجها وأمرها، وملخص ما أورده أبوشامة أنه قال: وجاء إلى دمشق كتب من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة من هذه السنة، وكتبت الكتب في الخامس من رجب والنار بحالها، ووصلت الكتب إلينا في العاشر من شعبان، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ورد إلى مدينة دمشق في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وست مئة، كتب من مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها شرح أمر عظيم حدث بها تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى**»(٢)، فأخبرني من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب، قال: وكنا في بيوتنا تلك الليالي، وكأن في دار كل واحد منا سراج، ولم يكن لها حر ولفح على

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨/٩ رقم٧١١٨)، ومسلم (٢٢٢٧/٤ رقم٢٩٠٢).

(٢) تقدم تخريجه.

عظمها، إنما كانت آية من آيات الله عَزَّوَجَلَّ عن كتاب القيامة الصغرى للدكتور عمر الأشقر ص ١٤٤.

أقول:

زرت طيبة الطيبة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، ورأيت الصخور المتخلفة من آثار النار، فرأيت العجب، حيث لا يستطيع أحد المرور إلا راجلًا وبمشقة، حيث الصخور كالمشاذيب، ولعلها حماية من الله لطيبة الطيبة رزقنا الله المحيا بها والممات.

١١١١ أعدِ الحقوق إلى أهلها

روى سفيان بن عيينة عن مشعر عن عمر بن مرة قال: سمعت الشعبي يقول: حدثني الربيع بن خيثم، وكان من معادن الصدق قال: إن أهل الدّين في الآخرة أشد تقاضيًا له منكم في الدنيا بحبس لهم، فيأخذونه، فيقول: يا رب، ألست تراني حافيًا؟ فيقول: «خذوا من حسناته بقدر الذي لهم، فإن لم يكن له حسنات يقول: زيدوا على سيئاته سيئات»[1]. وذكر أبوعمر بن عبدالبر من حديث البراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**صاحب الدّين مأسور يوم القيامة بالدين**»[2]، وروى أبونعيم الحافظ بإسناده عن زادان أبي عمر قال: دخلت على ابن مسعود، فوجدت أصحاب الخز واليُمنة قد سبقوني إلى المجلس، فقلت: يا عبدالله، من أجل أني رجل أعجمي أدنيت هؤلاء، وأقصيتني؟ قال: اُدن، قد دنوت حتى ما كان بيني وبينه جليس، فسمعته يقول: يؤخذ بيد العبد أو الأمة، فينصب على رؤوس الأولين والآخرين، ثم ينادي منادٍ: هذا فلان ابن فلان، فمن

---

(١) أخرجه أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ (٣٢٩/٢).

(٢) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٤٠٢/٢ رقم٣٧٨٧)، وأبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٨١/٢ رقم٢١٣). بلفظ: الوحدة. بدل: الدين.

كان لـه حق فليـأتِ إلى حقه، فتفرح المرأة بأن يدون لها الحق على ابنها أو أختها أو أبيها أو على زوجها، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠١] فيقـول الرب تعالى للعبـد: ائتِ هؤلاء هؤلاء حقهـم، فيقول: يـا رب، فنيت الدنيا، فمـن أين أتيهم؟! فيقـول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته، فإن كان وليًّا لله فضلت من حسناته مثقـال حبة من خردل من خـير ضاعفها، حتى يدخله بها الجنـة، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء:٤٠] وإن عبـدًا شقيًّـا قالـت الملائكـة: رب، فنيـت حسناتـه، وبقي طالبـون، فيقول للملائكـة: «خذوا من أعمالهـم السيئة فأضيفوها إلى سيئاتـه، وصكوا له صكًّا إلى النار»[1].

١١١٢ الملكان والمؤمن والكافر

ذكر أبونعيم في كتابه الحلية عن ثابت البنّاني أنه قرأ: (حم فصلت)، حتى إذا بلـغ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [فصلت:٣٠] وقـف، فقال: بلغنـا أن العبد المؤمن حين يبعث من قـبره يتلقاه الملكان اللـذان كانا معه في الدنيـا، فيقولان له: لا تخف، ولا تحـزن، وأبشر بالجنة التي كنـت توعد، قال: فأمـن الله خوفه، وأقر الله عينه، فما عظيمة تغشى النـاس يوم القيامة، فالمؤمن في قرة عين لما هداه الله له، ولما كان يعمل في الدنيا، وقال عمرو ابـن قيـس الملائي: إن المؤمـن إذا خرج من قبره استقبله عملـه في أحسن صورة وطيـب ريـح، فيقول: هل تعرفني؟ فيقـول: لا، إلا أن الله قد طيّب ريحك، وحسّن صورتـك، فيقول: كذا كنت في الدنيا، أنا عملـك الصالح طالما ركبتك في الدنيا، اركبني اليوم، ثم تـلا: ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴾ [مريم:٨٥] وإن الكافر يستقبلـه عملـه في أقبح صورة وأنتن ريح، فيقول: هل تعرفنـي؟ فيقول: لا، إلا أن

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/٢٠٢)، وانظر: إحياء علوم الدين (٥/٣٢٢).

الله قد قبّح صورتك، ونتّن ريحك، فيقول: كذلك كنت في الدنيا، أنا عملك السيئ ركبتني في الدنيا، وأنا اليوم أركبك، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام:٣١].

أقول:

هنا يكون النجاح الحقيقي في الدار الباقية، أما قصور هذه الفانية ومزارعها، فهي إن لم تكن في طاعة الله وكسبها من الوجه الشرعي، فهي المتاع القليل، فالله الله احزم الأمر، وكن من أولي الألباب.

١١١٣ تواضع العظماء

قال المؤرخون: حضر المارشال مونتغمري سنة ١٣٨٧هـ الاحتفال بمرور ٢٥ سنة على نصره الكبير على المارشال روميل وهو النصر الذي غيّر مجرى الحرب العالمية الثانية سنة ١٣٦٢هـ ومر مونتغمري في طريق عودته إلى بلاده على لبنان، فقررت الحكومة اللبنانية تكريمه واستقباله بما يليق ببطل الحرب الذي تولى قيادة حلف الأطلسي، وفتح للجنرال صالون الشرف، وفوجئ الوفد اللبناني المستقبل أن الجنرال الكبير يرفض دخول صالون الشرف؛ لأنه لم يعد مسؤولًا، وأسرع المسؤولون إلى صالة الركاب، ووجدوا الرجل يحمل حقيبة كبيرة بنفسه، ولكنهم أصروا على تكريمه، وأصر هو على الرفض حتى حمل الحقيبة.

أقول:

لو كان هذا العسكري من العالم الثالث، وممن جاء إلى القيادة تحت جنح الظلام والدبابة والمدفع لما تواضع بعد تقاعده أو طرده، كما فعل هذا الرومي، بل دعا بتسيير المواكب ذات اليمين وذات الشمال، وانتفش كالطاوس.

١١١٤ من خطاب ابن سعود ١٣٤٤هـ في الحجاز

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أسمع خطباءكم يقولون: هذا إمام عادل، وهذا كذا وكذا، فاعلموا أنه ما من رجل بلغ من المنازل العالية يستطيع أن يكون له أثر، وأن يقوم بعمل جيد إذا كان لا يخشى الله، وإني أحذركم من اتباع الشهوات التي فيها خراب الدين والدنيا، وأحثكم على الصراحة والصدق في القول وعلى ترك الرياء والملق في الحديث، لم يفسد الممالك إلا الملوك وأحفادهم وخدامهم والعلماء المتملقون وأعوانهم، ومتى اتفق الأمراء والعلماء على أن يستر كلٌّ منهم على الآخر، فيمنح الأمير الرواتب والعلماء يدلسون، ضاعت حقوق الناس، وفقدنا والعياذ بالله الآخرة والأولى، إلى أن قال خاتمًا كلامه: وإني أحمد الله الذي جمع الشمل، وأمن الأوطان، ولكم عليّ عهد الله وميثاقه أني أنصح لكم كما أنصح لنفسي وأولادي، فهتف الناس إذ ذاك قائلين: «جزاك الله خيرًا، جزاك الله خيرًا»[1].

١١١٥ تفسير آية

قال الله تعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٢].

قال الداعية الإسلامي الشيخ محمد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: فأما حبل الله فهو قدره ومشيئته ومدده وإرادته، فإنه لا شيء يحدث في الكون كله إلا بقدر من الله ومشيئته وإرادة من الله وإمداده. وأما الحبل من الناس فلننظر في تفاصيله القائمة اليوم، إنه ليس فقط أمريكا، وما تمد به إسرائيل من العون: المالي، والسياسي، والعسكري، والأدبي، وكل أنواع العون وليس فقط روسيا، وما تمد به إسرائيل من العون السياسي بمسرحية التصايح الفارغ كلما ارتكبت

---

(١) من تاريخ (تذكرة أولي النهي والعرفان): ص ١٥٥ لفضيلة الشيخ: إبراهيم بن عبيد.

إسرائيل جريمة من جرائمها الوحشية البشعة دون أن تفعل شيئًا لمنع العدوان أو ردّه، والعون التكنولوجي بسماحها بهجرة اليهود التكنولوجيين إلى إسرائيل، والعون الأدبي بتصريحاتها الدائمة بأنها تعترف بالوجود الإسرائيلي في المنطقة، ولكن بشرط الاعتراف بحقوق العرب، وهو الكلام نفسه الذي صدر به وعد بلفور سنة ١٩١٧م، وهي ترى جيدًا أن هذا الشرط لا يتحقق أبدًا، ومع ذلك لا تسحب اعترافها بإسرائيل، ولا حتى تريد بسحبه مجرد تهديد، إن الحبل من الناس لا يقتصر على هذا المدد من هؤلاء الناس الروسي والأمريكان، إنه يأتي من كل الناس، كل سكان الأرض إلا من رحم ربك، ولنضرب بعض الأمثلة التي توضح ما نقول: السينما مؤسسة يهودية مالًا وفكرًا وتخطيطًا وتنفيذًا، وهدفها الأول هو إفساد الأولاد والبنات بما تعرض من صور الحياة العابثة القائمة على العلاقات التي حرمها الله ورسوله في أوضاع جذابة خلابة مؤثرة بالصوت والصورة والحركة، ففتن ألباب الأولاد والبنات حين يتصورون أنفسهم في مكان البطل والبطلة يمارسون ما يرون هؤلاء يمارسونه أمامهم على الشاشة فيفسدون، وكل ولد أو بنت في الأرض كلها أصابه جنون السينما، فهو حبل من الناس يمد اليهود بمدهم بالمال الذي ينفقه في السينما من جهة، وبالفساد في ذات نفسه من جهة أخرى؛ لأنه يحقق في ذات نفسه جزءًا من المخطط اليهودي الذي يهدف إلى إفساد أخلاق الأميين لتيسير استحمارهم واستغلالهم لتنفيذ مصلحة الشعب الشيطان.

وكذلك جنون التلفزيون والفيديو، فهما يسيران على الدرب نفسه أيًّا كان المخرج والمنتج والفنان، وبيوت الأزياء الكبرى يهودية وكذلك بيوت الزينة وكل بنت في الأرض أصابها جنون (الموضة) وجنون الزينة، فهي حبل من الناس: تمد اليهود بالمال، وتمدهم بالفساد في ذات نفسها وفي المجتمع كله حين يتحول المجتمع إلى فتنة هائجة تجتاح الأولاد والبنات على السواء، وتقرب الأشرار من تحقيق هدفهم الشرير.

وجنــون الرياضة عامة وجنــون الكرة خاصة، لون من الجنــون يبثه اليهود في الأرضــ من خلال وسائل الإعلام التي يسيطرون عليها، ويوجهونها، وكل فتى أو فتــاة أصابهــا جنون الرياضة أو جنون الكرة، فهــو حبل من النــاس يمد اليهود بتفاهــة اهتماماته والوقت الحي الــذي يقتله في الاهتمامــات الفارغة بعيدًا عن الرشد بعيدًا عن الوعي بعيدًا عن رحمة الله.

أقول:

أمــا روسيا المتحدة فمزقها الله شر ممزق، وأمريكا الصليبية فالداء ينخر في جسمهــا، وإن شــاء الله يُلحقهــا بشريكتهــا، وأمــا نحن في هذه البــلاد فشر السينمــا مبعد، أما جنون الرياضة فهو موجود، نرجو الله أن يلهم القائمين عليه أو على الرياضة بوجه عام الرفق وتقديم الأهم على المهم.

١١١٦ عشرة أسباب لمحبة الله

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسباب محبة الله للعبد عشرة:

- **أولًا:** قراءة القرآن بتدبر والتفهم لمعانيه، وما أريد به.
- **الثاني:** التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض.
- **الثالث:** دوام ذكر الله على كل حال باللسان والقلب والعمل.
- **الرابع:** إيثار ما يحبه الله على ما يحبه العبد عند تزاحم المحبتين.
- **الخامس:** التأمــل في أسماء الله وصفاته، وما تدل عليه من الكمال والجلال، وما لها من الآثار الحميدة.
- **السادس:** التأمــل في نعــم الله الظاهــرة والباطنــة ومشاهدة بــره وإحسانه وإنعامه على عباده.

- **السابع:** انكسار القلب بين يدي الله وافتقاره إليه.
- **الثامن:** الخلوة بالله وقت النزول الإلهي، حين يبقى ثلث الليل الآخر وتلاوة القرآن في هذا الوقت وختم ذلك بالاستغفار والتوبة.
- **التاسع:** مجالسة أهل الخير والصلاح المحبين لله عَزَّوَجَلَّ والاستفادة من كلامهم.
- **العاشر:** الابتعاد عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله من الشواغل.

أقول:

سجلناها هنا لعل الله أن ينفعنا بها، وينفع بها القراء، فنحن معنا الفرصة التي يتمناها من رحل عنا إلى دار الجزاء.

١١١٧ عذاب القبر

كتب فضيلة الشيخ صالح الفوزان في كتاب (الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد) ص٢٥٣: عذاب القبر وسؤال الملكين ينالان كل من مات، ولو لم يدفن، فهو اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٠]، وسمي عذاب القبر باعتبار الغالب، فالمصلوب والمحروق والمغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتها، فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار صار رمادًا وذري بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر الله البحر، فجمع ما فيه، وأمر البر، فجمع ما فيه، ثم قال: قم، فإذا هو قائم بين يدي الله، فسأله: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: خشيتك يا رب، وأنت أعلم، فرحمه الله فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه

الحـال، حتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار في مهابّ الريح أصاب جسده من عـذاب البرزخ وروحه نصيبـه، ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النار لأصاب جسـده من نعيم البرزخ وروحـه نصيبه وحظه، فيجعل الله النـار على هذا بردًا وسلامًـا، والهواء على ذلك نـارًا وسمومًا، فعناصر العالم ومـواده منقادة لربها وفاطرهـا وخالقها يصرفهـا كيف يشاء، ولا يستعصي منهـا شيء أراده، بل هي طـوع أمره ومشيئته منقادة لقدرتـه، فغير ممتنع أن ترد إلـى المصلوب والغريق والمحـروق، ونحـن لا نشعر بها؛ لأن ذلك نوع آخر غـير المعهود، فهذا المغمى عليه والمكسـور والمبهـوت أحيـاء وأرواحهـم معهـم، ولا تشعر بحياتهـم، ومن تفرقت أجـزاؤه لا يمتنـع على مـن هو على كل شـيء قدير أن يجعل للـروح اتصالًا بتلك الأجـزاء على تباعد ما بينها وقربه، ويكون في تلـك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللـذة، وإذا كان الله تعالـى قد جعل في الجمادات شعورًا وإدراكًا تُسبح ربها به، وتسقط الحجارة من خشيته، وتسجد له الجبال والشجر، وتسبحه الحصى والمياه والنبات، كما قال تعالـى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤] فإذا كانت هذه الأجسام فيها الإحساس والشعور بالأجسام التي كانت فيهـا الأرواح والحيـاة أولى بذلك، وقـد أشهد الله سبحانه عبـاده في هذه الدار إعـادة حياة كاملة إلى بدن فارقته الـروح، فتكلم، ومشى، وشرب، وأكل، وتزوج، وولد لـه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٣]. ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة:٢٥٩] وكقبيل بني إسرائيل الذين قالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥] فأماتهـم الله، ثم بعثهم من بعد موتهم، وكأصحـاب الكهف وقصـة إبراهيم في الطيور الأربعة، فـإذا أعاد الحياة التامة إلـى هـذه الأجساد بعدما بردت بالموت فكيف يمتنع علـى قدرته الباهرة أن يعيد

إليهـا بعد موتها حياة ما، غـير مستقرة يقضي بها أمره فيهـا، ويستنطقها بها، ويعذبها أو ينعمها بأعمالها، وهل إنكار ذلك إلا مجرد تكذيب وعناد وجحود؟!

١١١٨ صياح الديكة

في الصحيحـين عـن أبـي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عـن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: «**إذا سمعتم نهـاق الحمـير فتعـوذوا بالله مـن الشيطان، فإنهـا رأت شيطانًا، وإذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكًا**»[1].

١١١٩ علم العروض

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي مخترع علم العروض: العلوم أربعة، علم له أصل وفرع، وعلم له أصل ولا فرع له، وعلم له فرع ولا أصل له، وعلم لا أصل له ولا فرع، فأما الذي له أصل وفرع فالحساب ليس بين أحد من المخلوقين فيه خلاف، وأمـا الذي له أصل ولا فـرع له فالنجوم ليس لها حقيقة يبلـغ تأثيرها في العالم؛ يعني الأحكام والقضايا على الحقيقة، أما الذي له فرع ولا أصل له فالطب، وأهله منه على التجارب إلى يوم القيامة، والعلم الذي لا أصل له ولا فرع فالجدل؛ يعني الجدل بالباطل.

أقول:

الخليـل من أعظم عباقـرة العرب وأزهدهـم في الدنيـا، وامتدحه الإمام سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨/٤ رقم٣٣٠٣)، ومسلم (٢٠٩٢/٤ رقم٢٧٢٩).

١١٢٠ إن دين الله ظاهر

يقول الإمام ابن حزم في كتاب (المفصل): إن دين الله ظاهر لا باطن له، وجهر لا سر تحته، واعلموا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها، ولا أطلع أخص الناس به على شيء كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم، ولا كان عنده سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه، ولو كتمهم شيئًا لما بلغ كما أمر، وكل من ادعى للديانة سرًّا وباطنًا فهي دعاوى ومخازيق[١].

أقول:

صدق الشيخ، وكذب دعاة الباطنية والملاحدة، وكذب المعتزلة والصوفية.

١١٢١ حب الرياسة

عن عبدالله بن أحمد بن حنبل أنه كان يقول: كنت كثيرًا أسمع والدي أحمد بن حنبل يقول: رحم الله أبا الهيثم، فقلت من أبوالهيثم؟ فقال: أبوالهيثم الحداد: لما مددت يدي إلى العقاب، وأخرجت للسياط إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي، ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا، قال أنا أبوالهيثم العيار اللص الطرار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين إني ضُربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق، وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان من أجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الرحمن من أجل الدين، وأبوالهيثم هذا يقال له: خالد الحداد، وكان يضرب المثل بصبره.

وقال له المتوكل: ما بلغ من جلدك؟ قال: أملأ لي جرابي عقارب، ثم أدخل يدي فيه، وإنه ليؤلمني ما يؤلمك، وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط،

---

(١) عن (نوابغ الفكر الإسلامي) لأنور الجندي: ص٢٤٠.

ولو وضعت في فمي خرقة، وأنا أضرب لاحترقت من حرارة ما يخرج من جوفي، ولكنني وطنت نفسي على الصبر، فقال له الفتح: ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك إلى ما أنت عليه من الباطل؟ فقال: أحب الرئاسة.

أقول:

حُب السلطة والرئاسة مغروس في جميع الناس إلا النادر، والنادر لا حكم له، والمسلم إذا تحمل المسؤولية والأمانة، واتقى الله فيما ولي، فله أجر كبير، فقد ورد في الأثر: عدل ساعة في حكومة تعدل عبادة ستين سنة.

١١٢٢ زملاؤه أعرف به

قال الكاتب الإسلامي أنور الجندي في كتابه (صفحات من تراثنا الإسلامي) ص ٣٨٧: يقول الدكتور محمد صبري السربوني زميل طه حسين في جامعة السربون فيما رواه لأحمد حسين الطماوي: دخلت أنا وطه حسين امتحان الليسانس في عام واحد، وعندما ظهرت النتيجة ذهبت، فلم أجد اسمي ولا اسمه، وفي اليوم المقبل وجدت اسمه محشورًا بين السطور، فذهبت إليه، وأبلغته آثار حشر اسم طه حسين بين السطور والكثير من الدارسين المصريين، وقام زميل آخر هو جلال شعيب بكشف الحقيقة، فقال: إن طه حسين ذهب إلى الأساتذة وهم مجتمعون، واستدر عطفهم، وذكرهم بأنه على أبواب الزواج بفرنسية، وأنه غريب وأعمى، فرثوا له، ويدعم هذا ما جاء في كتاب سامي الكيالي عن طه حسين الذي يقول في مقدمة رسالته للدكتوراه: «وليسمح لي بأن أعتذر عن أسلوبي الفرنسي إذا ما بدأ بلا ريب في كثير من المواضع ركيكًا أو خاطئًا، وكذلك عن الأخطاء المطبعية التي قد تقع في هذه الرسالة، فما كنت إلا غريبًا وأعمى»، هذا ويسجل الدكتور طه أنه في امتحان الدكتوراه بعد ذلك بعامين أو ثلاثة دخل لجنة الامتحان، ودخلت معه زوجته تحمل طفلها، فلما رآها رئيس اللجنة ابتسم، فأخذت من أمامه ورقة،

وكتبت فيها كلامًا، فلما قرأه قال: إذًا سنخفف عنك أسئلة الامتحان، حدثنا عن تاريخ الدولة الأموية، ويروي عباس خضر في مذكراته (خُطًا مشيناها) عن الأستاذ محمد الههياوي صاحب جريدة (المنبر)، وكان زميلًا لطه حسين في الأزهر: أن طه حسين سرق منه وهما طالبان معًا مجموعة المتون، وهي مجلد يجمع عددًا من المتون المؤلفة في مختلف العلوم، وقد اتهم الههياوي طه حسين صراحة بأنه أخذها، فأنكرها، ولكن حدث عندما كانا خارجين من الجامعة أن انشغل الشيخ طه حسين، بلبس حذائه، فسقطت المجموعة من حيث يخبئها، حكى له الههياوي ذلك، وهذا هو سر ما كان يوجهه إلى طه حسين وهو يناقشه في آرائه بعد ذلك، فيقول له: ألا تذكر مجموعة المتون؟ فلا يعرف أحد ماذا يقصد، ولكن طه حسين كان يعرف، وأشار الدكتور محمد صبري إلى أن طه حسين لم يكن صادقًا فيما أورده في كتاب (الأيام) من أنه كان يدرس في ثلاثة معاهد أو أربعة في باريس، وبعد أن عدّد طه حسين مجموعة الأساتذة قال: إن هذا الكلام لا يُسكت عليه؛ لأن طه حسين لم يدرس على كل هؤلاء، فإن دارس التاريخ لا بد أن يتخصص إما في القديم أو العصور الوسطى أو التاريخ الحديث، وقد كان طه حسين متخصصًا في التاريخ القديم، فكيف درس تاريخ الثورة الفرنسية، وكيف درس البيزنطي والتاريخ الحديث، والدكتور طه حسين كان قليل التردد على السربون لعاهته، ولا أذكر أبدًا أني رأيته يستمع لهؤلاء، وكونه استمع إلى محاضرة أو محاضرتين لأستاذ من الأساتذة لا يعني أنه درس عليه، ومن ثم لا يعقل أنه تتلمذ على هؤلاء جميعًا، إن ما درسه طه حسين هو اللغة اللاتينية لتعينه على فهم التاريخ القديم. أما الذين نقلوا عن طه حسين كالكيالي وكامل زهيري، فإن معلوماتهما قاصرة بالنسبة إلى الدراسة في السربون. والواقع أنه دار حول طه حسين زيف كثير ومبالغات حاولت تضخم هذا الرجل لحساب الذين استعملوه ضد المسلمين والعرب.

أقول:

كم خدعنا بكثير من الألقاب والأسماء، ولكن لا يصح إلا الصحيح، وهذا الرجل عميل الأدب العربي، وليس عميد الأدب العربي، والذي يستحق عميد الأدب العربي هو علي الطنطاوي أو العقاد أو الرافعي، علمًا أن تحذيرنا وبغضنا لهؤلاء العملاء من أمثال طه حسين مستمر بعد هلاكهم؛ لوجود كتبهم بيننا.

١١٢٣ اصبر وتحمل

سئل بعض الأعراب: من سيدكم؟ فقال: من احتمل شتمنا، وأعطى سائلنا، وأغضى عن جاهلنا.

أقول:

هذا الكلام موافق لقول الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] وموافق لقول الشاعر المتنبي:

لولا المشقّةُ سادَ الناسُ كلُّهُمُ ... الجودُ يُفقرُ والإِقْدامُ قتّالُ

وكان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كثيرًا ما يستشهد بأمثال العرب وأقوالهم عندما يفسر كتاب الله، وهو ترجمان القرآن، ويحفظ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أكثر من عشرة آلاف بيت من الشعر، وكذلك ذكروا عن أمنّا عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

١١٢٤ الطبيعة خرافة

قال الشيخ محمد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حكمت الجاهلية المعاصرة عقلها في قضية الخلق بعد نفيها لوجود الله سبحانه وتعالى أو في القليل نفي هيمنته وتدبيره

لشـؤون الكـون، فأدت بهـا عقلانيتها إلى أسطـورة ضخمة ليس لهـا واقع علمي هـي الطبيعة الخالقة من ناحيـة والخلق الذاتي من ناحية أخـرى، وصارت هذه الأسطـورة علمًا يتداوله العلماء بغير برهان علمـي في الوقت الذي يرفضون فيه رد الأمـور إلـى الله بحجة عدم وجود برهان علمي على وجـوده أو تدبيره لشؤون الخلق، واعجب إن شئت لسريان هذه الأسطورة في عصر (العلم) عجب أكثر من أن (العـالم) إذا ذكر الله في البحث العلمي سقط في أعين العلماء، وصار مضغة في أفواههـم يتنـدرون بجهله وسذاجته وعـدم علميته وعـدم موضوعيته وتعلقه بالغيبيـات، فإذا ذكر (الطبيعة) رفعـوه بذكرها، وخروا لهـا ساجدين، وصدق الله العظيـم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥] والحـق أن هذه الأسطورة تستحق منا وقفة بالنظر إلى مدى توغلها في الجاهلية المعاصرة وتأثيرها في كثير من مجـاري الفكر ومجاري السلوك مع عدم استنادهـا إلى شيء على الإطلاق، وكما يقـول ول ديورانت عن الأثير: «إنه خرافة ابتدعت لإخفاء الجهل المثقف للعلم الحديـث»، فهو غامض غموض الشبح أو الـروح، فالطبيعة الخالقة خرافة مبتدعة علـى ذات المستوى، وإن كانت أسبابها أعمق وآثارها أخطر، فإذا كان الأثير خرافة قد ابتدعت لأسباب علمية؛ أي لتفسير أمور غامضة في هذا الكون لم يتوصل العلماء إليهـا بعد، فافترضوا فرضًـا، واتخذوه كأنه حقيقة، فالطبيعـة الخالقة خرافة قد ابتدعـت لأسباب دينية، فقد كانـت مهربًا وجدانيًّا لا علميًّا مـن إله الكنيسة الذي تستعبد الناس باسمه، وتسلب أموالهم، وتقلق راحتهم، وتتعقب أفكارهم، وتتدسس إلـى داخل أرواحهم إلى إله آخر له معظم خصائصـص الإله الأول: أبدي أزلي خالق قـادر، ولكـن ليست له كنيســة، وليست له على البشـر التزامات، فعبـاده أحرار لا يتقيدون تجاهه بشيء في أخلاقهم ولا قيمهم ولا سلوكهم، وإلى هنا يكون الأمر أقرب إلى الهزل منه إلى الجد، أما أن تتحول هذه الخرافة المبتدعة لأسباب وجدانية إلى ما يُعدّ حقيقة علمية هي التي تقبل من العلماء وغيرها الذي هو الحق يرفض منهم فهـذه هي العجيبة التي لا يفسرها شيء ولا حتى الفزع من سلطان الكنيسة المفزع،

فقـد كانت الأسباب الرئيسة التي من أجلها رفضت العقلانية التجريبية أن تعترف بوجود الله، أو تعترف بهيمنته على الكون، هي أن الله لا تدركه الأبصار، وأنه قضية غيبية لا تدخل في عالم الحس، فأما الطبيعة الخالقة فهي تدركها الأبصار، أم إنها قضية غيبية لا تدخل في عالم الحس، إن الذي تدركه الأبصار هو الطبيعة المخلوقة لا الطبيعة الخالقة، وهذه لا يختلف وضعها سواء آمنّا بالله الحق أم آمنت الجاهلية بإلهها الزائف، فأي شيء يمكن أن يفسر فضلًا على أن يبرر الإيمان بالأسطورة في عهـد العلم وبأي حجة يحتج عصر العلم على أساطير الكنسية وخرافاتها الدينية، إذا وقع هذا العصر في أساطير الإلحاد وخرافاته.

عن كتاب (رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر) لمحمد قطب.

أقول:

مـع الأسـف هـذه الخرافة تدرس في كثير مـن الجامعات في بـلاد العرب والمسلمين، لا للنفي، ولكن للإثبات، والله المستعان.

١١٢٥ مكتبة خالية من الخير

قال الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (تراثنا الفكري) ص٢٥:

إنني مـن معرفتي بديني أحتم مصادر المعرفة، وأرحب ببناء المكتبات، وأسعى إلى حراستها وتخليدها، وأقدر الجهود التي تبذل في ذلك، وليس يعنيني نوع المباني ونوع الهندسة، إن الذي أهتم به هو الكتب التي ستعرض على القارئين، لقـد سمعت أن المكتبة سوف تصور الثقافة السائدة في البحر المتوسط، حسنًا في شمال هذا البحر اليونان والرومان واللاتين في فرنسا وإسبانيا وفي جنوب المغرب الكبير ومصر وفي شرق فلسطين المحتلة ولبنان المحتل والشام وتركيا العلمانيتين، ولقـد قامت المكتبة القديمة، وبادت ولا صلة لها بيهودية ولا نصرانية ولا إسلام،

كانت تمثل الفكر السائد في عصرها الأول، فهل ستكون المكتبة الحديثة إنسانية عامة تعرض علوم الكون والحياة والتقدم الباهر الذي بلغه عصرنا الحاضر في الكشوف المعجبة لأسرار هذا العالم وقواه، وليكن ولعل ذلك يرضينا جميعًا.

إن الذي أحذر منه أن تكون المكتبة جسرًا لفلسفات بالية وتعصبًا وضيعًا لماضي كان الأوروبيون فيه لا يمثلون شيئًا ذا بال من خصائص الإنسانية الرفيعة، ويريدون اليوم أن يستأنفوا جحودهم لنا واجتراءهم علينا، وما سمعته عن أجنحة المكتبة المقترحة يثير شكوكًا كثيرة، إن الإسلام اليوم دين جريح تنتمي إليه شعوب أغلبها من العالم الثالث، ولا يساوي تخلفها المادي إلا تخلفها المعنوي، وإذا كانت الأسفار التي تملأ الدواليب والرفوف من أنواع دوائر المعارف الأوروبية الخالية من الخير ألّا تقوم هذه المكتبة.

أقول:

يا أسفًا على الملايين التي تبرّع بها، ليتها في غير هذا الباب!

١١٢٦ أكثر من السواك

قد وردت في فضائل السواك أحاديث كثيرة نذكر منها ما يلي: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»[1] رواه البخاري ومسلم وابن حبّان في صحيحه إلا أنه قال: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء**»[2]، ورواه أحمد وابن خزيمة في صحيحه، ولفظه: «**لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء**»[3]،

(١) أخرجه البخاري (٢/٤ رقم٨٨٧)، ومسلم (١/٢٢٠ رقم٢٥٢).

(٢) أخرجه ابن حبان (٤/٤٠٦ رقم١٥٤٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٦/٢٢ رقم٩٩٢٨)، وابن خزيمة (١/٧٣ رقم١٤٠).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك**»[1] رواه أبونعيم بإسناد حسن. وعن أبي أمامة يرفعه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تسوكوا، فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب، ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض على أمتي، ولولا أني أخاف أن أشق على أمتي لفرضته عليهم، وإني لأستاك حتى خشيت أن أحفي مقادم فمي**»[2] أخرجه ابن ماجه. وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ترفعه: «**السواك مطهرة مطهرة للفم، مرضاة للرب**»[3] رواه النسائي وابن خزيمة، ومثله عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه البخاري في صحيحه[4] والطبراني في الأوسط الكبير، وزاد فيه: «**ومجلاة للبصر**»[5]. وعن حذيفة بن اليمان قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك[6]. أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ويشوص؛ أي يدلك.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبدالرحمن سواك رطب يستن به، فأبّد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصره، فأخذت السواك، فقضمته، ورطبته، ثم رفعته إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استن أحسن منه، فما غدا أن فرغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفع يده أو إصبعه، ثم قال: «**إلى الرفيق الأعلى ثلاثًا**» ثم قضى. وفي لفظ: فرأيته ينظر إليه فعرفت أنه يحب

---

(١) ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١/٣٨ رقم١٥٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/١٠٦ رقم٢٨٩)، وضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة (١/٤٣ رقم١١٧)، والألباني في ضعيف الترغيب (١/٣٧ رقم١٤٤).

(٣) أخرجه النسائي في سننه الصغرى (المجتبى) (١/١٠ رقم٥)، وابن خزيمة (١/٧٠ رقم١٣٥)، وحسنه النووي في خلاصة الأحكام (١/٨٤ -٨٥ رقم٨٩)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١/١٠٥ رقم٦٦).

(٤) أخرجه البخاري معلقًا (٣/٣١) قبل الحديث (رقم١٩٣٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/٢٨٧ رقم٧٤٩٦)، قال الألباني في إرواء الغليل (١/١٠٥): إسناده ضعيف جدا.

(٦) أخرجه البخاري (١/٥٨ رقم٢٤٥)، ومسلم (١/٢٢١ رقم٢٥٥).

السـواك، فقلت: آخـذه لك، فأشار برأسـه أن نعم[1]. أخرجـه البخاري ومسلم في صحيحيهمـا، وعن أبي موسى الأشعـري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يستاك بسواك رطب قال: وطرف السواك على لسانه، وهو يقول: «أع أع»[2]، والسواك في فِيهِ كأنه يتهوع.

أقول:

هـاه! مـاذا تصنع بأسنانـك بعد اليـوم، نظفهـا بالسـواك أولًا وبالمعجون المصنوع من السواك ثانيًا، واترك المعاجين التي أزعجتنا بها الشركات في دعاية التلفـاز، مثل غيرها من الكماليـات التي هزت ميزانية كل أسرة وكل بيت، أنادي بأعلـى صوتـي من خلال هذه النـادرة بالرجاء المخلص إلـى المسؤولين في وزارة الإعـلام بإيقاف الإعلانات التجارية فورًا؛ لما لها من أضرار اقتصادية، والضرر الاقتصـادي يجـر إليه أضـرارًا أخرى، مثل (رجل الديك تجيـب الديك)، ولهم بعض العـذر في السابـق وهو جمـع الدريهمات، ولكـن أغناهم الله مـن فضله، فليرفقوا بنا، ونسأله أن يرفق بهم.

١١٢٧ يا رب، سلّم يا رب، سلّم

لقـد أعلنت أمريكا أخـيرًا أنه لا يكفي وجود دورياتهـا الجوية المستمرة ٢٤ ساعة محملة بالقنابل الذرية حتى تنطلق إلى أهدافها عند أول إشارة ولا طائرات الرادار التي تحلق ٢٤ ساعة لترى وتسمع ما وراء الأفق، دون انقطاع ولا الطائرة المعـدة دائمًا، بحيث يركبهـا الرئيس الأمريكي ومعاونوه إذا جاء خبر عن إطلاق صواريـخ روسيـة إلى واشنطن ليقـود عملية الرد من الجو، لقـد قررت الولايات

(١) أخرجه البخاري (٦/١٣ رقم٤٤٤٩)، ومسلم (٤/١٨٩٣ رقم٢٤٤٣)، واللفظ للبخاري.
(٢) أخرجه البخاري (١/٥٨ رقم٢٤٤)، ومسلم (١/٢٢٠ رقم٢٥٤)، وليس عند مسلم: أع أع.

المتحدة أخيرًا أن تكون في الجو دائمًا طوال الأربع والعشرين ساعة، طائرة ليست مزودة بكل شيء فقط، ولكن فيها قيادة عسكرية عامة تمثل كل القوات المسلحة، وتتصل بها حتى إذا حدث، وأصيبت القيادة الأرضية بأي عطل تكون هناك قيادة عسكرية أخرى كاملة في الجو تتولى المسؤولية فورًا.

أقول:

كيف يهنأ لنا العيش؟ ونحن نقرأ هذه الأخبار المرعبة، أي والله العالم يعيش على فوهة بركان، والأمر جد خطير خطير منذ اخترع الإنسان السلاح الخبيث، سلاح الذرة والجرثومة في هذا القرن العشرين أو في نصفه الأخير، فأردد مع شوقي قوله:

وأفٍّ على العلمِ الَّذي تدّعُونَه إِذا كانَ في علمِ النُّفوسِ رَداها

أعود فأذيّل هذه النادرة بما عنونتها، وهوّن الدعاء إلى الله العلي العظيم: «يا رب، سلّم يا رب، سلّم».

١١٢٨ شهر الطعام أم هو شهر الصيام؟

قال أحد الفقهاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اعلم أن رمضان حق وأن صومه فرض، وأن قيامه مستحب، وأن أوقاته أزكى من سائر العام، ومن ثمَّ استثيرت لهذا الهمم، فنادى منادٍ من قِبل الحق: يا باغي الشر، أقصر ويا باغي الخير، هلّم، وعلى المؤمنين أن يفوزوا في هذا السباق، ولكني عندما يقبل رمضان أشعر بالوجل، لا من العبادات المفرضة، بل من العادات السائدة، فقد أبى المسلمون إلا تعكير رونق الشهر المبارك بما استحدثوه من أمور لا تصح دنيا، ولا يصلح بها دين، والمعروف أن الليل سكن للأنفس، وأن السهر فيه قد يكون من شرطي يحرس

الأمن، أو جندي يحمي الثغور، أو طبيب يرعى المرضى، أو عامل في نوبته لمواصلة الإنتاج والسهر في رمضان، إنما هو تهجد لمناجاة الله وقراءة كتابه والتسبيح بحمده والإعداد للقائه، فما معنى أن يسهر المسلمون في رمضان للتسلية الفارغة واللغو الطويل؟ وما معنى أن تُعدّ لهم برامج خاصة كي يضحكوا، ومن حقهم أن يبكوا أو يهدؤوا، ومن حقهم أن يشكوا ألا يحس المسلمون ضراوة العدو ونيله الشديد منهم؟ إن نصف الأمة الإسلامية يترنح تحت وطأة الاستعمار الصليبي والشيوعي، والنصف الآخر يرى دينه منكور التوجيه في أكثر من ميدان، ولا يستطيع أن يفعل شيئًا ففيمَ المجون والضحك؟

ومعروف أن استهلاك الأغذية يتضاعف تقريبًا في رمضان، وأن الحكومات توفر مزيدًا من السلع لاستقبال الشهر، وكأنما هو شهر الطعام لا شهر الصيام، ويبدو أننا نجوع كثيرًا لنأكل كثيرًا، وما شرع الله الصيام لهذا النوع من الفعل وردّ الفعل، إن شريعة الصيام تدريب على جهاد النفس والتحكم في مطالبها ورغائبها وإخضاعها لضوابط الأمر والنهي وإشعار الإنسان أنه روح قبل أن يكون جسمًا، وعقل قبل أن يكون هوى وغرائز.

أقول:

صدق الشيخ ورب الكعبة، فالناس عكسوا السنة، وجعلوها بدعة، فليل رمضان للعب والأكل والشرب، ونهاره للنوم إلا من عصم ربي، وقليل ما هم.

فيا أخي الكريم، إذا قرأت هذه النادرة فاحزم أمرك لإصلاح أمرك وإلغاء الصرف الزائد والزيادة في العبادة، فهو شهر الصرامة والجهاد والصبر وانتصارات الأجداد العظام من عصر الرسالة المشرق حتى حرب رمضان ١٣٩٣هـ التي أصروا على جعلها حرب ٦ أكتوبر، وليس رمضان، والله المستعان.

١١٢٩ فضائح تقشعر لهولها الأبدان

قال الصحفي مصطفى أمين في كتابه (لكل مقال أزمة) ص١٥٨: منعت نشر قرارات جمهورية صدرت بالعفو عن عدد من كبار مهربي المخدرات الأجانب الذين أصدرت محاكم الجنايات العادية حكمها عليهم بالسجن المؤبد، وأيدت الأحكام محكمة النقص والإبرام، وكان بعض زعماء القومية العربية يتفقون مع أعضاء العصابة في بيروت أو غيرها، ويأخذون منهم خمسة وعشرين ألف جنيه، وأحيانًا خمسين ألف جنيه، وأحيانًا مئة ألف جنيه، ثم يجيء الزعيم العربي إلى مصر، ويقابل رئيس الجمهورية، ويقول: إن فلانًا المحكوم عليه بالمؤبد لتهريبه المخدرات في سجن طرة من أسرة وطنية متحمسة للقومية العربية، والإفراج عن هذا المهرب يرضي زعيم الأسرة، ويجعله أشد تمسكًا بزعامة مصر، وهنا يصدر قرار جمهوري بالإفراج فورًا عن المهرب الكبير، ولم يحدث مرة أن نشرت جريدة في مصر نبأ عن هذا القرار الجمهوري السري، كل ما يحدث أن القرار الجمهوري يبلغ إلى مصلحة السجون، فتفرج عن السجين المحكوم عليه بالمؤبد، ويختفي القرار الجمهوري، ولا يعرف أحد عنه أي شيء، وتكررت هذه القرارت الجمهورية مرات عدة، وعرف تجار المخدرات في البلاد العربية تسعيرة الإفراج عن المحكوم عليه بالسجن المؤبد، والمحكوم عليه بخمس عشرة سنة أشغالًا شاقة، وكان من المضحك المبكي أن نرى مثلًا مسجونًا لبنانيًّا هرّب طن حشيش، وهو يخرج من ليمان طرة، بينما نجد مسجونًا مصريًّا اتهم بتهريب جرام حشيش يمضي ٢٥ سنة في السجن يكسر الأحجار في سجن طرة، بل أكثر من هذا كانت الرقابة تخرق أخطر القرارات الجمهورية، وهي قرارات بالعفو عن جواسيس إسرائيل من الأجانب، وكانت هذه القرارات الجمهورية تصدر في السر، ولا تنشر في الصحف، ولا يعرفها الوزراء، ولم يحدث مرة أن عرف الناس أن جواسيس

إسرائيل من يونانيين وإيطاليين ولبنانيين، كان يفرج عنهم سرًّا.

أما المحكوم عليهم في قضايا سياسية عادية فكانت لا تصدر عنهم قرارات العفو إلا على سبيل الاستثناء، بل كانت التعليمات العسكرية تقضي بألا يتمتعوا بامتياز الإفراج بعد نصف المدة، وهو امتياز يتمتع به القتلة واللصوص وقطّاع الطرق، ذلك أن الحكومة كانت تُعدّ معارضة الحاكم جريمة أشنع من القتل والسرقة وقطع الطريق، وأخفت الرقابة عن الشعب نبأ مهمًّا نشرته كل صحف العالم، وهو نبأ الإفراج عن الجاسوس الإسرائيلي لوتز، وكان لوتز مسجونًا معي في ليمان طرة ومحكومًا عليه بالسجن المؤبد، وحدثت هزيمة ٥ يونيو، وطلبت إسرائيل تسليمه مقابل الإفراج عن عدد كبير من الأسرى المصريين، وذات صباح جاء لوتز إلى زنزانتي وفي يده جريدة (الأهرام)، وفيها خبر في الصفحة الأولى بأن الحكومة المصرية رفضت أن تسلم الجاسوس لوتز لإسرائيل، ولن تسلمه لها أبدًا، وقال للوتز: معنى هذا الخبر المنشور في (الأهرام) أن الحكومة المصرية ستفرج عنك قريبًا، قال: هل لديك أخبار؟ قلت: ليس عندي أخبار، ولكنني واثق أن معنى هذا الخبر أنه تقرر الإفراج عنك سرًّا، ولم أقل له: كيف عرفت، فإنني أعرف الحكومات الديكتاتورية تقول لشعوبها أخبارًا كاذبة لتخفي فيها الأخبار الحقيقية!

١١٣٠ ظاهرة خطيرة

وجه محرر (اليمامة) في العدد ١٤١٣/١٠/٢٢هـ سؤالًا للأستاذ محمد صلاح الدين عن ظاهرة خطيرة ظهرت وبوضوح على المجتمع الإسلامي، وهي تبادل إطلاق المصطلحات بين أبناء الأمة الإسلامية، فالملتزم يصف الآخر المسلم بأنه يساري أو علماني، بينما يصف الآخر الملتزم بأنه متطرف بل وأحيانًا

إرهابـي... إلـخ. ألا ترى أن هذه بـذور فتنة جديدة بين أبنـاء المسلمين؟ لا شك أننـا نعيشـ الآن إرهاب المصطلحـات، ولا أيضًا الإنصاف يقتضـي أن نقول: إن إرهـاب المصطلحات حاد بين الجانبين من الجانب الإسلامي ومن الجانب الذي يمكننـا أن نسميه العلماني، والحقيقة أن الإخـوان الذين في الجانب غير الملتزم إذا أحببنا أن نقول ذلك هم وحدهم وراء كثير من المصطلحات والغموض، لكنه يشعر بضغط الجو العام، فكل بلد عربي شعوره العام إسلامي، فلا أحد يستطيع أن يقـول: يجـب ألا نطبق الشريعـة، ولا يجب أن نفرض الحجـاب على المرأة، لا أحد مطلقًا يستطيع أن يقول مثل هذا الكلام أو يجاهر به، فالذي يحدث أنه يلف ويدور حول هذين الموضوعين على سبيل المثال، ويغلف هذه الأمور بألفاظ غامضة أو رمزية، وفي تقديري بالنسبة إلى الملتزم ألا يبادر بالتهمة، ولا يبادر بالتصنيف إلا إذا كان الأمر واضحًا، مثلًا عندما تأتي إلى شخص مثل أدونيس، وتقرأ كتابه (الثابـت والمتحـول) تجده نقضًـا صريحًا للإسـلام ومن جـذوره وجوانبه، فهو ينقضـ الإسـلام عقيدةً وتاريخًا، فـلا يمكن أن تخاطب أدونيسـ إلا أنه علماني مارق؛ لأن الرجل صريح فيما كتب، ولم ينفِ ذلك، ولم يتبرأ، بالعكس هذه رسالة الدكتوراه بالنسبة إليه.

أيضًا سمح لي أن أعجب، ففي البلدان العربية ليس هناك أي ذكر لأودنيس وقلـة نادرة تعرف أن رسالته للدكتوراه هـي (الثابت والمتحول) وقلة معدومة هي التـي أطلقت على هذا الكتاب اسمه، فلمـاذا لا ترديد ولا ذكر ولا إبراز لأدونيس إلا في هـذا البلد الذي هو مسقط القداسات ومهبط الإسلام والوحي وفي صحف هذا البلد وكيف نتقبل هذا؟ في مصر وفي تونس وفي الجزائر لا ذكر له نهائيًّا ولا في بلد عربي إلا هنا، وهذا مثار دهشة واستغراب، أجل كيف نفعل ذلك؟

١١٣١ خذ دشًا باردًا

جاء في جريدة (الشرق الأوسط) يوم ١٤١٣/١١/٢هـ:

إن للاستحمام يوميًّا في ماء بارد مزايا صحية مهمة ينعكس مردودها الإيجابي على مختلف جوانب الصحة الجسمانية في وقت قصير نسبيًّا، وإنه يزيد عدد الخلايا الدموية البيضاء، وكان العالم تشارلز داروين أول من اكتشف عام ١٨٥٧م مزايا الاستحمام في الماء البارد، ولكن لم يعرف سببها، إذ وجد أنه كان يخفف آلامه ومتاعبه الصحية، إلا أن معهد بحوث مرض تخثر الدم في لندن اكتشف أخيرًا الجواب القاطع على تساؤلات داروين، إذ يزعم الباحثون أن الاستحمام في الماء البارد يحسن الدورة الدموية، ويعطي الإنسان الشعور بالعافية من جميع النواحي، ويؤدي إلى زيادة عدد الخلايا الدموية البيضاء، وذلك يعزز قدرة الجهاز المناعي في التصدي للفيروسات والقضاء عليها، وعلاوة على ذلك يؤدي الاستحمام بالماء البارد إلى زيادة إفرازات هرمون تيستوستيرون في الذكور وهرمون إستروجين في الإناث، وذلك يؤدي إلى زيادة الإخصاب لدى الجنسين، والماء البارد يؤدي أيضًا إلى تحسين بنية البشرة وتقوية الأظافر وزيادة نمو الشعر، إلا أن الباحثين يحذرون من الاستحمام بماء بارد جدًّا، ويوصون بأن تكون درجة حرارة ماء الاستحمام في حدود ٦٠ فهرنهايتية ١٥ درجة مئوية، وخلص الباحثون إلى هذه النتائج بعد متابعة مجموعة من الأشخاص الذين استحموا بماء بارد عند درجات حرارية متفاوتة.

أقول:

قرأت، ثم رفعت صوتي مكبرًا: الله أكبر، حيث إن الذي وجده البريطانيون في ذلك العام مذكور في القرآن الكريم منذ ١٤ قرنًا، وهاك الدليل في قوله تعالى، حيث اشتكى أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ

﴿ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٣] ثـم يصـف لـه سبحانه العـلاج بقوله: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴾ [ص:٤٢].

ارفع صوتـك معي بالتكبير والتحميد لله رب العالمـين، واحرص على الدش البارد يوميًّا.

١١٣٢ كيف تعرف عيوبك؟

قـال أحـد العلمـاء: إن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أراد بعبد خيرًا بصّـره بعيوب نفسه، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخفَ عليه عيوبه، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، ولكن أكثر الخلـق جاهلون بعيوب أنفسهم، يرى أحدهم القذى في عين أخيه، ولا يـرى الجذع في عين نفسه، فمـن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أن يطلب صديقًا صدوقًـا بصيرًا متدينًا، فينصّبه رقيبًا على نفســه ليلاحظ أحواله وأفعاله، فما كـره من أخلاقه وأفعاله وعيوبـه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه، فهكذا كان يفعل الأكياسـ والأكابر من أئمة الدين، كان عمـر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يقول: رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبـي، وكان يســأل سلمــان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن عيوبـه؟ فلما قدم عليــه قال له: ما الــذي بلغك عني مما تكرهه؟ فاستعفى، فألح عليه، فقال: بلغني أنك جمعت بين إدامــين علــى مائدة، وأن لك حلتين: حلـة بالنهار، وحلة بالليـل، قال: وهل بلغك غـير هذا؟ قــال: لا. فقال: أما هذان فقد كفيتهما، وكان يسأل حذيفة، ويقول له: أنت صاحب سر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في المنافقين، فهل ترى علي شيئًا من آثار النفاق؟ فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ فكل مــن كان أوفر عقلًا وأعلــى منصبًا كان أقل إعجابًا وأعظـم اتهامًا لنفسه إلا أن هذا أيضًا قد عز، فقلّ في الأصدقاء من يترك المداهنة، فيخبر بالعيب، أو يترك الحسد، فلا يزيد على قدر الواجب، فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبًا، أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك.

أقول:

لا تغضب إذا انتقدك صديقك، وعلى الصديق أن يحسن النقد، ويرفق بصديقه؛ لأن صديقك من صدقك لا من صدّقك.

١١٣٣ حفظه الله حيًا وميتًا

جاء في أحداث عام (٥٥٧هـ) أنه وصل إلى المدينة المنورة رجلان في زي المغاربة، وادعيا أنهما من أهل الأندلس، ونزلا في الناحية التي تلي حجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القبلة خارج المسجد عند دار آل عمر في رباط قرب الحجرة، وقد أظهرا الصلاح والتقوى بالصلة والبر والصلاة وزيارة البقيع، وقبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هكذا ظاهرهما، أما الباطن فهما نصرانيان كلّفا بنقل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة إلى بلاد النصارى، وأُغريا بالمال ومُوّلا به، وقد كانا يحفران سردابًا ينتهي للحجرة المحروسة، وصارا ينقلان التراب قليلًا قليلًا، فتارة يرميانه في بئر بالرباط، وتارة ينقلانه في محفظة من جلد ويوهمان الناس بزيارة البقيع ويرميان التراب فيه، ومكثا على حالتهما هذه مدة، حتى توهما أنهما قربا من غايتهما، ووصلا إلى قرب القبر المطهر، وأخذ المجرمان يفكران في كيفية نقل الجسد المطهر، وظنّا أن ذلك قريب المنال، ولكن الله لهما بالمرصاد لكشف عملهما السيئ وإبطاله، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحترم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، والقرآن الذي جاء به من عند الله يحترم الأنبياء والرسل السابقين، لكنها شقاوة بعض النصارى نعوذ الله من الشقاوة، لقد رأى السلطان نور الدين محمود بن زنكي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، وهو يشير إلى رجلين أشقرين، ويقول: «يا محمود! أنقذني من هذين»، فاستيقظ منزعجًا، وصلى، ونام، فرأى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام مرة ثانية يشير إلى الرجلين الأشقرين، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا محمود! أنقذني من هذين»

فلما استيقظ في الثالثة دعا وزيره جمال الدين الموصلي، وكان وزيرًا عاقلًا دينًا ورعًا، وقص عليه الرؤيا، فقال له: هذا أمر حدث بالمدينة المنورة اخرج الآن للمدينة النبوية، واكتم ما رأيت، فتجهز السلطان نور الدين محمود بن زنكي، وخرج على رواحل في عشرين رجلًا ومعه الوزير ومال كثير، وقال مجد الدين المطري: معه ألف راحلة، وما يتبعها من خيل وغير ذلك، وقطع المسافة من الشام إلى المدينة المنورة في ستة عشر يومًا، وصلى بالروضة، وزار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم جلس لا يدري ماذا يفعل؟ فقال الوزير: أتعرف الشخصين إذا رأيتهما؟ قال: نعم، فقال الوزير لأهل المدينة، وقد اجتمعوا في المسجد: إن السلطان معه أموال للصدقة، فاكتسبوا الذين عندكم من المحتاجين، وأحضروهم، وكل من حضر يأخذ نصيبه، وكان السلطان يتأمل الذين يحضرون؛ فلم يجد فيهم أحدًا صفته صفة الرجلين اللذين رآهما، لكنه لم يقطع الأمل في التعرف إليهما ومسكهما وإنقاذ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذاهما، فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ؟ فقالوا: لم يبقَ إلا رجلان مغربيان لا يتناولان شيئًا، وهما صالحان، فقال: علي بهما؛ فأحضرا فإذا هما الرجلان اللذان أشار إليهما صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: إننا من المغرب جئنا حاجّين، فقال لهما: اصدقاني، وقررهما، فأصرا على كلامهما، فتركهما، وذهب لمحل سكنهما في الرباط مع بعض أهل المدينة، فوجدوا مالًا كثيرًا ومصحفين وكتبًا فوق الرف، ولم يجدوا شيئًا آخر، وجعل السلطان يطوف بالمحل، ثم ألهم الله السلطان نور الدين محمود بن زنكي، فرفع خصفةً في المحل، فوجد تحتها لوحًا من الخشب، فرفعه، فوجد السرداب محفورًا ومتوجهًا للحجرة المحروسة الشريفة ومخترقًا جدار المسجد، فذهل أهل المدينة، وكانوا يعتقدون فيهما الصلاح والتقوى، فضربهما السلطان ضربًا مبرحًا، فاعترافا أنهما بعثهما ملوك النصارى في زي المغاربة الحجاج موّلوهما بأموال عظيمة، وأمروهما بالتحايل في إخراج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من

قبره ونقله لبلادهم، فلما ظهر حالهما، واعترفا بجريمتهما أمر السلطان بضرب عنقيهما عند الشباك الشرقي للحجرة المطهرة، ثم أحرقا آخر النهار بالنار[1].

١١٣٤ الشيخ ابن سليم يلغي الروتين

خرج الشيخ عمر بن محمد بن عبدالله بن سليم بعد العصر من بيت سليمان السلطان العرفج متجهًا إلى بستان الشقيري غربي مدينة بريدة للنزهة والوضوء، وفي الطريق تعرض له خصوم من المواطنين بينهم قضايا شرعية، وقد روى عبدالله بن محمد ابن سليم حكمًا في سبع قضايا، وهو في الطريق، ومن بين هذه القضايا قضية دم.

أقول:

كان الناس قبل خمسين سنة في حالة من الأمن والصدق تشبه حالة سلفهم الصالح، فهذا القاضي النزيه ينهي سبع قضايا لو كانت في عصرنا هذا لبلغت أوراق كل قضية حمل بعير، وأنا أعرف بعض الإداريين هنا قالوا عنه: إنه اختصر توقيع بعض المعاملات عن عشرة مسؤولين في إدارته إلى توقيع اثنين فقط.

١١٣٥ وصية جدنا قدّس الله روحه

قال عنه الشيخ ناصر العمري في كتابه (ملامح) ص١٠٨:

عبدالله السالم الزمام من سكان الربيعية في القصيم، وتقع شرقي مدينة بريدة وشمال الشماسية وغرب المستوى، وهو من قبيلة شمر رجل فيه دين يجالس طلبة العلم، ويحضر مجالس التدريس في جامع بريدة إذا وجد بها، وهو رجل

(١) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (٤/ ٢٣٠).

شجاع، وقد عــرف حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأثرها في إصلاح نفوســ سكان نجد وغيرها من البــلاد العربية، وعند كتابة وصيته في آخر حياته أوصـــى للشيخ محمد بن عبدالوهاب المصلح العــالم الداعية الإسلامي بأضحية من ماله الموقوف تقديرًا للشيخ محمد بن عبدالوهاب ووفاءً له، واعترافًا بفضله علــى أهل نجــد، والله المستعــان، وقد تولى ابنــه محمد العبدالله الزمــام إمارة الروضــة، وقال له رجل من أهــل الرياض: أنت شمري؟ فقــال: نعم، أنا شمري، ولكننــي أحارب تحــت بيرق الملــك عبدالعزيز آل سعــود، والمعــروف أن الانتماء إلــى الوطــن أقوى مــن الانتماء إلــى القبيلة، وأقــوى منهما الانتمــاء إلى الدين، والله المستعان.

أقول:

حدثني الأخ حمد السليمان الزيد من بلدتنا الربيعية، قال: كان جدك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقوم بالحسبة تبرعًا قبل أن تكون هيئة رسمية، يقول الزيد: وكنا شبابًا مراهقين، ونهابه هيبة عظيمة، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يمشي كأنه راكب، ويغير المنكر بيده، وفي إحدى المــرات سمعته زوجته الثانية، وهو في الطريق إليها يضرب أحد العصاة، وهو أي صاحب المعصية يصيح: أتوب يا أبا محمد، أتوب تقول؟ ثم سألته: من هذا؟ قال: لا شــيء حمــار بالزرع، وطردته، تقول زوجته: وعرفت أنــه يريد الستر بعد إزالة المنكر، وهذا دليل على فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١١٣٦ موعظة لكل مسؤول مسلم

ذكــر المؤرخــون أن الفضــل بن الربيــع قال: حج هــارون الرشيــد، فأتاني، فخرجت مسرعًا، فقلت: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إلي لأتيتك، فقال: ويحك! قد حاك في نفسي شيء، فانظر لي رجلًا، فقلت: ههنا سفيان بن عيينة، فقال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فقرعت الباب، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين؛ فخرج

مسرعًـا، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلـت إلي لأتيتك، فقال له: خذ لما جئناك لـه رحمـك الله، فحادثه ساعة، ثم قال: عليك دين؟ فقال: نعم، فقال: يا عباس! اقضِ دينه، فلما خرجنا قـال لي: ما أغنى صاحبك عنـي شيئًا، انظر لي رجلًا أسألـه؟ قلت: ههنـا عبدالرازق بن همام. قال: امضِ بنا إليـه، فأتيناه، فقرعت البـاب، فقال: من هذا؟ قلت: أجـب أمير المؤمنين، فخرج مسرعًا، فقال: يا أمير المؤمنـين، لو أرسلـت إلي لأتيتك، فقال: خذ لما جئناك له، فحادثه ساعة، ثم قال لـه: عليك دين؟ قال: نعم، قال: يا عباس، اقضِ دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى صاحبـك عني شيئًا، انظر لي رجلًا أسأله، قلت: الفضيل بن عياض، قال: امضِ بنـا إليه، فأتيناه، فإذا هو قائم يصلي، ويتلو آيـة من القرآن يرددها، قال: اقرع البـاب، فقرعت البـاب، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمـير المؤمنين، فقال: ما لي ولأمـير المؤمنين؟! فقلت: سبحـان الله! أما عليك طاعته؟ فنزل، وفتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفـة، فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا، فجعلنـا نحـوّل عليه بأيدينا، فسبقـت كف أمير المؤمنين قبلي إليـه، فقال: يا لها مـن كف ما ألينهـا إن نجت من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ! فقلت في نفسـي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي: خذ لما جئناك له رحمك الله، فقال الفضيل: إن عمر بن عبدالعزيـز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمـا ولي الخلافـة دعـا سالم بـن عبدالله، ومحمـد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيـوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علي، فعـدّ الخلافة بلاء، وعددتها أنـت وأصحابك نعمة، فقال لـه سالم بن عبدالله: إن أردت النجـاة مـن عذاب الله فصم عـن الدنيا، وليكن إفطـارك فيها الموت، وقـال محمـد بـن كعـب: إن أردت النجـاة من عـذاب الله فليكن كبـير المؤمنين عنـدك أبًـا، وأوسطهم عندك أخًـا، وأصغرهم عندك ولدًا، فوقّـر أباك، وأكرم أخـاك، وتحنّن على ولدك، وقال رجاء بـن حيوة: إن أردت النجاة غدًا من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ فأحـب للمسلمـين ما تحـب لنفسك، واكـره لهم ما تكـره لنفسك، ثم مـت إن شئـت، وإني أقول لـك: إني أخاف عليك أشد الخوف يـوم تزلّ الأقدام، فهـل معـك رحمك الله مثل هـؤلاء أو من يشير عليك بمثل هـذا؟ فقلت له: ارفق

بأمـير المؤمنــين رحمــك الله، فقال: يا أمـير المؤمنين، بلغنــي أن عاملًا لعمر بن عبدالعزيــز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شكا إليه، فكتب إليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أخي! أذكرك طول سهر أهــل النار مع خلــود الأبد، وإيــاك أن ينصرف بك العمل عــن الله، فيكون ذلك آخــر العهد بك، وانقطــاع الرجاء منك، فلما قرأ الكتاب طــوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك لا أعــود إلى ولاية حتى ألقى الله عَزَّ وَجَلَّ فبكى هــارون الرشيد بكاءً شديدًا، ثم قال: زدني رحمــك الله، فقــال له: يا أمير المؤمنــين، إن العباس عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء إليه، فقال: يا رسول الله! أمّرني على إمارة، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الإمــارة حســرة وندامة يوم القيامة، فإن اســتطعت ألا تكون أمــيرًا فافعل**»[1].

فبكــى هــارون الرشيد بكاء شديدًا، ثــم قال: زدني رحمــك الله، فقال: يا حسن الوجــه، أنت الــذي يسألك الله عَزَّ وَجَلَّ عن هذا الخلق يوم القيامــة؟ فإن أردت أن تقي هذا الوجه من النار فإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أصبح لهم غاشًا لم يرح رائحة الجنة**»[2] فبكى هــارون. وقــال له: عليك دين؟ قــال: دين لربي لم يحاسبني عليــه، فالويل لي إن سألنــي، والويــل إن لم ألهم حجتي، قال: إنما أعني دين العبــاد، قال: إن ربي لم يأمرني بذلــك إنما أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

فقــال له: هذه ألف دينار خذها، فأنفقها علــى عيالك، وتقوَّ بها على طاعة ربــك، قــال: سبحان الله! أنا أدلــك على طريق النجاة، وأنــت تكافئني بمثل هذا

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣٩/٤٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠٧/٨). وانظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٠/٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠٧/٢٠ رقم٤٧٤)، ولفظه عنده: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت غاشا لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»

سلمك الله ووفقك، ثم صمت فلم يكلمه، فخرجنا من عنده، فلما صرنا إلى الباب قال هارون: يا عباسي! إذا دللتني على رجل، فدلني على مثل هذا سيد المسلمين، فدخلت عليه امرأة من نسائه، فقالت: يا هذا، قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال، فتفرجنا به؟ قال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه، فأكلوا لحمه. فلما سمع هارون الكلام قال: ندخل، فعسى أن يقبل المال، فلما علم الفضيل خرج، فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون، فجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه، فلا يجيبه، فبينما نحن كذلك، إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا، قد آذيت الشيخ، فانصرف رحمك الله، فانصرفنا[1].

أقول:

هي موعظة لكل مسؤول مسلم، وهي كذلك عبرة لكل شيخ في الترفع عن المطامع العاجلة، فطاعة الوالي واجبة، ولكن نصحه وزجره عن الخطأ أوجب.

١١٣٧ الهوة الرهيبة

قال الدكتور غازي القصيبي في كتابه (أزمة الخليج محاولة للفهم) ص١٩٤:

كانت هناك هوة رهيبة بين عالم النظرية، حيث تسود المصلحة العربية العليا المفترضة وعالم الواقع، حيث تسود مصلحة كل دولة من عالم النظرية، نبع حشد هائل من الأسواق العربية المشتركة ومواثيق الأمن الجماعي المشترك ومختلف أنواع الوحدة الاقتصادية العربية، أما الواقع فقد كان لا يتحرك بمعزل عن عالم النظرية فحسب، بل في الاتجاه المعاكس، وأحيانًا بضعف السرعة، وهكذا رأينا أنه كلما صدر قرار جديد بإلغاء الحواجز الجمركية زاد رجال الجمارك تضييقًا على البضائع العربية المعفاة، وكلما صدر بيان جديد بوحدة

---

(١) انظر: حلية الأولياء (٨/١٠٦-١٠٧)، وتاريخ دمشق (٤٨/٣٣٩-٤٤٠)، وتهذيب الكمال (٢٣/٢٩٥-٢٩٧)، وسير أعلام النبلاء (٨/٤٢٩-٤٣١).

عربيــة جديدة قطعت دولة عربيــة أو مجموعة دول علاقتهــا بدولة، وكلما صدر بيــان بدعم القضية الفلسطينية زادت معانــاة الفلسطينيين المدعومين في الدول العربية، وكلما نشأ مشروع عربي مشترك تفكك مشروعان عربيان قائمان.

أقول:

هو صادق، وينطبق علينا المثل العامي: «غمّر هواء، واحصد ماش».

١١٣٨ أكرموه لمصلحتهم

جــاء في مجلة (الرجــل) في عدد (١٤) مقابلــة مع الشيخ أحمــد العمودي التاجــر السعودي، يقول: سافــرت إلى أمريكا لحضور حفــل تخرج ابني محمد، وهنــاك تعرفت إلى شخص أمريكي من أصل فلسطينــي اسمه أحمد كنعان، وكان رجــلًا طيبًا يعايش الطلبة هنــاك، وعندما عرف أني ذاهب إلــى إيطاليا لشراء مصنــع جديد للطوب عرض علــي فكرة شراء المصنع من الشــركات الأمريكية، واقتنعــت بالفكــرة، فتــمّ شراء مصنــع أمريكي بطاقــة (٣٠٠) طــن، وقد كلف حينهــا (٤٠) مليون ريال، وبطبيعة الحال كانت الصفقــة كبيرة خاصة بالنسبة إلــى الشركة التي تم التعاقد معها، وأذكر أنها دعت الصحافيين والتلفاز لتغطية الحدث حتــى وصل خبر الصفقة إلــى المسؤولين، فاتصل مجلــس النواب ووزير الماليــة بمدير الشركة، وقال لــه: إنهم اطلعوا على أخبار الصفة، ويرغبون اللقاء بي، فذهبت أنا ومرافقي الفلسطيني إلى واشنطن، وهنــاك استقبلوني في المطار، وجهــزوا لي سيارة يعلوها العلم السعودي. هذا الكلام قاله الشيخ العمودي، وهو تاجر سعودي.

أقول:

هــذه الحفاوة من الغــرب بالرجل وبصفقته التجاريــة لمصلحتهم هم، وهذا ذكاء وفطنــة، ولو تمّ مثلهــا في كثير من بلاد العرب والمسلمين لما صنع للرجل شيء

مـن ذلك، بل يُرمى بالطـوب، ويُعرقل المشروع، ويقال عنـه: برجوازي استغلالي، حتى يهرب التاجر بجلده، وهذا أحد أسباب التخلف لدى العرب والمسلمين.

١١٣٩ الرضا وحسن الخلق

قال الشاعر محمد مصطفى حمام:

علَّمتني الحيـاةُ أن أتلقى … كـلَّ ألـوانـهـا رضًـا وقَبـولا

ورأيـتُ الرِّضـا يُخففُ أثقالي … ويـلـقـي عـلـى المـاسِ سُـدولا

والـذي ألـهـمَ الـرِّضـا لا تـراه … أبـدَ الـدهـرِ حـاسـدًا أو عَـذولا

أنـا راضٍ بـكـلِّ مـا كـتـبَ اللهُ … ومــزجَ إلـيـه حـمـدًا جَـزيـلا

أنـا راضٍ بكلِّ صنفٍ من الناسِ … لئيـمًـا ألـفـيـتُـه أو نَـبـيـلا

لستُ أخشى من اللئيم أذاه لا … ولـنْ أسـألَ الـنـبـيـلَ فَـتـيـلا

فسحَ اللهُ في فـؤادي فَلا أرضَى … مـنَ الحـبِّ والـوداد بَـديـلا

في فـؤادي لـكـلِّ ضـيـفٍ مـكـانٌ … فكنْ للضيفِ مُؤنسًا أو ثقيلا

ضلَّ من يحسبُ الرضا عن هوان … أو يـراه عـلـى الـنِّـفـاقِ دَلـيـلا

فالرضا نعمةٌ منَ اللهِ لمْ يسعدْ … بِـهـا في الـعـبـادِ إلا الـقـلـيـلا

والـرضـا آيـةُ الـبـراءِ والإيمـانِ … بـالله نـاصـرًا ووكـيـلا

علمتني الحيـاةُ أنَّ لـهـا طعمينِ … مُـرًّا وسـائـغًـا مَـعـسـولا

فـتـعـوَّدتُ حـالـتَـيْـهـا قـريـرًا … وألـفـتُ الـتـغـيـيرَ والـتَّـبـديـلا

أيـهـا الـنـاسُ كـلُّـنـا شـاربٌ … الكأسينِ إنْ علقمًا وإنْ سلسبيلا

نـحـنُ كـالـروضِ نضـرةً وذُبـولا … نحنُ كالنجمِ مطلعًا وأُفـولا

نـحـنُ كـالـريـحِ ثـورةً وسـكـونًـا … نـحـنُ كـالمـزنِ ممسكًا وهُـطـولا

نحنُ كالظنِّ صادقًا أو كذوبًا نحنُ كالحظِّ منصفًا وخَذولا
قد تُسرّي الحياةُ عَني فتُبدي سخرياتِ الوَرى قبيلًا قَبيلا
فأراها مواعظًا ودروسًا ويراها سواي خَطْبًا جَليلا
أمعنَ الناسُ في مخادعةِ النفسِ وضلُّوا بصائرًا وعُقولا

عبدوا الجاهَ والنضار وعيُنا من عيونِ المَها وخدًا أَسيلا
الأديبُ الضعيفُ جاهًا ومالًا ليسَ إلا مُثرثرًا مَخبولا
والعتيلُ القويُّ جاهًا ومالًا هو أهدى هدًى وأقومُ قيلا
وإذا غادةٌ تجلتْ عليهمْ خشعُوا أو تبتَّلوا تبتيلا
وتلوا سورةَ الهيامِ وغنّوها وعافوا القرآنَ والإنجيلا
لا يريدونَ آجلًا من ثوابِ اللهِ إن الإنسانَ كانَ عَجولا

لا يريدونَ آجلًا من ثوابِ اللهِ إن الإنسانَ كانَ عَجولا
فتنةٌ عمّتِ المدينةَ والقريةَ لم تعفّ فتيةٌ أو كُهولا
وإذا ما انبريتَ للوعظِ قالوا: لستَ رَبًّا ولا بعثتَ رسولا
أرأيتَ الذي يكذبُ بالدينِ ولا يرهبُ الحسابَ الثقيلا
أكثر الناسِ يحكمونَ على الناسِ وهيهاتَ أن يكونوا عُدولا
فلكم لقبوا البخيلَ كريمًا ولكمْ لقبوا الكريمَ بخيلا

ولكمْ أعطوا المُلحَّ فأغنَوا ولكم أهملوا العفيفَ الخَجولا
ربَّ عذراءَ حرةٍ وصموها وبغيٍّ قد صوَّروها بَتولا
وقطيعِ اليدينِ ظلمًا ولصٍّ أشبعَ الناسُ كفَّه تَقبيلا
وسجينٍ صبوا عليه نكالًا وسجينٍ مدللٍ تدليلا
جلَّ من قلدَ الفرنجةَ منا قد أساءَ التقليدَ والتَّمثيلا

فأخذنا الخبيثَ منهمْ ولم نقبسْ منَ الطيباتِ إلا قليلا

يومَ سنَّ الفرنجُ كذبةَ إبريلٍ غدا كلُّ عمرِنا إبريلا

نشروا الرجسَ مجملا فنشرناه كتابًا مفصلًا تفصيلا

علمتني الحياة أنّ الهوى سيلٌ فمن ذا الذي يردُّ السُّيولا

ثم قالتْ: والخير في الكون باقٍ بل أرى الخيرَ فيه أصلًا أصيلا

إن ترَ الشرَّ مستفيضًا فهوّنْ لا يحبُّ اللهُ اليؤُوسَ الَملولا

ويطولُ الصراعُ بينَ النقيضينِ ويطوي الزمانَ جيلًا فَجيلا

وتظلُّ الأيامُ تعرضُ لونَيْها على الناسِ بكرةً وأصيلا

فذليلٌ بالأمسِ صارَ عزيزًا وعزيزٌ بالأمسِ صارَ ذليلا

ربّ جوعانَ يشتهي فسحةَ العمرِ وشبعانَ يستحثُّ الرحيلا

وتظلُّ الأرحامُ تدفعُ قابيلا فيُردي ببغيه هابيلا

ونشيدُ السلامِ يتلوه سفاحونَ سنُّوا الخرابَ والتقتيلا

وحقوقُ الإنسانِ لوحةُ رسامٍ أجادَ التزويرَ والتضليلا

صورٌ ما سرحتُ بالعينِ فيها وبفكري إلا خشيتُ الذُّهولا

قالَ صحبي نراكَ تشكو جروحًا أينَ لحنُ الرضا رخيمًا جميلا

قلتُ: أما جروحُ نفسي فقدْ عوّدتُها بلسمَ الرِّضا لتزولا

غيرَ أنَّ السكوتَ عن جرحِ قومي ليسَ إلا التقاعسَ الَمرذولا

لستُ أرضى لأمةٍ أنبتتني خلقًا شائهًا وقدرًا ضَئيلا

لستُ أرضى تحاسدًا أو شقاقًا لستُ أرضى تخاذلًا أو خُمولا

أنا أبغي لها الكرامةَ والمجدَ وسيفًا على العدا مَسلولا

علمتني الحياةُ أنّي إن عشتُ لنفسي أعشْ حقيرًا هَزيلا

علمتني الحياةُ أني مهما أتعلمْ فلا أزالُ جَهولا

أقول:

أشهد شهادة حق أني قرأت آلاف القصائد، ولم أرَ أحسن منها في شمولها ومعناها؛ لأن هذا الكلام والشعر الجميل لا يعلو عليه إلا قول الله ورسوله، وليت مثل هذه القصائد تقرر على طلبة الثانوية، في درس النصوص، أو درس المطالعة الحرة!

١١٤٠ لا تكن ثورًا

قال الدكتور عبدالسلام الهواس لمحرر مجلة (المجتمع) عدد ١٠٥٦:

لقد سبقنا اليابان، وبدأنا قبلهم في الاتصال بالحضارة الغربية، ولكننا جلبنا المباني، وجلبوا هم المعاني، فتقدموا، وتخلفنا كما كان يقول الأستاذ مالك بن نبي: نحن نهتم بالمباني لا بالمعاني، ونهتم بالأشكال لا بالأرواح، ولذلك ينبغي أن نقرأ القرآن والسيرة من جديد، وفي السيرة غرائب وعجائب قفز عنها الكثيرون، ولا نذهب بعيدًا عن عصرنا، حيث إن اليهود يدرسون بدقة أسباب سقوط الأندلس ليطبقوها على أرض الواقع في فلسطين المغتصبة، ولذلك اليهود ذهبوا إلى هناك ليدرسوا عن كثب أسباب سقوط الأندلس ليستفيدوا منها، فهل درسنا نحن أسباب سقوط الأندلس بدقة وتحليل كي نستفيد منها؟ لا أتهم الجميع معاذ الله، ولكن بعضنا ما زال يمارسها عفوًا دور الثور في حلبة مصارعة الثيران، حيث يستفزه المصارع بالخرقة ليجعله يهيج، ويثور ويزبد ويربد، ثم بالأخير يغمد السيف في عنقه ليقضي عليه تمامًا، فحتى متى يقوم بعض منا بهذا الدور ويستسلم للاستفزاز والهياج؟ ثم تكون النهاية إخفاقًا بعد إخفاق، فنرى الكثير من إخواننا الطيبين والمسلمين أنفسهم في سبيل الله يمارسون دور الثور في نطح الخرقة الحمراء، وهم بذلك لا ينتبهون للمصارع، ولا لمساعديه الذين منهم من يكونون راجلين، ومنهم راكبون، ومنهم داخل الحلبة، ومنهم خلف الأسوار، ولا للمشاهدين لهذه المذبحة،

وهكـذا تكون الكثير من ردود فعلنا كما يقوم ذلـك الثور مع ذلك المصارع، وهكذا يستدرجنـا العدو ليدخلنا داخل الحلبة ليتم القضاء علينا بعد ذلك دون أن نعرف أن الخرقة الحمـراء ما هي الأصلية، وليست هي حقيقة الصراع وما وراء الخرقة الحمراء هو الذي يريده ذلك المصارع، فهل نعي هذه اللعبة؟

أقول:

مـا أكثر الثيران، والدعوة والتقدم تحتاج إلـى ناس يجمعون بين الإخلاص والذكاء، والإخلاص وحده لا يكفي لا بد من الذكاء.

١١٤١ يا جميلة، احفظي هذه القصيدة

قـال الشاعـر الدكتور أسامـة عبدالرحمـن مخاطبًا كل مسلمـة في ديوان (واستقرت على الجودي) القصيدة تقول:

لا تخدشي هذا الجمالَ وتَسفحيه علَى الطَّريقْ
تستعرضينَ إذا خطرتِ مفاتنَ الجسدِ الرشيق
قـد ضـاقَ بالفسـتانِ والفسـتانُ آثـرَ أنْ يضـيق
وعبــاءةٌ شــفافةٌ كزجــاجِ نافــذةٍ رقيــق
يضـفي بريقًـا رائعًا كسـناكِ مـنْ فـوقِ البَريق
والعطـرُ والأصـباغُ والمكيـاجُ والـزيُّ الأنيـق
جعلتـكِ أفوحَ في الـورودِ شـذًى وأحلاها رحيق
ألهبـتِ أفئـدةَ الرِّجـالِ فما أطاقتْ هـلْ تطيق؟
وتـركتِهـا مثـلَ الهشـيمِ إذا سـرَى فيـه الحَريق
يـا دميـةً في قلبِهـا المكبـوتِ إحسـاسُ الطَّليـق

ليستْ منَ الدهرِ الجديدِ وطلّقتْ منه العتيق

لا يخدعنَّكِ في التمدنِ ما يليقُ وما لا يَليق

كمْ فيه منْ زيفِ الحضارةِ ما يضرُّ وما يحيق

في الغربِ كمْ باعوا الهوَى باسمِ الصديقةِ والصَّديق

بينَ التحضُّرِ والتحلُّلِ دميتي خيطٌ دَقيق

لا تَسمعي لغوَ الكلامِ تلوكُه شفةُ الصَّفيق

فالورد لا يُصغي لما تُزجي الضَّفادع منْ نقيق

والطيرُ لا يُصغي إلى الغِرْبانِ تهديه النَّعيق

والظبيُ لا يصغي إذا هفتِ الحميرُ إلَى النَّهيق

دنياكِ لو لَم تحذَري الأمواجَ كالبحرِ العَميق

كمْ طوَّقَتْ بذراعِها جسدًا وكمْ لفظتْ غريق

رفقًا بخطوِك أنْ يقودَ إلى شَفا وادٍ سَحيق

هذا الجمالُ إذا سما فبكُلِّ ما يسمو خَليق

وإذا أريقَ فلنْ يكونَ منَ الجمالِ إذا أريق

أقول:

جزاك الله خيرًا، ولكل فتاة مسلمة من بلدي الإسلامي اقرئي هذه القصيدة التي آمل أن تحفظها وترددها كل عربية مسلمة؛ لأن هذا الأستاذ الجامعي المهذب والمحنك عرف الغرب الفاجر، وعاش فيه سنوات عدة هي مدة دراسته العليا، فجزاه الله خيرًا، وجعلها في موازين حسناته يوم يلقى وجه ربه، وأتمنى على المسؤولين برئاسة البنات تقريرها في درس النصوص للثانوية.

١١٤٢ أفًا يا ذا العلم

يقول زميل خليجي يعمل في الترجمة في دائرة مرموقة: إنه قضى أكثر من (٨) أيام على ترجمة تقرير مفصل وموسع عن مواسم الأمطار والتربة وعناصر الإنبات في المنطقة، داخل قناعة هذا المترجم الفذ أن هذا التقرير لن يكون له نصيب وافر من القراءة والتمعن والنقاش، وأنه لن يوضع على جدول أعمال أي ندوة علمية، ولن يرفع إلى المسؤولين الكبار أو إلى مواقع القرار من أجل اتخاذ قرار فيه، فرأى صاحبي على سبيل الامتحان أن يضع نصًّا ليس له صلة بالموضوع بين الفقرات، وعندما وصل إلى النقطة في وسط السطر بدأ من أول السطر وكتب: يا عروس الروض، يا ذات الجمال يا حمامة، ثم سار في ترجمته على بركة الله، وبعد صفحة أو صفحتين كتب:

ترونَه في ضحكةِ السَّواقي وفي رفَّةِ الفراشِ اللَّعوبِ
في البحرِ في تنفسِ المَراعي وفي غِناءِ كلِّ عَندَليب

وهذا جزء من أغنية لفيروز كلمات نزار قباني حتى لا نبخس المغني والمؤلف حقيهما، يقول صاحبي: إن الوحيد الذي اكتشف هذا التداخل العلمي الرومانسي هو كاتب الآلة، وسار الموضوع في طريقه إلى الأعلى، ولم يتسلم المترجم حتى الآن لفت نظر، أو يُستدعى لسؤاله عن سر هذا التداخل الغريب؟ وفي اعتقادي وعلى وجه العموم، فإن المستويات العليا في الإدارات في العالم الثالث عامة والخليج العربي خاصة تعاني ما يشبه الغفوة أو الاسترخاء الإداري والحياة السهلة، وإن الدوافع وراء اتخاذ القرارات هو المشي فقط مع متطلبات العملية الإدارية، فهم لا يذهبون إلى الثمرة، بل ينتظرونها تأتي إليهم نتيجة جهد غيرهم.

أقول:

هذا الكلام كتبه الأخ الأستاذ عبدالعزيز الذكير في جريدة (الرياض) يوم ١٤١٤/٢/٣هـ ولم أملك نفسي إلا أن أقول قول أحد أهل نجد عند أي استغراب أو استنكار، وهو قول: «أفًّا ياذا العلم».

١١٤٣ حرب السيارات

قالت صحيفة (الرياض) يوم ١٤١٤/٢/٢٢هـ:

بلغ عدد الحوادث المرورية في مناطق المملكة المختلفة خلال عام ١٤١٢هـ ٤٠٠٧٦ حادثة، وبلغ عدد المصابين في هذه الحوادث ٢٧٣٨٥ مصابًا، في حين بلغ عدد الوفيات من جراء حوادث المرور ٣٤٩٥ حالة وفاة، ففي منطقة الرياض بلغت الحوادث خلال عام ١٤١٢هـ ٢٣٠٧٠ حادثةً أصيب فيها ٤٦٧٨ شخصًا، وتوفي ٣٦١ شخصًا، أما في منطقة مكة المكرمة فقد بلغ عدد الحوادث ٥٢٦٥ حادثة أصيب فيها ٧٣٥٥ شخصًا، وتوفي ٨٨٤ شخصًا، وفي المنطقة الشرقية بلغ عدد الحوادث ٤٠٥٨ حادثة أصيب فيها ٣٥٦٠ شخصًا، وتوفي ٦١٧ شخصًا، وفي منطقة المدينة المنورة وقع ٦٣٥ حادثة مروريّة أدت إلى إصابة ٩٨٠ شخصًا ووفاة ٢٣٢ شخصًا، أما في منطقة القصيم فقد بلغ عدد الحوادث المرورية خلال العام نفسه ٥٣١ حادثة، أصيب فيها ٧٢١ شخصًا، وتوفي ٢١١ شخصًا، وفي منطقة تبوك وقع ٩١١ حادثة مروريّة أدت إلى إصابة ٥٦٩ شخصًا ووفاة ٨٠ شخصًا، في حين بلغ عدد الحوادث المرورية في منطقة عسير ١١٦٣ حادثة أصيب فيها ٢١٠٧ أشخاص، ووفاة ٤٠٨ أشخاص، أما في منطقة الباحة فقد بلغ عدد الحوادث ٥١٥ حادثة، أصيب فيها ٩٥٥ شخصًا، وتوفي ٦٦ شخصًا، وفي منطقة القريات وقع ٧٦ حادثة مرورية أدت إلى إصابة ٩٩ شخصًا ووفاة ٢٤ شخصًا، وفي منطقة الحدود الشمالية وقع ٥٣٥ حادثة مرورية أصيب فيها ٨٠٠ شخص، وتوفي ١٤٠ شخصًا،

وفي منقطة الجوف وقع ٣١٤ حادثة مرورية، أصيب فيها ٤٥٢ شخصًا، وتوفي ٥٦ شخصًا، وفي منطقة حائل وقع ١٥٣٥ حادثة مرورية أدت إلى إصابة ١٠٢٢ شخصًا ووفاة ١٢٤ شخصًا، أما في منطقة نجران فقد وقع ٣٨٨ حادثة مرورية أصيب فيها ١٧١٧ شخصًا، وتوفي ٢٠٤ أشخاص.

أقول:

أي والله إنها الحرب الضروس، وكثير من الحروب لا يقترب العدد اليومي من الوفيات من هذا الرقم؛ يعني نحو ١٠ أشخاص يوميًّا لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم، سلم سلم، فالمسؤولية الأولى تقع على المسؤولين عن المرور، حيث يجب تطبيق النظام على الجميع وبحزم وعزم، ثم على المواطن في الدرجة الثانية بألا يعطي المراهق السيارة، وهو في قمة النشاط والاندفاع، ثم في الدرجة الثالثة تقع المسؤولية على الجامعات والمثقفين بعقد الندوات والمحاضرات والتوعية الفورية لكي يوقف هذا النزيف البشري والنزيف المالي، فالوطن أمانة، ودم المسلم كذلك أمانة، والبلد يحتاج إلى خمسين مليونًا؛ لأن فيه دينًا، وهو المقدسات، ودنيا وهو البترول الأولى في شرقه والثانية في غربه، وأقترح منع العمالة العادية من شراء السيارات وتحسين وضع النقل الجماعي وتكثيره وتصغير الأتوبيسات.

١١٤٤ النجاح الكبير

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من تفكر في الدنيا قبل أن يوجد رآها طويلة، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج منها رآها قصيرة، وعلم أن اللبث في القبور طويل، فإذا تفكر في يوم القيامة علم أنه خمسون ألف سنة، فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له، فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا فرضنا ستين سنة مثلًا، فإنه يمضي منها ثلاثون سنة في النوم، ونحو من خمس عشرة في الصبا، فإذا حسب الباقي كان أكثره الشهوات والمطاعم والمكاسب،

فإذا خلص ما للآخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيرًا، فبماذا تشتري الحياة الأبدية، وإنما الثمن هذه الساعات.

أقول:

إياك والتفريط في الفرصة المتاحة لك في هذه الدار لتعمل، وتنجح في دار القرار؛ أي والله إنها خسارة ما بعدها خسارة أو نجاح ما بعده نجاح، والنجاح هو النجاح الأكبر في الحياة السرمدية في النعيم المقيم، أما هذه الحياة فهي كما وصفها الخالق الكريم: ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[الحديد:٢٠] و﴿مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥] نجاحها إذا لم يرتبط بطاعة الله على سنة رسول الله فهو فشل، وكم من سعيد مطيع لله يحسبه الناس فاشلًا، وهو ناجح، وكم من فاجر عاصٍ يحسبه الناس ناجحًا، وهو شقي فاشل.



١١٤٥ فقهاء السوء

قال الإمام ابن القيم في كتابه (الفوائد) ص١٠٠:

كل من آثر الدنيا من أهل العلم، واستحبها فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره، وإلزامه؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثيرًا ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة الذين يتبعون الشبهات، فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة، ويثور الهوى، فيخفى الصواب، وتنطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرًا لا خفاء به، ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته، وقال لي مخرج بالتوبة، وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

وقال تعالى فيهم: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٩]. فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم: وقالوا: ﴿سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ وإن عرض لهم عرض آخر أخذوه، فهم مصرون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق، فيقولون: هذا حكمه وشرعه ودينه، وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك أو لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه.

أقول:

رحمك الله يا ابن القيم، ما أعلمك وأفقهك!

١١٤٦ العشرة الضائعة

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه، ومال لا ينفق منه، فلا يستمتع به جامعه في الدنيا، ولا يقدمه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل من طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضا المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام بر وقربه، وفكر يجول فيما لا ينفع، وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله، ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته، ولا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

أقول:

احذر أن تكون من أهل هذه الصفات إن كنت ذا علم فاعمل به، وإن كنت ذا مال فكله قبل أن يأكله غيرك، فتكون أشد الناس ندامة، كما قال بعض الفقهاء:

أشد الناس ندامة يوم القيامة رجل جمع المال من حلال وحرام، ثم لم ينفق منه في حسناته، ثم ورّثه غيره، وعمل به الوارث في مرضاة الله، فكان يرى هذا المال كالجبال في ميزان غيره.

١١٤٧ حتى تقبل التوبة

سئل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: متى تنقطع التوبة وما حكم توبة من حكم عليه بالإعدام أو حصر في مكان يحترق أو كان في طائرة حدث فيها خلل، وبدأت تهوي إلى الأرض؟

فقال: في جريدة (الرياض) يوم ١٧/٣/١٤١٤هـ:

التوبة: هي الرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ من معصيته إلى طاعته، ولها شروط خمسة:

الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

الندم على فعل المعصية.

الإقلاع عنها.

العزم على ألا يعود.

أنه تكون في الوقت الذي تقبل فيه التوبة.

والوقت الذي تقبل فيه التوبة بأن يكون ذلك قبل طلوع الشمس من مغربها وقبل حضور الموت، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٨] والدليل على الوقت الثاني، وهو طلوع الشمس من مغربها قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٨].

وبعض الآيات التي أشار الله إليها في هذه الآية هو طلوع الشمس من مغربها، فإذا تاب الإنسان بعد طلوع الشمس من مغربها فإن توبته لا تقبل، وأما توبة من حكم عليه بالإعدام، أو حوصر في مكان يحترق، أو كان في طائرة هوت، فإن توبتهم تصح؛ لأن الذي في طائرة قد هوت ربما ينجو، فقد قرأت منذ مدة عن طائرة سودانية، أو قائدها سوداني تعطلت، فأمر قائد الطائرة الركاب بأن يكبروا، وأن يهللوا، وأن يسألوا الله الفرج، وبإذن الله عَزَّوَجَلَّ هبطت الطائرة في نهر النيل، وكان جناحها على الأرض وهيكلها في وسط النهر، بمعنى أن الطائرة لم تتحطم؛ لأنها سقطت على ماء، وجعل الله جناحها جسرًا يعبرون منها إلى البر، إذن قد ينجي الله سبحانه وتعالى من هوت به الطائرة، وأما من كان في بيت يحترق فذلك ربما ينجو، ومن حكم عليه بالقتل، فربما يرفع القتل، فالمهم أن هؤلاء الثلاثة تصح توبتهم.

أقول:

بارك الله في هذا السوداني، وأكثر من أمثاله، هذا الطيار الشجاع الذي أدركته وصحبه عناية الله تصديقًا لقوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].



تنويه وشكر

«تحية خاصة» وشكر خاص لهؤلاء الفضلاء: محمد عبدالله الفريح مدير إدارة النشر والترجمة في شركة العبيكان للتعليم.

وكذلك الأخ الأستاذ خالد آل إبراهيم الذي يقول: كتابك رفيقي في السفر، والذي دعانا لزيارته الأستاذ محمد الفريح، وأكرمنا غاية الإكرام، وأهدانا كتبًا من مكتبته العامرة، وحين ودّعنا وركبنا السيارة وانصرفنا، التفت الأخ الفريح إلي وقال: يا أبا عبدالله، ألا تلاحظ أن بعض وجهاء الناس عندنا ألطف معشرًا وأخف أنفسًا من بعض الفقراء؟

قلت له: تقصد هذا النبيل وأهله؟ قال: نعم. قلت: هؤلاء القوم؛ السماحة والكرم سجية وطبع طبعوا عليه وليس تصنعًا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وكذلك نشكر جليسنا المحامي الشيخ فهد بن محمد بن صالح الخضيري، لاهتمامه وتشجيعه، وتزويدي ببعض الكتب الثمينة مع رفضه أخذ الثمن.

والعلامة الشيخ محمد بن ناصر العبودي، الذي قال لي: استمر فكتابك مهم، ولقد أخذت منه أكثر من ١٥ صفحة.

والشيخ الأديب سليمان العبدالعزيز التويجري، وحفيده طالب الدكتوراه سليمان المحمد لكثرة مدحهم للكتاب.

وكذلك الأديب الشيخ المحامي محمد الصالح العيد، وأخاه الكريم عبدالله -شفاه الله، وجعل ما أصابه من عارض صحي في ميزان حسناته- الذي قال: سأشتري من العبيكان كمية من الكتاب، وأوزعها على أصدقائي.

وكذلك لا أنسى قول الأمير مقبل المحمد المقبل: إنني يا أخ صالح أكرر قراءة بعض النوادر، وأدعي لك بظهر الغيب. وقد قلت: «الأمير لأنه عمل عدة سنوات في عدد من المناطق: في جازان أميرًا بالنيابة ووكيلًا للأمير بالقصيم وحايل وتبوك. وكان كفؤًا يجمع بين اللين والشدة».

وممن نشكره ابنتي الفاضليتين: لطيفة، ونوره لاهتمامهما وملاحظاتهما الجيدة، وترتيبهما لمكتبتي وبعض أوراقي.

وأشكر كذلك كل من شجع وأثنى ونظر بعين الرضى له مني الشكر، وأشركه معي بالأجر، نسأل الله أن يكون علمًا ينتفع به.

وأكرر أن الفضل بهذا الطبع الجيد والإخراج الجيد والاهتمام بالكتاب لله أولاً، ثم للأخ محمد الفريح الذي يقول: لا تستغرب اهتمامي بهذا الكتاب لأنني أحبه، وكنت أقرأ بالأجزاء الأولى عندما كنت في المرحلة المتوسطة والثانوية منذ ثلاثين سنة. الله يفرحه بالجنة، وجزى الله الفريح وشركة العبيكان وأهلها جميعًا عنا وعن أهل العلم والأدب خير الجزاء.



الفهرس

*****